



وقائع ومجوت

أسبوع الإمامة الأولى والثاني

لمن عقد تحت شعار

النبوّة والإمامة صنوا لا يفترقان

وبعنوان

منهج الإمامة في تربية الفرد والامة

لجنة الرابع

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN : 9789922263328

العتبة العباسية المقدسة. اسبوع الامامة الدولي (الثاني : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.
وقائع وبحوث اسبوع الامامة الدولي الثاني : المنعقد تحت عنوان النبوة والامامة صنوان لا يفترقان :
وبعنوان منهاج الأئمة في تربية الفرد والأمة-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة،
1445 هـ. = 2024.

8 مجلد : ايضاحيات : 24 سم

يتضمن ارجاعات بيبليوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISBN : 9789922263328 (v. 4)

1. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة)-مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC: BP193 .A83 2023 VOL. 04

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



٢٣٩،٠٦

و ٤٩٨ وقائع وبحوث اسبوع الامامة (٢٠٢٦:٢ : كربلاء)

وقائع وبحوث اسبوع الامامة الثاني : تحت شعار

النبوة و الامامة صنوان لا يفترقان / مجموعة مؤلفين -. ط ١ .

- كربلاء : العتبة العباسية المقدسة ، ٢٠٢٦

ج ٤ (٨٧ ص.) ؛ ٢٤٤ سم.

١. السيرة النبوية الشريفة - بحوث . ٢. الامامية (الشيعة).

٣. علي بن ابي طالب (ع)-الامام الأول -بحوث . أ. العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٦ / ٣٥٠٩

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٣٥٠٩) لسنة ٢٠٢٦



اسم الكتاب

وقائع وبحوث اسبوع الامامة
الدولي الثاني

المراجعة العلمية

اللجنة العلمية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الناشر

العتبة العباسية المقدسة

الاعداد والتحرير

اللجنة التحضيرية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الاشراف العام

اللجنة العليا المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

التصميم والايخراج الطباعي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الجزء

الرابع

الطبعة

الاولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



مؤتمر الإمام السجاد عليه السلام الدولي الثاني

مرتكزات الأمن الفكري في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)

الشيخ الدكتور عباس عطية عبد القريشي

العتبة العباسية المقدسة

أ.د. حسين الزيادي

جامعة ذي قار / كلية الآداب

المستخلص

تعدّ رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام) من النصوص التاريخية التي تحمل أبعاداً اجتماعية وقانونية متعدّدة، وتتمثّل أهمية الرسالة على كونها تتمثّل سجلاً خالداً في مجال حقوق الإنسان لأنها تحمل في طيّاتها صدّاً دفاعياً إزاء الانحرافات الفكرية التي أصبحت تتمثّل تحدياً كبيراً في ظل العولمة والتطور التكنولوجي، لذلك تتمثّل مشكلة البحث بسؤال مفاده: ماهي ركائز الأمن الفكري في رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام)، وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات محل البحث، ومن ثمّ دراستها بأسلوب معمّق، وفي ضوء ذلك يتم استنباط أحكام أو قواعد عامة.

أما هيكلية البحث فقد اقتضت الضرورة العلمية تقسيمه إلى ثلاثة محاور، تناول الأول مفهوم التحصين الفكري وأساليبه، بينما تناول المحور الثاني استقراء نصوص رسالة الحقوق المتعلقة بالأمن الفكري، وقد اتضح من خلال البحث أن هناك إشارات واضحة للأمن الفكري، وأوصى الباحث بضرورة تضمين المناهج الدراسية مواضيع خاصة ببيان خطر التطرّف الفكري وسبل مواجهته. الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري، الإمام زين العابدين، رسالة الحقوق.



Abstract

The Message of Rights by Imam Sajjada al-Salam is one of the historical texts that carries social and legal dimensions. Finally, the importance of the message is that it represents an immortal record in the field of clear human rights. It carries its defensive potential in the face of technological deviations that represent a challenge that has emerged in light of globalization and technological development in means of transportation. Therefore, the research problem is by asking... Meaning: What is the pillar of intellectual thought in the treatise on rights by Imam Al-Sajjad, peace be upon him? Reliance has been made on the descriptive analytical model, which is based on deconstructing the basic elements of the topics under investigation, and then only a grand, in-depth study, and in the light of this, deduction is made. Download or general, but the structure of the research is cropped. The scientific study concluded by dividing it into three axes. The first begins with the concept of intellectual fortification and its methods, while the second axis is extrapolating the texts of the treatise on rights related to security through thought. I aspired from the research to recommend guidelines for intellectual security, and I advise researchers to include Curriculum topics related to explaining the danger of intellectual extremism and ways to confront it.

Keywords: intellectual security, Imam Zain al-Abidin, the treatise on rights.

المقدمة

قدّم الإمام السجاد عليه السلام خدمات جليلة للإسلام، فهو صاحب الصحيفة المسماة بإنجيل أهل البيت، وزبور آل محمد، وقد اشتملت نصوص هذه الصحيفة الخالدة على معاني التعظيم والتقديس والحمد والشكر لله تعالى، وقد امتازت عباراتها بخصائص فنية ومستوى بلاغي عالٍ يكشف عن موهبة لغوية إبداعية، وتعكس روحاً صافية طاهرة، وتعدّ أول رسالة قانونية دوّنت في التاريخ البشري امتازت بشمولها وكماها، وهي من الذخائر النفيسة التي ترتبط بحياة الانسان وحقوقه وواجباته، والإمام سلام الله عليه هو المؤرخ الأول لثورة أبيه الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن كونه أول من نشر أهداف الثورة الحسينية واستطاع بحرفية فائقة أن ينبّه المجتمع الذي انحرف عن جادة الإسلام، فقد قام بحركة فكرية بلورت الرأي العام باتجاه مبادئ الإسلام المحمدي الأصيل، بعد أن نجح التيار الأموي بعملية تخدير الأمة وبث روح القنوط واليأس فيها، فضلاً عن كونه من رهبان الأمة في عبادته وتقواه، ومن هنا تتضح الخدمات الجليلة التي قدّمها الإمام للمجتمع الاسلامي.

لذا تهدف الدراسة إلى بيان دور الإمام السجاد من خلال ما تضمّنته رسالة الحقوق من ركائز تتعلّق بالتحصين الفكري للمجتمع المسلم، وهو دور يمكن الاهتمام إليه إذا ما تم تعريف الأمن الفكري وفقاً لمعناه الواسع الذي يقوم على أساس وجود تفاعل حقيقي بين المجتمع والحصانة الفكرية.

تساؤلات البحث

ماهي المضامين المتعلقة بالأمن الفكري التي أشارت لها رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام؟

ماهي الإشارات التي تضمّنتها رسالة الحقوق في مجال التطرّف الفكري وأسبابه وركائزه الفكرية؟

ماهي الأسس الكفيلة لتحصين المجتمع فكرياً وعقائدياً بحسب رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)؟

ماهي المتطلبات التربوية التي نادت بها الوصية لمواجهة التطرف الفكري؟
ماهي العلاقة بين الدعاء بوصفه عبادة وبين الأمن الفكري؟

منهج البحث

منهج البحث هو الأسلوب والطريق المعتمد في استخلاص النتائج وإثبات فرضية البحث، فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، فالوصف هو نقطة الانطلاق في العلوم الإنسانية ولا غنى للباحث عنه، في حين يأتي التحليل ليلبور النتائج وفقاً لمعطيات البحث^٢، والمنهج التحليلي يهدف إلى تحليل الموضوع في جوانبه المختلفة ووفقاً لعوامله ومتغيراته، ومن ثم استخلاص النتائج في ضوءها، وهو ما تم الاعتماد عليه في الدراسة الحالية.

أهداف البحث

محاولة تحديد الأمن الفكري وعلاقته ببعض الحقوق التي أشارت لها رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام).

بيان دور حق العلم والمتعلم في مواجهة الأفكار المتطرفة وتعزيز والتعايش والتسامح بين فئات المجتمع الواحد.

تسليط الضوء على تداعيات الإرهاب الفكري وتأثيرها على الأجيال اللاحقة.

الكشف عن المبادئ التربوية المستمدة من وصايا الإمام زين العابدين (عليه السلام).

يحاول البحث ربط مفهوم الأمن الفكري بالمفهوم الشامل للأمن، ومحاولة تأصيل قضايا (الأمن الفكري) تأصيلاً علمياً وفق وصايا الإمام زين العابدين (عليه السلام).

هيكلية البحث

اقتضت الضرورة العلمية أن تتنوع محاور البحث؛ فقد تم التطرق أولاً إلى الأمن الفكري وأهميته ومهدداته بعد أن تمت دراسة نبذة مختصرة عن الإمام السجاد عليه السلام، ثم وصايا الإمام السجاد عليه السلام وتأثيراتها الفكرية ودورها في مكافحة التطرف، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت الاستنتاجات والتوصيات التي يرى فيها الباحثان معالجة حقيقية لمشكلة البحث.

الإمام السجاد عليه السلام

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يعدّ الرابع من أئمة أهل بيت النبوة، وكان من ذريته بقية الأئمة الذين أخبر عنهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد جاء في الصحيحين، قول النبي الأكرم (الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قریش)^٣ أما كناه فهي أبو الحسن، أبو الحسين، أبو عبدالله، أبو محمد^٤.

أما ألقابه فهي: فهي: زين العابدين، والسجاد وذي الثغفات و قدوة الزاهدين، والأمين، والزكي، وزين الصالحين، وسيد المتقين، ومنار القانتين، والعدل، وإمام المؤمنين، والبكاء، وسُمّي بذِي الثغفات إذ نقل عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله: «كان لأبي في مواضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثغفات»^٥، فإنّ مواضع سجوده كانت كثفان البعير، وهي المواضع التي تقع من البعير على الأرض، إذا استناخ كالركبتين وغيرهما، حيث تكون غليظة، وسُمّي بالسجاد لطول عبادته وتهجّده، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في حقّ أبيه السجاد: (إنه ما ذكر الله عز وجل نعمة إلا وسجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود إلا وسجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا وسجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا وسجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، فسُمّي بالسجاد لذلك، أما تسميته بزین العابدين هي لكثرة عبادته)^٦.

وقد عاصر الإمام السجاد (عليه السلام) أصعب المراحل التي مرّت على أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ عاصر ذروة الانحراف الفكري والتطرّف الديني، الذي بدأ بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، لكن الانحراف في زمن الإمام زين العابدين أخذ شكلاً صريحاً ومعلناً، على مستوى المضمون والشعارات المطروحة وكان ذلك من أعلى المستويات الحاكمة التي لم يبقَ ما يستر عورة حكمهم أمام الأمة الإسلامية.^٧

القيم الفكرية في رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام)

من خلال تحليل محتوى رسالة الحقوق، يعد كافياً لكي يضعنا أمام مشكلة جديدة بالدراسة والبحث والتقصّي، زيادةً على تأكيد عدد من الدراسات السابقة للدراسة التي أظهرت أهمية دراسة القيم في الفكر الفلسفي والتربوي عند أهل البيت (عليهم السلام)، وهي المدرسة التي ظلّت مغيّبة عن الدراسة والبحث لمدة طويلة من الزمن، ولاريب أن استلهم الرؤى التربوية والفكرية من رسالة الحقوق يشكّل عاملاً من عوامل تعزيز الأمن الفكري؛ لأنها جمعت روايات شريفة في حقّ الله والوالدين والإخوان والزوجة والأبناء والجار والصديق والكبير والصغير والخصم وحقّ النفس وواجباتها.^٨

لقد تعرض الأمن الفكري للأمة الإسلامية لتحديات خطيرة؛ فقد كانت المرحلة الزمنية التي عاشها الإمام السجاد (عليه السلام) مرحلة بالغّة في الدقة والصعوبة، حيث تصدّى سلام الله عليه لشؤون الإمامة بدءاً من استشهاد أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) عام ٦١هـ إلى عام ٩٤هـ، وأخذ على عاتقه تعديل ما اعوجّج من فكر الأمة في الوقت الذي كان فيه بنو أمية يؤسسون لمملكته، ويعيشون ذروة انتصاراتهم، فقد تجرّع الإمام (عليه السلام) مواجع معركة الطفّ ومآسيها، وبعد أن عاد الإمام السجاد إلى المدينة فضح سياسة الأمويين، متخذاً من أسلوب الصمت والدعاء منهجاً له ليوفر بذلك الفرصة الكافية لإعادة الأمل إلى

نفوس أتباعه وقد قدر للإمام أن يتسلم مسؤولياته القيادية والروحية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري في مرحلة معقدة أعقبت موجة الفتوح الأولى وأصبحت البلاد الإسلامية تعجّ بالتيارات الفكرية والفلسفية المختلفة^٩.

الأمن الفكري

لم يحظ مفهوم الأمن الفكري بتعريف متفق عليه لأنه من المفاهيم الحديثة نسبياً، وهو يعبر عن حصانة الأمة ضد ما يغزو فكرها واعتقادها، ويهدد قيمها وعرافها وتقاليدها من الخارج أو الداخل، فالأمن "هو شعور نفسي يتكون من خلال جملة من القواعد الموضوعية والإجرائية التي يتم اعتمادها من قبل السلطات رعاية للمصالح محل الحماية فيه، أما الفكر، وهو الفعل الذي تقوم به النفس، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم ونحو ذلك، وهي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري"^{١٠}، وزاد انتشاره أكثر إبان وقوع الأزمات الفكرية والاعتقادية، في سياق مواجهة الأفكار الضالة التي اتسمت بالانحراف والتطرف في مجال العقيدة أو الفكر الإنساني المعاصر.

والأمن الفكري في مجتمعاتنا الإسلامية يعني أن يعيش المسلمون في بلدانهم آمنين على مكوناتهم الثقافية وتراثهم الإسلامي، ومنظومتهم الفكرية، فمتى ما اطمئن المسلمون على خصائص ومميزات فكرهم، وأمنوا عليه من الفكر الدخيل فقد تحقق لهم الأمن الفكري، بمعنى آخر هو حماية عقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ يتعارض مع العقيدة والمبادئ والقيم التي يدين بها المجتمع، وبذل الجهود من أجل تحقيق الحماية الكافية، وعليه فإن الأمن الفكري هو تحصين وحماية العقائد والأعراف والمنظومة القيمية من كل ما يهدد بقاءها واستمراريتها؛ ضد كل ما يسعى إلى ذوبان هوية وثوابت الفكر في فكر عقائدي وافد ودخيل^{١١}، وتكمن خطورة التطرف الفكري في كونه ممارسة فعلية أو قولية تمهد الأرضية للإرهاب الفكري الذي يحاول أن يفرض آراءه بالقوة والعنف ويكبل الآخر ويلغي أفكاره^{١٢}.

ان الاهتمام بالأمن الفكري يرتبط بالدرجة الأولى بالحفاظ على هوية الفرد والمجتمع، ومن جهة أخرى، فانه يرتبط بحفظ الدين، فهو هوية الأمة والدين، به حياة الفرد، لأنه ينقله من الظلمات إلى النور، ومن الحياة البهيمية إلى سمو الحياة الإنسانية المرتبطة بالوحي الإلهي، ومن هنا بات الأمن الفكري ضرورة من ضرورات الحفاظ على الشريعة الإسلامية السمحاء.

أما التطرف، فهو من الناحية اللغوية الأخذ بأحد الطرفين والميل لها، إما الطرف الأدنى أو الأقصى^{١٣}، وإذا كان الدين الإسلامي بهذا الوضع، وكونه دين اعتدال وتوسط وقصد في كل شيء، علم أن الغلو فيه والزيادة على اعتداله والتشدد في قصده ضلالٌ عن هديه وبعد عن مقاصده، وكذلك في التفریط والتهاون بأحكامه، كما قال الرسول الأكرم ﷺ: (إن الله أذهب نخوة العرب وتكبرها بآبائهما، وكلكم من آدم، وآدم من تراب)، والمتبع لسيرة الإمام علي عليه السلام يكشف أنها تضرب مثلاً رائعاً في الاعتدال بإطاره العام والسياسي، فهو عليه السلام يحذر من اعتماد منهج التطرف والعصية بكل أشكاله من خلال أحاديثه الشريفة، فقد ورد عنه قوله: «من تعصّب أو تعصّب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه»^{١٤}.

تكمن خطورة التطرف بكونه مؤسساً لانتشار ظاهرة العنف (Violence) والإرهاب (Terrorism) ولم يكن للتطرف أن يستفحل ويجد بيئة صالحة لو كان هناك تحصين فكري حقيقي، ويستهدف العنف ضحية أو ضحايا بعينهم في حين يستهدف الإرهاب مجموعة من السكان بهدف إحداث نوع من الرعب في المجتمع، والتطرف يمكن أن يكون دينياً أو طائفيّاً أو قومياً أو لغوياً أو ثقافياً أو اجتماعياً، ولا يقتصر على ديانة دون أخرى؛ فمن الممكن ان يكون إسلامياً أو مسيحياً أو يهودياً أو غير ذلك^{١٥}، وتأسيساً على ما تقدم يمكن تعريف التطرف الفكري بانه قناعات لجماعات معينة وافراد محددين بامتلاك الصواب دون غيرهم باستعمال أساليب متنوعة كالتهديد والعنف والاذعان

وقبول الشروط والاملاءات لاتخاذ المواقف التي تتماشى مع عقيدتهم^{١٦}، وربما تطور الامر لاستعمال العنف وتصفية المعارضين.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول ان ابرز مهددات الأمن الفكري ونشوء التطرف العقائدي هو غلبة أسس التربية المعاصرة، وقلة الاهتمام بالمرتكزات الاسلامية في النظام التربوي، ولاشك ان الضعف في دراسة تراث أهل بيت الرسول الأكرم ﷺ، يؤدي إلى اختلال فكري وعقائدي في شخصية المسلم، لان تلك الدراسات وسيلة للتكامل البناء في الشخصية المسلمة، بوصفها المنبع الرئيس للإسلام، لذا يمكن القول إن ما يتم ملاحظته من تشتت وتشظي وتيارات فكرية منحرفة هو نتيجة طبيعية لانسلاخ الأمة عن دراسة المنهج النبوي القويم الذي يُعد الإمام السجاد ﷺ أحد أعمدته وركائزه.

لقد أولت الشريعة السمحاء الأمن بأنواعه المختلفة -ومنه الأمن الفكري- أهمية بالغة، بوصفه ضرورة للحفاظ على حياة الإنسان ووجوده وتحقيق رسالته الإنسانية، ومن المعاني الدالة على الأمن في القرآن الكريم الذي يعد دستور المسلمين الاول، قوله تعالى ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ آل عمران (٩٧) وهناك الكثير من الآيات المباركة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم تعطي مفهوم الأمن بوصفه مضاداً للخوف كقوله تعالى ﴿ ياموسى أقبل ولا تخف انك من الأمنين ﴾ القصص (٣١)، وهذه الآيات وغيرها كثير لا يمكن حصرها في نوع واحد من الأمن وهو الأمن المادي لان المصطلح جاء على وجه الإطلاق.



مهدّدات الأمن الفكري

إن المفهوم الفكري في وصايا الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام) يتجسّد في دعوته إلى التسامي، وإلى تحقيق القيم العليا، وإلى الحياة المثلى والسمو الروحي والأخلاقي والاجتماعي والفكري بوصفها جوهر التربية الإسلامية وهي تعد في الوقت نفسه عوامل لتحقيق الأمن الفكري وهذه العوامل هي التي تلحظ من خلال وصايا الإمام سلام الله عليه.

إن مهدّدات الأمن الفكري تتّسع وتباين باختلاف عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية ومن هذه المهدّدات:

١ - الخلل العقائدي وضعف الإيمان، فهذا الخلل يتحول إلى أرض رخوة يمكن أن تطأها التيارات الدخيلة في أي وقت.

٢ - التشكيك في الثوابت والمسلّمات.

٣ - تقديم العقل على النقل وعدم التسليم بنصوص القرآن وسنة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

٤ - ترك منهج الاعتدال والوسطية، ولا شك أن معظم الانحرافات الفكرية والاجتماعية ماهي إلا نتيجة للبعد عن خاصية الوسطية^{١٧}.

٥ - وجود الجماعات الضالة والتيارات المتطرفة.

٦ - التسرع في التكفير واستباحة دماء المسلمين.

التشدد في الأحكام والتعصّب لشخصيات معينة في الحاضر والماضي.

وبحكم ما لدى الجامعات من إمكانيات مادية وبشرية وقدرة على التأثير تعد أكثر المؤسسات قدرة على بلورة مفهوم الأمن الفكري وتحقيقه، من خلال ما تقدمه من بحوث علمية وبرامج تدريبية وإرشادية على جميع المستويات في مجالات تحقيق الأمن الفكري لدى الطلبة من خلال نشر الوعي والتنمية الثقافية^{١٨}.

مخاطر الانحراف الفكري:

إن فقدان الأمن المادي والضرر الناجم عنه يمتاز بالمحدودية قياساً بمخاطر الأمن الفكري التي تمتد عبر الزمان والمكان، كما أن العاملين على الإخلال بالأمن الفكري ليسوا لصوصاً طارئين يستهدفون منفعة مادية أو مصلحة مرحلية، فالتلاعبون بالأمن الفكري هم أناس قاصدون لذلك يتسلحون بالمعرفة والامكانية والوسائل الأمر الذي يتطلب اهتماماً كبيراً ووعياً بطبيعة الصراع وآلياته لاسيما في عالم اليوم حيث تعددت منافذ الغزو الفكري والثقافي واتخذت الانحرافات الفكرية ابعاداً مختلفة، ويجب ان لا يقتصر هذا الدور على فئة معينة فالجميع مسؤولون عن التصدي للحركات الفكرية الهدامة كلٌ بحسب موقعه، ويمكن إجمال مخاطر الانحرافات الفكرية بما يأتي^{١٩}:

١. يعدّ الانحراف الفكري والعقائدي مهّداً حقيقياً للأمن الفكري الذي يشكّل بدوره خطراً على الأمن الوطني والعسكري والبيئي والمجتمعي، فضلاً عن الأمن الثقافي والشخصي.
٢. يعدّ الانحراف الفكري حالة مرضية تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي وشريعته السمحاء وتعاليمه الفاضلة.
٣. يعدّ الانحراف الفكري والسلوكي أداة لنشر البلبلة في المجتمعات، وظهور الفرق الضالة وحدوث الاعتداءات على الأرواح والأموال والممتلكات.
٤. يعدّ الانحراف الفكري والسلوكي إفساداً للنظم الاجتماعية والأسرية، الأمر الذي يسهم في تهديم البناء الاجتماعي.
٥. يؤثر الانحراف الفكري والسلوكي على اقتصاد الدول ودرجتها في سلم التنمية البشرية لأنها تحدث إتلافاً للأموال والممتلكات، وتفشيّاً



للبطالة وتوقفاً للنشاطات السياحية والصناعية والزراعية بسبب فقدان الأمن والاستقرار .

٦. يؤثر الانحراف الفكري والسلوكي في تشويه الصورة الحقيقية للإسلام بوصفه دين الرحمة والسلام، مما يعطي الآخرين ذريعة لمحاربته والنيل من أبنائه.

رسالة الحقوق^{٢٠}

تعدّ هذه الرسالة منجماً لحقوق الإنسان فقد وضعت المناهج الأساسية لإسعاد البشرية وإصلاح دينها ودنياها، وهي من أثرى الكتب الإسلامية، وقد بيّن فيها الإمام عليه السلام واجبات الإنسان والتزاماته تجاه ربه ونفسه ومجتمعه، وإذا أدت هذه الالتزامات بشكلها السليم نكون في حالة من الأمن الفكري ومناعة من الغزو الأجنبي وقد أكدت وصايا الإمام عليه السلام على أسس الاستقرار النفسي، ووقايته من الإصابة بأي لون من ألوان القلق والاضطراب، وغيرهما مما يوجب تعقيد الحياة.

لقد نظر الإمام بعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه، ونفسه، وأسرته، ومجتمعه، وحكومته، ومعلمه وغير ذلك، فوضع له هذه الحقوق، والواجبات، وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها ليتم بذلك إنشاء مجتمع إسلامي تسوده العدالة الاجتماعية والعلاقات الوثيقة بين أبنائه من الثقة والمحبة، وغيرهما من وسائل التطور والتقدم الاجتماعي .

إن أهمية رسالة الحقوق لم تقتصر على العالم الإسلامي، وإنما تعدت ذلك إلى العالم الغربي، إذ تمت ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية والألمانية والفرنسية، لأن الآخرين وجدوا فيها كنزاً من كنوز الفكر الإسلامي، كما وجدوها تفيض بمكارم الأخلاق، والحصانة الفكرية، ومن الحق أنها أضافت إلى ذخائر الفكر الإنساني ثروة لا تپاؤل،

ولن تثمن وأنها قد حوت من ألوان الثقافة العالية ما ندر وجوده في الكتب الدينية والأخلاقية، فضلاً عن الخصائص البلاغية، والمميزات الأدبية فيها من جمال أسلوبها، وبراعة ديباجتها، ورقة الفاظها، ومقاييس الجمال فيها.

الشمولية في الوصايا

امتازت وصايا الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالشمول والتكامل فلم تقتصر على جانب دون آخر وهو أمر يؤكد أن البناء الشخصي للفرد لا يتحقق إلا من خلال تكامل الجوانب التربوية والفكرية والثقافية، وإن هذه الحقوق ترتبط مع بعضها ليكون التمسك بها عصمة للمسلم من الانحراف الفكري الذي يعد ينبوع المجر للضلالة والتطرف والإرهاب ومنه تنطلق الأفكار الهدامة والعقائد الباطلة، لذا فإن وصايا الإمام السجاد تغلق منافذ الغزو الفكري، لأن الأمن الفكري يحتاج إلى حراسة كل دار، بل كل عقل، وحمايته من الاختراق قدر الإمكان، لاسيما في زمن التطور التكنولوجي.

إن اتجاه الإمام السجاد (عليه السلام) بعد واقعة الطف الأليمة صوب العلم كان بهدف الحفاظ على الرسالة المحمدية، لأنه (عليه السلام) وجد في العلم خير وسيلة يتسلح بها لأداء مهمته الإصلاحية والتصدي للانحرافات الفكرية والفلسفية التي سادت عصره وشكلت تحدياً كبيراً للإسلام، وقد هرع للانتهال من بحر علمه جماعة كبيرة من العلماء والفقهاء، فأخذ يغذيهم بعلمه ومعارفه ليكونوا مناراً للعلم في عالم تسوده تيارات الانحراف والغلو، وقد دعا ناشئة المسلمين إلى الإقبال على انتهال العلم من مصادره الرصينة، لأنه (عليه السلام) كان مدركاً لأهمية العلم بوصفه مرتكزاً للأمن الفكري، لذلك كان (عليه السلام) من ألمع المؤسسين للمؤسسة الفكرية التي نادت بحماية وتحصين المجتمع وإصلاحه وتهذيب أخلاقه، لقد عالج الإمام (عليه السلام) بصورة موضوعية وشاملة القضايا التربوية والخلافية، وبحوثه في هذا المجال من أنفس البحوث الإسلامية وأدقها واشملها .

استقراء نصوص رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)

إن الإخلال بالأمن الفكري ليس عمل مجموعة من المجرمين، كما هو شأن الأمن الجنائي وإنما المخلّون بالأمن الفكري هم القاصدون لاختلاله والذين يمتلكون الركن المعنوي، وهم: الحركات المنحرفة، والحضارات، والأديان المخالفة، فالصراع غالباً ما يكون على مستوى كبير، ويتّضح جلياً أن هناك ترابطاً وثيقاً بين تلك الوصايا ومفهوم الأمن الفكري؛ إذ إن حفظ الضروريات الإسلامية إنما جاء لتحقيق مصالح الناس ودرء المفسد عنهم، ومن هنا فإن تحقيق المصلحة العليا للإسلام تتمثل في تحصينه فكرياً وإيدولوجياً، ومعظم مقاصد أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام) تصبّ في هذا الاتجاه، فالأمر باكتساب المصالح والزجر عن اكتساب المفسد هو دعوة حقيقية للتحصين الفكري وإن كان بشكل غير مباشر.

لقد اهتم الإمام (عليه السلام) اهتماماً بالغاً بالأخلاق الإسلامية، ويعود السبب في ذلك إلى أنه مدرك تماماً أن انهيار الأخلاق الإسلامية، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء الحكم الأموي الذي حمل معاول الهدم على جميع القيم الأخلاقية، فانبأرى (عليه السلام) مصلحاً ومؤدباً ومعلماً، فعالج بصورة موضوعية وشاملة القضايا الفكرية والأخلاقية بحرفية ومهارة عالية .

١. حقّ الله تعالى

يعدّ حقّ الله تعالى الركيزة الأولى لتحقيق الأمن الفكري للفرد، فضلاً عن الاستقرار النفسي والروحي والعاطفي؛ لذا جاء في وصية الإمام (عليه السلام) «وأكبر حقوق الله عليك، ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق، ومنه تفرّع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك

حقاً، وليدك عليك حقاً» لقد احتوت هذه الفقرات المشرقة من كلام الإمام (عليه السلام) على عرض موجز للحقوق الأصيلة التي قننها (عليه السلام) للإنسان المسلم.

إن الأخذ بوصية الإمام (عليه السلام) المتعلقة بحق الخالق تبارك وتعالى تعد سداً منيعاً لمنافذ الغزو الفكري، فهي وصية تحرس المؤمن وتحصنه من الانحراف، والأمن الفكري كما هو معروف يحتاج إلى حراسة ومتابعة، لحماية العقول من الاختراق قدر الإمكان، ولو تأملنا في المنافذ التي يتسلل منها الغزو الفكري، لوجدناها واسعة سعة الحياة، متعددة الوسائل والاتجاهات لذلك تبقى حقوق الله تعالى والمتمثلة بالعبادات سنداً مستمراً وحاجزاً وقائياً أما تيارات الانحرافات الفكرية. ويستمر الإمام في وصيته فيقول «أما حق الله الأكبر فإنك تعبد، لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منهما..» إن من أعظم حقوق الله تعالى على عباده، أن يعبدوه بإخلاص وهذه العبادة تمثل حصانة كبيرة من الانحرافات الفكرية، وفي ذلك تطهيرٌ لقلوبهم من الزيغ، وتحرير لعقولهم وأفكارهم، كما أن الإمام (عليه السلام) يدرك جلياً أن الابتعاد عن عبادة الله تعالى يجعل الفرد مواجهاً للانحرافات الفكرية، تتجاذبه أمواج التطرف والغلو والتكفير.

وللدعاء في حياة الإمام زين العابدين ووصاياه أهمية خاصة بوصفه سلاحاً عظيماً له أثر كبير في حلول الأمن الفكري؛ لأن العبد يرفع يديه سائلاً الله تعالى الهداية إلى الصواب في خضم الانحرافات الفكرية، ومع أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو المؤيد المسدد بالوحي كان يقول في دعائه: (اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك)، بل إن المسلم لا يكاد يكرر دعاء ولا كلاماً في حياته كتكراره لكلمة (اهدنا الصراط المستقيم)، فالدعاء من الوسائل العلاجية لإرساء مبادئ الأمن الفكري والحصانة من الانحرافات الفكرية والاتجاهات الفاسدة والجوانب الفكرية الدخيلة.

٢. حقّ الولد

أولى الإمام أهمية خاصة لحق الولد، فالشباب تمثّل الشريحة الأكثر انفتاحاً على الأفكار الطارئة والثقافات الجديدة فقال (وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَتَعَلَّمْ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وَلِيَّتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالِدَلَالَةِ عَلَى رَبِّهِ وَالْمُعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي نَفْسِهِ، فَمُثَابٌّ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقِبٌ، فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلِ الْمُتَزَيِّنِ بِحُسْنِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، الْمُعْذِرِ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالْأَخْذِ لَهُ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

ووصية الإمام عليه السلام تدخل في مجال التنشئة الوالدية والاجتماعية، فالتأكيد منصبٌ على تنمية قابليات الأبناء في كل شريحة عمرية، سواء القابلية البدنية أو الذهنية والفكرية، وتأكيد الإمام يتعدى الحاجات المادية التي لا تشكّل أولوية في فكر الإمام ودائرة اهتماماته، لكن التركيز كان منصباً على الحاجات المعنوية ذات الصلة بتعزيز الأمن الفكري، لأن الإمام ربط بين الأب والابن في الدنيا والآخرة وحمل الأب مسؤولية انحراف ولده لأنه المسؤول الأول عن تحصينه الفكري.

ووصية الإمام عليه السلام تعد امتداداً لوصايا الأئمة عليهم السلام في شأن حق الولد، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ خَيْرَ مَا وَرَّثَ الْأَبَاءُ لِأَبْنَائِهِمُ الْأَدَبَ لَا الْمَالَ، فَإِنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ وَالْأَدَبُ بَاقٍ..)، كما أكدت الروايات أيضاً على المسارعة في التصدي لأداء هذا الحق خوفاً من وقوع الأبناء ضحايا للأفكار المنحرفة كما في الرواية التالية: «بادروا أحداثكم قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»^{٢١}.

المسؤولية التربوية

يحظى الفكر التربوي باهتمام متميز لدى الإمام زين العابدين (عليه السلام) كونه المنطلق الأساس لتكريس قيم الأصالة في المجتمع والارتباط بالثوابت وبناء مستقبل يحقق أقصى درجات الأمن الفكري في إطار حضاري متكامل، والفكر التربوي لا يمكن أن يكون مستمداً من قيم الحاضر فقط، بل لابد أن يستند ويتفاعل مع ماضي الأمة وقيمها الأخلاقية والتربوية، وليس هناك من هو أسمى وأصدق من النبي الكريم قائداً ومربياً وتربوياً ومعبراً عن منهج الأمة وتطلعاتها، وبالتالي لابد لنا أن نستوحي من سيرته العطرة ما يعزز البناء التربوي للأمة ويهذب سلوكها^{٢٢}، ويُعد الإمام السجاد (عليه السلام) الامتداد الطبيعي لجده النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، لذا يؤكد الإمام (عليه السلام) على ضرورة استشعار المسؤولية التربوية بكافة أبعادها وآثارها فالتربية «لا يمكن ان تنمو وتكتمل وتتواءم في ميدان التطور مالم تستند إلى فكر فلسفي، يغذيها بالخبرة، والابتكار، والإبداع، من عالم يسابق العلم ومنجزاته للفكر وتطلعاته وما دفعنا نسأل لماذا أتعلم؟ ماذا أتعلم؟ وكيف أتعلم؟ فستبقى حاجة التربية إلى الفلسفة ملحة وضرورية»^{٢٣}.

إن كافة محاضن التربية بدءاً من الأسرة، ثم مؤسسات المجتمع المختلفة من إعلام، وتعليم، ومؤسسات اجتماعية، تستهدف تأصيل الأجيال على الحق، وتنمية وعيهم بهويتهم وحماية الأجيال مما يفسد عقائدهم، ويميع هويتهم، ويذهب بهم ذات اليمين وذات الشمال في مسالك الفكر الدخيل، وتحصين الأجيال من تقبل ما يهدم هويتهم، وتنمية قدراتهم على التمييز بين الضار والنافع من الآراء، والأفكار والأعمال.

٣. حقّ المعلم:

مما ورد في وصيته (عليه السلام) «وأما حقّ سائسك بالعلم فالتعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والاقبال عليه، والمعونة له على نفسك، في ما لا غنى عنه، بأن تفرغ له عقلك، وتحضره فهمك، وتذكي له قلبك، وتجلي له بصرك، بترك اللذات ونقص الشهوات ..»

أكد الإمام (عليه السلام) على تعظيم المعلّم وتبجيله وتوقير مجلسه وحسن الاستماع له، والتأكيد على دور المعلم يشير إلى جانب تربوي مهم وهو أن هذا الدور لا يقتصر على تعليم القراءة والكتابة وإعطاء مفاتيح العلوم للطلبة، فالمعلّم بوابة للتحصين الفكري ونبذ الأفكار المنحرفة^{٢٠}، فضلاً عن ترجمة العلوم إلى واقع يلمسه الطلبة، وهو أمر يتماشى مع النظريات التعليمية الحديثة التي تؤكد على أن للمعلّم دوراً أساسياً وفعالاً في العملية التعليمية، إذ يستطيع بخبراته وكفاءته أن يحدد نوعية المادة الدراسية واتجاهاتها وتبسيطها والتأثير على الاتجاهات الفكرية للمتعلم وإعداد المتعلم للمستقبل إعداداً سليماً^{٢١}، ويزداد دور المعلم في البيئات الخصبة اتجاه الأفكار المنحرفة والهدامة لان الفكر المنحرف يتسم بقدرته على قلب الحقائق وتشويه المفاهيم وكثرة الدس والكذب، فضلاً عن تكذيب الآخرين والميل إلى التشكيك والتأمر، لذلك بات دور المعلم مهماً لاستجلاء الحقائق وبيان الأضاليل، ومن جهة أخرى فإن تلقى المعرفة غير السليمة من الغير أمر سيؤدي بالفرد إلى مهاوي الهلاك والارتقاء في إحضان الأفكار الهدامة والمنحرفة؛ لذلك لا بد ان تكون هناك معايير وقواعد لاختيار المعلم.

إن وصايا الإمام زين العابدين (عليه السلام) الخاصة بالمعلم لاتعني فقط المعلم بمفهومه المادي المتعارف بين الناس، بل يعني كل ما يتلقى منه المتعلم، بمعنى آخر: إنه يشمل وسائل التوجيه التي تشكل الشخصية الانسانية،

وهذه الوسائل كانت تقتصر على المعلم وبشكل بسيط غير معقد، فكانت محدودة الأثر من جهة الزمان والمكان، والموضوع، أما الآن فقد استحدثت وسائل للتعليم والتوجيه ذات خطر وأثر فعال لا يقارن بالوسائل القديمة، فوسائل الإعلام اليوم تؤثر في شرائح سكانية واسعة؛ كما ان وسائل الاتصال والعولمة حولت العالم (قرية صغيرة)، فهذه الوسائل ينطبق عليها صفة المعلم لأنها تؤدي الدور نفسه وبشكل أكثر قوة وفعالية. ولئن كان الإنسان سابقاً يستطيع أن يناقش الآخر، فإن الطرح التعليمي اليوم يوجّه بقوة وبأدلة وحجج وبدون خيار أو معارضة من قبل المتلقي.

٤- حق المسلمين وأهل الملة

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق: «وأما حق أهل ملتك: إضرار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم وتألفهم، واستصلاحهم وشكر محسنهم وكف الأذى عنهم، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك...»، وتعدّ هذه الوصية المانعة الأولى للتطرف الفكري، فالتطرف يرى نفسه أفضل من الآخرين، بل انه يمتلك الحق المطلق وغيره على الخطأ، لذلك يبعث برسائل الكراهية للجميع ويحاول أن يفرض آراءه بالقوة والعنف فيصبح خطراً محدقاً يهدد الأمن المجتمعي والتعايش السلمي.

إن علاقة المسلم بغيره من أهل الطوائف الأخرى قائم على أساس أن دين الله جاء للناس كافة قال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وإذا كان الأمر هكذا، عندها تكون معاملته للغير معاملة إيجابية فاعلة، قائمة على الأخذ والعطاء والحوار، وإذا فعل ذلك تحصّن في نفسه؛ لأنه غير محتاج لأفكار الآخرين ومعتقداتهم. ويختلف الأمر حين يصبح المرء ضعيف الثقة بما يمتلكه من الحق، حينها لا يصبح آمناً فكرياً على نفسه ومجتمعه، ويصبح صيداً سهلاً للتيارات الفكرية المنحرفة.

إن المضامين التي احتوتها الوصية الخاصة بحق المسلمين وأهل الذمة
تتضمن على :

١. إضمار السلامة والرحمة لكل مسلم، سواء أكان من طائفتك أم من غيرها، أما الأول فواضح، وأما الثاني فعبر محاولة هدايته إلى طريق أهل البيت عليه السلام، وإضمار السلامة يعني ان لا عداوة ولا تنقيص ولا احتقار بين أبناء الملة وغيرها أو أبناء الملة نفسها، ولا شك أن قول الإمام عليه السلام يعكس منهج الوسطية والاعتدال التي اتسمت به مدرسة أهل البيت عليه السلام.

٢. ضرورة استشعار الانتماء للأمة والأخذ بالفكر الإسلامي، وهذا مصداقٌ لأحاديث كثيرة وردت عن نبي الرحمة عليه السلام، وهذا يعني أن علاقة المسلم بغيره من أهل الأديان قائمة على هذا الأساس، وإذا فعل تحصّن في نفسه؛ لأنه غير محتاج لأفكار الغير وأديانهم، وصارت معاملته للغير معاملة إيجابية فاعلة، قائمة على الأخذ والعطاء والحوار، فهي ليست معاملة آخذة فقط، أو معالجة مجردة عن الدين، وإنما يحتل الأمر حين يصبح المرء ضعيف الثقة بما هو عليه من الحق، غير إيجابي في نقله للغير، حينها لا يصبح آمناً فكرياً على نفسه ومجتمعه.

٣. التغاضي عن الهفوات والرفق بالمسيئين وشكر المحسنين.

٥. حق النفس

ورد في وصية الإمام السجاد (عليه السلام): وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله فتؤدي إلى لسانك حقّه وإلى سمعك حقّه وإلى بصرك حقّه وإلى يدك حقّها وإلى رجلك حقّها وإلى بطنك حقّه وإلى فرجك حقّه وتستعين بالله على ذلك:

لقد احتوت هذه الفقرات المشرقة من كلام الإمام (عليه السلام) على عرض موجز للحقوق الأصلية التي قنّنها (عليه السلام) للإنسان المسلم، والمتأمل لهذا المقطع من الوصية تتضح له معالم الأمن الفكري بطريقة غير مباشرة؛ لأن حق النفس هو مجموعة من الواجبات التي يفترض بالإنسان أن يؤديها بالشكل الذي يضمن عدم انجرافه وراء التيارات المنحرفة والأفكار الضالة، وهذه الواجبات تتركز أولاً على معرفة النفس والبحث عن كنهها، فهي الطريق المعبّد الذي يؤدي إلى معرفة موجدها ومبدعها جل جلاله وتقدّست أسماؤه، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^{٢٦}، فعندما يعرف الإنسان أن حياته ورزقه ومماته وفقره وغناه وكل ما يتعلق به وبجوارحه ليس من نفسه، وأنها تجري خارج النفس وفي مكان بعيد عنها، هذا نفسه موجب لمعرفة الله والابتعاد عن معاصيه والالتزام بتعاليم الاسلام، فالأمن الفكري لا يفرض على الناس من خارجهم بقدر ما يبنى في دواخلهم، فالإنسان هو الحصن المانع من الغزو الفكري، فكلما ارتفع مستواه الفكري، ارتفعت قدرته على معرفة الضار والنافع، والتميز بين الحق والباطل والأصيل والدخيل.

ومعرفة النفس تؤدي في جميع الاحوال إلى طريق الحق واليقين والفرد هنا يربح نفسه ويتعدى عن الانحراف بشتى أنواعه ومنه الانحراف الفكري، وأما إذا مشى في طريق الدنيا وشهواتها فإنه يخسر نفسه، أي: يبقى جاهلاً بحقائق نفسه وروحه وملكاته الواقعية، فيكون عرضةً؛ لأن تتقاذفه الاتجاهات المنحرفة.

٦- حقوق الجوارح

لا يكون الإيمان إلا بقول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، ومن هنا تتضح العلاقة بين حقوق الجوارح والإيمان الذي يعد مدعاة للأمن الفكري في أحد جوانبه، وحقوق الجوارح تتفرّع من حق النفس، فقد ذكر الإمام أن لكل جارحة في بدن الإنسان حقاً عليه، فهناك حق اللسان وحق السمع والبصر والرجلين واليدين والفرج والبطن، واعطى الامام مفصلاً حق كل جارحة، فقال في حق اللسان (وأما حق اللسان فأكرامه عن الخنى، وتعويده على الخير، وحمله على الأدب، وإحجابه إلا لموضع الحجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشنيعة القليلة الفائدة، التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها وبعد شاهد العقل والدليل عليها، وتزيّن العاقل بعقله (حسن سيرته في لسانه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم....، اما حق السمع فقال (عليه السلام): وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً، أو تكسب خلقاً كريماً، فإنه باب الكلام إلى القلب، يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر، ولا قوة إلا بالله..).

ولاشك أن إعطاء حق كل جارحة أمر يتصل بالأمن الفكري بشكل مباشر أو غير مباشر، فإعطاء حق اللسان على سبيل المثال يعني الحوار الصادق الهادئ الناشد للحق تحت مظلة الشريعة الاسلامية ومجانبة التعصب والتطرف المذموم وترك الجرأة على العلم وتجاوز درجاته والتأدب مع أهل العلم واحترام آراء الآخرين، كما أن لحقوق الجوارح التي أوصى بها الإمام زين العابدين أثراً في تحصين الفرد فكرياً واستتباب الأمن بشتى انواعه، لأن إعطاء الجوارح حقها يعني الاستقامة، والاخيرة تعني التقييد بمبادئ الدين الحنيف الذي يعد مانعاً ازاء الانحرافات الفكرية، كما ان اعطاء الجوارح حقوقها يعد

مدعاة للسعادة الابدية، فهذه الجوارح تشهد على اعمال الانسان يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ فصلت: (٢١- ٢٣).

تكنم خطورة التطرف الفكري عندما يتحول إلى افعال تهدد أمن المجتمع وتعايشه السلمي والمجتمعي وتحاول أن تفرض آراءها بقوة وتتخلص من المخالف بشتى الطرق، لذلك تكون جوارح الانسان المتطرف مسخرة للتخلص من الاخر فاللسان يحاول ان يسقطه وينال منه، وكذلك اليدان والسمع وغيرها، ومن هنا فإن إعطاء الجوارح حقها كما ورد في وصية الامام زين العابدين عليه السلام يمنع الظلم وتخويف الآمنين بإرهابهم وإدخال الرعب والفرع فيهم، ويكون حاجزاً أمام الفرد ورا دعاً عن الضرر بالغير وتهديد أمنه.



الاستنتاجات

إن السيرة العطرة للإمام السجاد (عليه السلام) وغناها بالجوانب التربوية المتعددة تستدعي الاهتمام جدّياً بإنشاء مراكز للبحوث الإسلامية مختصة بدراسة سير أهل البيت (عليهم السلام).

لم تهمل وصايا الإمام أي دور من الممكن أن يسهم في تحصين الأمن الفكري للأمة وحمايتها من الانحراف.

تعدّ رسالة الحقوق وثيقة إسلامية غاية في الأهمية وركيزة من ركائز الإسلام، ومصدراً من مصادر الشريعة الإسلامية.

إجراء دراسات أخرى تتناول الأبعاد الفكرية في شخصية الإمام علي بن الحسين (عليه السلام).

إجراء دراسة مقارنة للقيم التربوية والفكرية في فكر الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وبعض قادة الفكر الآخرين في العصر الحاضر.

الدعوة لعقد الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية التي يسهم فيها واضعو المناهج والمعلمون والطلبة لمناقشة القيم الإسلامية المحمدية من منابعها الأصلية لقطع دابر التطرف.

يقترح الباحثان أن تكون هناك أقسام خاصة بالأمن التربوي، تأخذ على عاتقها تحصين الفكري للشباب وبيان خطر الانحرافات الفكرية، بالاعتماد على منهج أهل البيت سلام الله عليهم في هذا الاتجاه.

يوصي الباحثان بضرورة تبني وزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي المنظومة القيمية المطروحة من في وصايا الإمام زين العابدين (عليه السلام) بوصفها من النفائس التربوية الإسلامية التي تغيب عن أذهان الكثيرين لأجل ترسيخها في نفوس الطلبة وتكون صدىً منيعاً أمام الانحرافات الفكرية.

الهوامش

- ١- عماد فاضل عبد، ما في الصحيفة السجّادية، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد ٢٣، العدد الثاني، ٢٠١٥
- ٢- للمزيد حول مناهج البحث العلمي ينظر: حسين عليوي ناصر الزيادي، اسس واخلاقيات البحث العلمي، دار الفحاء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٩.
- ٣- ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري،، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى الزين، ط٣، بيروت، دار بن كثير، ١٩٧٨، ص ٤٠
- ٤- راجع: باقر شريف القرشي، حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ، ص ١٢٧.
- ٥- بحار الانوار ٤٦/٦.
- ٦- سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي، تذكرة الخواص، طهران، مكتبة نينوى الحديثة، ١٤٣٠ هـ، ص ١٣٤.
- ٧- للمزيد حول حياة الإمام السجاد عليه السلام ينظر: باقر القرشي، حياة الإمام زين العابدين؛ دراسة وتحليل، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨.
- ٨- للمزيد ينظر: القبانجي، حسن السيد علي، شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ج ١، ط ٥، مؤسسة اسماعيليان، ٢٠٢١.
- ٩- أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، بستان الواعظين ورياض السامعين، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٣١٤.
- ١٠- زينب الباهي، دور الجامعات في تعزيز الأمن الفكري للشباب «الواقع وآليات التطوير، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، المجلد الرابع، العدد الرابع، ٢٠١٦، ص ١٦٣.
- ١١- إسماعيل صديق عثمان، الأمن الفكري؛ أهميته ومهدداته وطرق ووسائل تعزيزه من المنظور الإسلامي، مجلة جيل الدراسات المقارنة، السودان، العدد (١٤)، ص ١١.
- ١٢- رحاب نذير محمود و ميسون يونس، دور الجامعات في مواجهة الارهاب والعنف، مجلة التربية للعلوم الإنسانية المجلد الرابع، ٢٠٢٤، ص ٣٦٠.
- ١٣- القاموس المحيط، و شرحه تاج العروس ولسان العرب ومعجم مقاييس اللغة، و الصحاح والمصباح المنير (مادة طرف).
- ١٤- محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ط ١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥، ص ٤٩١.
- ١٥- عبد الحسين شعبان، البيئة الفكرية الحاضنة للتطرف والإرهاب و دور الجامعات

في التصدي والمواجهة على المستوى الفكري والعلمي، مجلة الدراسات الامنية والسياسية، المجلد الاول، العدد الثاني، ٢٠١٨.

١٦- محمد هاشم أغا، رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني، مجلة جامعة الازهر، المجلد (١٢)، العدد الثاني، ٢٠١٠، ص ٧٨٣.

١٧- عبد الله محمد الزهراني، الوسطية في التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية بجامعة أم القرى، مكة ١٤٢٠ هـ .

١٨- سايلى محمود، دور المؤسسة الجامعية في تحقيق الأمن الفكري وتنمية الهوية الثقافية للطلاب الجامعة الجزائرية إنموذجا، مجلة دراسات وابحث، مجلد ١٤، العدد ٤، ٢٠٢٢، ص ٧٦.

١٩- عبد العزيز حسين العنزى، تصور استراتيجي لتعزيز الأمن الفكري من خلال مناهج التعليم الثانوي السعودي «مقررات العلوم الشرعية أنموذجا»، دراسة ماجستير، كلية العلوم الاستراتيجية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٣٠.

٢٠- حسن عبد الله أبو صالح، المنهج الإصلاحي عند الإمام زين العابدين (عليه السلام)، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد (٥٦)

٢١- الشيخ الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٤٧.

٢٢- فاطمة الزهراء سالم محمود، النظرية التربوية واصلها التربوي لدى مفكري التربية المعاصرين، المركز العربي للتعليم والتنمية، بغداد، ٢٠١٨

٢٣- ناصر، ابراهيم، فلسفات التربية، دار وائل للطباعة، عمان الاردن، ١٩٩٦، ص ١٩٤.

٢٤- حسين، عبد القوي عبد الغني، دراسات في تاريخ التربية الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٤.

٢٥- الرميضي، خالد مجبل الأسس التربوية رسوم وتوضيحات، ط ١، الكويت، ٢٠٠٥، ص ٣٤.

٢٦- عبد الواحد الامدي التميمي، حكم الامام علي او غرر الحكم ودرر الكلم، تصحيح الشيخ الاعلمي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- * أبو صالح حسن عبد الله، المنهج الإصلاحي عند الإمام زين العابدين (عليه السلام)، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد (٥٦).
- * آغا، محمد هاشم، رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني، مجلة جامعة الأزهر، المجلد (١٢)، العدد الثاني، ٢٠١٠، ص ٧٨٣.
- * الباهي، زينب، دور الجامعات في تعزيز الأمن الفكري للشباب «الواقع وآليات التطوير»، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، المجلد الرابع، العدد الرابع، ٢٠١٦.
- * البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى الزين، ط ٣، بيروت، دار بن كثير، ١٩٧٨.
- * التميمي، عبد الواحد الأمدي، حكم الإمام علي أو غرر الحكم ودرر الكلم، تصحيح الشيخ الاعلمي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢.
- * حسين، عبد القوي عبد الغني، دراسات في تاريخ التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٤.
- * الرميضي، خالد مجبل الأسس التربوية رسوم وتوضيحات، (ط ١) الكويت، ٢٠٠٥.
- * الزهراني، عبد الله محمد الوسطية في التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية بجامعة أم القرى، مكة ١٤٢٠ هـ.
- * الزيادي، حسين عليوي ناصر، اسس واخلاقيات البحث العلمي، دار الفحاء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٩.
- * سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي، تذكرة الخواص، طهران، مكتبة نينوى الحديثة، ١٤٣٠ هـ.
- * شعبان، عبد الحسين، البيئة الفكرية الحاضنة للتطرف والإرهاب ودور الجامعات في التصدي والمواجهة على المستوى الفكري والعلمي، مجلة الدراسات الأمنية والسياسية، المجلد الأول، العدد الثاني، ٢٠١٨.
- * عبد، عماد فاضل ما في الصحيفة السجادية، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد ٢٣، العدد الثاني، ٢٠١٥.
- * عثمان، إسماعيل صديق، الأمن الفكري؛ أهميته ومهدداته وطرق ووسائل تعزيزه من المنظور الإسلامي، مجلة

جيل الدراسات المقارنة،
العدد (١٤)، السودان، ٢٠٠٨.

* العنزي، عبد العزيز حسين،
تصور استراتيجي لتعزيز الأمن
الفكري من خلال مناهج التعليم
الثانوي السعودي «مقررات
العلوم الشرعية أنموذجاً»،
دراسة ماجستير، كلية العلوم
الاستراتيجية، جامعة نايف
العربية للعلوم الأمنية، الرياض،
١٤٣٠ هـ.

* القاموس المحيط، وشرحه تاج
العروس ولسان العرب ومعجم
مقاييس اللغة، و الصحاح
والمصباح المنير (مادة طرف).

* القبانجي، حسن السيد علي،
شرح رسالة الحقوق للإمام علي
بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)،
ط ٥، مؤسسة إسماعيليان، ٢٠٢١.

* القرشي، باقر، حياة الإمام زين
العابدين ؛ دراسة وتحليل، دار
الأضواء للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٩٨٨.

* القزويني، علاء الدين السيد أمير
محمد، الفكر التربوي عند الشيعة
الإمامية، أطروحة دكتوراه
منشورة، ط ٢، مكتبة الفقيه،
الكويت، ١٩٨٦ .

* الكليني، محمد بن يعقوب،
أصول الكافي، ط ١، بيروت،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
٢٠٠٥.

* اللويحق، عبد الرحمن بن
معلا، الأمن الفكري ماهيته
وضوابطه شبكة الألوكة
www.alukah.net

* محمود، سمائي، دور المؤسسة
الجامعية في تحقيق الأمن الفكري
وتنمية الهوية الثقافية لطلاب
الجامعة الجزائرية إنموذجاً، مجلة
دراسات وأبحاث، مجلد ١٤،
العدد ٤، ٢٠٢٢.

* محمود، فاطمة الزهراء سالم،
النظرية التربوية وأصلها التربوي
لدى مفكري التربية المعاصرين،
المركز العربي للتعليم والتنمية،
بغداد، ٢٠١٨.

* ناصر، إبراهيم، فلسفات التربية،
دار وائل للطباعة، عمان، الاردن،
١٩٩٦.

* نذير، محمود رحاب وميسون
يونس، دور الجامعات في مواجهة
الإرهاب والعنف، مجلة التربية
للعلوم الإنسانية المجلد الرابع،
٢٠٢٤.

أ.د. محمد عبد القادر بوكريطة

باحث اسلامي/ الجزائر

١. المقدمة:

ما فائدة القلم؟؟؟، إذا لم يفتح فكراً... أو يوحي جيلاً أو يضمّد جرحاً...،
أو يطهر قلباً...، أو يكشف زيفاً... أو يروي تاريخاً... أو يبني صرحاً... أو
يسعد إنساناً....

الحمد لله الذي جعل العرب من أعلى الأمم قدراً واصطفى من أشرفها
أصلاً سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم والذي ينقطع كل نسب يوم
القيامة إلا نسبه يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾

-الأحزاب- آية ٣٣

أنا العبد الضعيف أعانه الله تعالى بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقّ
آل البيت عليه السلام ما جهله غيره، فنذر أن يصل تلك الأرحام الطاهرة التي
قطعها أناس عن غفلة و جهل «والناس أعداء ما جهلوا» كما قال الإمام
عليه السلام، ونجزم قائلين إنه من لا يعرف تاريخ آل البيت عليه السلام عبر الأحقاب و
الأزمنة فإنه بحقّ يجهل شيئاً كبيراً من تاريخ الإسلام والمسلمين.

وفي هذا البحث المتعلق بالإمام السجاد (عليه السلام) وبمحوره الرئيسي الدائر حول تراثه العلمي وبالتحديد موضوعنا المسمى «قبسات نورانية من حياة السجاد (عليه السلام)»، وتأتي هذه المساهمة المتواضعة بعد أن مكّنتنا الله تعالى منذ أكثر من أربعة وعشرين سنة أي في عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م من تدوين كتاب تحت عنوان «علي بن الحسين زين العابدين» وأرجو من الله عز وجل العون والرعاية وأن يجعل ثواب هذا العمل يوم نرد على حوض المصطفى (عليه السلام) وآل بيته الكرام ونسقى من هذا الحوض المبارك في ذلك اليوم المشهود.

أنظر إلى نسخة من غلاف هذا الكتاب.



٢. ترجمة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

وكان من دُعَائِهِ عليه السلام عِنْدَ الشَّدَّةِ وَالْجَهْدِ وَتَعَسَّرِ الْأُمُورِ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ كَلَفْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا أَنْتَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ
أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي، فَأَعْطِنِي مِنْ نَفْسِي مَا يُرْضِيكَ عَنِّي، وَخُذْ لِنَفْسِكَ رِضَاهَا
مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَةٍ.

اللَّهُمَّ لَا طَاقَةَ لِي بِالْجَهْدِ، وَلَا صَبْرَ لِي عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الْفَقْرِ،
فَلَا تُحْظِرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى خَلْقِكَ، بَلْ تَفَرِّدْ بِحَاجَتِي، وَتَوَلَّ كِفَايَتِي
وَانْظُرْ إِلَيَّ وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي، فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا وَلَمْ
أَقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَإِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَإِنْ أَلْجَأْتَنِي إِلَى قَرَابَتِي
حَرَمُونِي، وَإِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا قَلِيلاً نَكِداً، وَمَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلاً، وَذَمُّوا كَثِيراً.

فَبِفَضْلِكَ اللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي، وَبِعَظَمَتِكَ فَانْعَشْنِي، وَبِسَعَتِكَ فَابْسُطْ يَدِي،
وَبِمَا عِنْدَكَ فَاكْفِنِي، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخَلِّصْنِي مِنَ الْحَسَدِ،
وَاحْصُرْنِي عَنِ الذُّنُوبِ، وَوَرِّعْنِي عَنِ الْمَحَارِمِ، وَلَا تُجَرِّئْنِي عَلَى الْمَعَاصِي،
وَاجْعَلْ هَوَايَ عِنْدَكَ، وَرِضَايَ فِيمَا يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي
وَفِيمَا حَوَّلْتَنِي وَفِيمَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاجْعَلْنِي فِي كُلِّ حَالٍ مَحْفُوظاً مَكْلُوءاً
مَسْتُوراً مَمْنُوعاً مُعَاذاً مُجَاراً...

هذه ترجمة متواضعة لإمامنا سيّدنا الإمام علي بن الحسين الملقب بزين
العابدين سلام الله تعالى عليه وعليه رضوان الله من المولى القدير، وجعلنا من
محبّيه وأتقرب إلى الله تعالى بنشر فضائله في هذا البحث المتواضع و من الله
تعالى نستلهم العون و الثبات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال يحيى بن يحيى عن محمد بن الفرات التميمي : جلست إلى جنب علي
بن الحسين يوم الجمعة فسمع أناساً يتكلّمون في الصلاة، فقال لي: ما هذا؟
قلت: والذي لا إله غيره أبداع من قرأ القرآن وأستقبل القبلة فصلّوا خلفه،

فإن يكن محسناً فله حسنته، وإن يكن مسيئاً فعليه، وقال الوليد بن القاسم الهمداني عن عبد الله الغفاري بن القاسم : كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسيبه، فثار إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل عليه فقال : ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل ورجع إلى نفسه، قال : فألقى عليه خميصاً كانت عليه وأمر له بألف درهم، قال: وكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد المرسلين.

٣. إسمه ونسبه (عليه السلام) :

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و فاطمة الزهراء بنت المصطفى (عليه السلام).

كنيته (عليه السلام): أبو محمد، أبو الحسن، أبو الحسين، أبو القاسم.

من ألقابه (عليه السلام): زين العابدين، سيد العابدين، السجاد، ذو الثغفات، الزاهد، المتجهد

أمه (عليه السلام): شهر بانو بنت يزدجر بن شهريار بن كسرى

ولادته (عليه السلام): ولد في ٠٥ شعبان ٣٥ هجري بالمدينة المنورة

من زوجاته (عليه السلام): فاطمة بنت الإمام الحسن، جارية أم زيد الشهيد

من أولاده (عليه السلام): الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، زيد الشهيد (عليه السلام)، عبد الله

الباهر (عليه السلام)، عليّة

مدة عمره وإمامته (عليه السلام): ٥٧ عاماً، وإمامته ٣٥ سنة.

حكام عصره (عليه السلام): يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم،

عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك.

٤ . فضائله وأخلاقه ﷺ:

الكثير من العلماء والفقهاء والرواة في زمنه اعترفوا له بمكانته العالية، وقد ترك ﷺ تراثاً ضخماً من الأدعية كالصحفية السجادية، والمواضع وفضائل القرآن، والأحكام الإسلامية من الحلال والحرام، وقد أشاد الكثير من علماء زمنه بالخصال التالية:

١ . الحلم: عرف ﷺ بحلمه وصفحه وعفوه وتجاوزه عن المسيء، فمن القصص التي تنقل عنه ﷺ أنه كانت له جارية تسكب الماء له، فسقط الإبريق من يديها على وجه الإمام فشجّه، فرفع رأسه إليها، فقالت: إن الله يقول ﴿والكاظمين الغيظ﴾، فأجبها ﷺ: «قد كظمت غيظي»، قالت ﴿والعافين على الناس﴾ فقال ﷺ «عفا الله عنك»، ثم قالت ﴿والله يحب المحسنين﴾، فقال «اذهبي أنت حرة لوجه الله»....

٢ . الشجاعة: قد اتضحت واستبانت ﷺ شجاعته الكامنة في مجلس الطاغية عبيد الله بن زياد عندما أمر الأخير بقتله، فقال الإمام ﷺ: «أبالقتل تهددني يا ابن زياد، أما علمت أن القتل لنا عادة والشهادة عندنا كرامة»، وقال للطاغية يزيد في الشام «يا ابن معاوية وهند وصخر لم يزلوا آبائي فيهم الإمرة قبل أن نلد، لقد كان جدي علي ابن أبي طالب في يوم بدر وأحد والأحزاب في يديه راية رسول الله ﷺ، بينما كان أبوك وجدك في يديهما راية الكفار»....

٣ . التصدّق: كان ﷺ كثير التصدّق على فقراء المدينة ومساكينها وخصوصاً بالسرّ، وروي أنه كان لا يأكل الطعام حتى يبدأ فيتصدق بمثله، وروي عنه ﷺ كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول «إن صدقة السر تطفئ غضب الربّ عز وجل»، ولما استشهد ﷺ تبين أنه كان يعيل مائة عائلة من عوائل المدينة المنورة، وكان أهل المدينة يقولون «ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين ﷺ»



٤. العتق: كان دائم العتق للعبيد في سبيل الله، فقد روي عنه عليه السلام أنه كان بين الآونة والأخرى يجمع عبيده ويطلقهم ويقول لهم «عفوت عنكم فهل عفوتم عني»، فيقولون له «عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت».....

فيقول لهم «قولوا اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقبانا من الرقّ فيقولون ذلك «اللهم أمين يا رب العالمين». ٥. الفصاحة والبلاغة: تجلت فصاحته وبلاغته عليه السلام في الخطب العصماء التي خطبها في الكوفة في مجلس الطاغية عبيد الله بن زياد وفي الشام في مجلس الطاغية يزيد بن معاوية ثم بالمدينة بعد عودته من الشام.

هذا ناهيك عن الصحيفة السجادية الكاملة وما جاء فيها من عبارات الدعاء الرائعة والمضامين العميقة وبلاغة اللفظ وفصاحته وعمقه والحوارات الجميلة والعبارات اللطيفة الجزيلة التي يعجز البلغاء والشعراء عن إيراد مثلها، وقد عرفت الصحيفة «بإنجيل أو زبور آل محمد».

٦. المهابة: للإمام السجاد عليه السلام مهابة خاصة في نفوس الناس، روي أن الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك جاء إلى مكة لأداء مناسك الحجّ وذلك قبل توليه الحكم، فأراد استلام الحجر الأسود فلم يقدر فنصب له منبر فجلس عليه وطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء ومن أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة بين عينيه ثفنة السجود، فجعل يطوف، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحّى الناس حتى يستلمه هيبة له.....

فقال شامي: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام؟ فقال الشاعر المعروف الفرزدق وقد كان حاضراً لكني أنا أعرفه، فقال من هو يا أبا فراس، فأنشأ قصيدته المشهورة التي من أبيتها:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأَّتُهُ
وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
هَذَا التَّقِيُّ النَقِيُّ الطَاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ
بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خْتَمُوا
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
يُسْتَوَكْفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
يَزِينُهُ اِثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشِّيمُ
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا افْتَدَحُوا
حُلُّو الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمُ
عَمَّ الْبَرِّيَّةُ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
عَنْهَا الْغِيَاهِبُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
بِكَفِّهِ خَيْرَانِ رِيحُهُ عَبَقُ



مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ
رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
اللَّهُ شَرَفَهُ قَدَمًا وَعَظَمَهُ
جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ.....

لم يرق هشام تلك المصارحة التي سترها دون الشاميين، وكبر عليه مدح الإمام السجاد بمحضه، فأمر بسجن الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، وقد أوصى بقطع صلته وعطائه من البلاط ولكن الفرزدق لم يعبأ بذلك.

ولقد بادر الإمام السجاد عليه السلام بإرسال هدية مالية هي من أعظم الهدايا في ذلك الزمان، قيل إنها اثني عشر ألف درهم، وقيل ألف دينار مشفوعة بالعدر لعدم وجدان الأكثر، فأرجعها الفرزدق خوفاً من فوات الأجر الإلهي الذي توخاه من حبه لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعلمه الإمام عليه السلام بقبول الله تعالى نصرته لذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وأنهم عليهم السلام لا يرجعون بعطاياهم.

ومما لا شك فيه أن قصيدة الفرزدق تعدّ من أعظم الوثائق التاريخية التي تكشف الأمة حبها لآل النبي صلى الله عليه وآله في القرن الأول الهجري وتكشف أيضاً عن معرفة الأمة على لسان الفرزدق لفضائل ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وطهارتهم وتقواهم وعصمتهم وديباجة القصيدة تشير إلى أدب جم ونظر بعيد وبلاغة لا تضاهيها بلاغة، إن ذكر تلك القصيدة الرائعة في المصادر التاريخية لدليل على تواترها وشيوعها عبر الأجيال، لم لا؟ وقد وصف الفرزدق بأعظم وصف، وهو أنه بالتحقيق قد فاز بحب آل البيت عليهم السلام.

فقال ابن العماد الحنبلي المتوفي عام (١٠٨٩) في شذرات الذهب: مما يرجى له الزلفى وعظيم الفائدة في حميته لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وكذا مدحه للإمام السجاد عليه السلام وإعرابه عن الرهبة والرغبة^١.

وقال ابن خلكان في الوفيات واليا فعي في مرأة الجنان (للفرززدق مكرمة يرجى له الرحمة في دار الآخرة)^٢.

ثم ذكر الرواية تلازمها تلك القصيدة الرائعة، وقال ابن كثير في البداية والنهاية، قال الفرزدق للإمام السجاد (عليه السلام) «إنما قلت هذا لله عز وجل ونصرة للحق وقياماً بحق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذريته ولست أعتاض عن ذلك بشيء»، وقال السيوطي في شرح شواهد المغني «قال الفرزدق للإمام السجاد حين رد الصلة: يا ابن رسول الله ما قلت إلا غضباً لله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما كنت لأخذ عليه شيئاً»^٣.

وقال الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: سمعت الحافظ فقيه الحرم محمد بن أحمد بن علي القسطلاني يقول: سمعت شيخ الحرمين أبا عبد الله القرطبي يقول: لو لم يكن للفرزدق عند الله عمل إلا هذا لدخل الجنة به لأنها كلمة حق عند سلطان جائر^٤.

وإذا ما تطرّقنا إلى الأسباب التي كانت وراء إنشاد الفرزدق لهذه القصيدة الرائعة هو تجاهل هشام بن عبد الملك وهو ولي العهد آنذاك بمعرفة الإمام زين العابدين (عليه السلام) عند استفهام أهل الشام منه، بعدما شهدوا جلالة الإمام (عليه السلام) وهيئته فتقهقر كل الحجيج عن الحجر الأسود حتى استلمه ولم يعبأ الفرزدق بسطوة هشام ولا جبروت أبيه الخليفة الظالم، فقال قوله الحق في حق الإمام السجاد (عليه السلام).

قد توفّرت للإمام زين العابدين (عليه السلام) جميع المكوّنات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيته بصورة متميّزة، جعلته في الرعيل الأول من أئمة المسلمين الذين منحهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله ثقتهم، وجعلهم قادة لأمته وامناء على أداء رسالته.



٥. نشأة الإمام زين العابدين (عليه السلام)

نشأ الإمام في أرفع بيت وأسماء ألا وهو بيت النبوة والإمامة الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، ومنذ الأيام الأولى من حياته كان جده الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يتعهده بالرعاية ويشع عليه من أنوار روحه التي طبقت شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد بحق صورة صادقة عن جده، يحاكيه ويضاهيه في شخصيته ومكوناته النفسية.

كما عاش الإمام (عليه السلام) في كنف عمه الزكي الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ وسبطه الأول، إذ كان يغدق عليه من عطفه وحنانه، ويغرس في نفسه مثله العظيمة وخصاله السامية، وكان الإمام (عليه السلام) طوال هذه السنين تحت ظل والده العظيم أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) الذي رأى في ولده علي زين العابدين (عليه السلام) امتداداً ذاتياً ومشرقاً لروحانية النبوة ومثل الإمامة، فأولاه المزيد من رعايته وعنايته، وقدمه على بقية أبنائه، وصاحبه في أكثر أوقاته.

لقد ولد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في المدينة في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٦ هـ) يوم فتح البصرة، حيث إن الإمام علي (عليه السلام) لم ينتقل بعد بعاصمته من المدينة إلى الكوفة، وتوفي بالمدينة سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ.

وهناك من المؤرخين من ذكر أنه ولد في سنة (٣٨ هـ) وفي مدينة الكوفة حيث كان جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد اتخذها عاصمة لدولته بعد حرب الجمل، فمن الطبيعي أن يكون الحسين السبط (عليه السلام) مع أهله عند أبيه.

بعض ألقابه:

« زين العابدين » و « ذو الثفات » و « سيّد العابدين » و « قدوة الزاهدين »
و « سيّد المتّقين » و « إمام المؤمنين » و « الأمين » و « السّجّاد » و « الزّكي » و
« زين الصّالحين » و « منار القانتين » و « العدل » و « إمام الامة » و « البكّاء »،
وقد اشتهر بلقب « السّجاد » و « زين العابدين » أكثر من غيرهما....

وليس هناك أدنى شكّ من أن هذه الألقاب قد منحها الناس
للإمام (عليه السلام) عندما وجدوه التجسيد الحيّ لها، والمصدق الكامل للآية
الكريمة ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان ٢٥ - ٦٣)

وبعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعة، ولم يكونوا
يعتبرونه إماماً من قبل الله تعالى، لكنهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق
التي رأوها فيه، وقد ذكر المؤرّخون ما يبيّن لنا بعض العلل التاريخية لجملة
من هذه الألقاب المباركة، فقد روي عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله
الأنصاري أنه قال : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو
يلعبه فقال ﷺ:

«يا جابر، يولد له مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم
سيّد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أنت أدركته يا
جابر فاقرأه منّي السلام»^٦.

وقد كان الزهري إذا حدّث عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) قال : حدّثني زين
العابدين عليّ بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة : ولم تقول له زين العابدين؟
قال : لأنّي سمعت سعيد بن المسيّب يحدث عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ
قال : «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين ؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي
عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب يخطر [يخطو] بين الصفوف»^٧

وجاء عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال : « كان لأبي في مواضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثغفات، فسَمِّي ذا الثغفات لذلك »^٨.

كما جاء عنه عن كثرة سجود أبيه : ما ذكر الله عز وجل نعمة عليه إلا وسجد، ولا دفع الله عنه سوء إلا وسجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا وسجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسَمِّي بالسجّاد^٩.

لقد اشتهر الإمام زين العابدين (عليه السلام) بكثرة دعائه وبكائه: يقول طاووس اليماني وكان رجلاً من أصحابه: رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من صلاته فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) فقلت له: يا ابن رسول الله تبكي وأنت ابن رسول الله فقال أما أي ابن رسول الله فلا يؤمنني من عذاب الله وقد قال الله ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ﴾ لقد خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه وأساء ولو كان سيّداً قرشياً.

٦ . نبذة عن الصحيفة السجادية

وهي مجموعة من الأدعية ألّفها الإمام السجاد (عليه السلام) ودوّنها في مُدَوْنَةٍ مستقلة، وقد وصلت إلينا بطرقٍ متعدّدة ومتكاثرة، وفيها ما هو معتبرٌ سنداً ممّا يُوجب الوثوق بصدورها عن مولانا الإمام السجاد، وكلُّ طرقها وأسانيدھا تنتهي إلى الإمام الباقر والشهيد زيد بن علي السجاد، هذا وقد اهتمّ بها المسلمون اهتماماً بالغاً نظراً لما اشتملت عليه من معاني سامية وأسلوبٍ بلاغيٍّ بديع قلّ نظيره في التراث الإسلامي، ولذلك عبّر عنها العلماء بزبور آل محمد وبإنجيل أهل البيت (عليهم السلام).

وهي مع ذلك واحدة من أهم الروافد المعرفية، فقد ضمّن الإمام أدعيته الكثير من المعارف الدينية المتّصل منها بالإلهيات وبأصول العقيدة والتشريع الإسلامي والمثل والقيم الدينية، كما اشتملت على تبيان أصول النظام الاجتماعي من منظور ديني، هذا بالإضافة إلى ما تضمّنته الصحيفة من تركيز على تهذيب النفس والوسائل المفضية لذلك، وكيف يتمّ التحلّي بمكارم الأخلاق، وما هي السبل التي تُفضي بالإنسان إلى مدارج الكمال، وكيف يتسنّى له توثيق علاقته بمعبوده.

وما هي الآداب التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن حينما يناجي ربّه، وقد أصل الإمام في الصحيفة لمفاهيم لم تكن متداولة كمفهوم العشق الإلهي، ومفهوم الهيام والوله، والأنس والحضور في محضر القداسة والربوبية، هذا وقد اعتنى العلماء جيلاً بعد جيل بالصحيفة عناية متميّزة، فقد تصدّى العديد لشرحها، حتى أحصى من شروحيها ٦٨ شرحاً، وقد تصدّى آخرون لضبط متونها، وانبرى آخرون للبحث في مصادر الحديث عن أدعية أخرى للإمام السجاد عليه السلام.

لتكون بعد ذلك ملحقاً للصحيفة السجادية، فهي وإن كانت قد اشتملت على أربعة وخمسين دعاءً إلا أن الشيخ الحر العاملي ألحق بها عشرة أدعية للإمام السجاد عليه السلام استخرجها من الأصول المعتمدة لدينا، ثم جاء الميرزا حسين النوري ليضيف إلى الصحيفة أدعية أخرى للإمام السجاد عليه السلام يبلغ مجموعها سبعاً وسبعين دعاءً استخرجها جميعاً من الكتب الروائية ثم يأتي المحقق السيد محسن العاملي ليضيف إلى ما وقف عليه العلماء من أدعية للإمام السجاد عليه السلام اثنين وخمسين دعاء ليصبح المجموع مائة واثنين وثمانين دعاء كلها مروية عن الإمام السجاد عليه السلام ومذكورة في مصادر الحديث.

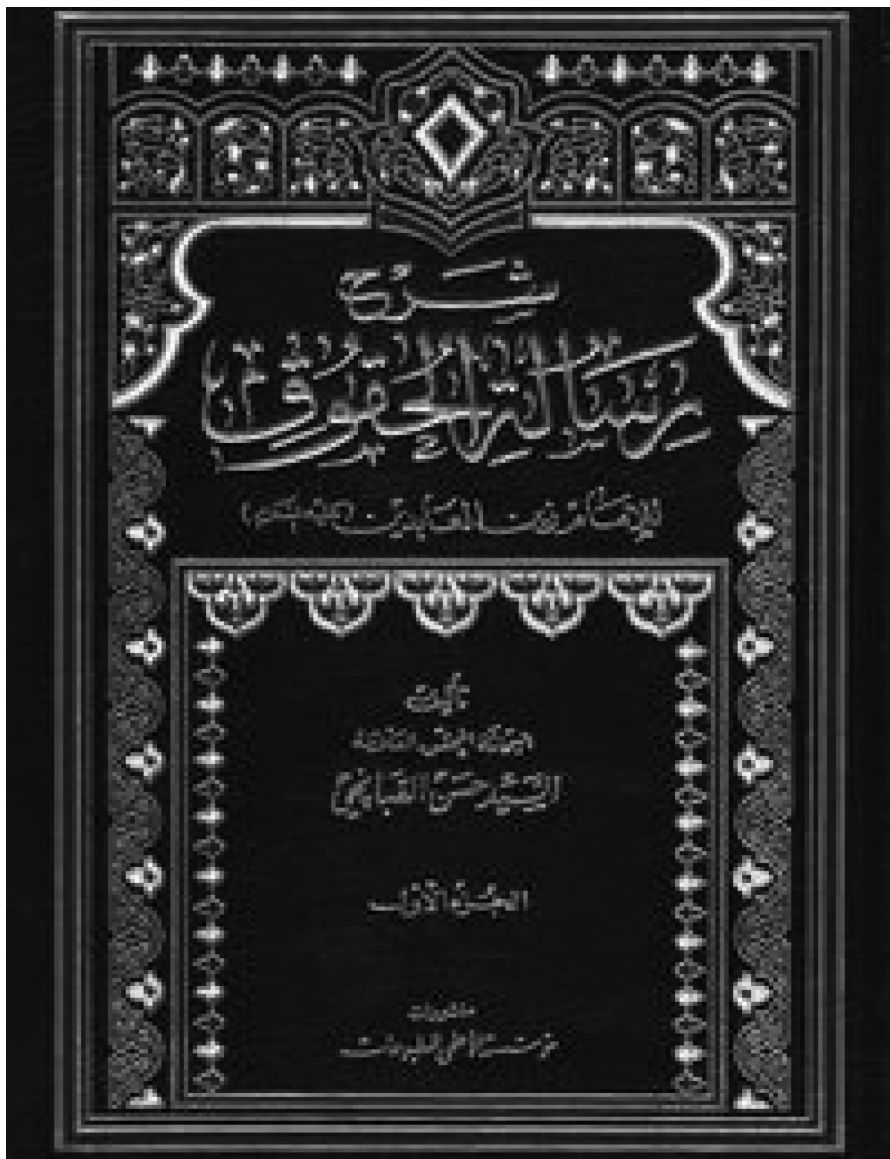
ومن مظاهر الاعتناء بالصحيفة السجادية ما قام به بعض الأخيار من ترجمة لها بلغاتٍ عديدة فقد تُرجمت الصحيفة السجادية إلى اللغة الإنجليزية واللغة الفارسية والألمانية والأردية والفرنسية وغيرها، وكذلك ومن مظاهر عناية المسلمين بالصحيفة السجادية ما قام به مجموعة من الخطّاطين وفي حقب متفاوتة من رسمٍ بديعٍ وجذابٍ لخطوط الصحيفة وقاموا بتزيينها وزخرفتها، وقد تفنّنوا في ذلك فرسموها بخطوطٍ متعددة كخط الرقعة والنسخ، والخط الكوفي، والفارسي، وثمة بعض النسخ رُسِمت بالخط الأثري القديم، وهي اليوم مودعة في خزائن المخطوطات في المكتبات الإسلامية الشهيرة.

وعلاوة على هذه الوثيقة الرائعة والتاريخية فهي تبقى تحفة أدبية وروحانية لا مثيل لها، وهناك رسالة الحقوق التي روى عنها كثير من الحفاظ والكتاب مثل ثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي، ورواها المحدث الصدوق، ومحمد بن يعقوب الكليني، والحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني في تحف العقول، ولقد ذكر الإمام عليه السلام مجموعة من الحقوق في رسالة الحقوق بلغ عددها «٥٤» موضحاً كل واحد من تلك الحقوق توضيحاً تاماً، وذلك ضمن سبعة مجاميع، هي:

حق الله، حق النفس والجوارح، حق الأفعال العبادية، حق الحاكم الشرعي حقوق الأهل والأقارب، حقوق بعض الأصناف والطبقات الاجتماعية، حق المال.

وهناك المناجيات الخمس عشرة، فقد شاعت نسبة هذه المناجيات للإمام زين العابدين عليه السلام وقد دوّنها العلامة المجلسي في بحار الأنوار، وعدّها العلماء الذين ألفوا في ملحقات الصحيفة السجادية من بنودها، كما ذكرها الشيخ عباس القمّي في مفاتيح الجنان، وبطبيعة الحال ونظراً لأهمية هذه الوثيقة، فقد تم ترجمتها إلى بعض اللغات ومنها اللغة الفارسية، وقد حُطت بخطوط

أثرية مذهبة ومزخرفة، تعدّ من ذخائر الخط العربي وقد حفلت بها خزائن
المخطوطات في مكتبات العالم الإسلامي.



٧. الإمام علي بن الحسين يوم عاشوراء

تشير أغلب المصادر التاريخية إلى أن الإمام السجاد (عليه السلام) كان يوم عاشوراء شديد المرض، حيث لما أراد الأعداء قتله بعد المعركة، امتنعوا عن ذلك وقالوا يكفيه مرضه، كما وذكر المفيد بأن مرضه كان مشرفاً على الموت، ويُذكر بأنه (عليه السلام) طلب من عمته زينب (عليها السلام) في يوم الطف أن تزوده بالعصا ليتوكأ عليها، وبالسيف ليذب به عن أبيه رغم أن المرض كان قد فتك به ولم يتمكن من أن يخطو خطوة واحدة على الأرض إلا أن عمته صدته عن ذلك لئلا تنقطع ذرية النبي (صلى الله عليه وآله).

ولكن هناك مَنْ ذكر بأنه قد قاتل يوم عاشوراء وجرح، فلقد ذكر المحدث الزيدي الفضيل بن الزبير، الأسدي، الرّسان، الكوفي، وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ما نصّه: وكان علي بن الحسين عليلاً، وارتث يومئذٍ، وقد حَصَرَ بعض القتال، فدفع الله عنه، وأخذَ مع النساء. وفي زوال الشمس من اليوم الثاني بعد واقعة كربلاء، أخذت النساء والأطفال سبايا إلى الكوفة، وكان بينهم الإمام السجاد (عليه السلام)، وهو مريض، وبعد ذلك عُرض في الكوفة على ابن زياد حيث دار حديث بينهم أراد إثاره أن يقتل ابن زياد الإمام (عليه السلام) لولا تدخلت السيدة زينب (عليها السلام) ومنعته عن ذلك، ومن ثم أمر ابن زياد أن يغلّوا الإمام بغلٍّ إلى عنقه، وأرسله مع النساء والصبيان والرؤوس إلى الشام.

حواره مع الطاغية ابن زياد

ذكر أصحاب المقاتل أنه لما أدخل عيال الإمام الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد وأخذ يشمت بهم حدث حوار بينه وبين الإمام السجاد عليه السلام فقد التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين، فقال: من هذا؟

فقال: علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟

فقال له علي: قد كان لي أخ يُسمّى علي بن الحسين قتله الناس

فقال: بل الله قتله، فقال له علي: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، فقال

ابن زياد: وبك جراءة على جوابي، اذهبوا به فاضربوا عنقه، فسمعت به عمته زينب، فقالت: يا ابن زياد، إنك لم تبق منّا أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه.

فقال علي لعمته: «اسكتي يا عمّة حتى أكلمه، ثم أقبل إليه فقال: أباقتل

تهددني يا ابن زياد، أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة...



٨. الدور الفكري للإمام السجاد (عليه السلام)

قال الشيخ القرشي: لقد فتح الإمام زين العابدين (عليه السلام) آفاقاً من العلم لم يعرفها الناس من ذي قبل فقد عرض لعلوم الشريعة الإسلامية من الحديث، والفقه، والتفسير، وعلم الكلام، والفلسفة، ويقول بعض المترجمين له: إن العلماء رووا عنه من العلوم ما لا يحصى^{١٠}.

وذكر المحدثون أن الإمام علي بن الحسين روى مجموعة كبيرة من الأحاديث عن جديهِ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعن أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) وغيرهم، ولقد استفاد الإمام زين العابدين من الدعاء لطرح بعض المعتقدات الإسلامية فأوجد لدى الناس مرة أخرى اندفاعاً وحركة نحو العبادة والتوجه إلى الله^{١١}.

ومن هذه المعتقدات التي وردت في الصحيفة السجادية مسألة الإمامة، كقوله: رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطْيَبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنْ الرُّجْسِ وَالذَّنْسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمُسْلِكَ إِلَى جَنَّتِكَ. وقوله (عليه السلام): «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَخُلَفَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ وَمَوَاضِعُ أَمْنائِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا قَدْ ابْتَزَوْهَا، وَأَنْتَ الْمُقَدَّرُ لِذَلِكَ، لَا يُغَالِبُ أَمْرُكَ، وَلَا يُجَاوِزُ الْمُحْتَوَمُ مِنْ تَدْبِيرِكَ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتَ شِئْتَ، وَلِمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ غَيْرُ مَتَّهِمٍ عَلَى خَلْقِكَ وَلَا لِإِرَادَتِكَ حَتَّى عَادَ صِفْوَتُكَ وَخُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزِينَ، يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدَّلاً، وَكِتَابَكَ مَبْنُوداً، وَفَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتٍ أَشْرَاعِكَ، وَسُنَنَ نَبِيِّكَ مَرْوُكَةً».

٩. انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين (عليه السلام)

اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وأنه علم شاهق في هذه الدنيا، لا يدانيه أحد في فضائله

وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تجيلهم له: أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم، ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، وإنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

أقوال وآراء معاصريه فيه عليه السلام

عبر المعاصرون للإمام عليه السلام من العلماء والفقهاء والمؤرخين بانطباعاتهم عن شخصيته، وكلها إكبار وتعظيم له، سواء في ذلك من أخلص له في الود أو أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلي نبذة من كلماتهم:

١. قال الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: « ما رأي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين عليه السلام ».

٢. كان عبد الله بن عباس على تقدّمه في السنّ يجلّ الإمام عليه السلام، وينحني خضوعاً له وتكريماً، فإذا رآه قام تعظيماً ورفع صوته قائلاً: « مرحباً بالحبيب ابن الحبيب »

٣. وُصف محمد بن مسلم القرشي الزهري بالفقيه، وأحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام، وقد كان على خطّ غير أهل البيت عليهم السلام، ولكنه أدلى بمجموعة من الكلمات القيّمة أعرب فيها عمّا يتّصف به الإمام عليه السلام من القيم الكريمة والمثل العظيمة، وهذه بعض كلماته:

أ- ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين

ب- لم أدرك في أهل البيت رجلاً كان أفضل من علي بن الحسين

ج- ما رأيت أحداً أفقه منه.

٤. سعيد بن المسيّب: وهو من الفقهاء البارزين في المدينة وقال عنه الرواة: إنه ليس من التابعين من هو أوسع منه علماً، وقد صحب الإمام عليه السلام ووقف على ورعه، وشدة تخرّجه في الدين، وقد سجّل ما رآه بهذه الكلمات:

أ- ما رأيت قطّ أفضل من عليّ بن الحسين (عليه السلام) وما رأيته قطّ إلاّ مَقَّتْ نفسي
 ب- كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتى من قريش، فطلع الإمام (عليه السلام)، فسأل
 القريشّي سعيداً عنه، فأجابه سعيد: « هذا سيّد العابدين »....
 ٥. زيد بن أسلم: وكان في طليعة فقهاء المدينة، ومن مفسّري القرآن، وقد
 أدلى بعدة كلمات بشأن الإمام (عليه السلام)، منها:

أ- ما جالست في أهل القبلة مثله.

ب- ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فيهم، أي: في أهل البيت.

ج- ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فهماً حافظاً.

٦. حماد بن زيد: وهو من أبرز فقهاء البصرة، أعتبر من أئمة المسلمين،
 قال فيه: « كان عليّ بن الحسين أفضل هاشمي أدركته »....

٧. يحيى بن سعيد: وهو من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء،
 وقد قال: سمعت عليّ بن الحسين وكان أفضل هاشمي رأيت

٨. لقد تعدّى الاعتراف بالفضل للإمام (عليه السلام) إلى أعدائه ومبغضيه، فهذا
 يزيد بن معاوية وبعد أن ألحّ عليه أهل الشام في أن يخطب الإمام (عليه السلام) أبدى
 مخاوفه منه قائلاً: « إنّه من أهل بيت زُفّوا العلم زقاً، إنّه لا ينزل إلاّ بفضيحتي
 وفضيحة آل أبي سفيان ».

٩. عبد الملك بن مروان يقول للإمام (عليه السلام): إنك لذو فضل عظيم على أهل
 بيتك وعصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته
 أحد مثلك ولا قبلك إلاّ من مضى من سلفك.

١٠. المنصور الدوانيقي: قد أشاد بفضل الإمام (عليه السلام) في رسالته إلى ذي
 النفس الزكية بقوله: ولم يولد فيكم أي في العلويّين بعد وفاة رسول الله ﷺ
 مولود مثله، أي مثل زين العابدين...

* آراء العلماء والمؤرخين فيه (عليه السلام)

١. قال اليعقوبي: كان أفضل الناس وأشدهم عبادة، وكان يسمّى: زين العابدين، وكان يسمّى أيضاً: ذا الثغفات، لما كان في وجهه من أثر السجود.

٢. قال الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر في ترجمة الإمام (عليه السلام): «كان عليّ بن الحسين ثقةً مأموناً، كثير الحديث، عالياً رفيعاً».

٣. قال الذهبي: «كانت له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى، لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله».

٤. قال الحافظ أبو نعيم: «عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) زين العابدين ومنار القانتين، كان عابداً وفيّاً وجواداً صفيّاً».

٥. قال صفيّ الدين: «كان زين العابدين عظيم الهدى والسمت الصالح».

٦. قال النووي: «وأجمعوا على جلّالته في كلّ شيء».

٧. قال عماد الدين إدريس القرشي: «كان الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة....».

٨. قال النسابة الشهير ابن عنبه: «وفضائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف».

٩. قال الشيخ المفيد: «كان عليّ بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً، وقال: قد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحُفِظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء».

١٠. وقال ابن تيمية: «أمّا عليّ بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً وله من الخشوع وصدقة السرّ وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف».

١١. قال الشيخاني القادري: «سيدنا زين العابدين عليّ بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوّ في الجود محاسنه، عظيم

القدر، رحب الساحة والصدر، وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناضرة وثبت بالآثار المتواترة».

١٢. قال محمد بن طلحة القرشي الشافعي: «هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيد المتقين، وإمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله ﷺ وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفاً، وثقاته تسجل له كثرة صلاته وتهجده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاق التقوى فتفوّقها، وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها، وآلفته أوراद العبادة فأنس بصحبتها، وحالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مسافة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهده بالأعين الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنه من ملوك الآخرة».

١٣- قال الإمام الشافعي: «إنَّ عليَّ بن الحسين أفقه أهل المدينة».

١٤. قال الجاحظ: «وأما عليّ بن الحسين فلم أرَ الخارجي في أمره إلا كالشيعي، ولم أرَ الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أرَ المعتزلي إلا كالعامي، ولم أرَ العامي إلا كالخاصي، ولم أجد أحداً يتهارَى في تفضيله ويشكّ في تقديمه».

١٥. قال سبط ابن الجوزي: « وهو أبو الأئمة وكنيته أبو الحسن ويلقب بزين العابدين وسماه رسول الله ﷺ سيد العابدين، والسجاد، وذو الثغفات، والزكي والأمين..... ».

١٠. الحجّ كما فهمه الإمام علي بن الحسين عليه السلام

حجّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام إلى بيت الله تعالى ماشياً عشرين مرة، وكان يوصي أصحابه بأداء الأمانة ويقول: فوالذي بعث محمّداً بالحق لو أن قاتل الحسين عليه السلام أئتمني على السيف الذي قتله به لأدّيته إليه.....

وكان يوصيهم أيضاً بقضاء حوائج المحتاجين ويقول: «إن الله عبداً يسعون في قضاء حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ومن أدخل على مؤمن سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة».

ومما يذكره المؤرّخون هي ذلك الحوار الشيق مع الإمام الشبلي عندما عاد من أداء مناسك الحجّ والقصة هي كما يلي:

حديث الإمام السجاد عليه السلام مع الشبلي

روي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه لما رجع من الحجّ استقبله أحد الحجاج (الشبلي)، فقال له الإمام عليه السلام حججت يا شبلي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟! قال: نعم. قال عليه السلام: فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثياب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا. قال عليه السلام: فحين تجرّدت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجرّدت عن الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا.

قال عليه السلام: فما نزلت الميقات، ولا تجرّدت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت. ثم قال عليه السلام: حين تنظّفت وأحرمت، وعقدت الحجّ نويت أنك تنظّفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا.

قال عليه السلام: فحين أحرمت نويت أنك حرّمت على نفسك كل محرّم حرّمه الله عز وجل قال: لا.

قال ﷺ: فحين عقدت الحجّ نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟
قال: لا.

قال له ﷺ: ما تنظفت، ولا أحرمت ولا عقدت الحج.
ثم قال ﷺ له: أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام وليت؟؟ قال:
نعم قال ﷺ فحين دخلت الميقات نويت أنك بنية الزيارة؟ قال: لا.
قال ﷺ: فحين صليت الركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال
من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟ قال: لا.
قال له ﷺ: ما دخلت الميقات ولا لييت، ثم قال ﷺ له: أدخلت الحرم،
ورأيت الكعبة وصليت؟ قال: نعم.
قال ﷺ: فحين دخلت الحرم نويت أنك حرّمت على نفسك كل غيبة
تستغيها المسلمين من أهل ملة الإسلام؟ قال: لا.

قال ﷺ: فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنك قصدت الله؟ قال: لا
قال ﷺ: فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت.
ثم قال ﷺ: طفت بالبيت، ومسست الأركان وسعيت؟ قال، نعم،
قال ﷺ: فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله، وعرف ذلك منك علام
الغيوب؟ قال: لا.

قال ﷺ: فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان، ولا سعيت.
ثم قال ﷺ له: صافحت الحجر ووقفت بمقام إبراهيم ﷺ، وصليت به
ركعتين: قال: نعم، فصاح ﷺ صيحة كاد يفارق الدنيا بها ثم قال ﷺ آه آه.
وقال ﷺ: من صافح الحجر الأسود فقد صافح الله تعالى، فانظريا مسكين
ولا تضيّع أجر ما عظم حرمة، وتنقض المصافحة بالمخالفة وقبض الحرم،
نظير أهل الآثام ثم قال ﷺ: نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم ﷺ أنك
وقفت على كل طاعة وتخلّفت عن كل معصية؟ قال: لا.



قال ﷺ: فحين صليت ركعتين نويت أنك بصلاة إبراهيم ﷺ، وأرغمت بصوتك أنف الشيطان؟ قال: لا .

قال ﷺ: فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صليت فيه الركعتين.

ثم قال ﷺ له: أأشرفت على بئر زمزم، وشربت من مائها؟ قال ﷺ: نعم. قال ﷺ: نويت أنك أشرفت على الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية؟ قال: لا.

قال ﷺ: فما أشرفت عليها، ولا شربت مائها قال: أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وترددت بينهما؟ قال: نعم. قال ﷺ: نويت أنك بين الرجاء والخوف؟ قال: لا.

قال ﷺ: فما سعيت ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة ثم قال ﷺ: خرجت إلى منى؟ قال نعم. قال ﷺ: نويت أنك أمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟ قال: لا.

قال ﷺ: فما خرجت إلى منى. ثم قال ﷺ له: أوقفت الوقفة بعرفة؟ وطلعت جبل الرحمة وعرفت وادي نمرة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والحجرات؟.. قال: نعم

قال ﷺ: هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه، أمر المعارف والعلوم، وعرفت قبض الله على صحيفتك، وإطلاعه على سريرتك وقلبك؟.. قال: لا.

قال ﷺ: نويت بطلوعك جبل الرحمة أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة، ويتولى كل مسلم ومسلمة؟ قال: لا.

قال ﷺ: فنويت عند النمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجر، قال: لا قال ﷺ: فعندما وقفت عند العلم نويت أنها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة بأمر رب السماوات؟.. قال: لا .

قال ﷺ: فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة، ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات.

ثم قال: مررت بين العلمين وصلّيت قبل مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلفة، ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمشعر الحرام؟ قال: نعم.

قال ﷺ: فحين صليت ركعتين نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر تنفي كل عسر، وتيسر كل يسر؟ قال: لا.

قال ﷺ: فعندما مشيت بين العلمين، ولم تعدل عنهما يميناً ولا شمالاً، نويت أن لا تعدل عن دين الحق يميناً وشمالاً، ولا بقلبك، ولا بلسانك، ولا بجوارحك؟ قال: لا.

قال ﷺ: فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل، وثبت كل علم وعمل؟ قال: لا.

قال ﷺ: فعندما مررت بالمشعر الحرام نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل؟ قال: لا.

قال ﷺ: فما مررت بالعلمين، ولا صليت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام.

ثم قال ﷺ: وصلت منى ورميت الجمرة، وحلقت رأسك، وذبحت هديك، وصليت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكة، وطففت طواف الإفاضة؟ قال: نعم.

قال ﷺ: فنويت عندما وصلت منى، ورميت الجمار أنك بلغت أنك رميت عدوك إبليس، وعصيته بتمام حجك النفيس؟ قال: لا.

قال ﷺ: فعندما حلقت رأسك نويت أنك تطهّرت من الأدناس، ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟ قال: لا.

قال ﷺ: أعتدما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبك، ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى؟ قال: لا.

قال ﷺ: فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت بحقيقة الورع، وأنتك اتبعت سنة إبراهيم بذبح ولده وثمره فؤاده وريحانة قلبه وحاجة سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه؟ قال: لا.



قال ﷺ: فعندما رجعت إلى مكة، وطففت طواف الإفاضة نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى، ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوده، وأديت فرائضه، وتقربت إلى الله تعالى؟ قال: لا.

قال له: الإمام السجاد ﷺ: فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا ذبحت، ولا أديت نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت، ارجع فإنك لم تحجّ.....
فطفق (الشبلي) يبكي على ما فرط في حجّه، وما زال يتعلّم حتى حجّ من قابل بمعرفة ويقين!!!

١١. الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث المتواضع يجب الإشارة إلى أن الإمام سيدنا علي بن الحسين بذل جهوداً جداً ضخمة وجامعة وذلك من خلال إرشاد الأمة كلها وتبيان الطريق المستقيم في وقت استضعف فيه الناس وسلط عليهم كل أنواع الذلّ والهوان من طرف « حكام بني أمية » فهنا أخذ الإمام السجاد المسؤولية بحكم قرابته من بيت النبوة ورسول الله ﷺ ولكونه المسؤول الأول في تلك الفترة الحرجة على أصالة الفكر الإسلامي الأصيل ونقائه ثم إيصاله إلى الأجيال اللاحقة سالماً معافى من كل الشوائب وبعيداً عن أباطيل الخصوم سواء من كان يكيّد للإسلام والمسلمين أو من كانوا يتربّصون الدوائر للانقضاض عليه، أكيدٌ أن تلك المسؤولية حملته على استخدام هذه الوسيلة المتمثلة في الدعاء الربانية وأثرها السرمدي فيما تستنبطه من مضامين من تربية الأجيال إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فسلام الله تعالى سرمداً على علي بن الحسين زين العابدين يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً، وجعلنا الله عز وجل من جيرانه في الغرف العالية في الفردوس الأعلى إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، والله ولي التوفيق وهو يهدي السبيل.



الهوامش

- ١ - شذرات الذهب-ج ١ ص ١٤٢.
- ٢ - مرآة الجنان ج ١ ص ٢٣٩.
- ٣ - البداية و النهاية ج ٩ ص ١٠٩ .
- ٤ - كفاية الطالب ص ٣٠٦.
- ٥ - تاريخ أهل البيت، لابن أبي الثلج البغدادي م ٣٢٥-٧٧
- ٦ - إحقاق الحق: ١٢ / ١٣ - ١٦، والبداية والنهاية لابن كثير: ٩ / ١٠٦
- ٧ - علل الشرائع: ١ / ٢٦٩، والأمالى: ٣٣١ وعنهما في بحار الأنوار- ٤٦ / الحديث ١ و ٢.
- ٨ - علل الشرائع- ١ / ٢٧٣ ومعاني الأخبار- ٦٥ وعنهما في بحار الأنوار- ٤٦ / ٦
- ٩ - علل الشرائع- ١ / ٢٧٢ وعنه في بحار الأنوار: ٤٦ / ٦ ح ١٠
- ١٠ - القرشي، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، ج ١٦، ص ٣٩٠
- ١١ - جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليه السلام)، ص ١٩٦ - ١٩

منهاج الإمام السجاد عليه السلام في تربية المجتمع من خلال السلوك العملي كدور من أدوار الإمامة ووظيفة من وظائف الإمام

الشيخ جاسم حمزة الكركوشي
العتبة العباسية المقدسة

مقدمة البحث : وهي في الأمور التالية :

بيان موضوع البحث

موضوع هذا البحث هو المنهاج الذي أتبعه الإمام السجاد عليه السلام في تربية المجتمع كدور من أدوار الإمامة ووظيفة من وظائفها، باعتبار أن تربية المجتمع والاختصاص به إلى الكمال وإلى الاستقرار والرفق أو على الأقل الحفاظ عليه من الضياع ومن الفقر ومن الحاجة أو من التفكك من وظائف الإمام المعصوم، ورغم الموانع الموجودة ومنها رفض إمامة الإمام من قبل السلطة الحاكمة ومن الكثير من الناس الذين هم على دين ملوكهم إلا أن الإمام عليه السلام قام بهذه المهمة الكبيرة والمسؤولية الجسيمة رغم الظرف الحساس الذي كان يعيشه من ظروف التقية المشددة والتي فرضتها عليه حكومة بني أمية باعتباره الوريث الشرعي للإمام الحسين عليه السلام ووليّ دمه، فقيّده هذه القيود المفروضة، إلا أنه اتخذ من سلوكه العملي منهجاً لتربية المجتمع من خلال اهتمامه الكبير بالطبقات الهشة في المجتمع وهم العبيد والفقراء والأيتام، وكذلك سلوكه العملي مع باقي طبقات المجتمع وحتى من أعدائه ومن أساء إليه من خلال وسائل متعدّدة ومنها الإحسان إليهم أو السعي في قضاء حوائج المحتاج منهم .

أهداف البحث

يهدف البحث إلى إبراز دور الإمام السجاد (عليه السلام) في تربية المجتمع من خلال سلوكه العملي في رعاية طبقات المجتمع المختلفة ومنها الطبقات الضعيفة كالعبيد والفقراء والأيتام أو طبقات المجتمع الأخرى، بل حتى مع أعدائه منهج البحث: المنهج المتبع في هذا البحث التاريخي هو المنهج النقلي الوصفي

أسئلة البحث

السؤال الأصلي: ماهو منهاج الإمام السجاد (عليه السلام) في تربية المجتمع من خلال السلوك العملي كدور من أدوار الإمامة ووظيفة من وظائف الامام الأسئلة الفرعية:

س ١- ماهو منهاج الإمام السجاد (عليه السلام) في تربية المجتمع كدور مهم من أدوار الإمامة

س ٢- ماهي طبقات المجتمع التي قام الإمام السجاد (عليه السلام) في تربيتها من خلال سلوكه العملي، وماهي الشواهد التاريخية على ذلك

فرضيات البحث:

١- إن الإمام السجاد (عليه السلام) قام بوظيفته في تربية المجتمع كدور من أدوار الإمامة من خلال سلوكه العملي .

٢- إن الإمام السجاد (عليه السلام) اهتم بتربية طبقات المجتمع المختلفة، وعلى الخصوص طبقة العبيد والفقراء والأيتام وباقي طبقات المجتمع الأخرى ومنها طبقة أعدائه والذين كانوا سبباً في إيذائه أو في أحداث كربلاء

خطة البحث: يتألف البحث من مبحثين

المبحث الأول: المبحث التمهيدي - منهاج الإمام السجاد (عليه السلام) في تربية المجتمع كدور مهم من أدوار الامامة.

المبحث الثاني: قيام الإمام السجاد (عليه السلام) بتربية المجتمع من خلال سلوكه العملي مع طبقات المجتمع المختلفة.

المطلب الأول: تربية المجتمع من خلال اهتمامه (عليه السلام) بطبقة العبيد .

المطلب الثاني: تربية المجتمع من خلال اهتمامه (عليه السلام) بطبقة الفقراء والأيتام والمعوذين.

المطلب الثالث: تربية المجتمع من خلال اهتمامه (عليه السلام) بباقي طبقات المجتمع.

المبحث الأول: المبحث التمهيدي

منهاج الإمام السجاد (عليه السلام) في تربية المجتمع كدور مهم من أدوار الامامة

منذ أن وطأت أقدام الإمام السجاد (عليه السلام) أرض المدينة المنورة بعد رجوعه من كربلاء الشهادة ومن شام الأسر، باشر (عليه السلام) مهام الإمامة الملقاة على عاتقه، تلك المهام الثقيلة التي أثقلت كاهله المنهك مما مرّ به من أحداث كربلاء الدامية، ومن أحزان الكوفة المريرة ومن لوعات الشام القاسية، والتي تجرّعها الإمام (عليه السلام) غصة بعد غصة . فكانت المهام ثقيلة والمسؤولية جسيمة، ومجتمع المدينة المنورة ينوء تحت حكم بني أمية الظالم الذي انتهك بالأمس حرمة النبي الأكرم صلوات الله تعالى عليه من خلال قتل عترته الطاهرة والتمثيل بهم وتركهم بالعراء من غير دفن، وكذلك انشغال بني أمية بالظروف السياسية عن الاهتمام بالمجتمع مما أدى إلى انتشار الفقر والظلم والجهل إضافة إلى نشوء بعض الحركات السياسية والدينية وانتشار افكارها في المجتمع، فكانت المهام صعبة وثقيلة على كاهل الإمام (عليه السلام) خاصة مع



انكار الكثير من أهل المدينة لإمامة الإمام (عليه السلام) وتشرذم مجتمع أهل المدينة بين حكم بني أمية وبين حكم آل الزبير، وفي كل تلك الأجواء كان على الإمام أن يقوم بأعباء الإمامة الإلهية التي أمر الله تعالى بها، فتصدى الإمام (عليه السلام) لها وقام بحمل هذه الأعباء وبدأ بمواجهة التحديات التي تعصف بالمجتمع، فقام بدوره المناط به من إصلاح المجتمع من جميع النواحي ومن تلك المهام تربية المجتمع من خلال خطواته العلمية وسلوكه اليومي بالاهتمام بطبقات المجتمع الضعيفة والهشة فاهتم (عليه السلام) بطبقة الفقراء والمحتاجين وطبقة العبيد وغيرهم كل ذلك عن طريق تربيته للمجتمع من خلال سلوكه العملي الموروث من آبائه الطهرين ومن جدّه المصطفى (عليه السلام) .

وسنعرض تربيته للمجتمع من خلال سلوكه العملي لتلك الطبقات في ثلاث مباحث وهي كالآتي:

المبحث الثاني: قيام الإمام السجاد (عليه السلام) بتربية المجتمع من خلال سلوكه العملي مع طبقات المجتمع المختلفة

المطلب الأول: تربية المجتمع من خلال اهتمامه (عليه السلام) بطبقة العبيد

اهتمّ الإمام (عليه السلام) بطبقة العبيد اهتماماً كبيراً، إذ أنهم الطبقة الأكثر ضعفاً في المجتمع والأكثر عدداً فيه، والأكثر معاناة، والكثير منهم تحت الشدة من جور الأسياد الذين ينظرون إلى العبيد على أنهم مجرد أداة لخدمة وراحة السيّد بعيداً عن أي نظرة إنسانية لهم، ومتى شاء باعه أو متى شاء عذبه أو قتله، وكانت هذه هي النظرة السائدة للعبيد في المجتمع، فكان العبيد يعانون ما يعانون من الاضطهاد والظلم والجور والحرمان، إلا أن الإمام (عليه السلام) كان له طريق آخر ومنهج مختلف في تربية هذه الطبقة والتعامل معها، والإحسان إلى أفراد هذه الطبقة المظلومة المحرومة، فأحسن إليهم إيماً إحسان وعاملهم

بطريقة لم يألّفها هؤلاء العبيد من أفراد المجتمع حتى وصل الأمر بهؤلاء العبيد إلى رفض العتق والحرية وتفضيل البقاء عبيداً عند الإمام السجاد (عليه السلام) لما رأوه عنده من حسن التعامل والإحسان إليهم والعيش الكريم في كنفه، وأنه كان دائماً ما يقوم بتحريرهم وإرسالهم إلى بلدانهم معزّزين مكرّمين .

ومن صور تربيتهم والاحسان لهم نأخذ هذه النماذج :

اولاً : تربيتهم من خلال سلوكه العملي العبادي

فقد كان لهذا السلوك الأثر الأكبر في تربيتهم والتأثير عليهم وتأثرهم به، وبالتالي صنع جيلاً من العبيد (والذين سيصبحون أحراراً فيما بعد) قد تربوا تربية خاصة وتأثروا بسيدهم تأثراً كبيراً ليكونوا نواة لبناء مجتمع متدين متهجّد عابد.

فقد ورد عن الصدوق (رضوان الله عليه) أنه سئلت عنه مولاة له فقالت:

أظنّ أو أختصر؟ ف قيل لها: بل اختصري، فقالت:

ما أتيت به بطعام نهاراً قط و ما فرشت له فراشاً بليل قط ^(١).

٢- كان الإمام (عليه السلام) كثيراً ما يتهجّد بالليل يناجي ربه ويدعوه على مسمع من عبيده وأمامهم، باكياً منتجباً حتى حفظوا عنه تلك الأدعية التي زخرت بها الصحيفة السجادية المباركة

ثانياً: تربيتهم من خلال سلوكه العملي الأخلاقي معهم

كان الإمام (عليه السلام) كثير الحلم في تعامله مع العبيد وكثير الصبر والعفو عن المسيء منهم . بل إنه كان أحياناً يجازي المخطئ منهم بالعفو عنه، مما كان له الأثر الكبير في تأثرهم بالإمام (عليه السلام) وبهذا السلوك العجيب من التعامل الانساني، وبالتالي بناء أفراد يتّصفون بمكارم الاخلاق التي تعلّموها من سيدهم وإمامهم . وبالتالي انتشار هذا الخلق الإنساني بين أفراد المجتمع خاصة بعد تحرّره وانتشارهم في الأقطار التي جاءوا منها خاصة بعد أن عرفنا أن

الإمام عليه السلام كان من دأبه أن يحرّر العبيد ولا يبقّيهم في الرقّ أكثر من عام واحد وبهذا الأسلوب يكون الإمام عليه السلام هو السابق في تحرير العبيد لغيره سواء من الأفراد أو من الشعوب والمجتمعات ومن هذه النماذج:

١- أنه عليه السلام كان لا يبقّي العبيد عنده أكثر من سنة وكان في كل ليلة فطر يقوم بعقّتهم، ذكر أنه كان إذا أذنّب العبد والأمة يكتبه عنده (أذنّب فلان، وأذنّبت فلانة يوم كذا وكذا)، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: «ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت كما أحصيت علينا كل ما عملنا ... فاعف واصفح يعف عنك المليك»، ثم يقبل عليهم فيقول: «اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي» فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز.^(٢)

٢- وأورد أبو نعيم في الحلية: قال: عمد عليّ بن الحسين إلى عبد له كان عبد الله بن جعفر أعطاه به عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، فأعتقه.^(٣)

٣- ورد أنه كانت جارية له تسكب على يديه الماء، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إن الله يقول: ﴿وَالكَافِرِينَ﴾ الغيظ وأسرع الإمام قائلاً: «كظمت غيظي»، وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزيد قائلة: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فقال الإمام عليه السلام: «عفا الله عنك»، ثم قالت: ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فقال لها: «إذهبي فأنت حرة».^(٤)

٤- وقيل إنه كان لزين العابدين عليه السلام غلام، فوّض إليه ضيعة ليحفظها، فنام الغلام وأفسد جيرانه ربوع تلك الضيعة، فغضب زين العابدين عليه السلام وأدبه بسوط وضربه ضربة واحدة وعاد إلى بيته. ثم دعا الغلام وقال: اضربني كما ضربتك،

٢- وروي في المناقب أن عليّ بن الحسين (عليه السلام) كان يدعو خدمه كلّ شهر و يقول: (إني قد كبرت ولا أقدر على النساء فمن أراد منكنّ التزويج زوجتها أو البيع بعتها، أو العتق أعتقتها، فإذا قالت إحداهنّ: لا، قال: اللهم اشهد، حتى يقول ثلاثاً، وإن سكّنت واحدة منهنّ قال لنسائه: سلوها ما تريد و عمل على مرادها) (١١).

رابعاً: تربية المجتمع من خلال توجيهاته (عليه السلام) في حفظ كرامة العبيد

وقد ورد في كلامه (عليه السلام) في رسالة الحقوق فيما يخصّ العبيد

(وأما حقّ مملوكك: فأَنْ تعلم أنّهُ خلق ربّك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، وإنّك تملكه لا أنّك صنعتَه دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه، ولا أخرجت له رزقاً، ولكن الله عزّ وجلّ كفّاك ذلك، ثمّ سخره لك وائتمنك عليه) (١٢)

خامساً: تربيتهم على استذكار واقعة كربلاء والبكاء على الحسين (عليه السلام)

كان الإمام السجاد (عليه السلام) يعلمّ الناس وخاصة طبقة العبيد من خلال سلوكه العملي يعلمّهم تفاصيل حادثة كربلاء الفظيعة، رغم المنع من ذلك إلا أنّه اتخذ من السلوك العملي وسيلة لتذكير الناس وتعليمهم البكاء والحزن على الحسين (عليه السلام) ومن تلك النماذج:

١- روي عن الصادق (عليه السلام) أيضاً أنّه قال إنّ زين العابدين (عليه السلام) بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي فيقول قتل ابن رسول الله جائعاً قتل ابن رسول الله عطشاً فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبلّ طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزّ وجلّ. (١٣)

من غير أن يعلم به أحد، فكان هذا سلوكه الدائم إلى آخر أيام حياته، ولم يعلم الفقراء من كان يعولهم إلى أن انتقل إلى جوار ربّه، فعرفوا أنه هو الذي كان يعولهم بعد انقطاعه عنهم .

ومن الأدلة والشواهد على ذلك النماذج الآتية:

١- مارواه الصدوق (رضوان الله عليه) من أنه كان عليه السلام ليخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربّما حمل على ظهره الطعام أو الحطب حتى يأتي باباً باباً فيقرعه ثم يناول من يخرج إليه، وكان يغطّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه، فلمّا توفّي عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان عليّ بن الحسين عليه السلام، ولما وضع على المغتسل نظروا إلى ظهره و عليه مثل ركب الابل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين. (١٧)

٢- وورد في المناقب أنّه كان إذا جنّ الليل وهدأت العيون قام إلى منزله، فجمع ما يبقى فيه من قوت أهله وجعله في جراب ورمى به على عاتقه و خرج إلى دور الفقراء وهو متلثم، ويفرق عليهم، وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا به وقالوا: جاء صاحب الجراب (١٨).

٤- وروي أنه كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضرّاء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده ومن كان له منهم عيال حمّله إلى عياله من طعامه وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدّق بمثله. (١٩)

٥- وورد أنه كان يطعم الناس إطعاماً عاماً في كل يوم في يثرب، وذلك في وقت الظهر في داره. (٢٠)

٦- أورد أبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء) أنه - لما مات عليّ بن الحسين، فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره. فقالوا: ما هذا؟ فقليل: كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. (٢١)

٧- وقيل - عليّ بن الحسين لما مات فغسلوه وجدوا على ظهره مجلاً
مما كان يستقى لضعفة جيرانه بالليل ومما كان يحمل إلى بيوت المساكين من
جرب الطعام. (٢٢)

٨- وروي: غسل عليّ بن الحسين عليه السلام فرأوا على ظهره مجولاً فلم يدروا
ما هي، فقال مولى له: كان يحمل بالليل على ظهره إلى أهل البيوتات المستورين
الطعام فإذا قلت له: دعني أكفك قال: لا أحب أن يتولّى ذلك غيري. (٢٣)

٩- وقيل: لما مات عليّ بن الحسين وجدوا بظهره أثراً فسألوا عنه فقال:
هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل.

١٠- قالت الأنصار: فقدنا صدقة السرّ مذ مات عليّ بن الحسين
(صلوات الله عليه). (٢٤)

١١- وفي الحلية: قال الراوي: سمعت ابن عائشة يقول: قال أبي: سمعت
أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات عليّ بن الحسين. (٢٥)

١٢- وقيل حدّثني أبو موسى الأنصاري، قال: ثنا يونس بن بكير عن
محمد بن إسحاق. قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين
كان معاشهم، فلما مات عليّ بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل. (٢٦)

١٣- روى الحديث بعين ما تقدّم عن الحلية أيضاً وزاد: لأنّه كان رضي الله
عنه ينفق سرّاً ويظنّ الجاهل به أنّه بخيل، فلما مات وجدوه كان ينفق على
أهل مائة بيت. (٢٧)

١٣- وعن ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا: كان عليّ بن الحسين يبخل،
فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة في السرّ. (٢٨)



المطلب الثالث تربية المجتمع من خلال اهتمامه ﷺ بباقي طبقات المجتمع

أولاً : الطبقة الاجتماعية من أعدائه والمسيئين إليه

هناك من الحوادث التاريخية التي نقلت لنا وكيف تصرف فيها الإمام ﷺ ما يحير العقول . فقد كان يتصرف مع أعدائه والذين أساءوا إليه بطريقة عجيبة من الإحسان إليهم مع إساءتهم الكبيرة له ، بل إنه بلغ به الحلم إلى أن يعفو عن أعدائه الذين تسبوا بقتل أهل بيته وأسرهم وأسر عائلته أو تصرفه مع عمال بني أمية الذين آذوه وتمادوا في الإساءة إليه .

ومن هذه النماذج :

١- روى ابن الأثير في كامل التواريخ :

كان مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد و بني أمية (لما نقضوا بيعه يزيد بعد قتل الحسين ﷺ) في أن يغيب أهله عنده ، فلم يفعل ، فكلم علي بن الحسين ، فقال : إن لي حرماً و حرماً تكون مع حرملك ، فقال : أفعل ، فبعث بامرأته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان و حرمه إلى علي بن الحسين ، فخرج علي بحرمة و حرم مروان إلى ينبع ، و قيل : بل أرسل حرم مروان و أرسل معهم ابنه عبد الله بن علي إلى الطائف (٢٩) .

٢- لما وجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لاستباحة أهل المدينة ضم علي بن الحسين إلى نفسه أربع مائة منافية (٣٠) بحشمتهم يعولهن إلى أن تقوِّض جيش مسلم ، فقالت امرأة منهن : ما عشت و الله بين أبيي مثل ذلك التريف (٣١) .

٣- ومثلما فعل مع مروان بن الحكم الذي كان من أشد أعداء أهل البيت عليهم وكان المسبب في الكثير من الفتن ، كذلك فعل مع هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي والي المدينة من قبل بني أمية ، والذي كان يؤذي الإمام السجاد ﷺ حيث روى الواقدي قال :

إن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان وقد أساء جوار الإمام ولحقه منه أذى شديد، فلما توفي عبد الملك، عزله الوليد بن عبد الملك وأوقفه للناس لكي يقتصوا منه، فقال: والله إني لا أخاف إلا من علي بن الحسين، فمرّ عليه الإمام وسلّم عليه وأمر خاصته أن لا يتعرّض له أحد بسوء، وأرسل له: إن كان أعجزك مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك ويسدّ حاجتك فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا، فقال له هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته (٣٢).

٤- وروي أنه انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه، فوقف عليهم فقال: إن كنتم صادقين فغفر الله لي وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم (٣٣).
٥- روى الشيخ المفيد وغيره أنه:

وقف على عليّ بن الحسين (عليه السلام) رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه فلم يكلمه، فلما انصرف قال جلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردي عليه.

فقالوا له: نفعل، ولقد كنّا نحبّ أن نقول له ونقول، قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول:

... ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤).

فعلّمنا أنه لا يقول له شيئاً، قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به، فقال: قولوا له هذا عليّ بن الحسين، قال: فخرج إلينا متوثباً للشرّ وهو لا يشكّ أنه إنما جاءه مكافياً له على بعض ما كان منه، فقال له عليّ بن الحسين (عليه السلام): يا أخي إنك كنت قد وقفت عليّ أنفاً قلت وقلت، فان كنت قد قلت ما فيّ فأنا أستغفر الله منه وإن كنت قلت ما ليس فيّ، فغفر الله لك.

فقبّل الرجل بين عينيه، وقال: بلى قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقّ به، قال الراوي للحديث: والرجل هو الحسن بن الحسن (عليه السلام) (٣٥).

٦- روي في كشف الغمة أنه:

كان السجاد (عليه السلام) يوماً خارجاً، فلقى رجل فسبه، فثارت إليه العبيد و
الموالي، فقال لهم عليّ: مهلاً كفّوا، ثم أقبل على ذلك الرجل، فقال له: ما
ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها.

فاستحى الرجل فألقى إليه عليّ خميسة^(٣٦) كانت عليه وأمر له بألف
درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل^(٣٧)
٧- وروي أنه كان (عليه السلام) يسارع إلى قضاء حوائج حتى أعدائه خوفاً من أن
يقوم غيره بقضائها فيحرم ثوابها، وورد انه كان يقول: (إن عدوي يأتيني
بحاجة فأبادر إلى قضائها خوفاً من أن يسبقني أحد إليها أو أن يستغني عنها
فتفوتني فضيلتها).^(٣٨)

ثانياً: باقي طبقات المجتمع : من خلال اهتمامه (عليه السلام) بقضاء حوائج الناس
والسعي في خدمتهم

اهتم الإمام السجاد (عليه السلام) بقضاء حوائج الناس بشكل يبهر العقول، بشكل
وصل إلى نكران الذات من أجل تقديم أقصى ما يمكن تقديمه لهم من خدمة
؛ فقد روى الزهري أنه كان من أبرّ الناس بجيرانه، فكان يرعاهم كما يرعى
أهله، وكان يستقي لضعفاء جيرانه في غلس الليل.

وفي التاريخ من النماذج المبهرة من سلوكه في ذلك، ومنها النماذج الآتية :

١- روى الصدوق عن الصادق (عليه السلام) أنه قال:

كان عليّ بن الحسين (عليه السلام) لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم
أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم، فرآه رجل
فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا عليّ بن الحسين (عليه السلام)
فوثبوا إليه فقبلوا يده ورجله وقالوا: يا ابن رسول الله أردت أن تصلينا
نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدهر؟

فما الذي يملك على هذا؟ فقال: إني كنت سافرت مرّة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله ﷺ ما لا أستحقّ، فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحبّ إليّ (٣٩)

٢- عن أبي نعيم عن عمر بن دينار قال: دخل عليّ بن الحسين على محمّد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي، فقال: ما شأنك؟ قال: على دين، قال: كم هو، قال: خمسة عشر ألف دينار، قال: فهو عليّ. (٤٠)

وهذا المبلغ يعدّ مبلغاً ضخماً في ذلك الوقت الذي كان فيه عطاء الرجل دينارين في السنة الواحدة.

٣- وقيل: أراد عليّ بن الحسين الخروج إلى الحجّ فاتّخذت له سكينه بنت الحسين أخته زادا أنفقت عليه ألف درهم، فلما كان بظهر الحرّة سيّرت إليه ذلك، فلما نزل فرّقه على المساكين. (٤١)

٤- وذكر الصدوق

من أنه عليه السلام خرج ذات يوم وعليه مطرف خزّ فعرض له سائل فتعلّق بالمطرف (فأخذه من الإمام) فمضى وتركه، وكان يشتري الخزّ في الشتاء فإذا جاء الصيف باعه فتصدّق بثمنه. (٤٢)

٥- عن علي بن الحسين قال: إني لأستحيى من الله أن أسأل للأخ من إخواني الجنّة وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنّة بيدك لكنت بها أبخل. (٤٣)

٦- قيل إنّ كميّت لما مدح عليّ بن الحسين قال: إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون وسيلة عند رسول الله ﷺ يوم القيامة، ثمّ أنشده قصيدة له، فلمّا فرغ منها قال: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنّ الله لن يعجز عن مكافأتك وقسط على نفسه وأهله أربعمئة ألف درهم، فقال له: خذ هذه يا أبا المستهل، فقال: لو وصلّتني بدانق لكان شرفاً ولكن إن أحببت أن تحسن

إليّ، فادفع لي بعض ثيابك التي تلى جسدك أتبرّك بها. فقام فنزع ثيابه فدفّعها إليه كلّها ثمّ قال: (اللهمّ إنّ الكميت جاء في آل رسولك و ذريّته نيّك بنفسه حين ضنّ الناس وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ فأتمته شهيداً وأحياه سعيداً وأره الجزاء عاجلاً وأجز له جزيل المثوبة آجلاً، فإنّا قد عجزنا عن مكافاته). قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه.^(٤٤)

خاتمة

الامام السجاد عليه السلام، وصلت له الإمامة في ظرف استثنائي بل في أصعب ظرف من الظروف . فهو الإمام الأسير ابن الشهيد الذي كانت تنظر له السلطة بعين الريبة خوفاً من تحركاته في طلب الثأر وهو ولي دم الإمام الحسين عليه السلام، فكان تحت تقيّة شديدة، وفي نفس الوقت هناك مهمة كبيرة كونه الإمام عليه أداها كوظيفة من وظائف الإمامة، وهي تربية المجتمع والقيام بمسؤولية تعليمه وحفظه والاهتمام به، إلا أن المانع من ذلك كانت ظروف التقيّة التي تكبله وتمنعه من القيام بدوره، إلا أنه قام بدوره بالاهتمام بالمجتمع من خلال سلوكه العملي مع طبقات المجتمع المختلفة كطبقة العبيد، وطبقة المحتاجين والفقراء والمعوزين، بل مع باقي الطبقات . فكان سلوكه المؤثر خير طريق لتعليم المجتمع. فانتشر الإسلام الأصيل في نفوس العبيد الذين كان يعولهم ويحرّرهم نهاية كل شهر رمضان، ويأمرهم بالذهاب إلى بلدانهم مما كان له الأثر الكبير في انتقال الإسلام الأصيل إلى ربوع إفريقيا، وإلى الدول التي كان يؤتى بها بالعبيد . كما أن الفقراء والمحتاجين كان هناك من يعولهم سرّاً ولم يعرفوه إلا أن انتقل الإمام السجاد إلى جوار ربّه فعرفوا أنه هو الذي كان يعولهم ويقوم بخدمتهم . كما أنه تعامل مع باقي طبقات المجتمع بطريقة عجيبة من الصبر والحلم والإحسان إلى المسيء . مما جعل هذا السلوك العملي

يحفر في ذاكرة التاريخ، وتتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل إلى أن وصل إلينا، رغم التعتيم الذي كان سائداً في نقل فضائل أهل البيت (عليه السلام).

النتائج :

وفي نهاية البحث يمكن الحصول على النتائج الآتية

- ١- إن الإمام السجاد (عليه السلام) كان أمامه مسؤولية كبيرة في تربية المجتمع إلا أن ظروف التقية كانت تمنعه من العمل على ذلك بصورة علنية
- ٢- استبدل الإمام السجاد (عليه السلام) طريق التعليم المباشر والعني بطريق التعليم من خلال السلوك العملي الصامت . فكان يربي المجتمع من خلال هذا السلوك.
- ٣- أوصل الإمام السجاد (عليه السلام) قضية عاشوراء إلى العبيد خاصة من خلال سلوكه العملي المتواصل من خلال البكاء عليه لسنين متتالية، مما جعل منه سلوكاً يومياً وتعارفاً لدى العبيد، وانتقل هذا الحزن على الإمام إلى الأجيال الأخرى وإلى البلدان الأخرى
- ٤- كان لسلوك الإمام السجاد (عليه السلام) العملي الأثر الكبير في تأثر المجتمع به وبهذا السلوك الملائكي، مما أدى إلى إبهار العبيد بهذا الدين وبهذا السلوك، وبالتالي تمسكهم بهذا الدين الانساني القيم . ومن ثم انتقل هذا الدين إلى الدول المتعددة التي بعد تحريرهم من قبل الإمام (عليه السلام) والذي يعد هذا التحرير والعنق أمراً غير متعارفٍ في ذلك الزمان خاصة مع غلاء العبيد ومع الحاجة إلى وجودهم والذي هو السبب لشراهم .
- ٥- إن التاريخ وقف وقفة إجلال وإكبار لهذا السلوك العجيب بحيث إنه احتفظ بالمثير من النماذج المذهلة من سلوك الإمام (عليه السلام) رغم المنع والتعتيم على فضائل أهل البيت (عليه السلام) في فترة حكم بني أمية .

الهوامش

- ١- الخصال: الشيخ الصدوق ج: ٢ ص: ٥١٨
- ٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ١٠٣ و ١٠٤؛ ابن طاووس، الإقبال بالأعمال، ج ١، ص ٢٦١.
- ٣- العلامة أبو نعيم الاصفهاني في «حلية الأولياء» (ج ٣ ص ١٣٨ ط السعادة بمصر
- ٤- النويري، نهاية الإرب، ج ٢١، ص ٣٢٦.
- ٥- لباب الانساب والالقب والاعقاب: البيهقي، أبو الحسن ج: ١ ص: ٤٣
- ٦- السفود: حديدة يشوى عليها اللحم.
- ٧- كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٩٣.
- ٨- أبو القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم السهمي المتوفى سنة ٤٢٧ في كتابه «تاريخ جرجان» (طبع حيدرآباد الدكن قال في ص ٣٢٨)
- ٩- المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٩.
- ١٠- الأحزاب: ٢١.
- ١١- المناقب، ج ٤، ص ١٦٣.
- ١٢- ائمتنا عليهم السلام عباد الرحمن: أبو معاش، سعيد ج: ٢ ص: ١٩٦
- ١٣- بحار الأنوار: العلامة المجلسي ج: ٤٥ ص: ١٤٩
- ١٤- الدرر بندي، إكسير العبادات، ج ٢، ص ٤٧٠.
- ١٥- البحراني، عوالم العلوم، ص ١٢٩.
- ١٦- الصدوق، ثواب الأعمال، ص ٨٣.
- ١٧- الخصال: الشيخ الصدوق ج: ٢ ص: ٥١٧
- ١٨- مناقب آل أبي طالب - ط علامه (ابن شهر آشوب)، ج: ٤، ص: ١٥٣
- ١٩- نفس المصدر، ج: ٢، ص: ٥١٨
- ٢٠- تاريخ يعقوبي، يعقوبي، ج ٣، ص ٦.
- ٢١- أبو نعيم الاصبهاني في «حلية الأولياء» ج ٣ ص ١٣٦
- ٢٢- جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الحنفي في «ربيع الأبرار» (ص ٤١٣ مخطوط)
- ٢٣- إحقاق الحق وإزهاق الباطل: التستري، القاضي نور الله ج: ١٢ ص: ٦٤
- ٢٤- أبو العباس المبردي في كتابه «الفاضل» ص ١٠٥
- ٢٥- أبو نعيم الاصبهاني في «حلية الأولياء» ج ٣ ص ١٣٨
- ٢٦- نفس المصدر ج ٣ ص ١٣٨
- ٢٧- اليافعي في «روض الرياحين» (ص ٥٥ ط القاهرة):

- ٢٨- محمد بن منيع بن سعد في «الطبقات الكبرى» (ج ٥ ص ٢١٦ ط دار الصادر بيروت)
- ٢٩- الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج ٤، ص ١١٣.
- ٣٠- منافية نسبة الى عبد مناف جدّ الهاشميين والذي ينتسب له الأمويين، و التريف عيش الترف وهو السعة في المأكل و المشرب، و يذكر ان يزيد أمر مسلم بن عقبة باستباحة أهل المدينة ثلاثة أيام له و لجيشه يفعل فيها ما يشاء، و لكن لا يتعرض لعليّ بن الحسين بسوء.
- ٣١- ربيع الأبرار و نصوص الأخبار (الزخشري)، ج : ١، ص : ٣٥٢
- ٣٢- انظر الإمام السجّاد جهاد وأجناد: حسين الحاج حسن ج : ١ ص : ٧١
- ٣٣- انظر تعريب منتهى الآمال في تواريخ النبي و الآل: الميلاني، السيد هاشم ج : ٢ ص : ١٤
- ٣٤- آل عمران، الآية ١٣٤.
- ٣٥- الارشاد، المفيد، ص ٢٥٧- عنه في البحار، ج ٤٦، ص ٥٤، ح ١.
- انظر تعريب منتهى الآمال في تواريخ النبي و الآل: الميلاني، السيد هاشم ج : ٢ ص : ١١
- ٣٦- خبيصة: ثوب أسود مرّيع.
- ٣٧- كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٩٣- و عنه في البحار، ج ٤٦، ص ٩٩، ح ٨٧.
- ٣٨- ناسخ التواريخ، تقي خان، ج ١، ص ١٣.
- ٣٩- عيون أخبار الرضا عليه السّلام، ج ٢، ص ١٤٥، ح ١٣- عنه في البحار، ج ٤٦، ص ٦٩، ح ٤١.
- ٤٠- أبو نعيم الاصفهاني في «حلية الأولياء» (ج ٣ ص ١٤١ ط السعادة)
- ٤١- «مطالب السؤل» محمد بن طلحة الشامي الشافعي (ص ٧٨ ط طهران)
- ٤٢- الخصال: الشيخ الصدوق ج : ٢ ص : ٥١٧
- ٤٣- تاريخ الإسلام، العلامة الذهبي، ج ٤ ص ٣٥
- ٤٤- المصدر السابق، ج ٥ ص ١٢٦

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الطبع ١٤٠٧، الناشر، عالم الكتب للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الرابعة.

* تعريب منتهى الآمال في تواريخ النبي و الآل، السيد هاشم الميلاني، أهل البيت، الناشر : جماعة المدرسين. بدون طبعة.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

* الخصال، ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفات المؤلف: ٣٨١ ق، محقق / مصحح: غفاري، علي أكبر، ناشر: جامعته مدرسين، مكان الطبع : قم، سنة الطبع : ١٣٦٢ ش، رقم الطبعة - الأولى.

* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، الوفاة، ٥٣٨، سنة الطبع، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م، الناشر مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى.

* روض الرياحين في حكايات الصالحين (نزهة العيون النواظر...)، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (المكي، الوفاة، ٧٦٨ سنة الطبع، ٢٠٠٤ م، الناشر، مكتبته زهران - قاهره، الطبعة الأولى.

* الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد

* إحقاق الحق وإزهاق الباطل، العلامة

السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، مع تعليقات آية الله العظمى السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي من منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم - إيران.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد، محمد بن محمد: ٤١٣ ق، المحقق / مصحح: مؤسسة آل البيت (ع)، الناشر: مطبعة شيخ مفيد، الطبعة الأولى ١٤١٣ ق.

* الإمام السجّاد جهاد وأمجاد، الدكتور حسين الحاج حسن، الناشر: دار المرتضى الطبعة: الأولى.

* أئمتنا (ع) عباد الرحمن، أبو معاش، سعيد، تاريخ الوفاة: ١٤٣١ هـ. ق

* بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر بن محمد تقى المجلسي، الناشر: مؤسسة الوفاء الطبعة: ٢، تاريخ النشر : ١٤٠٣ هـ. ق

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، الوفاة ٧٤٨، سنة الطبع ١٤٠٩ هـ. ق، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية

* تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، الوفاة، ٢٨٤، الناشر، دار صادر - بيروت - لبنان.

* تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي، الوفاة ٤٢٧، سنة

علي بن زيد البيهقي، الوفاة
٥٦٥، سنة الطبع، ١٤٢٨ هـ. ق،
الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي
النجفي (ره)، تحقيق، رجائي،
مهدى، الطبعة الثانية.

* مطالب السؤول في مناقب آل الرسول،

محمد بن طلحة الشافعي

* مناقب آل أبي طالب تأليف الإمام
الحافظ بن شهر آشوب شير الدين أبي
عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب
بن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي
المازندراني المتوفى سنة ٥٨٨ هـ قام
بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة
نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف
الأشرف، طبع في المطبعة الحيدرية في
النجف الأشرف.

* ناسخ التواريخ (زندگانی پیامبر)
فارسي)، لسان الملك سيهر، الوفاة
١٢٩٧، سنة الطبع ١٣٨٠ ش الناشر:
اساطير - تهران، الطبعة الأولى.

* نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري،
الوفاة ٧٣٣، الناشر، وزارة الثقافة
والارشاد القومي المؤسسة المصرية
العامة للتأليف والترجمة والطباعة
والنشر.

* نواذر المعجزات في مناقب الأئمة
الهداة (عليه السلام)، محمد بن جرير الطبري
الصغير.

الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي
بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى:
٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر
عطا، الناشر: دار الكتب العلمية -
بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ -
١٩٩٠ م.

* عيون أخبار الرضا للشيخ الأقدم

والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق
محمد بن علي بن الحسين بن بابويه
القمي (رضوان الله عليه) المتوفى
سنه ٣٨١ صححه وقدم له وعلّق
عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي،
الجزء الأول، منشورات مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات بيروت-لبنان.

* الفاضل، محمد بن يزيد المبرد،
الوفاة ٢٨٥، سنة الطبع ١٣٧٥ -

١٩٥٦ م، تحقيق عبد العزيز الميمني /
رئيس القسم العربي بجامعة كراتشي
بالباكستان، الطبعة الأولى.

* الكامل في التاريخ، ابن الأثير، الوفاة
٦٣٠، سنة الطبع ١٣٨٥ ق / ١٩٦٥
م، الناشر: دار الصادر - بيروت.

* كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط -

القديمة)، أربلي، علي بن عيسى،
محقق / مصحح: رسول محلاتي، سيد
هاشم، ناشر: بنى هاشمي، مكان
الطبع: تبريز، سنة الطبع: ١٣٨١ ق،
رقم الطبعة: الأولى.

* لباب الأنساب والألقاب والأعقاب،

مواجهة الإمام زين العابدين عليه السلام لبذور التصوف في عصره

الشيخ حسن يوسف بن نخي
الكويت/ الحوزة العلمية

المقدمة:

لا بد في دراسة حياة كل إمام من الأئمة عليهم السلام من معرفة الظروف الخاصة المتغيرة التي تقتضي تغير أدوار الأئمة، فإنهم عليهم السلام كلهم نور واحد، ولكن الأحداث المتغيرة تقتضي تغيراً في المواقف والأدوار.

لا يمكن البناء على أن الحسين عليه السلام كان حركياً وأن أخاه الحسن عليه السلام كان مهادئاً، بل الظروف تغيرت واقتضت أن يوقف الحسن عليه السلام الحرب ويصالح، ثم يمضي الحسين عليه السلام هذا الصلح، ولما تغير الطرف مرة أخرى اقتضى الأمر أن لا يبايع وأن يقاتل حتى يقتل. ولما اقتضى الحال بعد السقيفة أن يجلس أمير المؤمنين عليه السلام في داره جلس، ولما اقتضى الحال خوض الحرب خاضها في الجمل وصفين والنهروان.

وفي مرحلة النهضة العلمية وإظهار العلوم والفقه كان الطرف يقتضي أن يُظهر الإمامان الباقر والصادق عليهم السلام علمهما ويتصديا لبيان معارف الدين. وهكذا يمكن الوقوف على كل المراحل وحيثياتها لمعرفة خصوصيات كل إمام ووجه تجلي صفة دون أخرى في إمامته.

وليست الدعوى أن الإمام علي بن الحسين عليهم السلام كان أعبد أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن المرحلة اقتضت إظهاره العبادة، وأن ما كان يأتي به آباؤه من العبادة سرّاً صار لزاماً أن يأتي به علانية.

والذي يؤيد هذا المعنى ما ورد في عبادة أمير المؤمنين عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام، حيث جاء في الرواية عن سعيد بن كوثوم، قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأطراه ومدحه بما هو أهله، ثم قال: والله ما أكل علي بن أبي طالب من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قط هما الله رضا إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة قط إلا دعاه ثقة به، وما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنة والنار، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار، مما كد بيديه ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرايس إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم^(١) فقصه.

وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فاذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه وقد اصفر لونه من السهر، ورمضت^(٢) عيناه من البكاء، ودرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وقد ورمّت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، فقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له، فإذا هو يفكر، فالتفت إلي بعد هنيئة من دخولي، فقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام فأعطيته فقراً فيها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب^(٣).

وهذا يؤكد أن عبادة أمير المؤمنين لم تكن أقل من عبادة ولده الإمام زين العابدين عليه السلام وإنما اقتضى الظرف في زمن الإمام زين العابدين أن يظهر لعامة الناس عبادته وأن يجهر بها.

ويرجع ذلك إلى أمور: منها شِدَّةُ التقيَّة بعد واقعة الطف، وتعرُّضه عليه السلام للخطر ما لزم انزاله عن المجتمع وعدم مخالطة الناس؛ إبقاءً على نفسه وحفظاً لمقام الإمامة من التعرُّضِ بسوء، فكان الانشغال بالعبادة متوجِّهاً إذ لا يتيسر التصدي العلني لكثير من الوظائف المهمة التي قد تعرُّضه للخطر. ومن مقتضيات المهمة شيوع ظاهرة النسك والزهد الباطل، ما لزم التصدي العملي لهذا الانحراف بإظهار الطريق الصحيح للعبادة والزهد الذي حثَّ عليه الشارع، لا ما ابتدعه صوفية زمان الإمام السجاد عليه السلام ومشاهير النسك.

وهذه الجزئية هي محور البحث في مناقشة دور الإمام عليه السلام في التصديِّ لتصوفة عصره عليه السلام ^(٤) وإبطال بدعهم.

وفي دائرة تبعية المحدود لم أجد من تناول هذا الجانب من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام على محوريته وأهميته عند مطالعة سيرته العطرة صلوات الله عليه. وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر الأولية التي ترجمت للنسك والعباد مضافاً إلى بعض البحوث والدراسات العلمية المرتبطة بتاريخ التصوف الإسلامي.

هذا فضلاً عن الاعتماد على مصادرنا الحديثية وكتب السيرة، واعتمدت في تخريج المصادر على بحار الأنوار لقلَّة الاختلاف في طبعته مع الإشارة إلى المصدر الذي نقل عنه المجلسي رحمته الله ومتابعة اختلاف الألفاظ بين المروي في البحار والمصدر الأصلي.

ومن الله التوفيق...

المبحث الأول: طبيعة المرحلة

تكليف إلهي

الذي يظهر من الأخبار المتفرقة أن هذا الدور الذي قام به مولانا زين العابدين عليه السلام مكتوب له في مقادير الله عز وجل قبل ولادته، وكأن منظومة الأدوار المتفرقة للأئمة عليه السلام يجب أن تتكامل وأن يؤدي كل إمام دوره قبل انقضاء مدة إمامته، ليتكامل الموروث الشيعي من جميع الجهات؛ الفقهية والعقائدية والعبادية وغير ذلك، فلا تحين غيبة صاحب الأمر صلوات الله عليه إلا وموروث الشيعة متكامل فيسع الناس أن يقيموا دينهم وإمامهم غائب. عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر الغيبة، قال: إن غاب عن الناس شخصهم في حال هذنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون.^(٥)

والذي يؤكد أن هذا الدور كان تكليفاً إلهياً مقدراً للإمام زين العابدين عليه السلام عدة طوائف من الروايات:

الأولى: خبر الوصية التي نزلت من السماء على رسول الله ﷺ وفيها تكاليف الأئمة عليه السلام، وهي كما في الرواية عن الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل أنزل على نبيه كتاباً قبل أن يأتيه الموت، فقال: يا محمد هذا الكتاب وصيتك إلى النجيب من أهل بيتك.

فقال ﷺ: ومن النجيب من أهلي يا جبرئيل؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام. وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي ﷺ إلى علي عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منها ويعمل بما فيه، ففك عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن اخرج بقوم إلى الشهادة، فلا شهادة لهم إلا معك، واطر نفسك لله عز وجل، ففعل.

ثم دفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه: اصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، ففعل.

ثم دفعه إلى محمد بن علي عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه: حدث الناس وأفتهم، ولا تخافن إلا الله فإنه لا سبيل لأحد عليك.

ثم دفعه إلى ففككت خاتماً فوجدت فيه: حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك، وصدّق آبائك الصالحين، ولا تخافن أحداً إلا الله، وأنت في حرز وأمان، ففعلت.

ثم أدفعه إلى موسى بن جعفر، وكذلك يدفعه موسى إلى الذي من بعده، ثم كذلك أبداً إلى قيام المهدي عليه السلام.^(٦)

وموضع الشاهد من الخبر تكليف الإمام زين العابدين عليه السلام المنصوص عليه في الوصية بأن يعبد ربّه حتى يأتيه اليقين، أي أن الاشتغال بالعبادة كان تكليف الإمام صلوات الله عليه.

الثانية: حديث اللّوح، وهو من الأحاديث المعتمدة والمستفيضة، وحاصل خبره أن جابر الأنصاري رضي الله عنه دخل على الزهراء عليها السلام يهنئها بولادة الحسين عليه السلام فوجد عندها لوحاً أخضر أهداه الله إلى رسوله فيه اسم النبي صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده، وأهداه النبي إلى ابنته الزهراء عليها السلام ليسرها بذلك. وقد استنسخ جابر رضي الله عنه ما فيه، وكان مما فيه قول الله عز وجل مخبراً عن الأوصياء بعد النبي صلى الله عليه وآله: «... فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، والحجة البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب؛ أولهم عليّ سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبيه جده المحمود محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمي...»^(٧)

وموضع الشاهد من حديث اللوح إخبار الله عز وجل بكون الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) هو سيد العابدين، أي أن هذا الدور المكلف به الإمام السجاد (عليه السلام) كان أمراً مقدراً من الله عز وجل قبل ولادة الإمام (عليه السلام).

الثالثة: إخبارات النبي (صلى الله عليه وآله) بكون الإمام عليّ بن الحسين هو زين العابدين، وهي كثيرة جداً^(٨)، منها: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يخطر بين الصفوف»^(٩). وهذه الأخبار تؤكد على أن دور الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) كان محدداً قبل ولادته، وأن هذا التكليف الخاص كان منصباً عليه.

ظاهرة النّسّاك في القرن الأول

انتشرت ظاهرة النّسّاك في المجتمع الإسلامي في عهد الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وكانت عدة عوامل سبباً في انتشار هذه الظاهرة، أهمها واقعة الطف والظلم الذي لحق بذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم الظلم العام الذي ملأ الدولة الإسلامية ولحق بالضعاف، فضلاً عن المسخ العام للقيم الإسلامية الذي لحق بالدولة الإسلامية جرّاء الفتوحات وتزايد الترف في المجتمع المسلم وتفاقم حالة الطبقية، وتحول الإسلام من إسلام الفقراء والمضطهدين؛ عمار وبلال وأبي ذر وسلمان... إلى دين جبابرة قريش أبي سفيان وأهل بيته! وصارت الدولة من خلافة تحتذي حذو رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ملكية يتوارثها سلاطين بني أمية.

كل تلك الأمور جعلت الإسلام الذي ضحّى له المسلمون الأوائل بدمائهم وقدموا التضحيات الثمينة لأجله، والقيم السامية التي نادى بها النبي (صلى الله عليه وآله) منذ بداية البعثة من أن لا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض وأسود إلا بالتقوى جعلت هذا الإسلام يندثر بخذلان المسلمين وتأخيرهم لمن هو أولى بالخلافة. ولما زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين خسروا الخسران المبين، فأدرك التالون غبّ ما أسّس الأولون!

هذا كلّه خلق ردة فعل عامة في المجتمع الإسلامي، فأفرز ظاهرة زهد وتنسك ملأت الساحة الإسلامية، وصار جملة من رموز المجتمع عاكفين على العبادة نائين بأنفسهم عن كل شغل، فلا هم أتباع خليفة ولا أعداؤه! متفرغون للعبادة على كل حال، وهذه الظاهرة من الزهد والتنسك كانت البذرة الأولى لنشأة الصوفية.^(١٠)

وإن كان ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج يُرجع أصل التصوّف إلى أمير المؤمنين عليه السلام عاداً ذلك من فضائله^(١١) ولعل الوجه في رأيه ما ثبت من زهده عليه السلام وتقواه وعمله بما لا نظير له، وسرى ذلك في أصحابه حتى عُرفوا به كسلمان وأبي ذر والمقداد، وكميل وأويس القرني وميثم وغيرهم عليه السلام، ولكن الحق أن هذا الزهد والتقوى لا علاقة له بالتصوّف؛ لأنه محكوم بالسنن النبوية، وما أمر به الشارع المقدّس، والكلام عن الزهد المبتدع المخالف لذوق الشارع، الذي كان إفراراً للواقع المريع وردة فعل لأزمات الدولة الإسلامية التي خلقت اضطراباً في نفوس المسلمين وأشكالا مختلفة من الردة والانحراف للهروب من الواقع.

فالبذرة الأولى للتصوّف ظهرت في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام، والحق أنه لم يكن التصوّف كمذهب فعلي موجوداً في ذلك العصر وإنما كان زهداً غير منظم، لكن المتصوّفة يرجعون مذهبهم إلى نساك وزهاد تلك الحقبة الزمنية، أي أن التصوّف في صورته الأولى العشوائية من النسك والزهد على غير ما أمر به الشارع بدأ في تلك الفترة، ثم بدأ التصوّف المنظم والطرق المبتدعة في الدين بعد قرن من تلك الحقبة الزمنية.

والملاحظ أن الانحراف في نساك البصرة أوضح منه في نساك الكوفة، إذ يظهر في نساك الكوفة نوع استجابة وقبول للإمام زين العابدين عليه السلام واتباع الطريق الصحيح بمجرد معرفتهم الإمام عليه السلام، بل أوشكت حركة الزهد

الفاسد أن تندثر في الكوفة لتشيعها لأهل البيت (عليه السلام)، أما البصرة فبقيت معروفة بهذه الصورة، حتى قيل في المثل: فقه كوفي، وعبادة بصرية.

يقول ابن تيمية: إن أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية^(١٢) بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن البصري. وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، ولهذا كان يقال: فقه كوفي، وعبادة بصرية.^(١٣)

ومن الصور المنقولة في التاريخ التي توضح حال نساك البصرة في ذلك العصر وشيوع هذه الظاهرة ما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء: عن حصين بن القاسم الوزان، قال: كنا عند عبد الواحد بن زيد وهو يعظ، فناداه رجل من ناحية المسجد: كف عنا يا أبا عبيدة، فقد كشفت قناع قلبي. قال: فلم يلتفت عبد الواحد إلى ذلك ومر في الموعظة فلم يزل الرجل يقول: كف عنا يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد لا يقطع موعظته حتى والله حشرج الرجل حشرجة الموت ثم خرجت نفسه، ثم مات فقال: أنا والله شهدت جنازته يومئذ فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر باكياً من يومئذ.^(١٤)

وعن مسلم العباداني، قال: قدم علينا مرة صالح المري، وعبد الواحد بن زيد وعتبة الغلام وسلمة الأسواري فنزلوا على الساحل قال: فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه، فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا قائل يقول من بعض أولئك المطوعة وهو على ساحل البحر ماراً رافعاً صوته يقول:

وَتَلْهِيكَ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ مَطَاعِمٌ وَلَذَّةُ نَفْسٍ غِيْهَا غَيْرُ نَافِعٍ

قال: فصاح عتبة صيحة فسقط مغشياً عليه، وبكى القوم ورفعنا الطعام

وما ذاقوا منه والله لقمة واحدة.^(١٥)

وذكروا أن صالحًا المري كان يعقد له مجلس وعظ في البصرة، وأول ما يتدئ في مجلسه أن يقول: الحمد لله. فإذا أعين الناس قد سألت! (١٦)

وعن الحسن بن حسان قال: كنّا في مجلس صالح المري فأخذ في الدعاء فمر رجل مخنث فوقف يسمع الدعاء ووافق صالحاً يقول: اللهم اغفر لأقسانا قلباً، وأجمدنا عيناً، وأحدثنا بالذنوب عهداً، فسمع المخنث فمات فرئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر الله لي، قيل بماذا؟ قال: بدعاء صالح المري، لم يكن في القوم أحد أحدث عهداً بالمعصية منّي فوافقت دعوته الإجابة فغفر لي. (١٧)

والذي يظهر من هذه الحكايا ونحوها أن هناك ظاهرة مجالس للموعظة والزهد شاعت في المجتمع الإسلامي وتألفت في البصرة بشكل أكبر، حتى نسجت حولها الحكايا وبولغ في عرضها والترويج لحالات النساء، وكثيرٌ منها يُشك في صحة نسبتها إلى أصحابها، بل يظهر أن كثيراً من هذه الحالات كانت مشوبة بوساوس الشيطان، والرياء والتباهي، ومن ذلك ما يظهر من هذه الحادثة، وفيها تباهي عابد من عباد البصرة (صالح المري) مع عابد من عبّاد الكوفة (محمد بن صبيح بن السماك). إذ روي عن صالح المري، قال: قدم علينا ابن السماك مرة، فقال: أرني بعض عجائب عبادكم فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خُصٍّ^(١٨) له فاستأذنا عليه فدخلنا فإذا رجل يعمل خوصاً له فقرأت: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحُمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ فشقق الرجل شهقة فإذا هو قد يبس مغشياً عليه! فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، وذهبنا إلى آخر فاستأذنا عليه. فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا فدخلنا فإذا رجل جالس في مصلى له فقرأت: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾ فشقق شهقة فبدر الدم من منخره ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس!

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله حتى أدرته على ستة أنفُس كل نخرج من عنده وهو على هذه الحالة، ثم أتيت به السابع فاستأذنت فإذا امرأة له من وراء

الحُصَّ تقول: ادخلوا فدخلنا، فإذا شيخ فإن جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل
سلامنا فقلت بصوت عال: إن للحق غداً مقاماً، فقال الشيخ: بين يدي من ويحك؟
ثم بقي مبهوراً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصبح بصوت له ضعيف حتى انقطع. فقالت
امرأته: اخرجوا عنه فإنكم ليس تنتفعون به الساعة!

فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم، فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد
لحقوا بالله عز وجل، وأما الشيخ فإنه مكث عن ثلاثة أيام على حالته مبهوراً
متحيراً لا يؤدي فرضا، فلما كان بعد الثلاثة عقل.^(١٩)

ولا يبعد أن جملة من هذه الحوادث بولغ في عرضها ونسجت حولها
الأكاذيب، لكنها على كل حال كاشفة عن ظاهرة عامة شاعت في المجتمع
وحالات من الزهد والعبادة لم تكن معهودة في زمن الأولين، كإظهار الغشية
عند تلاوة القرآن والمبالغة في الانفعال.

قال ابن تيمية - فيما يحكى عن عبادة أهل البصرة -: ولهذا غالب ما يحكى من
المبالغة في هذا الباب إنما هو من عبادة البصرة، مثل حكاية من مات أو غشي عليه في
سماع القرآن ونحوه، كقصة زرارة بن إد قاضي البصرة، فإنه قرأ في صلاة الفجر:
﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ فخرّ ميتاً. وكقصة أبي جهير الأعمى الذي قرأ عليه صالح
المري فمات، وكذلك غيره ممن روى أنهم ماتوا باستماع قراءته، وكان فيهم طوائف
يصعقون عند سماع القرآن، ولم يكن من الصحابة من هذا حاله.^(٢٠)

وعن مثل هذه الظاهرة سأل جابر الجعفي إمامنا أبا جعفر الباقر عليه السلام،
قال: قلت: إن قومًا إذا ذكروا شيئًا من القرآن، أو حدثوا به صعق أحدهم،
حتى يرى أن أحدهم لو قطعت يده ورجلاه لم يشعر بذلك!
فقال عليه السلام: سبحان الله؛ ذاك من الشيطان، ما بهذا نعتوا، إنما هو اللين
والرقة والدمعة والوجل.^(٢١)

أعلام النسّاك في هذه المرحلة

قبل الإشارة إلى دور الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تقويم هذه الظاهرة لا بد من الوقوف على أبرز أعلام هذه الظاهرة في ذلك العصر كما ذكر تعريفهم في مصادر القوم:

١. سعيد بن المسيب (٩٥هـ)، أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي، كان من המתحنين، امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم، صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة، كانت لا تفوته صلاة الجماعة، وكان يقول: ما أذن مؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وصلى سعيد صلاة الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة. (٢٢)

٢. طاوس اليماني (١٠٥هـ)، المتفقه اليقظان والمتعبد المحسان أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان، أول الطبقة من أهل اليمن الذين قال فيهم النبي ﷺ: الإيمان يمان. (٢٣)

٣. ثابت البناني (١٢٣هـ)، ثابت بن أسلم أبو محمد البناني، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد البناني البصري، ولد: في خلافة معاوية. وكان من أئمة العلم والعمل، وقال ابن عدي: هو من تابعي أهل البصرة، وزهادهم، ومحدثيهم. وكان ثابت يقول: اللهم إن كنت أعطيت أحدا الصلاة في قبره، فأعطني الصلاة في قبري. وقال غالب القطان: عن بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه، فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه، ومن أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه، فلينظر إلى قتادة. (٢٤)

٤. أبو إسحاق السبيعي (١٢٧هـ)، عمرو بن عبد الله، من بني ذي محمد ابن السبيع الهمداني الكوفي، أبو إسحاق، من أعلام التابعين الثقات. كان شيخ الكوفة في عصره. أدرك عليا، وراه يخطب، وقال: رأيت أبيض

الرأس واللحية.^(٢٥) وكان كثير الصلاة يقوم الليل كله في الصيف، وفي الشتاء يقوم أوله وآخره وبينهما هجعة. ولما كبر سنه وضعف عن الصلاة كان لا يقوم لها حتى يُقام، فإذا أقاموه فاستتم قائماً قرأ ألف آية وهو قائم، وكان يقول: ذهبت الصلاة مني وضعفت ورق عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران.^(٢٦)

٥. مالك بن دينار (١٣١هـ)، مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: من رواة الحديث. كان ورعاً، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة.^(٢٧)

٦. أيوب السخيتاني (١٣١هـ)، أيوب بن أبي تيممة كيسان السخيتاني البصري، أبو بكر: سيد فقهاء عصره. تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثابتاً ثقة روي عنه نحو ٨٠٠ حديث.^(٢٨)

٧. رابعة العدوية (١٣٥هـ)، رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صاحبة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر: من كلامها: (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس، قال ابن خلكان: (وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى الطور).^(٢٩)

٨. أبو حمزة الثمالي: (١٥٠هـ)، ثابت بن دينار الثمالي الأزدي بالولاء، أبو حمزة: من رجال الحديث الثقات عند الإمامية. وروى عنه بعض أهل السنة. وهو من أهل الكوفة. قُتل ثلاثة من أولاده مع زيد بن علي بن الحسين. وكان الرضا (علي بن موسى) يقول: هو لقمان زمانه. وكان أبوه مولى للمهلب بن أبي صفرة. له كتاب في (تفسير القرآن) وكتاب (الزهد) وكتاب (النوادر).^(٣٠) وكان رحمته الله من زهاد الكوفة ومشايخها،^(٣١) وهو الذي علمه الإمام زين العابدين عليه السلام الدعاء المعروف.

٩. عبد الواحد بن زيد (بقي إلى ما بعد ١٥٠ هـ)، عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصري، الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري. وقال مسمع بن عاصم: شهدت عبد الواحد يعظ، فمات في المجلس أربعة. نصب نفسه للكلام في مذاهب النساء، وتبعه خلق، وقد كان ثابت البناني، ومالك بن دينار يعظان أيضاً، ولكنهما كانا من أهل السنة. وكان عبد الواحد صاحب فنون، داخلاً في معاني المحبة والخصوص، قد بقي عليه شيء من رؤية الاكتساب، وفي ذلك شيء من أصول أهل القدر، فإن عندهم لا نجاة إلا بعمل، فأما أهل السنة، فيحضون على الاجتهاد في العمل، وليس به النجاة وحده دون رحمة الله. (٣٢)

١٠. صالح المري (١٧٢ هـ): أبو بشر صالح بن بشير المري القاص الزاهد، الخاشع، واعظ أهل البصرة. قيل فيه: كان شديد الخوف من الله، كأنه ثكل إذا قص. وقيل: أنه: قاص، حسن الصوت، عامة أحاديثه منكرة، أتى من قلة معرفته بالأسانيد، وعندي أنه لا يعتمد. وقيل: لما سمعه سفيان الثوري، قال: ما هذا قاص، هذا نذير. وقال ابن الأعرابي: كان الغالب على صالح كثرة الذكر، والقراءة بالتحزين. وهو أول من قرأ بالبصرة بالتحزين، ويقال: مات جماعة سمعوا قراءته. (٣٣)

وغيرهم من النساء (٣٤) الذين وردت ترجمتهم في مصادر العامة ولا يسع المجال لاحتوائهم واستيفاء ذكرهم هنا؛ لكثرتهم، ولكن ستأتي الإشارة إلى بعضهم في مطاوي البحث.

ولا شك أن جملة من هؤلاء النساء والزهاد حين رأوا عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام اهتموا على يديه، حتى عرف بعضهم بصحبته للإمام لا بزهده، وأبرزهم أبو حمزة الثمالي عليه السلام.

كما لا يبعد أن يكون طاوس اليماني اهتدى كذلك على يد الإمام وهو الذي روى جملة من حالات الإمام العبادية، ومما يؤيد هدايته أنه روى قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقال أبو نعيم معلقاً على ذلك: غريب من حديث طاوس، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. (٣٥)

كما روي عن الرضا عليه السلام أن سعيداً بن المسيب كان على هذا الأمر. (٣٦) ويحتمل هداية غيرهم من نساء ذلك العصر، ولكن طبيعة تلك المرحلة وشدة التقية اقتضت كتمان عقيدة جملة من أصحاب الأئمة عليهم السلام، بل في فترة من الزمن اقتضى الأمر أن لا يعلن الإمام عليه السلام إمامته فكان ما يخرج منه في الباطن يخرج من عمته العقيلة زينب عليها السلام في الظاهر. (٣٧)

إننا نتحدث عن مرحلة حرجة بعد واقعة الطف، ارتد الناس فيها بعد قتل الحسين عليه السلام، ولم يكن في مكة والمدينة عشرون رجلاً يحبون أهل البيت عليهم السلام! (٣٨) وارتد الناس إلا نفر يسير، ثم إن الناس لحقوا وكثروا. (٣٩) وعلى ذلك يصعب الفرز الدقيق بين النساء من كان منهم على ضلال ثم اهتدى، لذا وقع الاختلاف في أبي إسحاق السبيعي مثلاً.

والحاصل أن في هذه المرحلة شاعت ظاهرة الزهد والتسك، فبرز فيها أعلام اشتهروا بهذه الخصلة، منهم من اهتدى وسلك الطريق المستقيم على يد الإمام زين العابدين عليه السلام، ومنهم من ظل يتدع في الدين ويعبد الله بهواه، حتى بذر البذور لتأسيس مذهب الصوفية، وهم اليوم يُعدّون الرواد الأوائل للمتصوفة.

الإمام عليه السلام سيد الساجدين

ومع انتشار هذه الظاهرة في ذلك العصر يتجلى واضحاً أن عليّ بن الحسين عليه السلام كان سيد العابدين، وأنه وعد رسول الله ﷺ ومعجزته في ذلك العصر، حيث أخبر أن ولداً من ذريته يأتي فيكون سيد العابدين والساجدين وزينهم، وهو سيدهم لا في عصره فحسب، بل سيد العابدين من الأولين والآخرين^(١)، وذاك أنه ينادى بهذا اللقب في ساحة المحشر فيتخطى صفوف الخلائق أجمع صلوات الله عليه. وقد روت الخاصة والعامة في عباداته وزهده الكثير من الأخبار، منها ما روي بسند معتبر عن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام:

«كان عليّ بن الحسين عليه السلام يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام؛ كانت له خمسمائة نخلة فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين. وكان إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عز وجل، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبداً.

ولقد صلى ذات يوم فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته؛ فسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال: ويحك أتدري بين يدي من كنت؟! إن العبد لا تقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه. فقال الرجل: هلكنّا! فقال عليه السلام: كلاً إن الله عز وجل متمم ذلك بالنوافل.

وكان عليه السلام ليخرج في اللييلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدرهم وربما حمل على ظهره الطعام أو الخطب حتى يأتي باباً باباً فيقرعه، ثم يناول من يخرج إليه وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً؛ لئلا يعرفه، فلما توفي عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان عليّ بن الحسين عليه السلام، ولما وضع عليه السلام على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين.

ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف^(٤١) خز فتعرض له سائل فتعلق بالمطرف فمضى وتركه. وكان يشتري الخز^(٤٢) في الشتاء وإذا جاء الصيف باعه فتصدق بثلثه. ولقد نظر ﷺ يوم عرفة إلى قوم يسألون الناس، فقال: ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم؟! إنه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبال أن يكون سعيدا.^(٤٣) ولقد كان ﷺ يأبى أن يؤاكل أمه^(٤٤)، ف قيل له يا ابن رسول الله أنت أبرّ الناس وأوصلهم للرحم فكيف لا تؤاكل أمك؟ فقال: إني أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه.

ولقد قال له رجل: يا ابن رسول الله، إني لأحبك في الله حباً شديداً، فقال ﷺ: اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض. ولقد حج على ناقة له عشرين حجة فما قرعها بسوط، فلما نفقت^(٤٥) أمر بدفنها؛ لئلا يأكلها السباع.^(٤٦)

ولقد سئلت عنه مولاة له، فقالت: أظن أو أختصر؟ ف قيل لها: بل اختصري، فقالت: ما أتيت به بطعام نهراً قط، وما فرشت له فراشاً بليل قط. ولقد انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم، فقال لهم: إن كنتم صادقين فغفر الله لي، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم.

وكان ﷺ إذا جاءه طالب علم فقال: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجليه على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبّحت له إلى الأرضين السابعة.

ولقد كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمى^(٤٧) والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان منهم له عيال حمل له إلى عياله من طعامه.

وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله، ولقد كان تسقط منه كل سنة سبع ثفنيات من مواضع سجوده لكثرة صلاته وكان يجمعها فلما مات دفنت معه.

ولقد بكى على أبيه الحسين عليه السلام عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: يا ابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً، فغيب الله عنه واحدا منهم فايضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟!»^(٤٨) تم الحديث.

وعن الباقر عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركه الريح منه.^(٤٩)

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام في الصلاة تغير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً.^(٥٠)

وعن أبان بن تغلب رحمه الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رأيت علي بن الحسين عليه السلام إذا قام في الصلاة غشي لونه لون آخر. فقال لي: والله إن علي بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه.^(٥١)

وقال فيه سعيد بن المسيب: هذا سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.^(٥٢) وقال: ما رأيت أروع منه.^(٥٣) وعن الزهري، قال: ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين.^(٥٤) وقال زيد بن أسلم: ما رأيت فيهم مثل علي بن الحسين. وقال قاضي المدينة وفتيها يحيى بن سعيد الأنصاري: كان -علي بن الحسين عليه السلام- أفضل هاشمي أدركته.^(٥٥)

وما قاله معاصروه من التابعين والفقهاء والنسك في وصف زهده وتقواه وعبادته وصدقاته أكثر من أن يحصى، ولكن تكفي في المقام الإشارة إلى هذا المقدار.

المبحث الثاني: التصدي العملي

قراءة القرآن

كانت في النّسّاك حالات خاصة عند تلاوة القرآن، منهم من تعثر به الغشية، ومنهم يرجع بصوته خلاف ما أمر به الشارع، وكأنّ النبي ﷺ أخبر بما سيكون في عهدهم، إذ قال ﷺ: «اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم.» (٥٦)

وقد كان للزهد تأثير برهبان النصارى وطرقهم في التنسك؛ لذا تسرت بعض عاداتهم وطرقهم وألحانهم إلى المسلمين. ومن شواهد ذلك ما روي في أحوال إبراهيم بن أدهم (٥٧) أنه قال: تعلمت المعرفة من راهب يقال له أبا سمعان؛ دخلت عليه في صومعته فقلت له: يا أبا سمعان، منذ كم أنت في صومعتك هذه؟ قال: منذ سبعين سنة! قلت: فما طعامك؟

قال: يا حنفي فما دعائك إلى هذا؟ قلت: أحببت أن أعلم. قال: في كل ليلة حمصة. قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيه هذه الحمصة؟ قال: ترى الدير بحذائك؟ قلت: نعم. قال: إنهم يأتوني في كل سنة يوماً واحداً، فيزينون صومعتي ويطوفون حواشيها ويعظموني بذلك، فكلما تناقلت نفسي عن العبادة، ذكّرتها تلك الساعة، وأنا احتمل جهد سنة لعزّ ساعة. فاحتمل يا حنفي جهد ساعة لعزّ الأبد. فوقر في قلبي المعرفة.

فقال: حسبك أو أزيدك؟ قلت: بلى. قال: انزل عن الصومعة، فنزلت، فأدلى لي ركة فيها عشرون حمصة، فقال لي: ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك. فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى، فقالوا: يا حنفي ما الذي أدلى إليك الشيخ؟ قلت: من قوته. قالوا: وما تصنع به؟ نحن أحق به! قالوا: ساوم. قلت: عشرين ديناراً! فأعطوني عشرين ديناراً.

فرجعت إلى الشيخ فقال: يا حنفي ما الذي صنعت؟ قلت: بعته.
قال: بكم؟ قلت: بعشرين دينارا! قال: أخطأت، لو ساومتهم عشرين ألفا
لأعطوك! هذا عز من لا يعبد فأنظر كيف يكون عز من يعبد يا حنفي
أقبل على ربك ودع الذهب والحيئة. ^(٥٨)

فهذا أحد كبار نساك ذلك العصر يتعلم الزهد من راهب نصراني، يأخذ
دينه عنه، ومنه يعلم أن جملة من سلوكيات النساك المسلمين تسرت إليهم من
النصارى بعد اتساع رقعة بلاد المسلمين واختلاطهم بالنصارى.

لذا فلا يبعد أن منشأ ترجيع الرهبانية للقرآن الذي أخبر به النبي ﷺ نشأ
بهذه الكيفية وأخذ النساك ألقائهم وأطوارهم عن رهبان عصرهم.

وعلى كل حال فقد حكوا حالات خاصة في تلاوة القرآن، وقيل إن أول من
قرأ في البصرة بالتحزين هو صالح المري، ومات جماعة ممن سمع قراءته! ^(٥٩)
وروى الحارث بن سعيد قال: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ:
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ فجعل مالك يتنفض وأهل المجلس يكون
ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، قال: فجعل مالك، والله، يبكي ويشهق حتى
غشي عليه فحمل بين القوم صريعا. ^(٦٠)

وقال عبد الله بن عيسى: دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على
وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر
النار فصاحت ثم سقطت. ^(٦١)

وقد تقدم كلام إمامنا الباقر عليه السلام في إبطال هذا السلوك المصطنع في التفاعل
مع آيات كتاب الله العزيز، حيث قال عليه السلام: «سبحان الله، ذاك من الشيطان، ما
بهذا نعتوا، إنما هو اللين والرقعة والدمعة والوجل». ^(٦٢)

وفي ظل شياع هذه الظاهرة المتكلفة تجد تلاوة إمامنا زين العابدين عليه السلام تختلف عن هذا النمط المتكلف. قال أبو عبد الله عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاؤون يمرّون فيقفون ببابه، يسمعون قراءته. وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً. (٦٣)

ورغم أن الرواية ذكرت حُسنَ صوت الإمامين السجاد والباقر عليه السلام إلا أنها أشارت إلى حالة الإمام السجاد عليه السلام دون الإمام الباقر عليه السلام، وكأن هذه الحالة متفرّعة على كبرى كلية بأن الإمام عليه السلام أكمل الناس وأحسنهم من جميع الجهات، غير أنه لا يظهر ذلك إلا إذا اقتضت المصلحة.

وكما ورد عن الصادق عليه السلام: ما بعث الله عز وجل نبياً إلا حسن الصوت (٦٤) والذي يؤيد هذا الأمر ما روي صريحاً في هذا الشأن عن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصوت عنده، فقال عليه السلام: «إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربما مر به المار فصعق من حسن صوته. وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه.» قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون.» (٦٥)

فمن صريح هذه الرواية يفهم أن الإمام زين العابدين عليه السلام دون سائر الأئمة عليهم السلام ظهرت منه هذه الحالة، أما النبي وسائر الأئمة من ذريته صلوات الله عليهم كانوا يحملون الناس بما يطيقون.

ووجه الخصوصية في ذلك إبطال زيف تلاوة نساك عصره وتكلف الغشية التي تظهر منهم، ليظهر للناس كيف يتلى القرآن وكيف يخشع عند تلاوته بما أمر الله عز وجل.

إجابة دعائه ﷺ

عقد المجلسي باباً في ذلك - وهذا العنوان مختلف عن عنوان المعاجز - ويظهر أن منشأ ذلك إبطال دعاوى المتصوّفة؛ وذلك أن من يجهد نفسه في العبادة لا بد له من قرينة تثبت قربه من الله وقبول أعماله، والقرينة هي إجابة الدعاء، وعدم استجابة دعاء نساك عصره دليل على وجود خلل في أدعيتهم، ومن تلك الروايات التي ينقلها المجلسي، عن ثابت البناني قال: كنت حاجباً وجماعة من عباد البصرة مثل: أيوب السختياني، وصالح المري وعتبة الغلام^(٦٦)، وحبيب الفارسي^(٦٧)، ومالك بن دينار، فلما أن دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلّة الغيث ففرع إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستسقي لهم.

فأتينا الكعبة وطفنا بها ثم سألنا الله خاضعين متضرّعين بها، فمنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل قد أكرّبه أحزانه، وأقلّفته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار، ويا ثابت البناني، ويا أيوب السختياني، ويا صالح المري، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسي، ويا سعد، ويا عمر، ويا صالح الأعمى، ويا رابعة، ويا سعدانة^(٦٨)، ويا جعفر بن سليمان^(٦٩).

فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى فقال: أما فيكم أحد يحبّه الرحمن؟! فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة.

فقال ﷺ: ابعدوا من الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه، ثم أتى الكعبة فخر ساجدا فسمعه يقول في سجوده: سيدي بحبك لي إلا سقيتهم الغيث. قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب، فقلت: يا فتى، من أين علمت أنه يحبك؟ قال ﷺ: لو لم يحبني لم يستزرنني! فلما استزرنني علمت أنه يحبني فسألته بحبه لي فأجابني. ثم ولى عنا وأنشأ يقول:

مَنْ عَرَفَ الرَّبَّ فَلَمْ تُغْنِهِ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ فَذَاكَ الشَّقِي
 مَا ضَرَّ فِي الطَّاعَةِ مَا نَالَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَاذَا لَقِيَ
 مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ بِغَيْرِ التَّقَى وَالْعِزُّ كُلُّ الْعِزِّ لِلْمُتَّقِي
 فقلت: يا أهل مكة من هذا الفتى؟ قالوا: علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب (عليه السلام). (٧٠)

ومما ورد في ذلك أيضاً ما رواه السيد ابن طاووس وابن شهر آشوب عن حماد بن حبيب العطار الكوفي، قال: خرجنا حجاً جافاً فرحلنا من زباله (٧١) ليلاً، فاستقبلتنا ريح سوداء مظلمة، فتقطعت القافلة، فتهت في تلك الصحاري والبراري فانتهيت إلى وادٍ قفر، فلما أن جنّ الليل أويت إلى شجرة عادية، فلما أن اختلط الظلام إذا أنا بشاب قد أقبل عليه أطمار بيض، تفوح منه رائحة المسك. فقلت في نفسي: هذا ولي من أولياء الله متى ما أحس بحركتي خشيت نفاذه وأن أمنعه عن كثير مما يريد فعالة، فأخفيت نفسي ما استطعت، فدنا إلى الموضع فتهيأ للصلاة، ثم وثب قائماً وهو يقول: يا من أحاز كل شيء ملكوتاً، وقهر كل شيء جبروتاً، أولج قلبي فرح الإقبال عليك، وألحقني بميدان المطيعين لك. قال: ثم دخل في الصلاة، فلما أن رأيته قد هدأت أعضاؤه، وسكنت حركاته، قمت إلى الموضع الذي تهيأ للصلاة فاذا بعين تفيض بهاء أبيض فتهيأت للصلاة، ثم قمت خلفه، فاذا أنا بمحراب كأنه مثل في ذلك الوقت، فرأيتة كلما مر بآية فيها ذكر الوعد والوعيد يرددها بأشجان الحنين. فلما أن تقشع الظلام، وثب قائماً وهو يقول: يا من قصده الطالبون فأصابوه مرشداً، وأمه الخائفون فوجدوه متفضلاً، ولجأ إليه العابدون فوجدوه نوالاً، متى راحة من نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد سواك بنيتة، إلهي قد تقشع الظلام ولم أقض من خدمتك وطراً، ولا من حاض مناجاتك مدراً (٧٢)، صلّ على محمد وآله، وافعل بي أولى الأمرين بك يا أرحم الراحمين.

فخفت أن يفوتني شخصه، وأن يخفى علي أثره فتعلقت به، فقلت له: بالذي أسقط عنك ملال التعب، ومنحك شدة شوق لذيذ الرعب^(٧٣) إلا ألحقتني منك جناح رحمة، وكنف^(٧٤) رقة، فإني ضال، وبغيتي^(٧٥) كل ما صنعت، ومناي كل ما نطقت.

فقال: لو صدق توكلك ما كنت ضالاً، ولكن اتبعني واقف أثري، فلما أن صار بجانب الشجرة أخذ بيدي فخیل إلي أن الأرض تمد من تحت قدمي، فلما انفجر عمود الصبح قال لي: أبشر فهذه مكة، قال: فسمعت الضجة ورأيت المحجة، فقلت: بالذي ترجوه يوم الآزفة ويوم الفاقة، من أنت؟ فقال لي: أما إذا أقسمت فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.^(٧٦) والمستفاد من هذه القضايا أن الإمام عليه السلام بصادق دعائه يبطل دعاوى الزهاد والمنحرفين من النساء، وما يذاع في أوساطهم من كرامات وخرافات لا أصل لها.

وقد روى صالح المري -المذكور في الرواية-، قال: سمعت الحسن، يحدث عن أنس، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: أربع خصال: واحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين عبادي، وواحدة لي، وواحدة لك. فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك علي فما عملت من خير جزيتك به، وأما التي بيني وبينك فممنك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين عبادي ترضى لهم ما ترضى لنفسك.^(٧٧)

فكانه إذا لم يستجب دعاء لجأ إلى مثل هذه الأحاديث وبرر بأن عليه الدعاء وعلى الله الإجابة، فإذا لم يشهده أحد زعم استجابة الدعاء وظهور الآيات! قال صالح المري: أصاب أهلي ریح الفالج فقرأت عليها القرآن ففاقت فحدثت به غالباً القطان فقال: وما تعجب من ذلك والله لو أنك حدثني أن ميتاً قرئ عليه القرآن فحيي ما كان ذلك عندي عجباً.^(٧٨)

إن هذه الدعاوى وهذا النسك والعبادة كلها تصير زبداً لا أثر لها إذا حضر زين العابدين صلوات الله عليه، كموسى بن عمران يبطل سحر السحرة! ومن هنا يُعلم فضل أصحابه ومن أخذ عنه على سائر العباد والزهاد. قال طاوس اليماني: دخلت الحجر في الليل فاذا عليّ بن الحسين عليه السلام قد دخل فقام يصليّ. فصلّى ما شاء الله ثم سجد.

قال: فقلت: رجل صالح من أهل بيت الخير لأستمعن إلى دعائه، فسمعتة يقول في سجوده: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك. قال طاوس: فما دعوت بهن في كرب إلا فرج عني. ^(٧٩) وهذا طاوس يذكر أثر دعوات الإمام عليه السلام في تفريج الكرب، ومثل ذلك ما يرويه أبو حمزة الثمالي؛ قال: انكسرت يد ابني مرة فأتيت به يحيى بن عبد الله المجر، فنظر إليه فقال: أرى كسرا قبيحا ثم صعد غرفته ليحيى بعصابة ورفادة، فذكرت في ساعتى تلك دعاء عليّ بن الحسين زيد العابدين عليه السلام فأخذت يد ابني فقرأت عليه ومسحت الكسر، فاستوى الكسر بإذن الله تعالى. فنزل يحيى بن عبد الله فلم ير شيئا! فقال: ناولني اليد الأخرى فلم ير كسرا! فقال: سبحان الله أليس عهدي به كسرا قبيحا فما هذا؟ أما إنه ليس بعجب من سحركم معاشر الشيعة! فقلت: ثكلتك أمك ليس هذا سحر بل إني ذكرت دعاء سمعته من مولاي عليّ بن الحسين عليه السلام فدعوت به، فقال: علمنيه! فقلت: أبعد ما سمعت ما قلت؟! لا ولا نعمة عين لست من أهله! قال حمران بن أعين: فقلت لأبي حمزة: نشدتك بالله إلا ما أوردتناه. فقال: سبحان الله ما ذكرت ما قلت إلا وأنا أفيدكم اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم يا حي قبل كل حي... الدعاء. ^(٨٠)

مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام

لقد عرف عن الزهاد في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام مناجيات كثيرة انتشرت وحفظت وشاعت ودوّنت، غير أن القارئ لو أراد المقارنة لعلم أن لغة المعصوم وأدب الخطاب مع الله لا تقاس بسائر الناس، وهذا مما يدل على أن الطريق إلى الله عز وجل لا يكون إلا عن طريق أهل هذا البيت صلوات الله عليهم.

هناك أسلوب عام متكرر في أكثر أدعية أهل البيت عليه السلام في خطابهم مع الله عز وجل، وهناك أساليب أخرى كثيرة تظهر لأسباب خاصة؛ ولذا لا بد من التأمل في خصوصيات بعض أدعية أمير المؤمنين عليه السلام لفهم أسباب التعمق في توظيف أدوات البلاغة في دعاء الصباح والأدعية الواردة في النهج، أو التأمل في ما ورد من أدعية الأنبياء السابقين عن الصادق عليه السلام ما يثبت أن مواريث الأنبياء كانت عنده عليه السلام لا عند غيره من العلويين.

ومن الأساليب الخاصة أسلوب المناجيات الواردة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، قد تكون بعض المصطلحات بدوًا غير معهودة في أدعية أهل البيت عليه السلام، لكن بالتأمل تجدها موجودة في جملة من الأدعية كدعاء كميل: (أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ وَبَعْدَمَا انطَوَى عَلَيْهِ قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ، وَلَهَجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ، وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرَافِي وَدُعَائِي خَاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ، هِيَ هَاتِ أَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ، أَوْ تُبَعِدَ مَنْ أَدَيْتَهُ، أَوْ تُسَرِّدَ مَنْ أَوَيْتَهُ، أَوْ تَسْلَمَ إِلَى الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ) و(يا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ)، و(وَاجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهْجاً، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتِمّاً).

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: (إِلَهِي لَوْ قَرَنْتَنِي بِالْأَصْفَادِ، وَمَنْعَتَنِي سَيْبِكَ مِنْ بَيْنِ الْأَشْهَادِ، وَدَكَلْتَ عَلَى فُضَائِحِي عُيُونَ الْعِبَادِ، وَأَمَرْتَ بِي إِلَى النَّارِ، وَحَلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَبْرَارِ، مَا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْكَ، وَمَا صَرَفْتُ تَأْمِيلِي



لِلْعَفْوِ عَنْكَ، وَلَا خَرَجَ حُبِّكَ مِنْ قَلْبِي)، و(مَعْرِفَتِي يَا مَوْلَايَ ذَلِيلِي عَلَيْكَ وَحُبِّي لَكَ شَفِيعِي إِلَيْكَ)، و(يَا حَبِيبَ مَنْ تَحَبَّبَ إِلَيْكَ)، و(وَلَيْنَ أَذْخَلْتَنِي النَّارَ لِأُخْبِرَنَّ أَهْلَ النَّارِ بِحُبِّي لَكَ).

وروى ثقة الإسلام الكليني رحمته الله عن علي بن إبراهيم رحمته الله، عن أبيه رحمته الله، عن ابن أبي عمير رحمته الله، عن محمد بن أبي حمزة رحمته الله، عن أبيه رحمته الله قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام في فناء الكعبة في الليل وهو يصلي فأطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمنى ومرة على رجله اليسرى ثم سمعته يقول بصوت كأنه باك: «يا سيدي، تعذبنني وحبك في قلبي! أما وعزتك لئن فعلت لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك.» ^(٨١)

وغيرها من شواهد للوهلة الأولى قد يُتوهم أنها من لغة المتصوفة، والحال أن سوي العقل لا يجرؤ على نفي نسبة دعاء كميل وأبي حمزة الشامي إلى أهل البيت عليهم السلام رغم وجود هذه العبائر فيها.

والحق أن هذا الخطاب إن كان ممن يحسن الخطاب مع الله عز وجل كان في أبهى صوره وأكملها وفي أحسن مواضعها، وإن لم يكن ممن يحسن ذلك كان في أقبح صوره وأسوئها أدباً.

وقد ورد عن يحيى الكاهلي رحمته الله أنه قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء: (الحمد لله منتهى علمه)، فكتب إلي: «لا تقولن (منتهى علمه) فليس لعلمه منتهى، ولكن قل منتهى رضاه.» ^(٨٢)

والرواية - وإن فهم منها للوهلة الأولى النهي عن استخدام هذا التركيب (منتهى علمه) - إلا أنها في الحقيقة تنهى عن استخدامه استخداماً خاطئاً كما فعل الراوي إذ وضعه في غير موضعه الصحيح، ولا تنهى عن أصل عن الاستخدام، وإلا فإن الإشكال العقائدي يرد على كل ما فيه ذكر لرضا الله وغضبه جل وعلا فإنه جل وعلا منزّه عن طرو الرضا والغضب ونحو ذلك

من حالات تعتري الخلق، وإنما يصح نسبتها إليه جل وعلا بالتأويل، وأن يؤتى بها في مواردنا المناسبة لأدب الخطاب معه عز وجل.

وقد روى ابن قولويه رحمته في كامل الزيارات عن الصادق عليه السلام في إحدى زيارات سيد الشهداء عليه السلام أن يقول الزائر في ضمن آداب الزيارة قبل الدخول إلى الحرم الشريف: (لا إله إلا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله مع علمه منتهى علمه، والحمد لله في علمه منتهى علمه، والحمد لله بعد علمه منتهى علمه، والحمد لله مع علمه منتهى علمه، سبحان الله في علمه منتهى علمه، وسبحان الله بعد علمه منتهى علمه، وسبحان الله مع علمه منتهى علمه، والحمد لله بجميع محامده على جميع نعمه ولا إله إلا الله والله أكبر...^(٨٣))

قال العلامة المجلسي رحمته:

قوله عليه السلام: (في علمه منتهى علمه) أي أهله تهليلاً كائناً في علمه، أي كما يعلمه الله وينبغي له بعدد منتهى علمه، أي ما لا نهاية له. قوله: (بعد علمه) أي تهليلاً محققاً ثابتاً يكون بعد علمه بصدوره مني. قوله: (مع علمه) أي تهليلاً باقياً مع علمه أزلاً وأبداً، ويكون في كل آن عدد منتهى علمه، وكذا البواقي...^(٨٤)

ولما جاءت العبارة في موضعها مناسبة لمعاني الدعاء حسن أن تكون في الخطاب مع الله عز وجل، وأما إذا جيئت في غير مواضعها قبحت. وأنّى لكل قارئ أو خاشع أن يحسن خطابه مع الله عز وجل ويعرف حدود أدبه؟ وهل ثمة طريق غير طريق أهل بيت العصمة والطهارة؟

ومما ورد في مناجيات زهاد ذلك العصر:

* صالح المري: كان يقول في دعائه: (اللهم إني أسألك خوفاً غير ناهض ولا قاطع، خوفاً عاجزاً عن معصيتك مقوياً على طاعتك وأسألك صبراً على طاعتك وصبراً عن معصيتك)^(٨٥)



* مالك بن دينار: كان من دعائه: (أنت أصلحت الصالحين، فاجعلنا صالحين، حتى نكون صالحين)^(٨٦)

* مطرف بن عبد الله الشخير: كان من دعائه: (اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت إليه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أوف به، وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي فيه ما قد علمت)^(٨٧)

* عن مالك بن دينار، قال: بينا أنا أطوف ذات ليلة، إذا أنا بجويرة صغيرة تطوف بالبيت، وهي تقول: (يا رب كم من شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعاتها، يا رب أما كان لك عقوبة وأدب إلا بالنار؟!)، قال مالك: فلم يزل ذلك حالها حتى طلع الفجر. قال مالك: ثم وضعت يدي على رأسي فقلت: ثكلتك أمك يا مالك، جويرة صغيرة غلبتك منذ الليلة.^(٨٨)

وغيرها الكثير من الأدعية الواردة عن نساك ذلك العصر، وهذا نتاج من يفترض أن يكونوا قدوة الزهاد والعباد في عصرهم، وهي في أحسن أحوالها ضعيفة السبك لا تناسب أدب الخطاب مع الله عز وجل، فضلا عن وجود خلل في معاني بعض تلك الأدعية، وقد تصاغر مالك بن دينار أمام جويرة تخاطب ربها بهذا الخطاب: (يا رب أما كان لك عقوبة وأدب إلا بالنار)؟!

ومن هنا يمكن التوقف عند مناجيات وأدعية مولانا زين العابدين عليه السلام وتأثيرها في المجتمع. وليس الكلام في الصحيفة السجادية فإنها كانت سرًا من أسرارهم عليه السلام ولم تكن لتذاع لكل أحد، وإنما الكلام في أدعيته العامة التي كانت بمحضر ومرأى من الناس، وما لها من آثار في استدراج قلوب النساء والعباد وتصحيح المسار، فإن الشرع لم ينه عن الزهد والانشغال بالعبادة ومناجاة الباري عز وجل في الخلوات بل حث على ذلك، وإنما نهى عن السلوكيات المبتدعة، أو الدعاء بما لا يناسب الأدب معه جل وعلا.

وأشهر ما يناسب المقام ما عرف بالمناجاة الخمسة عشر، رواها المجلسي رحمه الله في البحار عن بعض كتب الأصحاب^(٨٩)، وذكرها الحر العاملي رحمه الله في الصحيفة السجادية الثانية التي جمع فيها ما وصل إليه من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام مما خرج من الصحيفة الكاملة^(٩٠)، وقال الشيخ محمد تقي المجلسي رحمه الله: وروي عن سيد الساجدين عليه السلام خمس عشر مناجاة ينبغي للسالك أن يداوم عليها، وهي مشهورة بين الناس.^(٩١)

وقد أشار علماءنا إلى اعتبار هذه المناجاة، وصرح السيد محمد سعيد الحكيم قدس سره بأنها عالية المضامين رفيعة المستوى بنحو يطمئن بصدورها^(٩٢)، وذكر السيد الخوئي قدس سره والميرزا التبريزي قدس سره في صراط النجاة صحة الإتيان بها بقصد الورود^(٩٣).

لذا لابد من إيراد بعض عبائرها والتأمل في حسناتها، ومنه يعرف القارئ الفارق في أدب الخطاب مع الله عز وجل، بين ما ورد عن زين العابدين عليه السلام وبين ما ورد عن نساك عصره. وهي:

* مناجاة التائبين: (إِلَهِي الْبَسْتَنِي الْخَطَايَا ثَوْبَ مَذَلَّتِي وَجَلَّلْنِي التَّابَعُدُ مِنْكَ لِبَاسَ مَسْكَتِي وَأَمَاتْ قَلْبِي عَظِيمَ جِنَائِي فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي وَبُغْيَتِي وَيَا سُؤْلِي وَمُنِيَّتِي، فَوَعِزَّتِكَ مَا أَجِدُ لِذُنُوبِي سِوَاكَ غَافِرًا وَلَا أَرَى لِكُسْرِي غَيْرَكَ جَابِرًا...)

* مناجاة الشاكين: (إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسُّوءِ أَمَّارَةً وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً وَبِمَعَاصِيكَ مُوَلَّعَةً وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ كَثِيرَةِ الْعِلَلِ طَوِيلَةِ الْأَمَلِ إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجَزَّعُ وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ...)

* مناجاة الخائفين: (إِلَهِي أَتُرَاكَ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي أَمْ بَعْدَ حُبِّي إِيَّاكَ تُبْعِدُنِي أَمْ مَعَ رَجَائِي لِرَحْمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرِمُنِي أَمْ مَعَ اسْتِجَارَتِي

بِعَفْوِكَ تُسَلِّمُنِي؟ حَاشَا لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُخَيِّسَنِي! لَيْتَ شِعْرِي
الْشَّقَاءَ وَلَدَتْنِي أُمِّي أَمْ لِلْعَنَاءِ رَبَّتْنِي؟..)

* مناجاة الراجين: (يا مَنْ إِذَا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ وَإِذَا أَمَّلَ مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ
مُنَاهُ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَبَهُ وَأَذْنَاهُ وَإِذَا جَاهَرَهُ بِالْعَصِيَانِ سَتَرَ عَلَى ذَنْبِهِ
وَعَطَّاهُ وَإِذَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَّاهُ، إِلَهِي مَنْ الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِسًا
قِرَاكَ فَمَا قَرَيْتَهُ وَمَنْ الَّذِي أَنَاخَ بِبَابِكَ مُرْتَجِيًا نَدَاكَ فَمَا أَوْلَيْتَهُ...)

* مناجاة الراغبين: (إِلَهِي إِنْ كَانَ قَلَّ زَادِي فِي الْمَسِيرِ إِلَيْكَ فَلَقَدْ حَسُنَ
ظَنِّي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَخَافَنِي مِنْ عُقُوبَتِكَ فَإِنَّ
رَجَائِي قَدْ أَشْعَرَنِي بِالْأَمْنِ مِنْ نَقَمَتِكَ، وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي قَدْ عَرَّضَنِي
لِعِقَابِكَ فَقَدْ أَذْنَنِي حُسْنُ ثِقَتِي بِثَوَابِكَ...)

* مناجاة الشاكرين: (إِلَهِي أَذْهَلَنِي عَنْ إِقَامَةِ شُكْرِكَ تَتَابُعُ طَوْلِكَ
وَأَعْجَزَنِي عَنْ إِحْصَاءِ ثَنَائِكَ فَيُضْ فَضْلِكَ وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مُحَمَّدِكَ
تَرَادُّفُ عَوَائِدِكَ وَأَعْيَانِي عَنْ نَشْرِ عَوَارِفِكَ تَوَالِي أَيَادِيكَ، وَهَذَا مَقَامُ
مَنْ اعْتَرَفَ بِسُبُوحِ النِّعَمَاءِ وَقَابَلَهَا بِالتَّقْصِيرِ...)

* مناجاة المطيعين لله: (اللَّهُمَّ أَهْمْنَا طَاعَتَكَ وَجَنَّبْنَا مَعْصِيَتَكَ وَيَسِّرْ لَنَا
بُلُوغَ مَا نَتَمَنَّى مِنْ ابْتِغَاءِ رِضْوَانِكَ وَأَحْلِلْنَا بُحْبُوحَةَ جَنَانِكَ وَاقْشَعِ
عَنْ بَصَائِرِنَا سَحَابَ الْارْتِيَابِ وَاكْشِفْ عَنْ قُلُوبِنَا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ
وَالْحِجَابِ وَأَزْهِقِ الْبَاطِلَ عَنْ صَمَائِرِنَا وَأَثْبِتِ الْحَقَّ فِي سَرَائِرِنَا...)

* مناجاة المريدين: (سُبْحَانَكَ مَا أَضْيَقَ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ
وَمَا أَوْضَحَ الْحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ، إِلَهِي فَاسْلُكْ بِنَا سُبُلَ
الْوُصُولِ إِلَيْكَ وَسَيِّرْنَا فِي أَقْرَبِ الطَّرِيقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ وَقَرِّبْ عَلَيْنَا
الْبَعِيدَ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ...)

* مناجاة المحبين: (إلهي مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلًا وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنَسَ بِقُرْبِكَ فَأَبْتَغَى عَنْكَ حَوْلًا، إلهي فَاجْعَلْنَا بِمَنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوَلَايَتِكَ وَأَخْلَصْتَهُ لِرِوَدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ وَشَوْقَتَهُ إِلَى لِقَائِكَ وَرَضَّيْتَهُ بِقَضَائِكَ وَمَنْحَتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَحَبَوْتَهُ بِرِضَاكَ...)

* مناجاة المتوسلين: (إلهي لَيْسَ لِي وَسِيلَةٌ إِلَيْكَ إِلَّا عَوَاطِفُ رَأْفَتِكَ وَلَا لِي ذَرِيعَةٌ إِلَيْكَ إِلَّا عَوَارِفُ رَحْمَتِكَ وَشَفَاعَةُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَمُنْقِذِ الْأُمَّةِ مِنَ الْعُثْمَةِ، فَاجْعَلْهُمَا لِي سَبَبًا إِلَى نَيْلِ غُفْرَانِكَ وَصَيْرْهُمَا لِي وَصْلَةً إِلَى الْفَوْزِ بِرِضْوَانِكَ...)

* مناجاة المفتقرين: (إلهي كَسْرِي لَا يَجْبُرُهُ إِلَّا لُطْفُكَ وَحَنَانُكَ، وَفَقْرِي لَا يُغْنِيهِ إِلَّا عَطْفُكَ وَإِحْسَانُكَ، وَرَوْعَتِي لَا يُسَكِّنُهَا إِلَّا أَمَانُكَ، وَذَلَّتِي لَا يُعِزُّهَا إِلَّا سُلْطَانُكَ، وَأُمْنِيَّتِي لَا يُبَلِّغُنِيهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَخَلَّتِي لَا يُسَدِّهَا إِلَّا طَوْلُكَ، وَحَاجَّتِي لَا يَقْضِيهَا غَيْرُكَ...)

* مناجاة العارفين: (إلهي قَصُرَتِ الْأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنَائِكَ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِكَ وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ جَمَالِكَ وَانْحَسَرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبْحَاتِ وَجْهِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ...)

* مناجاة الذاكرين: (إلهي لَوْ لَا الْوَاجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ عَنْ ذِكْرِي إِيَّاكَ عَلَى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقُدْرِي لَا بِقُدْرِكَ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدَارِي حَتَّى أَجْعَلَ مُحَلًّا لِتَقْدِيرِكَ وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنَا جَرِيَانُ ذِكْرِكَ عَلَى أَلْسِنَتِنَا وَإِذْنُكَ لَنَا بِدُعَائِكَ وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِكَ...)

* مناجاة المعتصمين: (اللَّهُمَّ يَا مَلَاذَ اللَّائِذِينَ وَيَا مَعَاذَ الْعَائِذِينَ وَيَا مُنْجِيَ الْهَالِكِينَ وَيَا عَاصِمَ الْبَائِسِينَ وَيَا رَاحِمَ الْمَسَاكِينِ وَيَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّينَ وَيَا كَنْزَ الْمُفْتَقرِينَ وَيَا جَابِرَ الْمُتَكْسِرِينَ وَيَا مَأْوَى الْمُتَقَطِّعِينَ

وَيَا نَاصِرَ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَيَا مُجِيرَ الْخَائِفِينَ وَيَا مُغِيثَ الْمَكْرُوبِينَ وَيَا
حِصْنَ اللَّاجِئِينَ، إِنَّ لَمْ أَعُدْ بِعِزَّتِكَ فِيمَنْ أَعُوذُ...)

* مناجاة الزاهدين: (إِلَهِي أَسْكَنْتُنَا دَاراً حَفَرَتْ لَنَا حُفَرَ مَكْرِهَا وَعَلَقَتْنا
بِأَيْدِي الْمَنَايَا فِي حَبَائِلِ غَدْرِهَا فَالَيْكَ نَلْتَجِي مِنْ مَكَائِدِ خُدْعِهَا وَبِكَ
نَعْتَصِمُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِزَخَارِفِ زِينَتِهَا فَإِنَّهَا الْمُهْلِكَةُ طُلَّابَهَا الْمُتْلِفَةُ
حُلَّالَهَا الْمُحْشَوَّةُ بِالْآفَاتِ الْمُشْحُونَةُ بِالنَّكَبَاتِ..)(٩٤)

وبأدنى تأمل يتضح الفرق في لغة الخطاب مع الله عز وجل والقدرة على
المناجاة بكامل الأدب، وشتان بين ما ورد في مناجاة المتوسلين من توسله عليه السلام
بالنبي الأكرم عليه السلام، وبين ما ورد من كلمات زهاد عصره كرابعة العدوية، حيث
قيل لها: كيف حبك لرسول الله عليه السلام، فقالت: إني لأحبه، ولكن شغلني حب
الخالق عن حب المخلوقين! (٩٥)

هذه الزاهدة العابدة التي كان من حالاتها أنها تصلي الليل كله فإذا طلع
الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر. تقول خادمتهما:
فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم
تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة
يوم النشور. قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت. (٩٦)

فهذه المنشغلة بالعبادة طول دهرها لا تعلم أن الطريق الصحيح لذلك
هو التوسل برسول الله عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءُواكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾، فأى
عبادة عسى تنفع من لا يأتي البيوت من أبوابها؟! وما فرق ذلك عن إبليس
الرجيم الذي أبى السجود لآم استكباراً، وقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني
من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها! (٩٧)



وقس على ذلك بقية كلمات الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مناجياته مع سائر كلمات النساء. ومن لطيف ما روي في مناجاة الإمام ما حكاه طاوس اليماني، قال: رأيته يطوف من العشاء إلى سحر ويتعبد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه، وقال: «إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد (صلى الله عليه وآله) في عرصات القيامة. ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفة، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به علي، فالآن من عذابك من يتسقذني؟ وبجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفين جوزوا، وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟ وبلي كلما طال عمري كثرت خطايي ولم أتب، أما أن لي أن أستحي من ربي؟!

ثم بكى وأنشأ يقول:

أُحْرِقْنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى فَأَيْنَ رَجَائِي ثُمَّ أَيْنَ مَحَبَّتِي
أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبَاحٍ زَرِيَّةٍ وَمَا فِي الْوَرَى خَلْقٌ جَنَى كَجِنَايَتِي
ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعص تتوود إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم. ثم خرَّ إلى الأرض ساجداً.

قال: فدنوت منه وثلت برأسه ووضعت على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده، فاستوى جالسا، وقال: «من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟» فقلت: أنا طاوس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون؟ أبوك الحسين بن عليٍّ وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! قال: فالتفت إلي وقال: «هيهات هيهات، يا طاوس دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان

ولداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ والله لا ينفعك غداً إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح.» (٩٨)

وفي هذا الباب شواهد كثيرة في مناجيات الإمام، وندبه بالنثر والشعر كما كان رائجاً في عصره ولكن بأحسن سبك وأبلغ خطاب، فإن ما كان يصدر من الإمام عليه السلام كان لائقاً بالخطاب مع الله عز وجل، لا كقولهم:

أحبك حين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا!
والذي يظهر أن هذا النمط من الخطاب كان سبباً في انقطاع جملة من زهاد عصره إليه كطاوس اليماني وأبي حمزة الثمالي.

ذكر حسن بن الحسين بن طحال المقدادي رضي الله عنه أن زين العابدين عليه السلام ورد إلى الكوفة ودخل مسجدها وبه أبو حمزة الثمالي وكان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها فصلى ركعتين. قال أبو حمزة: فما سمعت أطيب من لهجته، فدنوت لأسمع ما يقول، فسمعته يقول: إلهي إن كان قد عصيتك فإني قد أعطتك في أحب الأشياء إليك الإقرار بوحدانيتك منّا منك عليّ لا منّا مني عليك.. والدعاء معروف. ثم نهض، قال أبو حمزة: فتبعته إلى مناخ الكوفة فوجدت عبداً أسود معه نجيب وناقة، فقلت: يا أسود من الرجل؟ فقال: أو تخفى عليك شمائله؟ هو عليّ بن الحسين، قال أبو حمزة: فأكبت على قدميه أقبلهما فرفع رأسي بيده وقال: لا يا أبا حمزة إنما يكون السجود لله عز وجل، فقلت: يا ابن رسول الله ما أقدمك إلينا؟ قال: ما رأيت، ولو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولو جواً! هل لك أن تزور معي قبر جدي عليّ بن أبي طالب؟ قلت: أجل فسرت في ظل ناقته يحدثني حتى أتينا الغريين وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً، فنزل عن ناقته ومرغ خديه عليها وقال: يا أبا حمزة هذا قبر جدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم زاره بزيارة أولها: السلام على اسم الله الرضي، ونور وجهه المضي، ثم ودعه ومضى إلى المدينة ورجعت أنا إلى الكوفة... (٩٩)

وفي رواية الكافي كان ذلك أول ما عرف أبو حمزة عليه السلام علي بن الحسين عليه السلام ^(١٠٠)، وهو ما يمكن استظهاره من رواية فرحة الغري المتقدمة أيضاً. والواضح من الرواية أن أبا حمزة بمجرد ما رأى حال الإمام عليه السلام وخشوعه وطيب لهجته انصرف عن كل شغل وانشغل بالنظر إلى الإمام، ثم ترك شؤونه وتبع الإمام لينظر حاله ويتبعه.

إن هذه العبادة وهذا الدعاء والمناجاة وطيب اللهجة على مرأى ومسمع من عامة الناس كفيلة بكشف زيف ما يصدر من غيره من النساك.

اليأس والقنوط عند الزهاد

من الظواهر التي شاعت عند زهاد ذلك العصر في مواقفهم ومواعظهم إشاعة حالة القنوط واليأس من روح الله، وذاك أن عبادتهم وزهدهم لم تكن على طريق صحيح. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: يبعث الله المقنطين يوم القيامة مغلبة وجوههم - يعني غلبة السواد على البياض - فيقال لهم: هؤلاء المقنطون من رحمة الله. ^(١٠١)

ومن ذلك أن الزهري كان عاملاً لبنى أمية فعاقب رجلاً فمات الرجل في العقوبة، فخرج هائماً وتوحش ودخل إلى غار، فطال مقامه تسع سنين. قال: وحج علي بن الحسين عليه السلام فأتاه الزهري فقال له علي بن الحسين عليه السلام: إني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك، فقال له: فرجت عني يا سيدي! الله أعلم حيث يجعل رسالاته ورجع إلى بيته. ^(١٠٢) وفي الطبقات الكبرى أن الزهري كان قد ترك أهله لذلك وضرب فسطاطاً وقال: لا يظلني سقف بيت! فلما أرشده الإمام زين العابدين عليه السلام إلى طريق التوبة عاد إلى حياته، وكان يقول: علي بن حسن أعظم الناس علياً منته. ^(١٠٣)

ومما يروى في دور الإمام عليه السلام في مسألة تقنين الزهاد من رحمة الله ما روي أن زين العابدين عليه السلام مر بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى، فوقف عليه، ثم قال: أمسك، أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله للموت إذا نزل بك غدا؟ قال: لا قال: أفتحدث نفسك بالتحول والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟ قال: فأطرق مليا، ثم قال: إني أقول ذلك بلا حقيقة. قال: أفترجو نبيا بعد محمد ﷺ يكون لك معه سابقة؟ قال: لا، قال: أفترجو دارا غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟ قال: لا، قال: أفرأيت أحدا به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا، إنك على حال لا ترضاها ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة ولا ترجو نبيا بعد محمد ﷺ ولا دارا غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس؟ قال: فلما ولى عليه السلام قال الحسن البصري: من هذا؟ قالوا: علي بن الحسين قال: أهل بيت علم، فما رأي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس. (١٠٤)

والظاهر أن الزهاد في ذلك العصر لم يكونوا على دراية ومعرفة بأبسط المفاهيم الأخلاقية الإسلامية، فلا يعرفون حدود الخشية من الله، والفارق بينها وبين القنوط واليأس من روح الله الذي هو من أعظم الكبائر.

الزهد والرهابية

ليس الزهد في حقيقته أن لا تملك شيئا، ولم يأمر الشارع المقدس بذلك، وإنما تسربت هذه السلوكيات من رهبان النصارى، وقد نهى النبي ﷺ عن الرهبانية لأنه لا رهبانية في الإسلام، وقد ظهر الميل عند بعض أصحاب النبي ﷺ إلى هذا السلوك في الصدر الأول من الإسلام فنهاهم عن ذلك. ومن ذلك ما روي في الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله: إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل.

فخرج رسول الله ﷺ مغضبا يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله ﷺ، فقال له: «يا عثمان، لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة؛ أصوم وأصلي وأمسأ أهلي فمن أحب فطرني فليستن بستني ومن ستني النكاح.» (١٠٥)

ورغم ذلك لما شاع الزهد في أواخر القرن الأول بدأت تظهر هذه الانحرافات في المسلمين، قال مالك بن دينار: لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوى إلى مزابل الكلاب!^(١٠٦)

وفي ظل هذه الحالة الرائجة عند نساك ذلك العصر كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليه وهو المعروف بأنه أعبد أهل زمانه وسيد عبّادهم كان يتزوج الحرائر والإماء وقد ولد له خمسة عشر ولداً^(١٠٩)، وكان عليه السلام يتزوج وهو يتعرق عرقاً يأكل^(١١٠) فما يزيد على أن يقول: «الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، ويستغفر الله، وقد زوجناك على شرط الله.»^(١١١)

الدنيا لا تملكه

ومن مظاهر الزهد في الدنيا والتقوى أن لا يتعلق المؤمن بها، لا أنه يمنع من الانتفاع بملذاتها، ولكن إذا أقبلت فهو أولى بها، وإن أدبرت فلا يأسى على ما فاته منها.

وإن اقتضت الظروف أن يُعرض عن زيتها أعرض كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام، حيث كان يكتفي من طعامه بقرصيه ومن ثيابه بطمريه، وذاك أن الإمام إذ ولي الأمر وجب عليه التقدير في نفسه ومطعمه ومشربه وملبسه كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقره ولا يطغي الغني غناه. ^(١١٢)

وإن اقتضت الظروف أن يظهر بأحسن زينة فعل، وقد قيل لأبي جعفر الجواد عليه السلام: ما تقول في المسك؟ فقال عليه السلام: إن أبي أمر فعمل له مسك في بان بسبعمائة درهم. فكتب إليه الفضل بن سهل يخبره أن الناس يعيرون ذلك. فكتب إليه: يا فضل أما علمت أن يوسف عليه السلام وهو نبي كان يلبس الديباج مزراً بالذهب، ويجلس على كراسي الذهب، ولم ينقص ذلك من حكمته شيئاً، قال: ثم أمر فعملت له غالية بأربعة آلاف درهم. ^(١١٣)

فثمة فرق بين ظرف أمير المؤمنين عليه السلام واقتضاء المصلحة أن يظهر بهيئة تختلف عن زمن الرضا عليه السلام وما تقتضيه المصلحة أن يظهر به من زينة، كل ذلك لا يؤثر في الزهد، وإنما المؤثر أن يتعلق قلبه بهذه الأمور. لذا قد ورد في خصال النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يركب ما وجد مرة فرساً ومرة بغلة ومرة حملاً ومرة يمشي راجلاً ^(١١٤)، أي أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يترفع عن الحمير ولا يزهّد في الخيول، فلا يحرم على نفسه شيئاً مما أحله الله ولا يأنف عن الوضيع من الدواب.

هذا وقد ورد أن عليّ بن الحسين عليه السلام كان يشتري الكساء الخبز بخمسين ديناراً ^(١١٥)، فاذا صار الصيف تصدق به، لا يرى بذلك بأساً، ويقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾. وكان عليه السلام يلبس

ثوبين في الصيف يشتريان له بخمسائة. ^(١١٦) وقد كان ﷺ لبيتاع الراحلة ببائة دينار يكرم بها نفسه. ^(١١٧)

وقد كان أمير المؤمنين يشتري القميص بثلاثة دراهم وأربعة، أو يشتري ثلاثة أثواب بدينار ^(١١٨)، إلا أن الأمرين سيان عندهم ﷺ، فلا الثوب الزهيد يضع من قدره ولا الباهظ الثمن يرفع منه، وغاية ما هناك أن الإمام لا يتعلق بشيء منها، وإنما المصلحة تقتضي أن يلبس أيًا منها فيفعل.

ودليل ذلك أن مثل هذا الثوب كان الإمام يتصدق به بعد انقضاء الصيف والشتاء، فيقال له: تعطيها من لا يعرف قيمتها ولا يليق به لباسها، فلو بعثها فتصدقت بثمانها. فيقول: إني أكره أن أبيع ثوباً صليت فيه. ^(١١٩) وخرج ذات يوم وعليه مطرف خز فتعرض له سائل فتعلق بالمطرف فمضى وتركه. ^(١٢٠)

إنك لا تلاحظ أدنى تعلق بهذه الماديات فلا يبالي ﷺ أن تذهب لفقر لا يعرف قيمتها، هذا وإن كان لا يرى بأساً أن يملكها، بينما تجد في المقابل سلوكاً مختلفاً عند نساء عصره. فقد ذكروا أن من مزايا الزهد في هذا العصر المبالغة في الناحية الأخلاقية والاشتغال بالله وحده ومراعاته في كل فكر وعمل؛ وترك الكسب والتطيب، وعدم الاكتراث بحظوظ النفس ومدح الناس وذمهم. ^(١٢١) قال قراد أبو نوح: رأى عليّ شعبة ^(١٢٢)، قميصاً فقال: بكم اشتريت هذا؟ فقلت: بثمانية دراهم. قال: ويحك أما تتقي الله؟ تلبس قميصاً بثمانية دراهم ألا اشتريت قميصاً بأربعة وتصدقت بأربعة كان خير لك؟ قلت: يا أبا بسطام أنا مع قوم نتجمل لهم. قال شعبة: إيش نتجمل لهم؟! ^(١٢٣)

وكانت ثياب شعبة لونها لون التراب، وكان إذا حك جلده انتثر منه التراب. ^(١٢٤)

ومن شؤون النساء ما ذكر أنه لقي ناسك ناسكا ومعه خفّ، فقال: ما تصنع بهذا؟ قال عدة للشتاء! قالوا: كانوا يستحيون من هذا! ^(١٢٥)

الصبر مصائب الدنيا وتعظيم مصائب الدين

قال الراوي: سمع عليّ بن الحسين عليه السلام ناعية في بيته وعنده جماعة، فنهض إلى منزله، ثم رجع إلى مجلسه. ف قيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم. فعزوه، وتعجبوا من صبره. فقال عليه السلام: «إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره.»^(١٢٦)

وفي رواية أخرى أن خادماً له استعجل بالشواء إلى أضيافه فسقط السفود على رأس الصبي فتوفي، فتحير الخادم واضطرب، فقال له الإمام عليه السلام: «أنت حرّ فإنك لم تتعمّده، وانشغل بجهاز ابنه ودفنه.»^(١٢٧)

فالإمام صلوات الله عليه يموت عنده ولد ولا يلقي المصيبة إلا بالصبر، فهو كما قال في شأن الزهاد: «ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب»^(١٢٨). بينما تجد نظير هذه الحادثة في سيرة العابد المعروف عبد الواحد بن زيد، حيث كان له ابن فلما مات وجد به عبد الواحد وجدا شديداً. وذكر ذات يوم بمحضره فدمعت عيناه وقال: لقد نغص عليّ الحياة بعده!^(١٢٩)

إن هذا التأثير بمصائب الدنيا يكشف عن خلل في الزهد والتسليم لقضاء الله جل وعلا، ربما يليق بالإنسان العادي أن يبكي كلما ذكر فقیده، ولكن لا يليق بمن يزعم الزهد بالدنيا أن يأسى على ما فاته ويتعلق بالدنيا الفانية وزينتها.

هذا في مصائب الدنيا أما إذا كان الأمر يتعلق بالدين فالأمر على العكس، لذا فإن الإمام السجاد عليه السلام كلما ذكر مصيبة أبيه الحسين عليه السلام بكى^(١٣٠)، فإنها من المصائب التي لا يحمد عندها الصبر، لأنها مصيبة في الدين، وتعظيمها تعظيم للدين ولرسول الله صلى الله عليه وآله، وتهوينها استخفاف بأمر الله عز وجل باتباع حججه. ورغم ذلك تجد جملة من الزهاد يرون في أنفسهم النأي عن اتخاذ موقف تجاه مظلومية سيد الشهداء صلوات الله عليه.

لما قتل الحسين عليه السلام أتى قوم الربيع بن خثيم^(١٣١) فقالوا: لنستخرجن اليوم منه كلاماً. فقالوا: قتل الحسين. قال: الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.^(١٣٢)

أما مرة بن شراحيل المدمن للتعبّد، والمواظب على التهجّد، المنقبض عن الهزل والأباطيل، المحصن لسانه في الفتن عن الأقاويل، الملقب بالطيب لعبادته، الذي كان يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة فلما ثقل بدنه صار يصلي أربعمئة ركعة، فلما كبر سنه صار يصلي مائتين وخمسين ركعة في اليوم، كما ذكر في سيرته.^(١٣٣) فكان يحمد الله أن لم يشترك دم عثمان لا مع الحق ولا مع الباطل، فكان يشكر الله على ذلك يصلي في اليوم والليلة خمسين ركعة يختم فيها القرآن شكراً لله على أنه نأى بنفسه عن ذلك^(١٣٤)، وقيل له في صفين: ألا تلحق بعلي عليه السلام؟ فقال: إن علياً سبقني بخير أعماله: بدر وذواتها، وأنا أكره أن أشركه فيما هان فيه!^(١٣٥) وكان يصلي مئة ركعة شكراً لله أنه لم يشترك في الجمل وصفين، فلما وقعت النهروان زاد عليهن مئة ركعة!^(١٣٦)

إن هذا الذي لا يميز الحق من الباطل ويظن أن من الزهد والتقوى ترك نصره الحق، ثم يضيع الدين بين ظهرائهم، ويتولّى أمورهم طغاة متحكمون في دين الله أظهروا الفساد في البرّ والبحر، فيطغى الغي وتضيع الحقوق بمرأى ومسمع منهم، ويعزل آل رسول الله ﷺ عن حقهم بمشهد من هؤلاء، فيشكرون الله على أن خذلوهم! كيف هؤلاء أن يصنفوا من زهاد عصرهم وعبادهم؟!

الخشوع والإقبال على الله

رغم أن الإمام رغم لم يعش التقشف إلا أنه لم يكن ليتعلق بشيء من حطام الدنيا خلافاً لغيره ممن تصنع الزهد فعرف به وهو ليس له بأهل. لذا ورد أنه كان يخرج إلى الصلاة بأحسن صورة مقبلاً على الله عز وجل، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن علي بن الحسين صلوات الله عليهما استقبله مولى له في ليلة باردة، وعليه جبة خز، ومطرف خز، وعمامة خز وهو متغلف بالغالية. فقال له: جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين؟ قال: فقال عليه السلام: إلى مسجد جدي رسول الله ﷺ أخطب الحور العين إلى الله عز وجل. (١٣٧)

وروى أبو حمزة الثمالي أنه رآه يصلي فسقط رداؤه عن أحد منكبيه فلم يسوه حتى فرغ من صلاته. قال أبو حمزة: فسألته عن ذلك؟ فقال عليه السلام: ويحك أتدري بين يدي من كنت؟! إن العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه (١٣٨) وروي أن الإمام زين العابدين عليه السلام وقع حريق في بيت هو فيه ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقليل له بعد عودته: ما الذي أهلك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الكبرى. (١٣٩) وروي أنه كان قائماً في صلاته حتى زحف ابنه محمد، وهو طفل، إلى بئر كانت في داره بعيدة القعر، فسقط فيها، فنظرت إليه أمه فصرخت، وأقبلت تضرب نفسها من حوالي البئر، وتستغيث به وتقول له: يا ابن رسول الله، غرق والله ابنك محمد (١٤٠). وكل ذلك لا يسمع قولها، ولا ينثنى عن صلاته، وهي تسمع اضطراب ابنها في قعر البئر في الماء. فلما طال عليها ذلك قالت له جزعاً على ابنها ما أقسى قلوبكم يا أهل بيت النبوة! فأقبل على صلاته ولم يخرج عنها إلا بعد كما لها وتماها، ثم أقبل عليها فجلس على رأس البئر، ومد يده إلى قعرها، وكانت لا تنال إلا برشاء (١٤١) طويل فأخرج ابنه محمداً بيده وهو يناغيه ويضحك، ولم يبل له ثوب ولا جسد بالماء. فقال لها: هاك هو يا قليلة اليقين بالله. فضحكت لسلامة ابنها، وبكت لقولها، فقال لها عليه السلام:

لا تثريب عليك، لو علمت أنني كنت بين يدي جبار، لو ملتُ بوجهي عنه
لمال بوجهه عني، فمن ترين أرحم بعبده منه؟! (١٤٢)

ليست مصادفة أن يتلى الإمام بهذه الاختبارات؛ بل لا بد ليظهر فضله
من أن تحفّه المصائب والاختبارات من هذا النوع، ليظهر فضله وصدق تقواه
وطاعته لله عز وجل، وأنه لا يقاس بغيره من زهاد عصره. فعن عبد الرحمن
بن الحجاج قال ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يخص الله عز وجل به
المؤمن، فقال عليه السلام سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من أشد الناس بلاء في الدنيا؟ فقال:
النيون، ثم الأمثل فالأمثل، ويتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله،
فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه ومن سخط إيمانه وضعف عمله
قل بلاؤه. (١٤٣) وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: إني لأكره للرجل أن يعافى في
الدنيا فلا يصيبه شيء من المصائب. (١٤٤)

إن هذا الظرف لزم منه تعامل خاص مع المصائب ليظهر هذا الفضل، لذا
لا يقال لكل من سقط ولده في البئر أو احترقت داره أن عليه الإعراض عنه
وإتمام الصلاة، وإنما هي حالة وتكليف في ظرف خاص به عليه السلام ليظهر به قرب
من الله عز وجل وبطلان دعاوى غيره. (١٤٥)

وشتان بين إقبال الإمام زين العابدين عليه السلام على الله، وبين ما يزعمه القوم من
خشوع وزهد، فهذا عابدهم مالك بن دينار يتعلق قلبه بركوة فتشغله عن
صلاته؛ قال الحارث بن نبهان الجرمي: قدمت من مكة فأهديتُ إلى مالك
بن دينار ركوة. قال: فكانت عنده. قال: فجئت يوماً فجلست في مجلسه،
فقال لي: يا حارث تعال خذ تلك الركوة فقد شغلت عليّ قلبي! فقال لي: يا
حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال: يا مالك إن الركوة قد
سرت، فقد شغلت عليّ قلبي. (١٤٦)

وما كان يظهره الإمام عليه السلام من عبادة وعمل يفصح دعاوى غيره، ويشير
بشكل مباشر إلى الطريق الصحيح للعبادة والتقوى والورع.



الموازنة بين الزهد والحقوق

الزهد ليس في المبيت على المزابل وتحريم زينة الله التي أحلّ لعباده، ولكن يفهم الزهد من كلام أهل البيت صلوات الله عليهم، قال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (عليه السلام): «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا، وقرضوا من الدنيا تقريضا، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إن الله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربهم، يسعون في فكاك رقابهم، وأما النهار فحلما علماء بررة أتقياء كأنهم القداح، قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها.» (١٤٧)

وسئل (عليه السلام) عن الزهد فقال: «عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا، ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.» (١٤٨)

فهذا الوصف الدقيق للزهد لا تجده في كلمات القوم، وعلى الرغم من معاني الإقبال على العبادة فإنه لا يعني عدم الموازنة بين العمل وأداء شؤون الدنيا، وإنما جمع الزهد في أن لا يأسى المؤمن على ما فاتته ولا يفرح بما أوتي، وأن على الزاهد أن تهون عليه المصائب.

ومن الملاحظ في حالات الزهاد على غير السنة عدم الموازنة بين العبادة والتهجد وبين سائر الحقوق، فذاك مالك بن دينار لا يرى الرجل يبلغ مراتب الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة.

وهذا عون بن عبد الله^(١٤٩) لما حضرته الوفاة أوصى بضبعة له أن تباع وأن يتصدق بثمنها عنه، ف قيل له: تتصدق بضيعتك وتدع عيالك؟ قال: أقدم هذا لنفسي، وأدع الله لعيالي^(١٥٠). وكأن الرجل لا يعلم أنه إذا لم يُبق شيئاً لعياله لا تنفذ وصيته، وإنما حقه أن يوصي بالثلث، فلا أمره الله بذلك، ولا فقه في دينه ولا علم وجوه البر والخير، فما أحسن ولا برّ في صدقته! وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: للأ نصاري حين أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم، وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفونه مع المسلمين؛ يترك صبيّة صغاراً يتكفّفون الناس!^(١٥١)

ومما حكوا في نظير هذه الحالات أنه اجتمع عبّاد من أهل الكوفة، فقالوا: انحذروا بنا إلى البصرة ننظر إلى عبادتهم، فقال بعض لبعض: اغدوا بنا إلى فرقد السبخي^(١٥٢)، فدخلوا عليه، فحدثهم ساعة، ثم قالوا: يا أبا يعقوب الغداء، قال: إنما طولت حديثي لكم لتجوعوا فتأكلوا ما عندي، أنزلوا تلك القفة^(١٥٣)، فأخرجوا منها كسر خبز شعير أسود، فقالوا له: ملحاً يا أبا يعقوب، فقال: قد طر حنا في العجين ملحاً مرة لم تعنوني أن أطلب لكم.^(١٥٤) كل هذه السلوكيات تكشف عن خلل في الموازنة بين حقوق الأهل والإخوان كانت رائجة في حالات متصوّفة ذاك العصر، بينما تجد زين العابدين صلوات الله عليه على غير هذه الحالات.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا كان اليوم الذي يصوم فيه، يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ، وإذا كان عند المساء أكب على القدور حتى يجد ريح المرق وهو صائم، ثم يقول: هاتوا القصاع اغرفوا لآل



فلان، واغرفوا لآل فلان، حتى يأتي على آخر القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون ذلك عشاءه. (١٥٥)

فأين هذا ممن يدعو أصحابه فيتركهم ليجوعوا ثم يطعمهم كسر شعير أسود بلا ملح؟!

بل روي أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان يتصدق بالسكر واللوز، فسئل عن ذلك فقراً قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ، وكان (عليه السلام) يجبه. (١٥٦)

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان علي بن الحسين إذا أصبح، خرج غادياً في طلب الرزق. فقيل له: يا ابن رسول الله أين تذهب؟ فقال: أتصدق لعيالي. قيل له: أتصدق؟ قال: من طلب الحلال فهو من الله عز وجل صدقة عليه. (١٥٧)

وكان (عليه السلام) يقول: لأن أدخل السوق ومعني دراهم أبتاع به لعيالي لحماً وقد قرموا إليه، أحب إلي من أن أعتق نسمة. (١٥٨)



الخاتمة

إن الظروف التي مرت بها الأمة خلقت ردة فعل عند عامة الناس ما أفرز عن ذلك ظاهرة التنسك على غير السنة، لكن لم يكن تنسك الإمام زين العابدين (عليه السلام) إفرازاً لهذه الظروف، فزهده وعبادته نظير عبادة آبائه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) بل دونها.

أما الجديد في هذه المرحلة، أنها اقتضت أن يُظهر الإمام هذه العبادة والسلوكيات الأخلاقية لعامة الناس وأن لا تكون في السرّ.

ما جعل عامة الناس تميّز الفرق بين زهد الإمام (عليه السلام) وإصابة السنة وزهد غيره من نساك عصره، فكانت عبادته سلام الله عليه طريقاً لهداية جملة من أصحابه في تلك المرحلة العصبية التي ارتدّ فيها غالب الناس عن الدين. وكانت عبادته سبباً في إظهار زيف عبادة غيره.

لذا نلاحظ أنه بقي الزهد في المدينة المنورة ساذجاً ولم يبلغ زهادها مرحلة إفراط زهاد البصرة، وأبرز أعلامها سعيد بن المسيب، أما البصرة فكانت متأثرة بثقافة الهند لاسيما في الناحية العملية من تصوّف حيث أخذ الصوفية بمبدأ تعذيب البدن بالصوم ونحوه لتطهير النفس والتخلّص من آفاتهما والصعود بها إلى عالمها العلوي، وفي البصرة ابتعد الصوفية عن الاشتغال بالسياسة والصراعات الداخلية يعدون ذلك من التقوى، وأبرز أعلامها الحسن البصري ومالك بن دينار وصالح المري. أما الكوفة المشيعة والمحبة لآل البيت (عليهم السلام)؛ فقد اختلف زهدهم عن البصرة، ولم يروا الانعزال في صراع آل مروان مع آل البيت (عليهم السلام) لذا اشترك لاحقاً جماعة منهم في القيام مع زيد بن علي (عليه السلام) (١٥٩)، ومنهم سعيد بن جبير المقتول على يد الحجاج الثقفي، ومن أعلام الكوفة أيضاً أبو حمزة الثمالي وطاوس بن كيسان وأبو إسحاق السبيعي. (١٦٠)

ويكون واضحاً مقارنة ظاهرة التصوّف في هذه البلاد بين المدينة التي عاش فيها الإمام زين العابدين (عليه السلام) وضعف الظاهرة فيها وبقاء التنسك أقرب إلى السنة، وعدم بروز أعلام مشاهير بكثرة كسائر الحواضر الإسلامية، وذلك أن وجود الإمام والنظر في حالاته يزري الانحرافات في أعين الناس لوضوح الصورة المثالية من العبادة المبنية على التوازن واتباع أوامر النبي (صلى الله عليه وآله)، أما الكوفة فلقرّبها من أهل البيت (عليهم السلام) كان اتخاذ منهج الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدوة طريقاً في هداية جملة من زهادها، ما جعلها أبعد عن الانحراف نسبياً من البصرة.

أما البصرة فلبعدها عن أهل البيت (عليهم السلام) -آنذاك- كانت أقرب إلى الضلال والباطل، ولكن مع ذلك فإن الظاهرة بقيت محجمة فيها إلى فترة أطول؛ لأن وجود الإمام السجاد (عليه السلام) وشيوع اسمه بأنه زين العابدين جعله النموذج المثالي في العالم الإسلامي ما أزرى بقية النماذج في نظر المسلمين.

وقد كان حريّاً في موسم الحج إذ أراد استلام الحجر أن يتنحى الناس إجلالاً له صلوات الله عليه، وهو كما يصفه الراوي: من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، حتى إذ استلم الحجر أخذت هيئته بمجامع القلوب حتى سئل عنه، وغضب هشام بن عبد الملك وأنكر معرفته! فأجابه الفرزدق:

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتَهُ رُكْنُ الحَاطِمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَن هَذَا بِضَائِرِهِ العُرْبُ تَعْرِفُ مَن أَنْكَرَتِ والعَجَمُ
يَنْشَقُّ نَوْرُ الدُّجَى عَنْ صُبْحِ غُرَّتِهِ كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ

إلى أن قال:

إِنَّ عَدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أئِمَّتَهُم أَوْ قِيلَ مَن خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قِيلَ هُمْ^(١٦١)
فقد كان الإمام صلوات الله عليه الوعد النبوي لهذه المرحلة، أخبر عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن يولد ووصفه بهذا الوصف، وهو الوصف الذي يحشر به في ساحة القيامة بين الخلائق آدم فمن دونه إذ ينادي المنادي: أين زين العابدين؟ فيقوم صلوات الله عليه ويتخطى الصفوف.
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الهوامش:

- ١- الجلم: آلة كالمقص لقص الصوف
- ٢- رمضت: احترقت. ويحتمل (رمصت): والرمص وسخ أبيض يجتمع في العين.
- ٣- بحار الأنوار ٤٦/ ٧٥ عن الإرشاد، وراجع أيضًا الكافي ٨/ ١٢٩-١٣١ حديث ١٠٠
- ٤- وصف متصوفة عصره أطلقه العلامة المجلسي رحمته في البحار ٤٦/ ١١٧ رغم أنهم كانوا مجرد زهاد ونسّاك ولم تكن نشأت الصوفية كمذهب بعد.
- ٥- الكافي ١/ ٣٣٩
- ٦- بحار الأنوار ٣٦/ ١٩٢ عن كمال الدين وأمالي الصدوق وأمالي الطوسي، وروى نحوه المجلسي أيضًا في بحار الأنوار ٣٦/ ٢٠٤ عن علل الشرايع وكمال الدين، وراجع أيضًا الكافي ١/ ٢٨٠
- ٧- بحار الأنوار ٣٦/ ١٩٦ عن عيون أخبار الرضا وغيبة الطوسي والاحتجاج والاختصاص وغيبة النعماني، ورواه الكليني في الكافي ١/ ٥٢٧
- ٨- راجع مثلاً بحار الأنوار ج ٣٦ باب في نصوص الرسول ﷺ على الأئمة عليهم السلام، حديث ٦٨ و ٨١ و ١١١ و ١٤٤ و ١٥٨ و ٢٢٥ وغيرها كثير
- ٩- بحار الأنوار ٤٦/ ٣ عن علل الشرايع وأمالي الصدوق
- ١٠- راجع: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، تأليف: د. أبو العلا عفيفي أستاذ الفلسفة بكلية الآداب في جامعة الإسكندرية، طبعة دار الشعب، بيروت ص ٦٨-٦٩
- ١١- شرح نهج البلاغة ١/ ١٩
- ١٢- الدويرة: دار تبنى للتأملات الروحانية، وهي مأخوذة من دير النصراني، إلا أن دير النصراني يخلو فيه الراهب، أما الدويرة فيجتمع فيها جماعة من المتسكين للتأمل بشكل جماعي. ويطلق على الدويرة أيضًا: الخانقاوات والتكايا والزوايا.
- ١٣- رسالة الصوفية والفقراء لابن تيمية ص ١٥
- ١٤- حلية الأولياء ٦/ ١٥٩
- ١٥- حلية الأولياء ٦/ ١٦٠
- ١٦- حلية الأولياء ٦/ ١٦٨
- ١٧- حلية الأولياء ٦/ ١٦٥
- ١٨- الخُص: بيت من شجر أو قصب
- ١٩- حلية الأولياء ٦/ ١٦٩
- ٢٠- رسالة الصوفية والفقراء ص ١٦
- ٢١- الكافي ٢/ ٦١٦ (باب فيمن يظهر الغشية عند قراءة القرآن)

٢٢- راجع حلية الأولياء ١٦١/٢

٢٣- راجع حلية الأولياء ٣/٤

٢٤- راجع سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٥

٢٥- الأعلام للزركلي ٨١/٥

٢٦- راجع صفة الصفوة لابن الجوزي ٦٠/٢

٢٧- الأعلام للزركلي ٢٦٠/٥

٢٨- الأعلام للزركلي ٣٨/٢

٢٩- الأعلام للزركلي ١٠/٣

تنبيه: اختلف في تاريخ وفاتها وذلك لتعدد الشخصيات التي عرفت بهذا الاسم، واختلطت حكايا النسوة المتعبدات فنسبت لغير أصحابها لكثرة المشتركات بينهن. ولا شك أن إحداهن عاشت في البصرة في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام ولها قصص مشهورة مع الحسن البصري، وغيرها ولدت بعد قرن من الزمن وأدركت ذا النون المصري، وهناك غيرهن كثر ولكن تداخلت قضاياهن واختلطت.

٣٠- الأعلام للزركلي ٩٧/٢

٣١- بحار الأنوار ١٠٠/٢٤٥ عن فرحة الغري

٣٢- راجع سير أعلام النبلاء ١٧٨/٧

٣٣- راجع سير أعلام النبلاء ٤٦/٨

٣٤- يجدر التنبيه إلى أن المدح الذي نقلنا في ترجمة هؤلاء النساء مقتبس من مصادر العامة، وليس وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٣٥- حلية الأولياء ٢٩/٤

٣٦- راجع بحار الأنوار ٤٦/١١٧ عن قرب الإسناد

٣٧- راجع بحار الأنوار ٥١/٣٦٤ عن كمال الدين وغيبة الطوسي

٣٨- راجع بحار الأنوار ٤٦/١٤٣

٣٩- راجع رجال الكشي ٢/١٢٣ في ترجمة يحيى بن أم الطويل رحمته الله

٤٠- والعجب من هذه الأمة التي روت ما قاله النبي صلى الله عليه وآله في ولده زين العابدين عليه السلام، لكنها عظمت غيره ولم تتبعه، كأنما تعرض عن قوله صلى الله عليه وآله، ومثل ذلك ما روته الأمة متواتراً من أن النبي صلى الله عليه وآله بلغ سلامه إلى ولده الباقر عليه السلام وأخبر بأنه يقرر العلوم، ثم أعرضت الأمة وأخذت فقهها وعلمها من غيره! وقبل كل ذلك نص رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام تصريحاً وتلميحاً، في الغدير وغيره، فأعرضت الأمة!

٤١- المطرف: رداء من خز مربع ذو أعلام



٤٢- الخز: ثياب تنسج من صوف وإبريسم.

٤٣- قال المجلسي رحمه الله: أي هذا يوم فاضت رحمة الله على العباد بحيث يرجى للجنين في الرحم أن يكتب بركة هذا اليوم سعيدا مع أنه لا يقدر على عمل ولا سؤال يستجلب بهما الرحمة، ومع ذلك ترجى له هذا الرحمة العظيمة، فكيف ينبغي أن يسأل من يقدر على السؤال والعمل مثل هذا المطلب الخسيس الدنيوي من غيره تعالى.

٤٤- قال الشيخ عباس القمي رحمه الله: الظاهر إن المراد من أمه -هنا- أم ولد كانت تحتضنه، فكان يسميها أمًا. وأما أمه شاه زنان فقد توفيت في نفاسها. الأنوار البهية ١١٦ ولعل أم الولد التي يقصدها الشيخ عباس القمي رحمه الله هي إحدى خالاته اللواتي أسرن معها وتزوجن في المدينة، لأن الرواية أشارت إلى صلة الرحم، فلا بد أن يصدق على أم الولد التي تكفلت برعايته أن تكون من أرحامه.

وذكر البعض أن التي تكفلته هي إحدى أمهات أولاد أبيه الحسين رضي الله عنه، ولكنني لم أعثر فيها بحث أن للحسين رضي الله عنه أمهات أولاد، بل المذكور أن جميع أولاده من أمهات حرائر، حتى الإمام زين العابدين رضي الله عنه لم تكن أمه أم ولد، نعم شاع هذا عنها لكونها سبية من بلاد فارس فحكم عليها الناس بحكم الجواري، وإن كانت في الواقع حرّة تزوجها الحسين رضي الله عنه وأنجب منها الإمام السجاد رضي الله عنه، والله العالم.

٤٥- نفقت الدابة: ماتت

٤٦- ماتت هذه الدابة بعد شهادة الإمام زين العابدين رضي الله عنه، لذا فالمقصود من الرواية أنه رضي الله عنه أوصى بدفنها إذا ماتت، وقد دفنها الإمام الباقر رضي الله عنه.

عن الصادق رضي الله عنه قال: قال علي بن الحسين رضي الله عنه لابنه محمد رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: إنني قد حججت على ناقتي هذه عشرين حجة، فلم أقرعها بسوط قرعة، فإذا نفقت فادفنها لا تأكل لحمها السباع؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة، وبارك في نسله. فلما نفقت حفر لها أبو جعفر رضي الله عنه ودفنها. بحار الأنوار ٧٠/٤٦

٤٧- الزمنى: جمع الزمن، وهو الذي به داء مزمن

٤٨- بحار الأنوار ٦١/٤٦ عن الخصال في ذكر ثلاث وعشرين خصلة من الخصال المحمودة التي وصف بها علي بن الحسين رضي الله عنه

٤٩- الكافي ٣/٣٠٠

٥٠- الكافي ٣/٣٠٠ والتهذيب ٢/٢٨٦

٥١- بحار الأنوار ٦٦/٤٦ عن علل الشرايع

٥٢- بحار الأنوار ٧٧/٤٦ عن الإرشاد

٥٣- سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩١ وصفة الصفوة ١/ ٣٥٧ وحلية الأولياء ٣/ ١٤١

٥٤- سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٧ ونحوه في صفة الصفوة ١/ ٣٥٧ وحلية الأولياء ٣/ ١٤١

٥٥- سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٩

٥٦- الكافي ٢/ ٦١٤

٥٧- إبراهيم بن أدهم (١٦١هـ) زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقّه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. وكان يلبس في الشتاء فرواً لا قميص تحته ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن. وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل. راجع الأعلام للزركلي ١/ ٣١

٥٨- حلية الأولياء ٨/ ٢٩

٥٩- تقدمت الإشارة إلى ذلك في ترجمة صالح المري

٦٠- صفة الصفوة ٢/ ١٦٥

٦١- صفة الصفوة ٢/ ٢٤٣

٦٢- الكافي ٢/ ٦١٦ (باب فيمن يظهر الغشية عند قراءة القرآن)

٦٣- الكافي ٢/ ٦١٦

٦٤- الكافي ٢/ ٦١٦

٦٥- الكافي ٢/ ٦١٥ وبحار الأنوار ٤٦/ ٦٩ عن الاحتجاج

٦٦- عتبة الغلام: هو عتبة بن أبان بن صمعة وإنما سمي بالغلام لجدّه واجتهاده لصغر سنه. قيل: بكى عتبة الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد تسع سنين لا يفتر بكاء من حين يبتدئ عبد الواحد في الموعظة إلى أن يقوم لا يكاد يسكت عتبة. فقيل لعبد الواحد إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة. قال: فأصنع ماذا؟ يبكي عتبة على نفسه وأنها أنا، لبئس واعظ قوم أنا. وقيل أيضاً: كان عتبة الغلام يأكل خبزاً وملحاً ويقول: العرس في الدار الأخرى.

وقال عنبسة الخواص: كان عتبة الغلام يزورني فربما بات عندي، قال: ذات ليلة فبكى من السحر بكاءً شديداً فلما أصبح قلت له: قد فزعت قلبي الليلة ببكائك. فمم ذاك يا أخي؟ قال: يا عنبسة إني والله ذكرت يوم العرض على الله! ثم مال ليسقط فاحتضنته فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلبان قد اشتدت حمتهما.

قال: ثم أزبد وجعل يخور فناديتيه: عتبة عتبة! فأجابني بصوت خفي: قطع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين. قال: ثم جعل يحشرج بالبكاء ويردد حشرجة الموت ويقول: تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم؟ قال: فلم يزل يرددّها حتى والله أبكاني. راجع صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٢١٩

٦٧- حبيب أبو محمد الفارسي، كان مجاب الدعوى حضر مجلس الحسن فتأثر بموعظته فخرج عما كان يملك. ومما ذكر في استجابة دعائه أنه جاء رجل إلى أبي محمد الفارسي فشكا إليه ديناً عليه، فقال: اذهب فاستقرض وأنا أضمن. فأتى رجلاً فأقرضه خمسمائة درهم وضمنها أبو محمد. ثم جاء الرجل فقال: يا أبا محمد دراهمي، فقد أضر بي حبسها! فقال: نعم غداً. فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى، وجاء الرجل فقال له: اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذ. فذهب فإذا في المسجد صرة فيها خمسمائة درهم فذهب فوجدها تزيد على خمس مائة فرجع إليه فقال: يا أبا محمد تلك الدراهم تزيد. فقال اذهب فهي لك، من وزنها وزنها راجحة.

راجع: صفة الصفوة ٢/ ١٨٧

أقول: لو كان ما يحكى عن إجابة دعواته صادقاً لظهر ذلك أمام الناس في موسم الحج بمحضر زين العابدين (عليه السلام)، لا مجرد حكايا تنسج في السر لا يشهدها أحد وتذاع كفضائل هؤلاء المبتدعة.

٦٨- لعله تصحيف: شعوانة. وشعوانة عابدة معروفة، قال معاذ بن الفضل: بكت حتى خفنا عليها العمى، فقلنا لها في ذلك، فقالت: أعمى والله في الدنيا من البكاء أحب إلي من أن أعمى في الآخرة من النار.

وقال مالك بن ضيغم: كان رجل من أهل الأبله يأتي أبي كثيراً فيذكر له شعوانة وكثرة بكائها فقال له أبي يوماً: صف لي بكاءها. فقال: يا أبا مالك أصف لك، هي والله تبكي الليل والنهار لا تكاد تنقر قال: ليس عن هذا أسألك، كيف تبتدئ بالبكاء؟ قال: نعم يا أبا مالك تسمع الشيء من الذكر فترى الدموع تنحدر من جفونها كالقطر. قال: فمجارى الدموع من المآق الذي على الأنف أكثر أم مؤخر العين مما يلي الصدغ؟ قال يا أبا مالك إن دموعها أكثر من أن يعرف هذا من هذا، ما هي إلا أن تسمع الذكر فتجيء عيناها بأربع نجومات متبادرة جداً. فبكى أبي وقال: ما أرى الخوف إلا قد أحرق قلبها كله، ثم قال: كان يقال إن كثرة الدموع وقتلها على قدر احتراق القلب، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى، والقليل من التذكرة يحزنه. صفة الصفوة ٢/ ٢٦٣

٦٩- جعفر بن سليمان أبو سليمان الضبعي، الشيخ، العالم، الزاهد، محدث الشيعة، أبو سليمان الضبعي، البصري، كان ينزل في بني ضبيعة، فنسب إليهم، وكان من عباد الشيعة وعلمائهم، وقد حج، وتوجه إلى اليمن، فصحبه عبد الرزاق، وأكثر عنه، وبه تشيع. وتوفي: في سنة ثمان وسبعين ومائة. راجع سير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٨

قال السيد الخوئي (رحمته الله): ٢١٧١ جعفر بن سليمان الضبعي: البصري، ثقة، من أصحاب الصادق (عليه السلام) (رجال الشيخ). قال الميرزا في المنهج: لم أجده في رجال الشيخ في أصحاب



مكتبة
الشيخ
المرتضى
الطوسي

الصادق عليه السلام. أقول: هو موجود في النسخة التي عندنا، وكان موجودا في النسخة التي كانت عند ابن داود، وكذلك في نسخة المولى عناية الله، فمن المطمأن به أن السقط كان في نسخة الميرزا، والله العالم. انتهى كلامه رضوان الله عليه، عن معجم رجال الحديث ٣٧/٥ أقول: لعل هذه الحادثة -التي في المتن- وأمثالها، كانت سبباً في هداية هذا الرجل وتشيعه.

٧٠- بحار الأنوار ٥٠/٤٦ عن الاحتجاج

٧١- زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة.

٧٢- في المناقب: ولم أقض من حياض مناجاتك صدرا

٧٣- في المناقب: الرهب

٧٤- الكنف: الظل، كناية عن الرحمة والرعاية والعناية

٧٥- في بعض النسخ: وبعيني بدلا عن وبغيتي

٧٦- بحار الأنوار ٧٧/٤٦ عن المناقب وفتح الأبواب للسيد ابن طاووس

٧٧- حلية الأولياء ١٧٣/٦

٧٨- حلية الأولياء ١٧٠/٦

٧٩- بحار الأنوار ٧٦/٤٦ عن الإرشاد، ومن العامة: صفة الصفوة ١/٣٥٧، وسير أعلام

النبلاء ٣٩٣/٤

٨٠- بحار الأنوار ٢٣٠/٩٥ عن مهج الدعوات

٨١- الكافي ٥٧٩/٢

٨٢- الكافي ١٠٧/١

٨٣- كامل الزيارات ص ٢٢٧ طبعة دار المرتضوية عنه بحار الأنوار ١٧٦/١٠١

٨٤- بحار الأنوار ٩٠/١٠١

٨٥- حلية الأولياء ١٦٨/٦

٨٦- حلية الأولياء ٣٨٠/٢

٨٧- حلية الأولياء ٢٠٧/٢

٨٨- فضائل مكة لأبي سعيد الجندي ص ٢١٥ وتاريخ دمشق ٤٣٢/٥٦

٨٩- بحار الأنوار ١٤٢/٩٤

٩٠- الصحيفة السجادية الثانية جمع الحر العاملي رحمه الله تحقيق فارس حسون ص ٢٥

٩١- روضة المتقين ١٢٨/١٣

٩٢- الفتاوى أسئلة وأجوبة ج ٢ سؤال ١٠١٨

٩٣- صراط النجاة ٣٠٦/٥

٩٤- راجع بحار الأنوار ١٤٢/٩٤ و الصحيفة السجادية الثانية جمع الحر العاملي رحمه الله

- ٩٥- كتاب طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات للسلمي ص ٣٨٨
- ٩٦- صفة الصفوة ٢/ ٢٤٥
- ٩٧- بحار الأنوار ٦٠/ ٢٥٠
- ٩٨- بحار الأنوار ٤٦/ ٨١
- ولعل مناجاة الإمام عليه السلام هذه هي نفسها المروية في دعاء أبي حمزة المعروف لكنها هنا أقل ضبطاً.
- ٩٩- بحار الأنوار ١٠٠/ ٢٤٥ عن فرحة الغري
- ١٠٠- الكافي ٨/ ٢٥٥
- ١٠١- بحار الأنوار ٢/ ٥٥ عن نوادر الراوندي
- ١٠٢- بحار الأنوار ٤٦/ ١٣٢ عن المناقب، ونحوه في بحار الأنوار ٤٦/ ٧ عن كشف الغمة
- ١٠٣- الطبقات الكبرى ٥/ ١٦٥
- ١٠٤- بحار الأنوار ٤٦/ ١١٦ عن الاحتجاج
- ١٠٥- الكافي ٥/ ٤٩٤
- ١٠٦- حلية الأولياء ٢/ ٣٥٩
- ١٠٧- الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٢٥
- ١٠٨- عوارف المعارف للسهروردي ١٨٤ (الباب الحادي والعشرون: في شرح حال المتجرد والمتأهل..)
- ١٠٩- بحار الأنوار ٤٦/ ١٦٦ عن الإرشاد
- ١١٠- وهو يتعرق عرفاً: يعني وهو على الخوان يتناول الطعام، كناية عن سرعة وسهولة التزويج.
- ١١١- الكافي ٥/ ٣٦٨
- ١١٢- راجع الكافي ١/ ٤١٠ (باب سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر)
- ١١٣- الكافي ٦/ ٥١٦
- ١١٤- بحار الأنوار ١٦/ ٢٢٧
- ١١٥- لمعرفة القيمة السوقية للدينار والدرهم يمكن مقارنتها بقيمة الدية، فإنه ذكر في الفقه دية النفس:
- أن الجاني يتخير بين أمور منها: مائة من مسان الإبل، أو مائتا بقرة، أو ألف شاة، أو ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم.
- وهذا يعني أن قيمة الشاة دينار واحد، أي أن جبة خز بخمسين ديناراً تعدل قيمة خمسين شاة.
- ١١٦- راجع بحار الأنوار ٧٩/ ٣٠٥ عن العياشي، وبحار الأنوار ٧٩/ ٣٠٧ عن مكارم الأخلاق، وراجع الكافي ٦/ ٤٥١، وراجع سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٨
- ١١٧- بحار الأنوار ٤٦/ ٧٢ عن المحاسن

١١٨ - راجع مكارم الأخلاق ١١٢

١١٩ - بحار الأنوار ٤٦/ ٩٠ عن المناقب

١٢٠ - بحار الأنوار ٤٦/ ٩٥، وكذلك بحار الأنوار ٤٦/ ٦١ عن الخصال

١٢١ - راجع: تصوّف الثورة الروحية في الإسلام، تأليف: د. أبو العلا عفيفي أستاذ

الفلسفة بكلية الآداب في جامعة الإسكندرية. ص ٨١ طبعة دار الشعب، بيروت

١٢٢ - شعبة بن الحجاج (٨٥-١٦٠هـ)، قال أبو نعيم في الحلية: الإمام المشهور والعلم

المنشور في المناقب مذكور له التقشف والتعبد والتكشف عن الأخبار والتشدد، أمير

المؤمنين في الرواية والتحديث. حلية الأولياء ٧/ ١٤٤

١٢٣ - حلية الأولياء ٧/ ١٤٥

١٢٤ - حلية الأولياء ٧/ ١٤٦

١٢٥ - البيان والتبيين ٣/ ١٠٥

١٢٦ - حلية الأولياء ٣/ ١٣٨

١٢٧ - بحار الأنوار ٤٦/ ٩٩ عن كشف الغمة ويظهر أن الحادثة التي رواها أبو نعيم

هي نفس التي رواها الإربلي رحمه الله إلا أن رواية أبي نعيم كانت من جهة الأضياف، ورواية

الإربلي من داخل البيت وما جرى على الخادم.

١٢٨ - راجع الكافي ٢/ ١٣١

١٢٩ - راجع حلية الأولياء ٦/ ١٦٠

١٣٠ - راجع بحار الأنوار ٤٦/ ١٠٨ (باب حزنه وبكائه على شهادة أبيه صلوات الله عليهما)

١٣١ - الربيع بن خثيم، وصفه أبو نعيم في الحلية: المخبت الورع المثبت القنع الحافظ

لسره والضابط لجهره،

المعترف بذنبه المفتقر إلى ربه، أبو يزيد الربيع بن خثيم أحد الثمانية الزهاد. حلية

الأولياء ٢/ ١٠٥

١٣٢ - البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١١٠

١٣٣ - راجع حلية الأولياء ٤/ ١٦١

١٣٤ - راجع حلية الأولياء ٤/ ١٦٢

١٣٥ - راجع حلية الأولياء ٤/ ١٦٣

١٣٦ - البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ٨٨

١٣٧ - الكافي ٦/ ٥١٧

١٣٨ - بحار الأنوار ٤٦/ ٦٦ عن علل الشرايع

١٣٩ - بحار الأنوار ٤٦/ ٨٠

١٤٠ - تنبيه: كان للإمام زين العابدين عليه السلام ولدان اسمهما محمد كما ذكر الشيخ المفيد عليه السلام في الإرشاد؛ الأول محمد الباقر عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسن عليه السلام صديقة لم يدرك في آل الحسن مثلها، والثاني محمد الأصغر وأمه أم ولد. والمذكور في الرواية هو الثاني، لأن أمه ليست من أهل البيت عليه السلام كما يظهر من الرواية، ولأن ولدها كان صغيراً يحبو آنذاك، والإمام الباقر عليه السلام لم يكن في إمامة أبيه عليه السلام بعمر الطفل الذي يحبو ويناغيه أبوه.

١٤١ - الرشاء: جبل الدلو

١٤٢ - دلائل الإمامة ١٩٧ ومثله في مناقب ابن شهر آشوب ٣/ ٢٧٨

١٤٣ - الكافي ٢/ ٢٥٢

١٤٤ - الكافي ٢/ ٢٥٦

١٤٥ - ومثله ما روي في زهد أمير المؤمنين عليه السلام فليس صحيحاً لغيره ممن لا يلي أمور المسلمين أن يكتفي من ثيابه بطميره، وما روي في مكارم أخلاق إمامنا الرضا عليه السلام من أنه كان من دأبه أن يجالس الخدم والماليك على المائدة، فإن المؤمن يؤكل أهله وإخوانه المؤمنين، ولكن اقتضى ظرفه ومقامه في قصر المأمون أن يظهر منه هذا التواضع وأن يقدم الماليك على مجلسه المأمون ووزرائه.

١٤٦ - حلية الأولياء ٢/ ٣٦٤

١٤٧ - الكافي ٢/ ١٣١

١٤٨ - الكافي ٢/ ١٢٨

١٤٩ - عون بن عبد الله (توفي بضع عشرة ومائة) قال فيه أبو نعيم: الركن إلى ذكر الله، والساكين إلى ضمان الله، المفارق للمشرين والكبراء، المرافق للمساكين والفقراء، كان لمسير الأجل مبصراً، ولغرور الأمل محذراً، كان على نفسه نائحاً، وإلى الحق رائحاً، صاحب التشمير والعدة والأهبة: عون بن عبد الله بن عتبة. حلية الأولياء ٤/ ٢٤٠

١٥٠ - حلية الأولياء ٤/ ٢٤٢

١٥١ - الكافي ٦/ ٦٧ من باب دخول الصوفية على أبي عبد الله عليه السلام واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عنه من طلب الرزق.

١٥٢ - فرقد السبخي (١٣١هـ) ترجم له ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٢/ ١٦٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٤٤ فقال: المعرض عن الفاني الوبي، المقبل على آتي البهي أبو يعقوب فرقد السبخي..

١٥٣ - القفّة: الزبيل، وعاء من خوص

١٥٤ - حلية الأولياء ٣/ ٤٥، وصفوة الصفوة ٢/ ١٦١

١٥٥ - بحار الأنوار ٤٦/ ٧١ عن المحاسن

١٥٦ - بحار الأنوار ٨٩/٤٦

١٥٧ - الكافي ١٢/٤

١٥٨ - الكافي ١٢/٤

١٥٩ - بغض النظر عن تصحيح الخروج أو تخطئه، وموافقة شيعة زيد في تشخيصهم أو لا، وإنما المراد أن التقوى لا تعني لزوم الحياء في مثل هذه الصراعات وأن الزهد لا يكون باعتزال الحق والباطل معاً!

١٦٠ - راجع: التصوف الشورى الروحية في الإسلام ص ٨١

١٦١ - راجع بحار الأنوار ١٢٤/٤٦ عن جملة من مصادر العامة والخاصة





قائمة المصادر والمراجع:

- * الكافي
- * التهذيب للشيخ الطوسي
- * بحار الأنوار
- * الإرشاد، من بحار الأنوار
- * كمال الدين، من بحار الأنوار
- * أمالي الصدوق، من بحار الأنوار
- * أمالي الطوسي، من بحار الأنوار
- * علل الشرائع، من بحار الأنوار
- * عيون أخبار الرضا، من بحار الأنوار
- * غيبة الطوسي، من بحار الأنوار
- * الاحتجاج، من بحار الأنوار
- * الاختصاص، من بحار الأنوار
- * غيبة النعماني، من بحار الأنوار
- * فرحة الغري، من بحار الأنوار
- * كشف الغمة، من بحار الأنوار
- * المحاسن، من بحار الأنوار
- * الخصال، من بحار الأنوار
- * مهج الدعوات، من بحار الأنوار
- * فتح الأبواب للسيد ابن طاووس
- * الصحيفة السجادية الثانية جمع الحر العاملي، تحقيق فارس حسون
- * روضة المتقين
- * كامل الزيارات
- * مكارم الأخلاق
- * مناقب آل أبي طالب
- * دلائل الإمامة
- * الأنوار البهية للشيخ عباس القمي
- * رجال الكشي
- * معجم رجال الحديث
- * الفتاوى أسئلة وأجوبة للسيد محمد سعيد الحكيم
- * صراط النجاة للسيد الخوئي والميرزا التبريزي
- * شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
- * التصوف الثورة الروحية في الإسلام، تأليف: د. أبو العلا عفيفي أستاذ الفلسفة بكلية الآداب في جامعة الإسكندرية، طبعة دار الشعب، بيروت
- * رسالة الصوفية والفقراء لابن تيمية
- * حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني
- * سير أعلام النبلاء للذهبي
- * الأعلام للزركلي
- * صفة الصفوة لابن الجوزي
- * فضائل مكة لأبي سعيد الجندي
- * تاريخ دمشق لابن عساكر
- * طبقات الصوفية للسلمي ويلييه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات للسلمي
- * الطبقات الكبرى للشعراني
- * الطبقات الكبرى لابن سعد
- * عوارف المعارف للسهروردي
- * البيان والتبيين للجاحظ

التقيّة في منهج الإمام السجاد عليه السلام

الشيخ جاسم محمد عبود السيلاوي

الحوزة العلمية / النجف الاشرف

خلاصة البحث:

وجّه الإسلام الحنيف من خلال مصادر تشريعاته - القرآن الكريم والسنة الشريفة للنبي ﷺ إلى حفظ النفس، وعدم التفريط بها، إلّا في ظروف خاصّة كالجهاد في سبيله تعالى؛ لما يترتب على حفظها - النفس - من بقاء النوع الإنساني، وبالاخصّ بقاء الجماعة الصالحة، فشرّع جملة من التشريعات والتي تُحفظ بها النفس من الهتك المادي والمعنوي، ومن تلك التشريعات التقيّة.

وأخذ أعلام الشريعة من أئمة أهل البيت عليه السلام على عاتقهم بيان تفاصيل هذا التشريع، وتوضيح الغامض فيه، ودفع الشبهات عنه، والحثّ على العمل به، والتطبيق المباشر له، وقد عملوا به جميعاً إلى يومنا هذا، وظهر التطبيق العملي منهم عليه السلام للتقيّة بصور متفاوتة حسب الظروف لكل إمام منهم عليه السلام.

وكانت فترة إمامة الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام حافلة بظروفها الخاصة لتطبيق هذا التشريع - التقيّة - بشكل كبير وواضح.

ويتلخص هذا البحث في مبحثين: الأول: وقفة مع مفهوم التقيّة، والثاني: الإمام السجاد عليه السلام والتقيّة.

والجدوى من كتابة هذا البحث: هي التعريف بمناهج القدوة الحسنة في تطبيق التشريعات السماوية والاقتداء بهم واقتفاء أثرهم عليه السلام.

المبحث الأول: وقفة مع مفهوم التقيّة

١. تعريف التقيّة، وأدلتها الشرعيّة إجمالاً:

التقيّة في اللّغة: هي الحيلة والحذر من الضرر والتوقي منه، والتقيّة والتقاة بمعنى واحد^١، فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، وتقاة، مصدر، إمّا بمعنى ما يجب اتّقاؤه فيكون مفعولاً به، أو بمعناه فيكون مفعولاً مطلقاً..، وقرأ يعقوب: تقيّة^٢.

وقال ابن منظور: (وفي الحديث: قلت: وهل للسيف من تقيّة؟ قال: نعم، تقيّة على إقذاء، وهذنة على دخن. ومعناه: إنهم يتّقون بعضهم بعضاً، ويظهرون الصلح والاتفاق وباطنهم بخلاف ذلك)^٣.

التقيّة في الاصطلاح: لا يختلف تعريف التقيّة عند أهل السنّة عن تعريفها عند الشيعة الإماميّة - أعلى الله رايتهن - إلّا من حيث فنيّة التعبير وصياغة الألفاظ في تصوير المعنى الاصطلاحي للتقيّة، ويدلّ هذا على اتفاقهم من حيث المبدأ على أنّ التقيّة ليست كذباً، ولا نفاقاً، ولا خداعاً للآخرين^٤.

فقد عرّفها السرخسيّ الحنفيّ (ت / ٤٩٠ هـ) بقوله: (والتقيّة: أن يقي نفسه من العقوبة بما يظهره، وإن كان يضرّ خلافه)^٥.

وعرّفها ابن حجر العسقلانيّ الشافعيّ (ت / ٨٥٢ هـ) بقوله: (التقيّة: الحذر من إظهار ما في النفس - من مُعتقد وغيره - للغير)^٦.

وعرّفها الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ) عبارة عن: (كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا)^٧.

وعرّفها الشيخ الأنصاريّ (ت / ١٢٨٢ هـ) بأنّها: (الحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق)^٨. وبهذا النحو عرّفها آخرون.

أدلة التقيّة إجمالاً:

١. دليل الكتاب المجيد:

التقيّة قبل الإسلام:

* تقيّة أصحاب الكهف:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ۝٩﴾.

في هاتين الآيتين المباركتين أصدق تعبير على أن التقيّة كانت معروفة وجائزة في الشرائع السابقة، وهي صريحة في تقيّة أصحاب الكهف (عليهم السلام)، وقد أفاض المفسّرون في بيان قصّتهم وكيف أنّهم كانوا في ملّة كافرة وأنّهم كانوا يكتُمون إيمانهم قبل أن يدعوهم ملكهم إلى عبادة الأصنام، فلجأوا إلى الكهف بدينهم.

ولهذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (ما بلغت تقيّة أحد تقيّة أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد، ويشدون الزنانير، فأعطاهم الله أجرهم مرّتين)^{١٠}.

* تقيّة مؤمن آل فرعون:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝١١﴾.

وهذه الآية المباركة هي الأخرى تحكي مشروعيّة التقيّة قبل بزوغ شمس الإسلام بقرون.

وعلى الرغم من وضوح دلالة الآية على التقيّة سوف نذكر طائفة من أقوال المفسّرين بشأنها، ليُعلم اتّفاقهم على مشروعيّة التقيّة قبل الإسلام، وسيأتي تصرّيحهم ببقائها إلى يوم القيامة .

وفي هذا الصدد، نقل الماورديّ في تفسيره عن الحسن البصريّ: (أن هذا الرجل كان مؤمناً قبل مجئ موسى عليه السلام، وكذلك امرأة فرعون، فكتّم إيمانه. وأورد عن الضحاك، أنّه كان يكتّم إيمانه للرفق بقومه، ثم أظهره فقال ذلك في حال كتّمه) ^{١٢}.

وأورد ابن الجوزي: عن مقاتل بشأن مؤمن آل فرعون: (إنّه كتّم إيمانه من فرعون مائة سنة) ^{١٣}.

وهذا الرجل العظيم لم يصفه القرآن الكريم بالنفاق، ولا بالمحتال المخادع، بل وصفه بأشرف الصفات وأعظمها عند الله عز وجل، وهي: صفة الإيثار.

وقد أخرج المتقيّ الهنديّ في كنز العمال، عن ابن النجار، وعن ابن عباس، وعن أبي نعيم في الحلية، وابن عساكر، عن ابن أبي ليلى مرفوعاً قوله: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾، والثالث: علي بن أبي طالب، وهو أفضلهم ^{١٤}.

التقيّة في الإسلام:

* حول جواز الكفر بالله تقيّة:

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^{١٥}.

نزلت هذه الآية المباركة باتفاق جميع المفسّرين في مكّة المكرمة وفي البدايات الأولى من عصر صدر الإسلام، يوم كان المسلمون يُعدّون بعدد

الأصابع، ومن مراجعة ما ذكر بشأن هذه الآية يُعلم أن التقيّة قد أبيضت للمسلمين أيضاً في بدايات الإسلام الأولى، وأنها أُبقيت على ما كانت عليه في الأديان السابقة ولم تنسخ في الإسلام، بل جاء الإسلام ليزيدها تأكيداً ورسوخاً ليتسم بها أصحاب الدين الفتى أمام طغيان أبي سفيان وجبروت أبي جهل كما توسم بها - من قبل - أهل التوحيد أمام ظلم المشركين فيما اقتصّ خبره القرآن الكريم، وصرّح به سائر المفسرين .

منه: ما أخرجه ابن ماجة بسنده عن ابن مسعود ما يؤكد نزول الآية بشأن عمار بن ياسر وأصحابه الذين أخذهم المشركون في مكة وأذاقوهم ألوان العذاب حتى اضطروا إلى موافقة المشركين على ما أرادوا منهم، وقد علّق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على هامش حديث ابن ماجة المذكور، بقوله (أي: وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقيّة، والتقيّة في مثل هذه الحال جائزة، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^{١٦}.

ومنه: ما في تفسير الماوردي: (إن الآية نزلت في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسميّة، وصهيب وخباب، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان)^{١٧}.
 * حول موالاة الكافرين تقيّة:

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^{١٨}.

هذه الآية المباركة ما أصرحها بالتقيّة، وقد مرّ في تعريف التقيّة لغةً بأنّه لا فرق بين علماء اللّغة بين (التقاة) و (التقيّة) فكلاهما بمعنى واحد، ومن هنا قرأ ابن عباس، ومجاهد، وأبو رجاء، وقتادة، والضحاك، وأبو حياء، وسهل، وحيد بن قيس، والفضل عن عاصم، ويعقوب، والحسن البصري، وجابر بن يزيد: (تقيّة)^{١٩}.

٢. دليل السنة الشريفة:

* تقيّة النبي ﷺ من قريش: أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عن عائشة،

قالت: (سألت النبي ﷺ، عن الجدر أمن البيت هو؟ قال ﷺ: نعم.

* فقلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟

* قال ﷺ: إن قومك قصّرت بهم النفقة.

* قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟

* قال ﷺ: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا،

ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن

أدخل الجدار في البيت وأن ألصق بابه في الأرض) ٢٠.

* وعن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق (عليه السلام)، في قول الله تعالى:

(﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾) ٢١ قال: بما صبروا

على التقيّة ﴿وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ ٢٢ قال: الحسنة: التقيّة،

والسيئة: الإذاعة) ٢٣.

* وعنه (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ قال (عليه السلام):

(الحسنة: التقيّة، والسيئة: الإذاعة. وقوله عز وجل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ﴾ .. قال (عليه السلام): التي هي أحسن: التقيّة - ثم قرأ (عليه السلام) - :

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾) ٢٤.

* وعن أبي عمر الأعجمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (يا أبا عمر، إن

تسعة أعشار الدين في التقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له) ٢٥.

* وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (اتقوا على

دينكم فاحجبوه بالتقيّة، فإنّه لا إيمان لمن لا تقيّة له) ٢٦.

* وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (التقيّة ترس

المؤمن، والتقيّة حرز المؤمن) ٢٧.

* وعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان أبي عليه السلام يقول:

وأَيُّ شَيْءٍ أَقْرَّ لِعَيْنِي مِنَ التَّقِيَّةِ؟ إِنَّ التَّقِيَّةَ جَنَّةُ الْمُؤْمِنِ^{٢٨}.

* وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال للمفضل: (إذا عملت بالتقية لم

يقدرُوا في ذلك على حيلة، وهو الحصن الحصين وصار بينك وبين

أعداء الله سداً لا يستطيعون له نقياً^{٢٩}.

* ومن مسائل داود الصرمي للإمام الجواد عليه السلام: (قال لي: يا داود،

لو قُلْتُ إِنَّ تَارَكَ التَّقِيَّةَ كِتَارَكَ الصَّلَاةَ لَكُنْتُ صَادِقاً^{٣٠}.

* وما رواه زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال : (التقيّة في كلّ ضرورة

وصاحبها أعلم بها حين تنزل به) ٣١.

* وفي مضمرة زرارة، قال: قلت له: في مسح الخفين تقيّة؟ فقال ﷺ: (ثلاثة

لا أتقى فيهن أحداً: شرب المسكر، ومسح الخفين، ومتعة الحج) ٣٢.

* وقد حمل وزارة المنع عن استخدام التقيّة في المسكر، ومسح الخفين،

ومتعة الحج على شخص الإمام (عليه السلام)، لأنّه قال في ذيل الحديث برواية

الكافي^{٣٣}: (ولم يقل الواجب عليكم ألا تتقوا فيهن أحداً)، فلاحظ .

* وعن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (إنما جعلت التقية

ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقيّة^{٣٤}.

الفرق بين التقيّة والنفاق:

إِنَّ فِي التَّقِيَّةِ عِزَّ الْمُؤْمِنِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي النِّفَاقِ ذُلَّ الْمُنَافِقِ، وَحِينَمَا نَقُولُ: إِنَّ

في التقيّة المداريّة يُلمّ شمل المسلمين وتأتلف قلوبهم، فلا شك أنّ في النفاق

فرقتهم وشرذمتهم وزرع العداوة والبغضاء في ما بينهم، ومن الفروق بين

التقية والنفاق ما يأتي:

التقيّة ثبات القلب على الإيمان وإظهار خلافه باللسان فقط، لضرورة مقبولة شرعاً وعقلاً، والنفاق عكس ذلك تماماً فهو ثبات القلب على الباطل وإظهار الحق على اللسان فقط، بحيث لا يتعدّى فعل المنافق إلى فعل المؤمن، وأين هذا من ذاك؟ والقياس باطل من الأصل.

١. التقيّة لا تكون من غير ضرورة أو مصلحة معتدّ بها شرعاً، وأمّا النفاق فهو خال من كلّ ذلك تماماً، فهو مرضٌ في قلوب المنافقين الذين يحسبون كلّ صيحة عليهم، فكيف يستويان؟

٢. ومن هذا النفاق الدخول على سلاطين الجور والأمراء الفسقة وإطرائهم بما ليس فيهم وتزكيتهم من دون أدنى ضرورة وبلا إكراه وإنّما لأجل التزلف إليهم ثم ذمّهم عند الخروج.

٣. اعتنى القرآن الكريم ببيان رفع الحرج والعسر والشدّة والضرر، وكذلك السنّة النبويّة، زيادة على طرح الفقهاء لجملة من القواعد الفقهية المبينة لذلك، وكلّ هذا يدخل في دائرة التقيّة وبيان حكمها الشرعيّ، وفي المقابل جاء التحذير الشديد بشأن النفاق وبيان مساوئه، ولم يعد القرآن الكريم من اتقى إلّا بكلّ خير، بينما وعد المنافقين بكلّ عذاب مهين.

٤. جواز التقيّة ثابت بنصّ القرآن الكريم، وحرمة النفاق ثابتة بعشرات النصوص القرآنية، ولو جاز القول بأن التقيّة نفاق، فلم يبق إلّا القول بأن الشريعة الإسلاميّة أحلّت للمسلمين النفاق ثم نسخ هذا الحكم بالحرمة، وهو كما ترى قول مضحك لا يقوله به إلّا السفهاء الأحمق.

٥. التقيّة فضيلة - كما مرّ - والنفاق رذيلة بلا شكّ، فكيف يجوز حمل أحدهما على الآخر!

٦. القول بنظرية عدالة الصحابة يثبت الفرق بين التقيّة والنفاق بأوضح وجه، لثبوت عمل الصحابة بالتقيّة، ومعنى قولهم أنّ التقيّة نفاق يعني أن عدول الصحابة منافقون، وهذا ما لا يرتضونه انفسهم. ومن ذلك كله نستفيد أنّ التقيّة وسيلة دفاعيّة ضد الظلم والإرهاب، ومن أجل حماية الحق والحفاظ على الموقف الشرعيّ السليم.

لماذا لم يعمل الامام الحسين (عليه السلام) بالتقيّة؟

قد يتساءل البعض، فيقول: لماذا لم يعمل الإمام الحسين (عليه السلام) بالتقيّة؟ ولماذا لم يعتمد الخيار السلمي في مواجهة بني أميّة؟

وقد يقال: إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) فرّق صفوف المسلمين بخروجه على خليفة المسلمين في ذلك الوقت!!

ويمكن إيضاح هذا الأمر بجوابين:

الأوّل: إنّ التقيّة إنما شرّعت لحفظ النفوس والأعراض والدماء، فعندما يدور الأمر بين حفظ هذه الأمور المهمة وحفظ غيرها ممّا هو دونها أهميّة، فإنّه يجب العمل بالتقيّة حفاظاً على النفوس، والأموال، والأعراض، وعلى ذلك كانت سيرة الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وإذا دار الأمر بين حفظ الدين وحفظ النفس كان حفظ الدين أولى، ولأجل ذلك بذل الأنبياء وأئمة الدين (عليهم السلام) مهجهم الشريفة حفظاً للدين ورعاية له، وما أحسن ما قاله الشاعر حكاية لحال الإمام الحسين (عليه السلام):

إن كان دينٌ محمدٍ لم يستقم
إلا بقتلي يا سيوفُ خذيني^{٣٥}.

الثاني: إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يخرج محارباً، أو شاهراً سيفه، وقد أوضح (عليه السلام) سبب خروجه إلى كربلاء في إحدى كلماته، فقال: (ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن

قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين^{٣٦}.

ولذلك بذل الإمام (عليه السلام) جهداً مضمياً للحيلولة دون وقوع الحرب بينه وبين أتباع بني أمية، فعرض عليهم أن يتركوه يرجع من حيث أتى، فأبوا عليه ذلك، فعرض عليهم أن يذهب إلى ثغور المسلمين، فرفضوا كلّ ذلك، وخبروه بين بيعة يزيد وبين الحرب، ولذلك قال (عليه السلام): (ألا إنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ، قد ركز بين اثنتين: بين السّلة والذّلة، وهيهات منّا الذّلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وجحور طابت، وأرحام طهرت، ونفوس أبيّة، وأنوف حميّة، من أن نؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام)^{٣٧}.

وحيث إنّهُ لا يجوز للإمام الحسين (عليه السلام) أن يبايع يزيد بن معاوية، كما قال (عليه السلام): (إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)^{٣٨}، لذلك لم يجد الإمام الحسين (عليه السلام) بداً من الدفاع عن نفسه وعن حريمه.

والنتيجة، أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد ألجئ إلى القتال إجماعاً، لا اختياراً منه ورغبة، فلا مورد للتقيّة هنا، ولم يشق (عليه السلام) عصا المسلمين.

المبحث الثاني: الإمام السجاد عليه السلام والتقية:

ظهرت التقية في شخصية الإمام السجاد عليه السلام بشكل كبير؛ وذلك لما مر به من ظروف عصيبة، بالخصوص بعد فاجعة كربلاء، فلما رجع الإمام السجاد إلى المدينة وهو يرى المدينة واجمة، موحشة من أهله وذويه، والناس كذلك واجمون، بعد أن رأوا ركب أهل البيت يرجع ليس فيهم إلا علي بن الحسين عليه السلام، وليس معه إلا أطفال ونساء!! أمّا الرجال فقد ذبحوا على يد العصابة الأموية! وإذا لم يتورّع الظالمون من إراقة دم الحسين سبط رسول الله ﷺ، هكذا وفي وضح النهار، وهو من هو! فمن سوف يأمن بغيهم وسطوتهم!؟

ومعلوم أن الإمام السجاد عليه السلام، هو الوارث الشرعيّ لدماء كلّ المقتولين الشهداء الذين ذبحوا في كربلاء، وهو الشاهد على كلّ ما جرى في تلك الواقعة الرهيبة، فلا بد أن عين الرقابة تلاحقه وتربّص به، وتنظر إلى تصرفاته بريية واتهام.

والناس - على عادتهم في الابتعاد والتخوّف من مواضع التهمة، ومواقع الخطر - قد تركوا علي بن الحسين عليه السلام وابتعدوا عنه، حتى من كان يعلن الحبّ لأهل البيت عليه السلام قبل كربلاء، لم يكذب يفصح عن ودّه بعد كربلاء.

وقد عبر الإمام السجاد عليه السلام عن ذلك بقوله: (ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا)^{٣٦}، وإذا كان عدد الملتزمين بالولاء الصادق لأهل البيت عليه السلام قليلاً إلى هذا الحدّ، فكيف بالبلدان القاصية عن مركز وجودهم عليه السلام!؟

وقد رجع الإمام السجاد عليه السلام حاملاً معه أعباءً ثِقَالاً، أعباء كربلاء، بمآسيها، وأعباء العائلة المهضومة، ما بين ثكالي وأرامل وأيتام، وجروح وأمراض وآلام، تحتاج إلى مداراة ومداواة، وأعباء الإمامة، وتلك المسؤولية الإلهية الملقاة على عاتقه، والتي لا بدّ أن ينهض بها، التي تمثّل الخطّ الصحيح للإسلام.

ولقد حمل الإمام السجاد (عليه السلام)، في وحدته، كلّ هذه الأعباء، وبفضل حكمته وتدييره خرج من عهدتها بأفضل الأشكال، وكان (عليه السلام) يعمل وفق التقية المشددة منذ أول يوم نزل فيه المدينة المنورة.

خروج الإمام من المدينة تقيّة:

كانت ملاحقة الدولة مستمرة للإمام السجاد (عليه السلام)، وأصابع الاتهام موجهة إليه ما دام موجوداً في المدينة، أو أي بلد إسلامي آخر، تلاحق حركاته وسكناته، وتحصي أنفاسه وكلماته، وكيف للإمام (عليه السلام) أن يوقفها عند حد؛ حتى يتمكن من أداء واجب تلك الأعباء الصعبة بشكل صحيح.

فلذلك اتخذ (عليه السلام) إجراءً فريداً في حياة الأئمة (عليهم السلام)، وبأسلوب مختلف جداً، لمواجهة الموقف، ولإبعاد نفسه عن وجهة تلك الاتهامات والملاحقات التي لا يمكن صرفها ولا تغيير وجهتها.

فأبعد بذلك الإجراء الأخطار الموجهة إليه من الملاحقات، وبدأ بعيداً عنها بالاستعداد لما يتوجبه حمل تلك الأعباء، ويتأهب للقيام بدوره، كوارثٍ لكربلاء، وكمعيل كفيل لعوائل الشهداء، وكإمام يقود الأمة ويحافظ على تعاليم السماء.

وكان ذلك الإجراء الفريد أنه اتخذ بيتاً من (شعر) في البادية، خارج المدينة! وعمل بالتقية إلى أبعد حد.

فعن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: (كان أبي قد اتخذ منزله - من بعد قتل أبيه الحسين (عليه السلام) - بيتاً من شعر، وأقام بالبادية فلبث بها عدّة سنين؛ كراهية لمخالطة الناس وملابستهم، وكان يصير من البادية إلى العراق زائراً لأبيه وجده (عليه السلام) ولا يشعر أحد بذلك من فعله).^٤

وإنّه تصرّف فريد في طول تاريخ الإمامة، لم نجد له مثيلاً، لكنّه - كما تكشف عنه الأحداث المتتالية - عمل عظيم ينم عن حنكة سياسيّة، وتدبير دقيق من الإمام (عليه السلام).

فإذا كان الإمام عليه السلام يعيش خارج المدينة، وكان ينزل البادية فإن الدولة لا تتمكن من اتّهامه بشيء يحدث في المدينة، ويكون من العبث ملاحقته وملاحظته، في محل مكشوف مثل البادية!

وهو ﷺ بحاجة بعد ذلك العناء والضنى إلى راحة، حتى يعافى من مرضه، أو يداوى جراحاته .

فقد بنى الإمام زين العابدين (عليه السلام) سياسته بالتقيّة المكثفة، في ابتداء إمامته على أساس الابتعاد عن الناس، ودعوتهم إلى الابتعاد عنه (عليه السلام).

وقد أعلن الإمام عن هذه السياسة، في الكوفة، عندما عرضوا عليه ولأهم، وقالوا له بجمعهم: (نحن كلنا يا بن رسول الله، سامعون، مطيعون، حافظون لزامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله، فإننا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لناخذنّ تترك وتترتنا ممن ظلمك وظلمنا.

إلى منى، فإنَّ الجرح لما يندمل !! قتل أبي بالأمس، وأهل بيته معه، فلم ينسني
شكل رسول الله ﷺ، وشكل أبي وبني أبي وجدِّي شقَّ لهازمي، ومرارته بين
حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري، ومسألتي أن لا تكونوا
لنا ولا علينا، ثم قال ﷺ:

لا غرو أن قتل الحسين وشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالذي أصيب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر نفسي فداؤه جزاء الذي أرداه نار جهنما.^١
إنَّ الإمام ﷺ أخذ عليهم، سائلاً، أن يأخذوا في تلك الفترة جانب الحياد
تجاه أهل البيت ﷺ، لا لهم، ولا عليهم .

إذ، لو رأت السلطة أدنى تجمع حول الإمام ﷺ، لالتحذت ذلك مبرراً لها
أن تستأصل وجوده ومن معه، فإنَّ من الهين عليها قتل علي بن الحسين وهو
ضعيف، بعد أن قتلت الحسين ﷺ وهو أقوى موقعاً في الأمة.

تقيته ﷺ من يزيد بن معاوية:

روي في الكافي عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن بريد بن معاوية
قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: إن يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد
الحجَّ^٢، فبعث إلى رجل من قريش فأتاه، فقال له يزيد: أنقر لي أنك عبد لي،
إن شئت بعتك وإن شئت استرقيتك فقال له الرجل: والله يا يزيد ما أنت
بأكرم مني في قريش حسباً ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والإسلام
وما أنت بأفضل منِّي في الدين ولا بخير مني فكيف أقر لك بما سألت؟ فقال
له يزيد: إن لم تقر لي والله قتلتك، فقال له الرجل: ليس قتلك إياي بأعظم من
قتلك الحسين بن علي ﷺ ابن رسول الله ﷺ فأمر به فقتل .

ثم أرسل إلى علي بن الحسين (عليه السلام) فقال له : مثل مقالته للقرشي فقال له علي بن الحسين (عليه السلام) : رأيت إن لم أقرّ لك أليس تقتلني كما قتلت الرجل بالأمس؟ فقال له يزيد لعنه الله : بلى، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام) : قد أقررت لك بما سألت أنا عبد مكره فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع، فقال له يزيد لعنه الله : أولى لك^{٤٣}، حقنت دمك ولم ينقصك ذلك من شرفك^{٤٤}.

تقيته (عليه السلام) من مسلم بن عقبة:

عندما دخل مسلم بن عقبة إلى المدينة في واقعة الحرة، لم يشك أحد على الإطلاق في أن أول شخص سيقع ضحية نقمته هو علي بن الحسين (عليه السلام)، لكن الإمام السجاد بتدبيره الحكيم تصرّف بحيث دفع هذا البلاء عنه، وبذلك حافظ على استمرار المحور الأصلي وهناك روايات تحكي عن إظهار التذلل من قبل الإمام السجاد (عليه السلام) عند مسلم بن عقبة، ولكنني بالقطع أكذب هذه الروايات؛ وذلك لوجود روايات أخرى تكذبها وتدفعها من حيث المضمون. وعلى كل حال، لا شك أيضاً في أن الإمام (عليه السلام) لم يقابل مسلم بن عقبة بتصرّف معادٍ؛ لأن أي تصرف من هذا القبيل سوف يؤدي إلى قتل الإمام (عليه السلام)، وهذا سيؤدّي بدوره إلى خسارة عظيمة لا تجبر بلحاظ الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإمام السجاد (عليه السلام) بالنسبة لثورة الحسين (عليه السلام) وتبليغ حقيقتها.

ويؤكد الشيخ المفيد في إرشاده، أن مسرف بن عقبة هذا كان في بدايته لا يريد إلّا قتل علي بن الحسين (عليه السلام)، وحين لم يجد لقتله حجة، اكتفى أن أباح المدينة ثلاثة أيام بأمر يزيد، وقد انفضّت فيها ألف عذراء، وولد مئات الأبناء لا يُعرف آباؤهم، وكان من بينهن بنات ونساء صحابة^{٤٥}، ويقول اليعقوبي في تاريخه: إن هذا المجرم (أباح حرم رسول الله ﷺ حتى ولدت الأبقار لا يُعرف من أولدهن)^{٤٦}.

وصار الإمام ملاذاً لمن التحق به من المؤمنين هرباً من الجيش الأموي ووحشيته وبربريته. وكان ممن لاذ به من الأمويين عائلة مروان بن الحكم وزوجته عائشة بنت عثمان بن عفان، وأكثر من أربعائة مُنافية (من آل عبد مناف)، وكان عليه السلام يعوهُنَّ إلى أن تفرَّق الجيش .. ٤٧.

تقيته عليه السلام من عبد الملك بن مروان:

لما ساد حكم عبد الملك، الذي شمل أكثر مراحل إمامته عليه السلام لمدة تجاوزت الثلاثين سنة وكان نظامه يقوم بالرصد التام والمراقبة الدائمة لحياة الإمام السجاد عليه السلام، ويستخدم الجواسيس والعيون الكثيرة التي كانت تنقل إليه أدق التفاصيل حتى المسائل الداخلية والخاصة بالإمام عليه السلام.

فمثلاً (.. عن يزيد بن حاتم قال: كان لعبد الملك بن مروان عينٌ بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها وإن علي بن الحسين عليه السلام أعتق جارية ثم تزوّجها، فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليه السلام أمّا بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنّه كان في أكفائك من قريش من تمجّد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت والسلام).

فأجابه الإمام جواباً مظهرأ عدم تقبّله لتصرّف عبد الملك الممتزج بالتودّد والمكر: (أمّا بعد.. فقد بلغني كتابك تعنّفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنّه كان في نساء قريش من أتمجّد به في الصهر وأستنجه في الولد وأنّه ليس فوق رسول الله ﷺ مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم وإنّما كانت ملك يميني خرجت متى أراد الله عز وجل مني بأمر ألتمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنّة، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخلّ به شيءٌ من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وتّم به النقيصة، وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئٍ مسلم إنّما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام) ٤٨.

ورأى الإمام عليه السلام إلى ضرورة كسر هيبة الحكّام الأمويين وتهشيم هالتهم التي صنعوها بشراستهم وفرعونيتهم ودعواهم العريضة بالانتساب إلى الإسلام ونبي الإسلام، مع الحفاظ على العمل بالتقيّة.

فقد روي أنّ عبد الملك بن مروان كان يطوف بالبيت العتيق، وعلي بن الحسين يطوف أمامه غير ملتفت إليه، أو لا يلتفت إليه. فقال عبد الملك من هذا الذي يطوف بين أيدينا؟ ولا يلتفت إلينا؟ فقيل له: إنّ علي بن الحسين عليه السلام.

فجلس عبد الملك مكانه غاضباً وقال: ردّوه إليّ فردّوه، فقال له: يا علي بن الحسين، إنّني لست قاتل أبيك! فما يمنعك من السير إلينا؟! فأجابه عليه السلام: «إنّ قاتل أبي أفسد - بما فعله - دنياه عليه، وأفسد أبي عليه آخرته. فإن أحببت أن تكون هو فكن ..»^{٤٩}.

ويبدو من هذه السطور أن الإمام كان مقاطعاً عبد الملك، أو أن مقاطعته ليست مجرد عزلة أو مقاطعة عابرة، وإنّما مقصودة ومتعمّدة، وتعبر عن موقف سياسي وإعراض متعمّد مع سبق الإصرار، ولعلّها أظهر أشكال الجهاد السياسي واتخاذ الموقف السياسي في حدود المعروف أو المسموح به في ذلك العهد، كما أن قول عبد الملك: (إنّني لست قاتل أبيك) يتضمّن الغلظة ويوحى بالتهديد والتوّعد والإرهاب. فيما كان ردّ الإمام: «إن أحببت أن تكون هو فكن».

وهكذا كان موقفه عليه السلام مع عبد الملك هذا في قصة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله الموجود عنده، والذي حاول عبد الملك استنزاز الإمام عليه السلام بطلب ذلك السيف أو استيهابه منه أو أخذه منه، لما فيه من رمزيّة يمكن أن يوظّفها الحاكم الظالم إلى شرعيته المزيّفة، فأبى الإمام عليه السلام إعطاء السيف، فكتب إليه عبد الملك يهدّده بأن يقطع رزقه من بيت المال.. فأجاب الإمام عليه السلام: «أما بعد .. فإنّ الله تعالى ضمن للمتّقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جلّ ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾»^{٥٠}.

تقيّته عليه السلام من الحركات في زمانه:

يظنّ البعض أنّ الإمام عليه السلام فيما لو أراد أن يقاوم نظام بني أميّة لكان ينبغي أن يرفع راية المقاومة العسكرية، أو أن يلتحق بالمختار أو عبد الله بن حنظلة، أو أن يقودهما معلناً بذلك المقاومة المسلّحة بكل وضوح، لكننا نفهم من خلال النظر إلى ظروف زمان الإمام السجاد عليه السلام أنّ هذا ظنّ خاطئ، فلو قام الأئمة عليهم السلام، ومن جملتهم الإمام السجاد عليه السلام في تلك الظروف بمثل هذه التحركات العلنيّة، فباليقين لما بقي للشيعة باقية، ولما بقيت الأرضيّة أو فسخ المجال لاستمرار ونمو مدرسة أهل البيت عليه السلام فيما بعد.

لهذا نجد أنّ الإمام السجاد عليه السلام في قضية المختار الثقفي لم يعلن التعاون معه، وبرغم ما جاء في بعض الروايات عن ارتباط سرّي بينهما، إلّا أنّه وبدون أدنى شك لم يكن ارتباطاً علنياً، حتى قيل: إنّ الإمام السجاد عليه السلام كان يذمّ المختار، ويبدو هذا الأمر طبيعياً جدّاً من ناحية التقيّة، وذلك حتى لا يشعر بوجود أي ارتباط بينهما، ومع وجود أدنى ارتباط واضح وعلني، لكانت النعمة شملت وبشكل قطعي الإمام السجاد عليه السلام والشيعة واجتثت جذور التشيع؛ لأجل ذلك لم يظهر الإمام عليه السلام أي نوع من الارتباط العلني معه.

أهداف الإمام السجاد عليه السلام في ظل العمل بالتقيّة:

بعد أن توضحت ساحة الإمام السجاد عليه السلام ولو إجمالاً، أشير إلى الهدف الذي اعتمده الإمام عليه السلام من نهج التقيّة؛ لأنّه بدون أي شكّ كان الهدف النهائي للإمام السجاد عليه السلام إيجاد واجهة إسلاميّة، ولكن كيف يمكن أن تقام الواجهة الإسلامية في مثل تلك الظروف؟ إن هذا يحتاج إلى عدّة أمور:

ينبغي أن تدوّن وتدرس وتنتشر المدرسة الإسلامية الحقيقية التي يحمل علمها الأئمة عليهم السلام، هذه المدرسة التي هي أيضاً المبنى الأساس للواجهة الإسلامية.

إذ كيف يمكن أن تقام واجهة مينة على أساس الفكر الإسلامي الأصيل، والمجتمع الإسلامي قد ابتعد لسنوات طويلة عن الفكر الإسلامي الصحيح إضافة إلى أنه لم يكن هناك أية ظروف مساعدة لنشره وتثبيت أركانه بين الناس. وإن أعظم الأدوار التي مارسها الإمام السجاد عليه السلام هي: أنه دَوَّن الفكر الأصيل للإسلام: كالتوحيد، والنبوة، والإمامة، والمعاد، والعدل الإلهي، وحقيقة المقام المعنوي للإنسان، وارتباطه بالله، وكل ذلك الدور دور أدته الصحيفة السجادية.

فانظر إلى هذه الصحيفة، ثم تجوّل ببصرك في أوضاع الناس على صعيد الفكر الإسلامي في ذلك الزمان ستجد مدى المسافة التي تفصل بين الاثنين. ففي ذلك الزمان الذي كان المسلمون في أنحاء العالم الإسلامي يسرون نحو الحياة المادية والملذات بدءاً من شخص الخليفة إلى العلماء المحيطين به - ومن جملتهم محمد بن شهاب الزهري - نزولاً إلى المجتمع الذين كانوا يغوصون في بحر الدنيا والماديات، ويقف الإمام السجاد عليه السلام ويقول مخاطباً الناس: (أولاً حرّ يدع هذه التماظة لأهلها - يعني الدنيا - فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبعوها بغيرها، فإنه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس)^٩.

ففي هذه الجملة يوضح الإمام أن الفكر الإسلامي الأصيل كان عبارة عن جعل الهدف للمعنويات والتحرّك نحو الوصول إلى الأهداف المعنوية والإسلامية، وجعل الإنسان يرتبط بالله عبر التكليف، وهذا هو الموقف المقابل تماماً في ذلك الزمن.

تعريف الناس بحقائق أولئك الذين ينبغي أن يتسلّموا زمام الحكم، إذ كيف يمكن لأهل البيت عليه السلام تشكيل حكومة في الوقت الذي كان الإعلام والتبليغ ضدّ آل الرسول صلى الله عليه وآله قد ملأ العالم الإسلامي طوال عشرات السنين حتى عصر الإمام السجاد عليه السلام، وفيه ظهرت الأحاديث الموضوعة عن رسول

الله ﷻ والتي تخالف حركة أهل البيت (عليه السلام)، بل إنها في بعض الموارد تشتمل على سبهم ولعنهم، وقد نشرت بين أناس لم يكن لديهم أي اطلاع على المقام المعنوي والواقعي لأهل البيت (عليه السلام).

الأول: تدوين الفكر الإسلامي بصورة صحيحة وطبق ما أنزل الله، وبعد مرور أزمئة من التحريف والنسيان عليه.

وكلّ ذلك ضمن ظروف التقيّة المكثفة التي مارسها الإمام (عليه السلام) طيلة مدة إمامته .

ألزم الإمام زين العابدين (عليه السلام) شيعته بالتقية نظراً للظروف العصيبة الخائفة التي كانت تمرّ بهم فقد كان الحكم الأموي يفتش بدقة عن العناصر الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) ليقوم بتصفيتهم جسدياً وقد جاء أمر الإمام (عليه السلام) بلزوم التقية وإخفاء شيعته موافقاً للحكمة ومتّقاً مع روح الإسلام وجوهره، فيقول (عليه السلام): (يعفو الله للمؤمن كل ذنب، ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنيتين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان) ٥٢.

ولقد حفظت التقيّة دماء شيعة أهل البيت عليهم السلام في تلك العصور السود، التي كان فيها الحكم الأموي يتتبعهم تحت كل حجر ومدر، فأشاع فيهم القتل، وبلغ الحال أن من يُقذف من المسلمين باليهوديّة والنصرانيّة أهون عليه من أن يوصف بأنه من شيعة آل محمد عليه السلام، وقد ندّد بالشيعة من لا وعي له من الحاقدين على آل البيت عليهم السلام لالتزامهم بالتقيّة، ولم يعلم أنّها ضرورة إسلاميّة ملحّة، ولولا التزامهم بها لم يبق أحدٌ يدين بالولاء للأئمة الطاهرين.

تساؤل وجواب:

هل يجب على الإمام زين العابدين عليه السلام ترك التقيّة والأخذ بالمنصب القيادي أو إدارة الحكم أو ما يسمّى اليوم بالسلطة التنفيذية؟

الجواب: لا شكّ أنّه يجب على الإمام أخذ هذا المنصب؛ لأنّه حقّ إلهي وليس بشرياً، والنزاع العقائدي قائم من يوم السقيفة إلى يومنا هذا حول أحقيّة أمير المؤمنين عليه السلام وولده بمنصب الخلافة دون غيره، لوجود النصّ الدالّ على ذلك.

ولكن هل الظروف السياسيّة بوجود الناصر قد تحقّقت في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام لتسنى السلطة ووجوب السعي إليها، أم لم تتحقّق؟

والإجابة عن ذلك: إنّ الشرط المتّم بعد الإمامة الإلهية المتمثّلة به عليه السلام، وهو وجود الناصر غير حاصل؛ وذلك من خلال ما قاله الإمام الصادق عليه السلام عن تلك المرحلة وهي بعد مقتل الحسين عليه السلام وعدم تصدّي الإمام زين العابدين عليه السلام للحركة السياسيّة مباشرة وذلك لعدم وجود الناصر، بل لتفرّق الناس والإعراض عنه، حسب الرواية المنقولة عن الصفار عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ارتدّ الناس بعد الحسين عليه السلام إلّا ثلاثة: أبو خالد الكابلي^{٥٠}، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم، الناس لحقوا وكثروا، وكان يحيى بن أم الطويل يدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء^{٥١}).

وكان منشأ البأس والردة: ((أتهم وجدوا الآمال تبددت بقتل القائد، وسبي أهله، وظهور ضعف الحق وقلة أنصاره هذا من جهة، ومن جهة أخرى ملأ الرعب قلوبهم لما وجدوا الدولة على هذه القوة والجرأة والقسوة فكيف يمكن التصدي لها، والإمام بمثل هذا الموقع من الضعف، فليس التقرب منه إلا مؤدياً إلى الاتهام والمحاسبة ولذلك ابتعد الناس عن الإمام (عليه السلام)))^{٥٦}.

وهذا الارتداد نفسه الذي وقع بعد رسول الله ﷺ لأصحابه بعدم جعل أمير المؤمنين خليفة لرسول الله ﷺ مع وجود النصّ والذي قال عنه الإمام الباقر (عليه السلام): (ارتد الناس بعد رسول الله إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد)^{٥٧}.

وهذا الارتداد ليس المراد منه الارتداد الحقيقي الموجب للكفر والقتل والنجاسة وغيرها من الأحكام، ((بل الارتداد هنا هو نكث عهد الولاية، ونوع رجوع عن مشي الرسول الأعظم وعدم رعاية وصاياه، ولو كان المراد منه الارتداد الاصطلاحي لكان الإمام (عليه السلام) - بعد أن تقلد القدرة وتسلب على الأمور - أن يضع فيهم السيف ويبيدهم ويقتلهم من أولهم إلى آخرهم خصوصاً بلحاظ أن توبة المرتد الفطري لا تمنع قتله ولا ترفعه بل يقتل وإن تاب))^{٥٨}. بالخصوص انحراف أهل مكة والمدينة عن أهل البيت (عليهم السلام) وكانوا مشهورين بالولاء والنصرة لغيرهم فقد روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) قوله: ((ما بمكة والمدينة ثلاثون رجلاً يحبنا))^{٥٩}.

ولهذا البعض أسبابه التي بذلت الدولة الأموية الغالي والنفيس لإطفاء ذكر أهل البيت (عليهم السلام) وخصوصاً ما بذله معاوية اتجاه أمير المؤمنين (عليه السلام) من إبراء الذمة عن كل من يتحدث عن فضائل الإمام علي (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام). وإذا أردت الاطلاع على الجنود الذين وجههم معاوية لإشاعة البغض في نفوس الناس لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم وهي أسوأ أنواع العاقبة، فإنّ كتب التاريخ والسيرة مشحونة ببغض الرواة من فقهاء الكوفة وأهل الحجاز وغيرهم لأهل البيت (عليهم السلام).

وللبيان ما أعدّه فقهاء المدينة والذين يعتبرون هم الإعلام والمدرسة السيارة في تثقيف الناس ووعيتهم والترويج للعداء لأهل البيت (عليه السلام) على نحو المثال لا الحصر. عن محمد بن شبيرة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير قد جلسا فتذكرا علياً فنا لا منه، فبلغ ذلك علي بن الحسين (عليه السلام) فجاء حتى وقف عليهما فقال: (أمّا أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي علي أيبك، وأمّا أنت يا زهري فلو كنت أنا وأنت بمكة لأريتك كن أيبك^{٦٠})^{٦١}.

تمة مهمة:

ولكن مع عدم وجود الناصر لم نجد الأئمة (عليهم السلام) يقعدون عن أداء الرسالة، وذلك من خلال قنوات عدّة كما في القنوات التي أفاض فيها الإمام زين العابدين (عليه السلام) من خلال جهاده الفكري فإنهم يفيضون بما فيه بناء الإنسان وتحسينه والسير به إلى الكمال المنشود، و ((إن أسلوب الإمساك بالسلطة له أشكال وألوان مختلفة وإذا كانوا (عليهم السلام) يفتقرون لوجود الناصر في قناه ما، كانوا لا يفرطون في قنوات أخرى، بل إن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم ساسة السياسة كانوا بناة حضارة، فهناك حكومة سياسية لبناء قدرة سياسية وهناك حكومة لبناء التشريع والدستور))^{٦٢}.

فالأئمة (عليهم السلام) حكام حضارة اتسمت سياستهم كسياسة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) في بث ما يقوم الحياة سواء كان في أزمانهم أو الأزمان اللاحقة بعكس حكام السياسة الذين اقتصروا بحاكميتهم على مدة حكمهم.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على النبي الأمين وآله الطاهرين.



الهوامش

- ١- ينظر: مجمع البحرين: ١ / ٤٥٢.
- ٢- ينظر: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٣ / ٦٦.
- ٣- لسان العرب: ١٥ / ٤٠١، وانظر: المصباح المنير: ٢ / ٦٦٩، وأساس البلاغة: ٦٨٦، مادة (وقي).
- ٤- ينظر: واقع التقيّة عند المذاهب والفرق الإسلاميّة من غير الشيعة الاماميّة: ٢٢.
- ٥- المبسوط: ٤٥ / ٢٤.
- ٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١٢ / ١٣٦.
- ٧- تصحيح اعتقادات الإماميّة: ٦٦.
- ٨- التقيّة (للشيخ الأنصاري): ٣٧، وانظر: القواعد الفقهية (للجنوردي): ٥ / ٤٤، والقواعد الفقهية (للشيخ ناصر مكارم الشيرازي): ٣ / ١٣.
- ٩- سورة: الكهف آية ١٨ - ١٩.
- ١٠- الكافي: ٢ / ٢١٨، ب التقيّة، ح ٨.
- ١١- سورة: غافر آية ٢٨.
- ١٢- النكت والعيون: (الماوردي) ٥ / ١٥٣.
- ١٣- زاد المسير في علم التفسير: ٧ / ٤٠.
- ١٤- كنز العمال: ١١ / ٦٠١.
- ١٥- سورة: النحل آية ١٠٦.
- ١٦- سنن ابن ماجه: ١ / ٥٣، ب ١١، ح ١٥٠.
- ١٧- النكت والعيون: الماوردي: ٣ / ٢١٥.
- ١٨- سورة: آل عمران آية ٢٨.
- ١٩- أنظر: حجة القراءات / أبو زرعة: ١٦٠، ومعاني القرآن / الزجاج: ١ / ٢٠٥. وتفسير الرازي: ٨ / ١٢. والنشر في القراءات العشر: ٣ / ٥، والجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٥٧، والبحر المحيط: ٢ / ٤٢٤، وفتح القدير: ١ / ٣٠٣.
- ٢٠- صحيح البخاري: ٨ / ١٣٢.
- ٢١- سورة: القصص آية ٥٤.
- ٢٢- سورة: القصص آية ٥٤.
- ٢٣- الكافي: ٢ / ٢١٧، ب التقيّة، ح ٤.
- ٢٤- الكافي: ٢ / ٢١٧، ب التقيّة، ح ٦.
- ٢٥- الكافي: ٢ / ٢١٧، ب التقيّة، ح ٢.

٤٨- الكافي: ٥ / ٣٤٥.

٤٩- بحار الأنوار: ٤٦ / ١٢٠. وإثبات الهداة: ٣ / ١٥.

٥٠- المناقب: ٤ / ٣٠٢. وبحار الأنوار: ٤٦ / ٩٥. سورة الحج: آية ٢٢-٣٨.

٥١- بحار الأنوار: ١ / ١٤٤.

٥٢- وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٢٣، ب وجوب الاعتناء والاهتمام بالتقية وقضاء حقوق الاخوان المؤمنين، ح ٦.

٥٣- حلية الأولياء: ٣ / ١٤٠.

٥٤- يقول العلامة المجلسي: كان هؤلاء الأصحاب من خواص الأئمة عليهم السلام وكانوا لا يعملون بالتقية بأذن من الأئمة لأنّ للتقية حدود إنّما تجب إبقاءً للدين وأهله أمّا مع الضلالة الموجبة لمحو الدين فلا تقية وإن أوجب القتل . مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: ١١ / ٩٨.

٥٥- الاختصاص: ٦٤.

٥٦- جهاد الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام: ٧٣.

٥٧- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٢١٨.

٥٨- نتائج الأفكار: ١ / ١٩٦.

٥٩- الغارات: ٢ / ٥٧٣.

٦٠- أي بيت أبيك .

٦١- الغارات: ٢ / ٥٧٣.

٦٢- أسس النظام السياسي عند الإمامية: ٣٦٠.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاريّ، رتب فهارسه: السيّد محمود الزرنديّ المحرميّ، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: لفخر الشيعة أبي عبد

الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لتحقيق التراث دار المفيد، الطبعة الثانية: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان.

* التقيّة: لشيخ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الأنصاريّ (١٢١٤-١٢٨٢ هـ)، تحقيق:

الشيخ فارس الحسون، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ هـ، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسّسة قائم آل محمد (عليه السلام) قم.

* التفسير الكبير (تفسير الرازي):

لفخر الدين الرازيّ، (ت ٦٠٦ هـ)، الطبعة: الثالثة، النشر في القراءات العشر: لشمس الدين أبو الخير بن الجزريّ، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ) الناشر: المطبعة التجاريّة الكبرى.

* أساس البلاغة: لأبي القاسم

محمود بن عمر الزمخشريّ، (ت ٥٣٨ هـ)، سنة الطبع: ١٩٦٠ م، الناشر: دار ومطابع الشعب - القاهرة.

* أسس النظام السياسيّ عند

الإمامية: الشيخ محمد السند، تحقيق: محمد حسن الرضوي / مصطفى الإسكندري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦، المطبعة: سرور، الناشر: باقيات، مركز التوزيع: مكتبة فندك.

* أيام العرب في الإسلام: لمحمد

أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، تاريخ النشر ١٩٨٨ م

* الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن

علي بن أبي طالب الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، تعليقات وملاحظات: السيّد محمد باقر الخراسان، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.

* الاختصاص: لفخر الشيعة

أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)،

- * الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- * القواعد الفقهية: للسيد محمد حسن الجنوردي، (ت ١٣٩٥هـ)، تحقيق: مهدي المهريزي - محمد حسين الدرايتي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٣٧٧ ش، المطبعة: الهادي، الناشر: نشر الهادي - قم - ايران.
- * الغارات: لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، ملاحظات: طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.
- * القواعد الفقهية: للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، معاصر، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: رمضان ١٤١١هـ، المطبعة: مدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، الناشر: مدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).
- * الكافي: ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)،

- تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.
- * اللهوف في قتلى الطفوف: للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧، المطبعة: مهر، الناشر: أنوار الهدى - قم - ايران.
- * المسوط: لشمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، سنة الطبع: ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- * المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: لأحمد بن محمد المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: للعلامة الحجة فخر الأئمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، النشر: مؤسسة الوفاء، الطبعة: ٢- بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- * تاريخ يعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي (ت ٢٩٢هـ)، ناشر:

- * تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: للشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت ١١٢٥ هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: نيمه شعبان ١٤٠٧ - ١٣٦٦ هـ. ش، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي.
- * جهاد الإمام السجاد عليه السلام: للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي (ت ١٤٤٦ هـ)، الناشر: دار الحديث، المطبعة: شمشاد، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.
- * حجة القراءات: لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣ هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني [ت ١٤١٧ هـ]، الناشر: دار الرسالة.
- * حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) دار الكتب العلميّة، تاريخ النشر ١٩٨٨ م،
- * روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: للشيخ محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠ هـ)، تحقيق: نَمَقَه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: السيد حسين الموسوي الكرماني، والشيخ علي پناه مؤسسه ونشر فرهنگ أهل بيت عليه السلام - قم - خيابان حجت، صندوق پستی ١١ - تلفن ٢٧٣٤٨، دار صادر بيروت.
- * تصحيح اعتقادات الإمامية: للإمام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري، البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- * تفسير البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق (١) د. زكريا عبد المجيد النوقي (٢) د. أحمد النجولي الجمل، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، المطبعة: لبنان/ بيروت - دار الكتب العلميّة، الناشر: دار الكتب العلميّة.
- * تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، (ت ٤٥٠ هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت .

الإشتهارديّ، الناشر : بنياد
فرهنگ اسلامي حاج محمد
حسين كوشانيور.

* زاد المسير في علم التفسير: أبو
الفرج جمال الدين عبد الرحمن
بن علي بن محمد الجوزي القرشيّ
البغداديّ، (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق:
محمد بن عبد الرحمن عبد الله،
الطبعة: الطبعة الأولى، سنة الطبع:
جمادى الأولى ١٤٠٧ - كانون
الثاني ١٩٨٧ م، الناشر: دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع.

* سنن ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله
محمد بن يزيد القزويني بن ماجه (ت
٢٧٣ هـ)، حقق نصوصه، ورقم
كتبه، وأوابه، وأحاديثه، وعلّق
عليه: محمد فؤاد عبد الباقي،
الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع.

* صحيح البخاريّ: لأبي عبد الله
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
بن المغيرة بن بردزبة البخاريّ
الجعفيّ (ت ٢٥٦ هـ)، سنة الطبع:
١٤٠١ - ١٩٨١ م، الناشر : دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

* فتح الباري بشرح صحيح
البخاريّ: لابن حجر،
(ت ٨٥٢ هـ)، الطبعة: الثانية،
المطبعة: دار المعرفة للطباعة
والنشر بيروت - لبنان، الناشر:

دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان.

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية
والدراية من علم التفسير: لمحمد
بن علي بن محمد الشوكانيّ، (ت
بصنعاء ١٢٥٥ هـ)، المطبعة: عالم
الكتب، الناشر: عالم الكتب.

* كنز العمال في سنن الأقوال
والأفعال: للعلامة علاء الدين
علي المتقيّ بن حسام الدين
الهنديّ (ت ٩٧٥ هـ)، تحقيق:
ضبط وتفسير: الشيخ بكري
حياني / تصحيح وفهرسة: الشيخ
صفوة السقا، سنة الطبع: ١٤٠٩
- ١٩٨٩ م، الناشر : مؤسسة
الرسالة - بيروت - لبنان.

* لسان العرب: للإمام العلامة
أبي الفضل جمال الدين محمد
بن مكرم بن منظور الإفريقي
المصري، نشر أدب الحوزة، قم -
إيران، ١٤٠٥ هـ ١٣٦٣ ق.

* مجمع البحرين: للشيخ فخر
الدين الطريحيّ (ت ١٠٨٥ هـ)،
الطبعة: الثانية، سنة الطبع:
شهر يور ماه ١٣٦٢ ش، المطبعة:
چاپخانه طراوت، الناشر:
مرتضوي.

* مستدركات أعيان الشيعة: لحسن
الأمين (ت ١٣٩٩ هـ)، سنة
الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٧، المطبعة:

الإماميّة: لثامر هاشم حبيب
العميديّ، معاصر.
* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل
الشرعية: للفقهاء المحدث الشيخ
محمد بن الحسن الحر العاملي (ت
١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل

البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة:
الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ،
المطبعة: مهر - قم، الناشر:
مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء
التراث بقم المشرفة.





مؤتمر الإمام الباقر عليه السلام الدولي الثاني

الأبعاد الاجتماعية في سيرة الإمام الباقر (عليه السلام) نظرة في علاقاته وأقواله

الباحث: صبيح هاشم عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ صدق الله العلي العظيم (سورة الأنفال / آية ١٥)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين. لا يخفى على البعيد فضلاً عن القريب من الفكر الإسلامي أهمية شخصية الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ومدى تأثيرها الواسع في التاريخ الإسلامي والذي يُعدّ أبرز أساطين العلم بل هو في مقدّماتهم في زمانه بلا منازع، وأن دراسة الحياة الاجتماعية له وعلاقاته الخاصة والعامة وبعض أقواله ومواعظه تُضيف للفكر الإسلامي والإنساني الشيء الكثير بلا أدنى شك، وكيف لا، وهو الذي له شهادة من سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين في حقه لم يتّصف بها غيره، حيث ورد عن النبي ﷺ (يا جابر يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين يقال له محمد يقر علم النبيين بقرًا، فإذا لقيتَه فاقرأه مني السلام)، ولا بد لكل منا معرفة الشي



الكثير عن حياته وعلاقاته وأقواله واخذ الدروس والعبر منها وبحسب
الممكن والمستطاع، فإننا نعجز عن إدراك كل ما في سيرته عليه السلام، ونحن بأمس
الحاجة في الوقت الحالي وفي كل الأوقات إلى الاقتداء به والاهتداء بمسيرته
ومواعظه عليه السلام، وإنه لعمري أحق أن يتبع ونجعله مناراً وهدى وقدوة
وأسوة لنا لنفوز بسعادة الدارين .

وقد قسمت البحث إلى مبحثين: الأول: في علاقاته الاجتماعية الخاصة
والنشأة الأسرية لسيرته عليه السلام، والثاني: في علاقاته الاجتماعية العامة والتعامل
مع الآخر وفق رواية الإمام الباقر عليه السلام.

وأحب أن أقدم شكري وامتناني لإدارة مركز الصادقين وكل من ساهم
في إنجاز هذه الورقة والله الحمد أولاً وآخرأً.



المبحث الأول

النشأة الأسرية والعلاقات الاجتماعية الخاصة

في سيرة الإمام الباقر (عليه السلام)

المطلب الأول: النشأة الأسرية في سيرة الإمام الباقر (عليه السلام)

وهو على أمرين:

الأمر الأول: النشأة الأسرية للإمام (عليه السلام)

ولد الإمام محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) والمعروف بلقب الباقر في المدينة المنورة سنة سبع وخمسين بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة في مطلع رجب من ذلك العام، وقيل في مطلع صفر، أدرك جده الحسين (عليه السلام) وبقي معه نحو أربع سنين، ومع أبيه السجاد بعد جده خمساً وثلاثين سنة وعاش بعد أبيه ثمانية عشر عاماً وقيل تسعة عشر؛ ولذا نعرف بأن الإمام (عليه السلام) نشأ في بيت العصمة الطاهرة ومعدن النبوة، فقد أخذ الكثير من أبيه الإمام السجاد ومن جده الإمام الحسين (عليه السلام). لقب بالباقر لوصف جده رسول الله ﷺ إياه بأنه يقرر علوم الأولين والآخرين في حديث نقله الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ﷺ: (يا جابر يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين يقال له محمد يقرر علم النبي بقرًا، فإذا لقيتَه فاقرأه مني السلام) ٢. وكنيته أبو جعفر.

وأمه فاطمة يقال لها أم عبد الله بنت الإمام الحسن (عليه السلام) جلييلة القدر عظيمة المنزلة، وصفها الإمام الصادق (عليه السلام) بأنها صديقة، وكان مع أبيه وجده يوم عاشوراء وشهد معركة الطف، وذاق مرارة السبي والأسر حتى عاد إلى المدينة ٣ مما ساهم ذلك في صقل شخصيته (عليه السلام)، عاش ونشأ

وترعرع في كنف أبيه السجاد عليه السلام، بل وقام ببعض المهمات والأدوار عنه؛ مثل : إجابة بعض الأسئلة وإرساله إلى الشام لإنقاذ الدولة من تبعيتها النقدية إلى دولة الروم ، وبعد استشهاد أبيه عليه السلام استقل ونهض بالإمامة ، وعاصر عدداً من ملوك بني أمية : الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك الذي يكتب له والي مصر (أنَّ الضرائب قد أجهدت الرعية حتى لم يبقَ لهم شيء ، فلو أرفقت بهم ، قال له ويلك اطلب الدر فإن لم تجد فاطلب الدم) ، ثم بعده عمر بن عبد العزيز الذي حاول أن يصلح بعض ما أفسده اجداده فرفع السب عن أمير المؤمنين عليه السلام من على المنابر وألزم الخطباء أن يقولوا بدلاً منها الآية الشريفة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^٤ ولم تدم إمرته أزيد من سنتين فجاء بعده يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك اللذان سخرا من إصلاحات ابن عمهما ووصفاه بأنه مغرر به ، فعادا إلى جرائم أسلافهم^٥.

وحيثما نريد الحديث عن علمه فإننا أمام أبحار ذات أمواج متلاطمة حيث أذهل العقول ، فلا يخفى على المتتبع والمنصف والقارئ اللبيب أن ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام من أخبار وآثار في علوم الدين والتفسير والقرآن ومتون الآداب والأحكام ، يفوق ما يتسع له العقل البشري . وقد اقتبس ما بقي من الصحابة ووجوه التابعين وأعيانهم ورؤساء وفقهاء المسلمين من علمه ، وبكثرة علمه وفضله ضرب المثل فقيلاً :

يا باقر العلم لأهل التقى ... خير من لبي على الأجل

يروى الشيخ المفيد مسنداً عن عبد الله بن عطاء المكي قوله : ما رأيت العلماء عند أحداً أصغر علماً منهم في مجلس أبي جعفر الباقر عليه السلام ، لقد رأيت الحكم بن عيينة (مع جلالته في قومه) بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه ،

وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي عليه السلام شيئاً يقول: حدّثني وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، وكان علمه أبين من الشمس في رابعة النهار، ويشار إليه بالبنان حتى من قبل أعدائه - كأنّه علمٌ وفي رأسه نار - واتّضحت وتميّزت صفته بالعلم والتصقت به منذ نعومة أظافره ولا يختلف عليه أحد.

واستدعاه هشام بن عبد الملك فذهب الإمام ومعه ابنه جعفر الصادق عليه السلام وهناك حاول هشام إهاتته والاستخفاف به، فطلب منه أن يرمي بالقوس هدفاً وضع له، فاعتذر الإمام عليه السلام وقال: إني قد كبرت على الرمي فأصر هشام وأخذ الإمام عليه السلام سهماً وأصاب قلب الهدف وأخذ ثانياً فشقّ به الأول ثمّ استمرّ حتى العشرة فأعجب هشام وذهل ودار بينهما حديث ومحاجة ثمّ أرجعه إلى المدينة، وبقيت تلك الحادثة عالقة في ذهن هشام فلم يصبر على وجوده المقدّس واستمرار بركاته التي عمت عموم الأمة الإسلامية حتى عمد إلى قتله مسموماً في السابع من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١١٤ - ، ودفن في البقيع عند أبيه الإمام السجاد وعمه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وكان له من العمر (٥٧) عاماً كعمر أبيه وكانت مدة إمامته (١٩) سنة^٧.

الأمر الثاني: علاقاته وأقواله الأسرية

الأسرة - بالضم - لغة: عشيرة الرجل ورهطه الأذنون، وأهل بيته، وقيل أقارب الرجل من أبيه^٨، وهي مأخوذة من الأسر بمعنى القوة، سُموا بذلك لأن الإنسان يتقوى بهم^٩

وفي حديث على لسان ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في جمع أسرته فقد ذكر الكليني عن أبي عبد الله أنه قال : (وكان أبي إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمنوا) ، وفي حديث آخر له عليه السلام : وكان أبي عليه السلام كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله ، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك على ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه ^{١٠} يقول (لا اله إلا الله) وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ، ومن كان لا يقرأ منا يأمره بالذكر) ^{١١} .

وفي علاقاته بإخوانه وصلة الرحم من ذويه كانت له مواقف مؤثرة ومميّزة، فقد روي عن سلمى مولاته قالت « كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم » ^{١٢} .

وهنا نرى القائد الرباني للجماعة الذي يشرف على جميع شؤون الأمة من إخلاص المودة والحب والإيثار من أجل حقوق الإخوان والتناصر والتآزر وهذه هي أساس العلاقات داخل الجماعة الصالحة ويذكر أن الكميت الشاعر أتى الإمام الباقر عليه السلام ذات يوم فسمعه يردد بهذا البيت :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
لم يبق منهم شامت أو حاقد
فأجابه الكميت بدبيهة قوله :
وبقي على ظهر البسيطة واحد
فهو المراد وأنت ذاك الواحد.

وروي أنه كان عليه السلام يميز بالخمسمائة والستمائة إلى ألف و كان لا يمل من صلة الإخوان وقاصديه ومواصليه وراجيه^{١٣} ، ذكر باقر العلوم عليه السلام في فضل التزام بين الإخوة المؤمنين ، حيث قال عليه السلام: «من زار أخاه في الله صباةً إليه فهو زور الله، فإذا صافحه لم يسأل الله حاجةً في دين ولا دنيا إلا قضاها»^{١٤} ؛ وروي أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «اعرف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك»^{١٥} ، وهنا يؤكد على المحبة بين الإخوان، فهي كما يقال القلوب أوانٍ مستطرفة؛ فإن المحبة المخلصة تكون بنفس المستوى بين الطرفين فمقدار محبتك الصادقة لأخيك تعادل محبته الصادقة لك.

وقال الإمام الباقر عليه السلام أيضاً: «من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه، طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله»^{١٦}

وهنا نرى أن مثل هذا الأخ بهذه الشروط يكون منارة للقلب والفكر في الوصول إلى مرضاة الله.

وفي صياغ الحديث عن الإخوان فقد وجدت أبياتاً شعرية جميلة في الإخوان لأبيه الإمام السجاد عليه السلام في كتاب شرح ديوان الإمام السجاد عليه السلام والذي قد تم تحقيقه مؤخراً وهو يعود لمخطوطة قد وجدها المحقق في المكتبات القديمة ، والجدير بالذكر فإن جامع هذا الديوان الشعري للإمام السجاد عليه السلام هو (أبو عبدالله بن حاجي بني الحميدي الشهير بالكوسج، المتوفي في القرن العاشر الهجري ويقول فيه عليه السلام :

لكل تفرّق الدنيا اجتماعٌ
وما بعد المنون من اجتماعٍ
فراقٌ فاصلٌ ونوى شطونٍ
وشغلٌ لا يلبث للوداع
وكل أخوة لا بد يوماً
وإن طال الوصال إلى انقطاع^{١٧}.

في أحاديثه وأقواله ﷺ في الولد والأولاد وبرّ الوالدين:

قوله ﷺ: «من سعادة الرجل أن يكون له الولد يعرف فيه يشبهه: خلقه وخلقه، وشأئله»^{١٨} وقوله ﷺ: «والله، إنّي لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي، وأكثر له المحبة، وأكثر له الشكر وإنّ الحق لغيره من ولدي. ولكن محافظة عليه منه ومن غيره، لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف وأخوته»^{١٩}.

ومن أهم أحاديثه وأقواله ﷺ في الحث عن برّ الوالدين وإن كانا فاجرين وعدم الإيذاء لهما لبيان حقّ الوالدين وعظيم منزلتهما . فعنه ﷺ: ثلاثٌ لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين^{٢٠}.

وعنه ﷺ: قال موسى بن عمران: يا ربّ أوصني؟ قال: أوصيك بي، قال: فقال: أوصيك بي (ثلاثاً)، قال: يا ربّ أوصني، قال: أوصيك بأمّك، قال يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمّك، قال يا ربّ أوصني قال: أوصيك بأبيك^{٢١}؛ وقوله ﷺ: إنّ أبي نظر إلى رجل ومعه ابنه يمشي والابن متكىّ على ذراع الأب، قال: فما كلمه أبي ﷺ مقتاً له حتى فارق الدنيا^{٢٢}.
وعنه ﷺ: في قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾: هو أدنى الأذى حرّم الله ما فوقه^{٢٣}.



المطلب الثاني: علاقاته الاجتماعية الخاصة

لقد حثَّ الإمام عليه السلام على صلة الأقارب والعشيرة بالزيارة أو لقائهم وما يترتب على هذه العلاقات من الحقوق، وهم مقدّمون على غيرهم في الإحسان إليهم، وإدخال السرور في قلوبهم، ومساعدتهم في حلّ مشاكلهم، إذ بيّن عليه السلام الآثار الإيجابية المترتبة على صلة الأرحام، فقال عليه السلام: (صلة الأرحام تزكّي الأعمال، وتدفع البلوى، وتنمي الأموال، وتنسئ له في عمره، وتوسع في رزقه، وتحبّب في أهل بيته، فليتق الله وليصل رحمه)^{٢٤} وقال عليه السلام لأحد أصحابه: (أما أنّه قد حضر أجلك غير مرّة ولا مرتين، كلّ ذلك يؤخّر الله بصلتك قرابتك)^{٢٥}، فنجده عليه السلام يحثّ على تبادل الزيارات، ورغب فيها ببيان آثارها الإيجابية على المتزاورين، حين قال: (أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، وإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثمّ باهى بهما الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي تزاورا وتحابّا فيّ، حقّ عليّ ألاّ أعذبهما بالنار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيعة الملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه، يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب، وإن كان المزور يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزائر من حقّ المزور كان له مثل أجره)^{٢٦}، فدعا إلى الإصلاح والتآلف فقال عليه السلام: (إن الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه، فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدّد، ثمّ قال: فزت، فرحم الله امرأ ألف بين وليّين لنا، يا معشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا)^{٢٧}. نلاحظ الارتباط الروحي والعاطفي

بأرحامه وأقاربه ، لقد راعى هذه الرابطة ، ودعا إلى تعميقها في الواقع ،
وتحويلها إلى مَعْلَم منظور ، وظاهرة واقعية تترجم فيه الرابطة الروحية
إلى حركة سلوكية وعمل ميداني؛ وتتجلّى مظاهر الصلة بالاحترام
والتقدير والزيارات المستمرة وتفقد أوضاعهم الروحية والمادية ، وتوفير
مستلزمات العيش الكريم لهم ، وكفّ الأذى عنهم .



المبحث الثاني

العلاقات الاجتماعية العامة والتعامل مع الآخر

وفق رؤية الإمام الباقر (عليه السلام)

المطلب الأول : أقواله وعلاقاته مع شيعته وخواص أصحابه

كان (عليه السلام) يَخَصُّصُ كثيراً من وقته لتوجيه أصحابه وشيعته وإرشادهم إلى الطريق وذلك من خلال اللقاءات المباشرة اليومية ، واللقاءات الدورية ، وعن طريق المراسلات ، فعلاقات الإمام (عليه السلام) مع أصحابه من القيادات كانت علاقات مباشرة وغير مباشرة مع قواعده في المدينة ، وفي مختلف الأمصار ، وكان أهل المدينة وغيرهم يلتقون به ويزورونه ، وكان يقوم (عليه السلام) بزيارتهم واللقاء بهم ، أمّا المقيمون في بلدان أخرى فكانوا يلتقون به في موسم الحج وغيره ، وكان (عليه السلام) يرسل بعضهم ، لتدوم العلاقة بينه وبينهم ، وقد رسم لهم منهاجاً في العلاقات ، وجعل عليهم أن يزوروه ، حين قال (عليه السلام) : (إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار ، فيطوفوا بها ، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم)^{٢٨} ، وقال (عليه السلام) : (تمام الحج لقاء الإمام)^{٢٩} ، حيث نجده كثيراً ما يبحث (عليه السلام) على إدامة العلاقة فيوصي أصحابه بالرحم والتزاور ، حيث نجده يقول (عليه السلام) : (تزاوروا في بيوتكم ، فإن ذلك حياة لأمرنا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا)^{٣٠} ، فجعل أساس العلاقة داخل الجماعة الصالحة هو الحب والمودة ؛ لذا كان يوصي أصحابه فيقول (عليه السلام) : (وأخلص مودّتك للمؤمن)^{٣١} ، فيأشار الإخوان وحبهم أولى وصاياه ، فجعلها من أشرف الأخلاق : قال (عليه السلام) : (أشرف أخلاق الأئمة والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية وأخذ النفس بحقوق الإخوان)^{٣٢}

وعن الحسين بن محمد ، بإسناده عن أبي بكر الحضرمي قال : لما حمل أبو جعفر إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك ، وصار ببابه ، قال هشام لأصحابه :

إذا سكتُ من توبيخ محمد بن علي فلتوبّخوه، ثمّ أمر أن يؤذن له، فلما دخل عليه أبو جعفر قال بيده السلام عليكم فعمّهم بالسلام جميعاً ثمّ جلس فازداد هشام عليه حقاً بتركه السلام بالخلافة، وجلوسه بغير إذن، فقال: يا محمد بن علي، لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين، ودعا إلى نفسه، وزعم أنّه الإمام سفهاً وقلة علم، وجعل يوبّخه، فلما سكت أقبل القوم عليه رجل بعد رجل يوبّخه، فلما سكت القوم نهض قائماً ثمّ قال: أيّها الناس أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم مُلكٌ معجّل، فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس بعد ملكنا ملك، لأنّا أهل العاقبة، يقول الله عز وجل ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فأمر به إلى الحبس، فلما صار في الحبس تكلم فلم يبق في الحبس رجل إلّا ترشّفه وحنّ عليه، فجاء صاحب الحبس إلى هشام، وأخبره بخبره فأمر به فحمل على البريد هو وأصحابه ليردوا إلى المدينة، وأمر أن لا تخرج لهم الأسواق، وحال بينهم وبين الطعام والشراب، فساروا ثلاثاً لا يجدون طعاماً ولا شراباً، حتى انتهوا إلى مدين فأغلق باب المدينة دونهم، فشكا أصحابه العطش والجوع قال: فصعد جبلاً وأشرف عليهم فقال بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها! أنا بقية الله يقول الله ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ قال: وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال: يا قوم هذه والله دعوة شعيب عليه السلام والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم ومن تحت أرجلكم فصدّقوني هذه المرة وأطيعوني وكذبوني فيما تستأنفون، فإني ناصح لكم، قال: فبادروا وأخرجوا إلى أبي جعفر وأصحابه الأسواق ٣٣.



ومن وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد : يا جابر اغتتم من أهل زمانك خمساً :
 إن حضرت لم تعرف . وإن غبت لم تفتقد ، وإن شهدت لم تشاور ، وإن قلت لم
 يقبل قولك ، وإن خطبت لم تزوج ، وأوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ،
 وإن خانوك فلا تحن ، وإن كذبت فلا تغضب ، وإن مدحت فلا تفرح ، وإن
 ذممت فلا تجزع ، وفكر فيما قيل فيك ، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك
 فسقوطك من عين الله عز وجل عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة
 مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وإن كنت على خلاف على قيل
 فيك ، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك^{٣٤} .

ومن وصاياه أيضاً عليه السلام : يا ذي الهيئة المعجبة ، والهيم المعطنة : مالي أراكم
 أجسامكم عامرة ، وقلوبكم دامرة ، أمّا والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه ،
 وأنتم إليه صائرون ، لقلتم : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^{٣٥} .



المطلب الثاني : التعامل مع الآخر في سيرة الإمام الباقر عليه السلام

وهو على أمرين : الأول التعامل مع غير المسلمين ، والثاني
 التعامل مع أعدائه :

الأمر الأول : التعامل مع غير المسلمين في سيرة الإمام الباقر عليه السلام

إن طريقة التعامل مع الآخر تحدد مدى أخلاقيات كل شخص
 ومستوى إدراكه ووعيه خصوصاً إن كان الآخر من غير دينه ، ويكون
 الموضوع أكثر أهمية إن كان ذلك الشخص قيادياً في المجتمع ومؤثراً ،
 وأكثر من ذلك ، فيكون الأمر عقيدة ومبدأً ومنهجاً إن كان الشخص أحد
 الأئمة المعصومين عليه السلام ولا سيما الإمام الباقر عليه السلام اليوم فإن له خصوصية
 أيضاً كونه مؤسس المدرسة الإمامية وهو الذي يقرر العلم بقرراً فلا شك أن

سلوكياته وأحاديثه ومواعظه التي تختص في تعامله مع غير المسلمين هي مصدر هداية للأمة الإسلامية وجديرة في الاقتداء بها والاهتداء بمنهجها ومواعظه ؛ وكانت من جملة النشاطات العلمية للإمام الباقر (عليه السلام) هي مناظراته مع الكثير من العلماء والمفكرين بل ومع الزنادقة والمنحرفين وفي شتى المواضيع المختلفة، وكان منها ماروي عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: (دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر فقال (عليه السلام): يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون فقال أبو جعفر (عليه السلام): بلغني أنك تفسر القرآن؟ قال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): بعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا بعلم، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت، وأنا أسألك؟ قال قتادة: سل، قال: أخبرني عن قول الله عز وجل في سبا ﴿وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾^{٣٦} فقال قتادة: ذاك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة حلال وكرى حلال، يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله فقال أبو جعفر (عليه السلام): نشدتك الله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وكرى حلال يريد هذا البيت، فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته، ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللهم نعم.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسر القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت وأهلك، وإن كنت قد أخذته من الرجال، فقد هلكت وأهلك، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال، يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾^{٣٧} ولم يعن البيت، فيقول «إليه» فنحن والله دعوة إبراهيم (عليه السلام) التي من هوانا قلبه، قبلت حجته، وإلا



فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة قال قتادة: لا جرم والله لا فسرتها إلا هكذا فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به^{٣٨}؛ ولقد ذم الإمام الباقر عليه السلام المحرفين لكتاب الله، وهم الذين يؤولون آياته حسب أهوائهم. فقد كتب عليه السلام في رسالته إلى سعد الخير: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده، فهم يرونه ولا يراعونه والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يجزنهم تركهم للرعاية^{٣٩}؛ فضلاً عن ما رواه هشام بن الحكم في مسنده عن مقالة ماني الزنديق أنه قال: من سؤال الزنديق... قال عليه السلام: فأما من زعم أن الأبدان ظلمة والأرواح نور، وأن النور لا يعمل الشر، والظلمة لا تعمل الخير، فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة، وأن ذلك عن الظلمة غير مستنكر لأن ذلك فعلها ولا أن يدعوا رباً ولا يتفرع إليه لأن النور الربّ والرب لا يتفرع إلى نفسه ولا يستعبد بغيره، ولا لأحد من أهل هذه المقولة أن يقول: أحسنت يا محسن، أو أسأت، لأن الإساءة من عمل الظلمة وذلك فعلها، فلا إحسان من النور، ولا يقول النور لنفسه أحسنت يا محسن، وليس هنالك ثالث، وكانت الظلمة على قياس قولهم، أحكم فعلاً واتفق تقديرًا، وأعز أركاناً من النور، لأن الأبدان محكمة، فمن صور هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة؟^{٤٠} وكل شيء يرى ظاهراً من الزهور الأشجار والثمار والدواب يجب أن يكون لها إلهاً، ثم حبست النور في جسمها والدولة لها، وأما ما أدعوا بأن العاقبة سوف تكون للنور، فدعوى وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل، لأنه أسير، وليس له سلطان، فلا فعل له ولا تدبير، وكان له مع الظلمة تدبير، فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز، فإن لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة، فإنه يظهر في هذا العالم إحسان

مجامع فساد و شر ، وهذا يدلّ على أن الظلمة تحسن الخير وتفعله ، كما تحسن الشرّ وتفعله ، فإن قالوا محال ذلك فلا نور يثبت ولا ظلمة ، وبطلت دعواهم ، ورجع الأمر إلى أن الله واحد وما سواه باطل ، فهذه مقالة ماني الزنديق وأصحابه .

و أمّا من قال: النور والظلمة بينهما حكم، فلا بد من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم ، لأنّه لا يحتاج إلى حاكم إلا مغلوب أو جاهل أو مظلوم ، وهذه مقالة المانوية والحكاية عنهم تطول

قال : فما قصة ماني ؟ قال عليه السلام : متفحّص أخذ بعض المجوسية مشابهاً ببعض النصرانية ، فأخطأ الميلتين ولم يصب مذهباً واحداً منها وزعم أن العالم دبّر من إلهين ، نور وظلمة أو أن النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه فكذبتة النصارى أو قبلته المجوس^{٤١} .

و ما رواه هشام بن الحكم في مسنده أيضاً عن مقالة الديصانية أنّه قال : قال : (اي الزنديق) ومن زعم أن الله لم يزل ومعه طينة موزية ، فلم يستطع التفصّي^{٤٢} منها الا بامتزاجه بها ودخوله فيها ، من تلك الطينة خلقت الأشياء ؛ فقال عليه السلام : سبحان الله تعالي !! ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة ألا يستطيع التفصّي من الطينة ، إن كانت الطينة حية أزلية ، فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبّرا العالم من أنفسهم ، فإن كان ذلك كذلك ، فمن أين جاء الكون والفناء ؟ وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم ، والميت لا يحيى منه الحي ؛ وهذه مقالة الديصانية أشد الزنادقة قولاً وأهمّ لهم مثلاً ، نظروا في كتب قد صنفتها أوائلهم ، وحبروها لهم بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ، ولا حجة توجب إثبات ما ادّعوا ، كل ذلك خلافاً على الله وعلى رسله ، وتكذيباً بما جاؤوا به عن الله^{٤٣} ، قال (أي الزنديق) : فأخبرني عن المجوس أتبعث إليهم نبياً فإني أجد لهم كتباً

محكمة ومواعظ بليغة وأمثالاً شافية، ويقرّون بالشواب والعقاب ولهم شرائع يعملون بها قال: ما من أمة إلا خلا فيها نذير وقد بعث إليهم نبي بكتاب من عند الله فأنكروه وجحدوا كتابه.

قال عليه السلام: إن خالداً كان عربياً بدوياً، وما كان نبياً، وإنما ذلك شيء يقوله الناس، قال الزنديق أفزرا دشت؟

قال عليه السلام: إن زرادشت أتاهم بزمزمة وادعى النبوة فآمن منهم قوم وجحد قوم فأخرجوه فأكلته السباع في بركة من الأرض^{٤٤}.

الأمر الثاني: التعامل مع أعدائه ومخالفه في سيرة الإمام عليه السلام إنَّ البحث في تعامل الإمام الباقر عليه السلام مع أعدائه ومخالفه من أهم المسائل التي يمكن الاستفادة منها والاقتداء بسيرته ومواعظه مع ملاحظة اختلاف المواقف والمواعظ وفقاً للظروف الزمكانية وبحسب الطرف الآخر ومعتقداته وما مدى خطورته على أصل الدين وبيضة الإسلام وهو ما يركز عليه الإمام الباقر عليه السلام

ذهبت المرجئة إلى أنَّ مرتكب الذنوب كالزنى والسرقة مؤمن وهو مناف لما أثر عن الرسول ﷺ من أنَّ اقتراف الزنا والسرقة يخرجان الشخص من إطار الإيمان الذي يصون النفس ويردعها عن ارتكاب الذنوب.

وكما هو معروف أنَّ عمر بن قيس الماصر ذهب إلى الإرجاء، حيث قصد مع رفيق له الإمام الباقر عليه السلام وأنبرى يسأل الإمام قائلاً: «إنا لا نخرج أهل دعوتنا وأهل ملتنا من الإيمان في المعاصي والذنوب، فردَّ عليه الإمام عليه السلام: يا ابن قيس، أمّا رسول الله ﷺ قال: لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن، فاذهب أنت وصاحبك حيث شئت»^{٤٥}.

ونرى قولهم - أي المرجئة - هذا يتنافى مع الإيمان الذي يصون النفس من ارتكاب الذنوب، فمرتكب الذنوب بعيد عن واقع المؤمن.

وفي موقف آخر للإمام الباقر عليه السلام مع مخالفيه من الخوارج فقد ورد:
 أن نافع الأزرق وكان من أعلام الخوارج ، قد وفد على الإمام الباقر عليه السلام ،
 وسأله على بعض المسائل ، فأجابه عنها ، وبعد ما انتهت المسائل قال له
 الإمام الباقر عليه السلام : قل لهذه المارقة بم استحلتتم فراق أمير المؤمنين عليه السلام وقد
 سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته ، والقربة إلى الله في نصرته؟ وسيقولون
 لك: إنه قد حَكَمَ في دين الله ، فقل لهم: قد حَكَمَ الله في شريعة نبيه رجلين
 من خلقه فقال: ﴿ فابعثوا حكماً من أهله ، وحكماً من أهلها إنَّ يريدنا
 إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾^٦ ، وحَكَمَ رسول الله ﷺ سعد بن معاذ في بني
 قريظة فحكم فيهم بما أمضاه الله عز وجل ، أو ما علمتم أن أمير المؤمنين عليه السلام
 إنَّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ، واشترط عليهما أن يتجاوزا أحكام القرآن
 من أحكام الرجال ، وقال حين قالوا له: قد حَكَمْتَ على نفسك ، من حكم
 عليك فقال: ما حكمت مخلوقاً ، وإنَّما حَكَمْتُ كتاب الله ، فأين تجد المارقة
 تضليل من أمر الحكمين بالقرآن واشترط ردَّ ما خالفه لولا ارتكابهم في
 بدعتهم البهتان ، وبهر نافع بهذا الكلام السديد ، وراح يقول: هذا والله كلام
 ما مر بمسمعي قط ، ولا خطر ببالي ، وهو الحق إن شاء الله^٧

وبهذا نرى الإمام عليه السلام كيف يرّسخ المفاهيم الإلهية ويبين بوضوح
 وحجة دامغة للحفاظ على عقيدة الآخر وحرصه لهداية البشر مهما كان
 مبغضاً لأهل البيت عليه السلام ؛ وهو يؤدّي دوره ووظيفته على أكمل وجه غير
 ناظر إلى جوانب أخرى ، وأنَّ التأثير بالطرف الآخر وهدايته متروك لله
 تعالى وهو ولي التوفيق.

الخاتمة

وأخيراً لا بد من نتائج لهذا البحث:

١- لُقّب الإمام محمد بن علي عليه السلام بالباقر لوصف جده رسول الله ﷺ إياه بأنه يقرر علوم الأولين والآخرين.

٢- أشرف الإمام الباقر عليه السلام على جميع شؤون الأمة من إخلاص المودة والحبّ والإيثار من أجل حقوق الإخوان والتناصر والتآزر وهذه هي أساس العلاقات داخل الجماعة الصالحة.

٣- أكّد الإمام الباقر عليه السلام على المحبة بين الإخوان ، فإن المحبة المخلصة تكون بنفس المستوى بين الطرفين؛ فمقدار محبتك الصادقة لأخيك تعادل محبته الصادقة لك.

٤- حثّ باقر العلوم عليه السلام على برّ الوالدين وإن كانا فاجرين وعدم الإيذاء لهما وذلك لبيان حقّ الوالدين وعظيم منزلتهما .

٥- دعا الإمام الباقر عليه السلام إلى الإصلاح والتآلف والتراحم حيث لوحظ الارتباط الروحي والعاطفي بأرحامه وأقاربه ، فلقد راعى هذه الرابطة ، ودعا إلى تعميقها في الواقع ، وتحويلها إلى معلّم منظور ، وظاهرة واقعية تترجم فيه الرابطة الروحية إلى حركة سلوكية وعمل ميداني؛ وتتجلّى مظاهر الصلة بالاحترام والتقدير والزيارات المستمرة وتفقد أوضاعهم الروحية والمادية ، وتوفير مستلزمات العيش الكريم لهم ، وكفّ الأذى عنهم .

٦- اهتم الإمام الباقر عليه السلام بتشخيص هوية الجماعة الصالحة ، وتمييزها عن غيرها من الهويات التي ترافق سائر الوجودات والكيانات والتيارات القائمة في الواقع.



٧- وصل الانحراف في عصر الإمام الباقر عليه السلام إلى ذروته، سواء على مستوى الحكم والسلطة أو على المستوى العقائدي والديني والثقافي؛ ومع كل الضغوطات من قبل بني امية، كان الإمام الباقر عليه السلام يشتغل بتبيين معارف أهل البيت عليهم السلام ولم يتوقف من تبين مكانة الإمامة والولاية في الإسلام التي بمعنى الزعامة والتصدي للأمر.



الهوامش:

- ١- ابن شهر شوب، أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر شوب، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف - العراق، ج ٤، ص ٢١٠. وكذلك الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، الجزء ٢، ص ١٨٧، ط ٨، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، دار المعارف بيروت - لبنان.
- ٢- المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣، ج ٤٦، ص ٢٩٦
- ٣- المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣، ج ٤٦، ص ٢١٥. وكذلك اليعقوبي، الشيخ محمد اليعقوبي، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، دار الصادقين للطباعة والنشر الطبعة الثالثة، ص ٣٧٥.
- ٤- سورة النحل / الآية ٩٠
- ٥- المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣، ج ٤٧، ص ٦ وكذلك اليعقوبي، الشيخ محمد اليعقوبي، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، دار الصادقين للطباعة والنشر الطبعة الثالثة، ص ٣٧٦.
- ٦- المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢، ص ١٦٠. كذلك القمي، عباس، منتهى الآمال، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ١١٨
- ٧- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، دلائل الإمامة مؤسسة البعثة، قم - إيران، ص ٢٣٣ - ٢٣٥. وكذلك اليعقوبي، الشيخ محمد اليعقوبي، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، دار الصادقين للطباعة والنشر الطبعة الثالثة، ص ٣٧٧.
- ٨- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تاج العروس، إصدارات: وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ج ٣، ص ١٣
- ٩- ابن منظور، أبو الفصل محمد بن مكرم بن علي، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ، ج ١، ص ١٤١.
- ١٠- لازقاً: بمعنى لاصقاً

١١- القمي، عباس، منتهى الآمال، ج ٢، ص ١١٩

١٢- المصدر السابق

١٣- القمي، عباس، منتهى الآمال، ج ٢، ص ١٢٩

١٤- الطبرسي، علي بن الحسن الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان، ص ٣٦٤.

١٥- ابن أبي الفتح الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ٣٣١.

١٦- ١ المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، ج ٧٥، ١٧٥.

١٧- الكوسج، الحميدي، أبو عبدالله حاجي بني، شرح ديوان الإمام السجاد عليه السلام، تحقيق د. قاسم خلف السكيني، ط ٢٣، وتحقيق الجيرس طعمه المالكي

١٨- الكليني، محمد بن يعقوب الكليني، دار الحديث، بيروت - لبنان، ج ٦، ص ٢

١٩- العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، طهران - إيران، ج ٢، ص

١٦٦

٢٠- المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ٧٤، ص ٥٦، و ١٥

٢١- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، مشكاة الأنوار، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، ص ١٦٢.

٢٢- الكليني، محمد بن يعقوب الكافي، دار الحديث، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ٣٤٩، حديث ٨٩٧

٢٣- مجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٧٤ - ٧٦ و ٧٨.

٢٤- الكليني، محمد بن يعقوب الكافي، دار الحديث، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ١٥٢

٢٥- الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر، رجال الكشي، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان، ص ٢٢٤.

٢٦- الكليني، محمد بن يعقوب الكافي، دار الحديث، بيروت - لبنان، ج ٢، ص

١٨٣ و ١٨٤

٢٧- الكليني، محمد بن يعقوب الكافي، دار الحديث، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ٣٤٥



- ٢٨- الكليني، محمد بن يعقوب الكافي، دار الحديث، بيروت-لبنان، ج ٤، ص ٥٤٩.
- ٢٩- الكليني، محمد بن يعقوب الكافي، دار الحديث، بيروت-لبنان، ج ٤، ص ٥٥٠.
- ٣٠- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ج ١، ص ٢٢.
- ٣١- ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران، ص ٢١٣.
- ٣٢- ابن بابويه القمي، محمد بن علي، جامع الأخبار المطبعة الحيدرية، النجف-العراق، ص ٢٥٢.
- ٣٣- المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م، ج ٤٦، ص ٢٦٤.
- ٣٤- مجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م، ج ٧٥، ص ١٦٢.
- ٣٥- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم-إيران، ج ١، ص ٢٩٨.
- ٣٦- سورة سبأ ١٨١.
- ٣٧- سورة إبراهيم ٣٧١.
- ٣٨- ١ المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان، ج ٤٦، ص ٣٤٩-٣٥٠.
- ٣٩- المازندراني، المولى محمد صالح، شرح أصول الكافي، دار أحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج ١١، ص ٣٧٣.
- ٤٠- محمد نبها، الدكتور خضر محمد نبها، مسند هشام بن الحكم، ط ١، دار الهادي، بيروت-لبنان، ١٤٢٧-٢٠٠٦، ص ٢٨١.
- ٤١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٠٩، ج ٥ باب ٦ / التوحيد.
- ٤٢- التفصي التلخص، أو تفصي في الشيء أي بان عنه.
- ٤٣- ينظر محمد نبها، الدكتور خضر محمد نبها، مسند هشام بن الحكم، وكذلك الطبرسي، الاحتجاج، مطابع النعمان، النجف الأشرف-العراق، ج ٢، ص ٢٤٥.
- ٤٤- الطبرسي، الاحتجاج، مطابع النعمان، النجف الأشرف-العراق، ج ٢، ص ٢٤٦، وكذلك الجزائري، السيد نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، مكتبة آية

الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران، ج ٢، ص ٢٤٦

٤٥- ينظر القرشي، باقر القرشي، الشهيد زيد بن علي، ص ٤٠ و ص ٢٠٦ و ٢٠٧، نقلاً
عن روضة الواعظين، ج ١، ص ٢٤٥.

٤٦- سورة النساء / آية ٣٥

٤٧- ينظر القرشي، باقر القرشي، الشهيد زيد بن علي، ص ٤٠ و ص ٢٠٦ و ٢٠٧، نقلاً
عن روضة الواعظين، ج ١، ص ٢٤٥.





المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* المازندراني، المولى محمد صالح، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

* العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، طهران - إيران.

* المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية مصححه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

* المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان

* ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران.

* ابن بابويه القمي، محمد بن علي، جامع الأخبار المطبعة الحيدرية، النجف - العراق

* ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.

* ابن شهر آشوب، أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف - العراق.

* ابن منظور، أبو الفصل محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

* الجزائري، السيد نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران.

* الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، الجزء ٢، ص ١٨٧، ٣، ط ١٤٣٣، ٨ هـ - ٢٠١٢ م، دار المعارف بيروت - لبنان.

* الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تاج العروس، إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

* الطبرسي، الاحتجاج، مطابع النعمان، النجف الأشرف - العراق.

* الطبرسي، علي بن الحسن الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.

* الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، دلائل الإمامة مؤسسة البعثة، قم - إيران.

* الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، مشكاة الأنوار، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - مصر.

* القمي ، عباس ، منتهى الآمال ،
مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان .
* الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني ،
الكافي ، دار الحديث ، قم - إيران .
* الكوسج ، الحميدي ، ابو عبدالله
حاجي بني ، شرح ديوان الإمام
السجاد عليه السلام ، تحقيق د. قاسم خلف
السكيني ، ط ٢٣ ، وتحقيق الجيرس
طعمه المالكي .
* محمد نبها ، الدكتور خضر محمد نبها ،

مسند هشام بن الحكم ، ط ١ ، دار
الهادي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ .
الفهرس :
* المبحث الأول : النشأة الأسرية
والعلاقات الاجتماعية الخاصة في سيرة
الإمام الباقر عليه السلام ص ٢ - ١٢
* المبحث الثاني : العلاقات الاجتماعية
العامة والتعامل مع الآخر وفق رؤية
الإمام الباقر عليه السلام ص ١٢ - ٢٠



البُعد الإنساني في فقه الإمام الباقر عليه السلام توريث أطفال الذمي نموذجاً

الشيخ الدكتور خالد غفوري الحسني
جامعة المصطفى العالمية / كلية العلوم الاسلامية

خلاصة البحث:

من الأحكام المعروفة في فقه أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الإمام الباقر عليه السلام أنّ المسلم ولو بُعد يجب الكافر عن الإرث ولو قرّب، فيستأثر الوارث المسلم بالتركة اتّحد أم تعدّد. وعلى ذلك استقرّت فتاوى فقهاء الإمامية. لكن نطالع حديثاً نقل عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام بأنّ ثمة استثناء لهذا الحكم، وهو فيما لو كان للذمي أطفال صغار وله وارث مسلم من الطبقة الثانية، فقد روى هذا الحديث عبد الملك بن أعين ومالك بن أعين وأخرجه المشايخ الثلاثة، وهو يتضمّن الإنفاق على أطفال الذمي حتّى يبلغوا، وقد وقع الحديث محلاً للنقاش بين الفقهاء سنداً ومضموناً، فمنهم من أفتى على طبقه في الجملة واعتبر هذه الصورة استثناءً من حكم الحجب وهم معظم القدماء، ومنهم من لم يقبل هذا الاستثناء وقال بالحجب وهم المتأخرون والمعاصرون، حتّى بات الإفتاء بهذا الحديث متروكاً. ونحن نتصدّى في هذا المقال لدراسة هذا الحديث ومحاولة إعادته إلى ساحة الاستدلال من جديد طبقاً للمنهج التحليلي الاجتهادي المتعارف في حوزاتنا العلمية بما يضمّ من ضوابط وقواعد ووسائل إثبات وجدانية وتعبدية، ولم نحتج إلى الاستدلال لإثبات الأحكام بالقياس والاستحسان بالمرّة، وقد توصلنا



إلى إمكانية تصحيح سند الحديث ودفع الإشكاليات التي أُوردت على مضمونه، بل إنَّ هذا الحديث يُعبّر عن بُعد إنساني رفيع في فقه الإمام الباقر (عليه السلام) في مجال حماية حقوق الطفل ولو كان كافراً، فيُنْفَق عليه حتّى يبلغ، فإن اختار الإسلام أُعطي سهمه من الإرث، وقد أبدينا تحليلاً لهذه الظاهرة التشريعية الملفتة للنظر، وهذا امتياز مهم يُسجّل لمدرسة الإمام الباقر (عليه السلام) الفقهية، دون سائر المذاهب الإسلامية التي ذهبت إلى انتفاء التوريث مع اختلاف الدّين مطلقاً، أي: بين الكافر والمسلم. وقد توسّعنا في ذلك وأضفنا إلى هذه المسألة بعض الفروع الفقهية التي يُمكن استفادتها من هذا الحديث، بلغت اثني عشر فرعاً. وقد تصدّينا لتحليل هذه الفتوى الفقهية المهمّة للإمام الباقر (عليه السلام)، وأوضحنا أسسها وأبعادها القرآنية والعقدية والإنسانية، وليست أنّها غير مخالفة لها فحسب، بل هي منسجمة معها تمام الانسجام ومنطلقة في ضوئها.

الكلمات المفتاحية: البُعد الإنساني، فقه الإمام الباقر (عليه السلام)، التوريث، حجب المسلم للكافر، أطفال الذّمي، عبد الملك بن أعين، مالك بن أعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

مقدمة:

لا يخفى على المتابع لمدرسة الإمام الباقر عليه السلام الفقهية سعة وأصالة هذه المدرسة وأن لها امتيازاتها، والتي منها ما يرتبط بالبُعد الإنساني وحماية الطفل، وقد انتخبنا نموذجاً من باب الإرث يعكس لنا هذا البُعد الإنساني، فنقول:

من الأحكام المعروفة في فقه أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الإمام الباقر عليه السلام أن المسلم ولو بُعد يحجب الكافر عن الإرث ولو قُرب، وعلى ذلك استقرت فتاوى فقهاء الإمامية. لكن هل إن هذا الحكم مطلق أو له استثناءات؟ من الموارد التي يُمكن أن تكون استثناءً، وهو فيما لو كان للذمي أطفال صغار وله ورثة مسلمون، فلا يأخذ الوارث المسلم سهمه من الإرث كما هو الحال في حالات التوريث يفعل به ما يشاء، بل يلزم الإنفاق على أطفال الذمي حتى يبلغوا، بل يُمكن أن يرثوا في صورة معينة، وهي: فيما إذا اختاروا الإسلام.

والأصل في هذا الاستثناء رواية عبد الملك بن أعين ومالك بن أعين جميعاً - على ما في وسائل الشيعة - عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: سألته عن نصراني مات وله ابن أخ مسلم وابن أخت مسلم وله [= وللنصراني] أولاد وزوجة نصارى؟ فقال: «أرى أن يُعطى ابن أخيه المسلم ثلثي ما تركه، ويُعطى ابن أخته المسلم ثلث ما ترك إن لم يكن له ولد صغار، فإن كان له ولد صغار فإن على الوارثين أن يُنفقا على الصغار ممّا ورثا عن أبيهم حتى يدركوا». قيل له: كيف يُنفقان على الصغار؟ فقال: «يُخرج وارث الثلثين ثلثي النفقة، فإذا أدركوا قطعوا النفقة عنهم». قيل له: فإن أسلم

أولاده وهم صغار؟ فقال: «يُدفع ما ترك أبوهم إلى الإمام حتى يُدركوا، فإن أتموا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه إليهم، وإن لم يَتمّوا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه إلى ابن أخيه وابن أخته المسلمين، يدفع إلى ابن أخيه ثلثي ما ترك، ويدفع إلى ابن أخته ثلث ما ترك»^١.
وقد عقدنا البحث في ستّة محاور على التوالي: فقه الحديث، وموقف الفقهاء من الحديث، ومدى اعتبار السند، ومدى اعتبار الدلالة، وتحديد دائرة دلالة الحديث، واستنباط الفروع الفقهية المستفادة منها، وتحليل هذه النظرية الفقهية في ضوء الأسس القرآنية والعقدية والإنسانية.

المحور الأول: فقه الحديث

إنّ هذا الحديث ورد جواباً على سؤال، تفرّع عنه سؤالان، فصارت ثلاثة أسئلة، وهي:

السؤال الأول، وصورته: نصراني مات وله ابن أخ مسلم وابن أخت مسلم وله أولاد وزوجة نصارى؟
وجاء الجواب بالتفصيل بين شقّين:
الشقّ الأول: «يُعطى ابن أخيه المسلم ثلثي ما تركه، ويُعطى ابن أخته المسلم ثلث ما ترك إن لم يكن له ولد صغار».

والحديث صريح في توريث المسلم وإن بُعد من المورث الكافر، وحجبه للوارث الكافر ولو قرّب، ومن الواضح أنّ أصل الحكم بتوريث المسلم دون الكافر طبقاً للقاعدة في الحجب بأنّ (المسلم وإن بُعد يحجب الكافر وإن قرّب)، فيرث ابن الأخ وابن الأخت (وهما من الطبقة الثانية) دون الأولاد (وهم من الطبقة الأولى) والزوجة (التي ترث مع جميع الطبقات عادة).

وأما تقسيم التركة في المقام: ثلثين لابن الأخ وثلث لابن الأخت فتفسيره: أن أبناء الإخوة يرثون سهام آبائهم وأُمَّهاتهم، فلو كان الأخ حياً والأخت حية فيرثون بحسب قرابتهم، وحيث ورد التقسيم بتثليث التركة، فيُعلم أن المفروض في السؤال -أو في الجواب- كونهم إخوة للأبوين أو للأب، قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ... وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾^٢، فلأخ ثلثان وللأخت ثلث، وإلا لو كانت القرابة غير ذلك لتمّ التقسيم بنحو آخر، وحيث إن المفروض موت الإخوة فيقوم الأبناء مقامهم، فيكون لابن الأخ ثلثان ولابن الأخت ثلث. وهذا واضح لا كلام فيه.

الشق الثاني: «فإن كان له ولد صغار فإنّ على الوارثين أن يُنفقا على الصغار ممّا ورثا عن أبيهم حتّى يُدركوا».

يُفهم من قوله ﷺ: «على الوارثين أن يُنفقا...» أن النفقة تجب على كلّ وارث.

السؤال الثاني، وصورته: كيف يُنفقان على الصغار؟

وجاء الجواب: «يخرج وارث الثلثين ثلثي النفقة، فإذا أدركوا قطعوا النفقة عنهم».

ويُفهم منه: أن نفقة الصغار تُوزّع على الورثة بحسب حصصهم من الإرث، فعلى ابن الأخ ثلثا النفقة، وعلى ابن الأخت ثلث النفقة؛ للقرائن التالية: القرينة الأولى: قوله ﷺ بعد ذلك: «فإذا أدركوا قطعوا النفقة عنهم» فقد استعمل الفاعل ضمير الجمع «قطعوا» أي: الورثة، وإلا لو كان المقصود الوارث صاحب الثلثين فقط - أي: ابن الأخ - لقال ﷺ: قطع بصيغة المفرد.

القرينة الثانية: قوله (عليه السلام): (ثلثي النفقة)؛ إذ يبقى الثلث الباقي من النفقة لا يُعلم من أين يتم تأمينه.

القرينة الثالثة: قوله (عليه السلام) قبل ذلك: «على الوارثين أن يُنفقا...».

السؤال الثالث، وصورته: فإن أسلم أولاده وهم صغار؟ فجاء الجواب بالتفصيل بين شقين:

الشق الأول: «يُدفع ما ترك أبوهم إلى الإمام حتى يُدرکوا، فإن أتموا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه إليهم».

الشق الثاني: «وإن لم يُتموا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه إلى ابن أخيه وابن أخته المسلمين، يدفع إلى ابن أخيه ثلثي ما ترك، ويدفع إلى ابن أخته ثلث ما ترك». إذن، فهنا صورتان.

المحور الثاني: الموقف الإجمالي لفقهاء الإمامية من الحديث

ونظراً لانفتاح باب الاجتهاد في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فقد اختلف موقف فقهاء الإمامية من هذا الحديث على قولين رئيسيين، وربما جعلها البعض ثلاثة^٣:

القول الأول: قبول الأحكام والتفاصيل الواردة في هذا الحديث في الجملة. واختاره معظم الأصحاب من المتقدمين كالمفيد والطوسي وأبي الصلاح الحلبي والقاضي ابن البرّاج والسيد ابن زهرة والكيدري ويحيى بن سعيد والخواجة نصير الدين الطوسي والشهيد الأول وغيرهم^٤. هذا، وقد عثرت أخيراً على أنّ سماحة السيد السيستاني دام ظلّه أورد هذه الأحكام لكنّه لم يُفتِ بها، بل احتاط بالإتيان بها على نحو الاحتياط الوجوبي^٥.

القول الثاني: عدم الإفتاء بهذه الأحكام، والقول بحجب المسلم للكافر وتوريثه، ولو كان المحجوب صغيراً. واختاره ابن إدريس

الحليّ والمُحقّق الحليّ، وربّما يظهر من جمال الدين ابن فهد، ونُسب إلى أكثر المتأخّرين: كالفاضل والمقداد السيوري والشهيد الثاني والأردبيلي والمجلسي الأوّل والجزائري في التحفة^٦.

وهؤلاء لم يُفتوا طبقاً للحديث المنقول عن الإمام الباقر عليه السلام وناقشوا فيه دلالة وربّما ناقشوا فيه سنداً. وسوف نتعرّض لهذه المناقشات وبيان موقفنا منها. وعمدة الإشكالات هي في المجال السندي، وأمّا الإشكاليات الواردة على المضمون فلا أثر لها؛ إذ بعد فرض تمامية السند، يكون الحديث مقيّداً للقواعد العامّة.

هذا، وسوف يتّضح للقارئ أنّه بالإمكان الإفادة من دلالة الحديث واستنباط فروع فقهية عديدة حسبما تسمح به القواعد الاجتهادية المعروفة في الأوساط العلمية وعدم الجمود على ألفاظ النصّ. كما سوف تتّضح لنا الأسس القرآنية والعقدية والإنسانية لهذه الفتوى.

المحور الثالث: البحث في اعتبار سند الحديث^٧

إنّ صاحب الوسائل قد نقل هذه الرواية عن كتاب الفقيه بعنوان «عبد الملك بن أعين ومالك بن أعين جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام»، ومثل هذا السند معتبر؛ لأنّ عبد الملك بن أعين أحد إخوة زرارة المعتبرين بشهادة الكشي عليهم جميعاً بالاستقامة والفقه^٩.

واعترض البعض بأنّ الموجود في نسخ الفقيه التي بأيدينا اليوم «عبد الملك بن أعين أو مالك بن أعين»^{١٠} بنحو التريديد ومن دون كلمة «جميعاً»، كما أنّ الرواية ينقلها الكليني^{١١} والشيخ^{١٢} بعنوان «مالك بن أعين»، وكذلك العلامة في المختلف ينقلها بعنوان «ما رواه مالك بن أعين عن الباقر عليه السلام»^{١٣}، ومالك بن أعين لم يذكره الكشي مع إخوة زرارة الذين

ذكرهم بالاستقامة والفضل، ولم يذكر توثيقاً له. نعم، ذكر بعضهم أنّ لزراعة أخوين آخرين هما: مالك بن أعين وقعب بن أعين، ليسا في شيء من هذا الأمر^{١٤}، وأنّ قعب بن أعين كان مخالفاً أو مُرجئاً^{١٥}، وقد استظهر السيد الخوئي رحمه الله في المعجم أنّ مالك بن أعين في الأسانيد هو الجهنني البصري^{١٦}، وهو أيضاً ممن لم يثبت توثيقه. وعلى هذا يكون السند مردداً بين الموثق وغير الموثق إن لم يُطمأنّ بأنه غير الموثق^{١٧}. كما أنّ جميع النسخ التي بأيدينا من الفقيه تنقل السند بنحو التريديد ومن دون كلمة «جميعاً»، كما أنّ سائر أصحاب الطرق والإجازات من الأعلام المعاصرين أو المتقدمين على صاحب الوسائل قد نقلوا السند كما في نسخ الفقيه الموجودة بأيدينا، فصاحب الوافي^{١٨} وصاحب البحار^{١٩} ووالده في شرحه على الفقيه (روضة المتقين)^{٢٠} كلّهم قد نقلوا السند بالنحو الذي ذكرناه، ومجموع ذلك يُوجب الاطمئنان بأنّ السهو من صاحب الوسائل، على أنّ لأولئك أيضاً طرقاً معتبرة إلى صاحب كتاب من لا يحضره الفقيه، فيقع التهافت والتعارض بينها وبين طريق صاحب الوسائل في نقل هذا الموضع من الفقيه، فالرواية لا يثبت نقلها من قبل عبد الملك بن أعين الثقة^{٢١}.

لكن هذه المناقشة في السند مردودة؛ وذلك:

١ - ٣ - لأنّ صاحب الوسائل كان مُلتفتاً إلى الاختلاف في سند الرواية بين الصدوق والكليني والشيخ، وعليه فلم يُثبت السند بهذا النحو غفلة أو سهواً، وإنّما تعمّد ذكر السند بالعطف بحرف الواو ومُضيفاً كلمة «جميعاً» تعويلاً على نسخته. أجل، يبرز أمامنا إشكال التعارض بين نسخته والنسخ الأخرى، فيؤخذ بأشدّ الاحتمالات، وهي النسخ الأخرى المشتملة على مالك بن أعين مُنفرداً. ومّا يدعو إلى التأمل ما أفاده صاحب الجواهر من عدم إمكانية تصحيح السند حتّى بناء على

إسناد الصدوق - المشتمل على كلمة «جميعاً» - حيث قال: «وغايته حسن هذا الطريق، فإنَّ عبد الملك ممدوح بغير توثيق، والحسن غير الصحيح، والمحكوم عليه بالصحة في كلامهم غير هذا الطريق، والظاهر من الصحة خصوصاً في المقام الحقيقية منها دون الإضافة»^{٢٢}، سيما وإنَّ كلامه مُوجَّه إلى العلامة الحليّ خريّت هذه الصناعة والذي هو من مؤسسي التقسيم الرباعي المعروف للروايات، أي: الصحيح والحسن والموثق والضعيف، بما تحمل هذه الأسماء من معانٍ اصطلاحية.

٢ - ٣ - إنَّ مالك بن أعين قد وقع بهذا العنوان في جملة من الروايات تبلغ أربعة عشر مورداً^{٢٣} عدا هذه الرواية، ويُحتمل فيه احتمالان:

الاحتمال الأول: إمّا أن يكون هو الشيباني أخا زرارَةَ، كما استظهره بعض^{٢٤}، وهو لم يُوثَّق صريحاً، بل ورد ما يدلُّ على تضعيفه، كما مرَّ^{٢٥}، بل استُفيد من عدم ذكر الشيخ الطوسي له في رجاله أنَّه ليست له رواية عن المعصوم (عليه السلام)؛ فإنَّه وإن وقع في أسناد كثير من الروايات إلا أنَّ المراد به مالك بن أعين الجهني وإن احتُمِّل كونه وارداً في سند هذه الرواية فحسب^{٢٦}. غير أنَّه لا دليل على تضعيف الشيباني، والعبارة المذكورة بشأنه وشأن أخيه لا دلالة فيها على ضعفه، بل غاية ما تدلُّ عليه عدم شدّة تشيِّعه أو عدم وضوحه أو كونه من العامّة كما عن العقيلي^{٢٧}، وأمّا العبارة المشتملة على وصف (المُخالف أو المُرجى) فهي راجعة إلى أخيه قعنب فقط، وهو خارج عن محلِّ البحث. ومن الواضح أنَّ ضعف العقيدة بل فسادها لا يدلُّ على عدم الوثاقة، كما أنَّ عبارة الكشي من أنَّ الراوي ليس في شيء من هذا الأمر^{٢٨} لا تقدح في الوثاقة؛ فإنَّ الرمي بكون الراوي من العامّة لا ينافي الوثاقة، لأنَّ عقيدة الشخص غير وثاقته وأمانته في النقل، كما هو واضح.

الاحتمال الثاني: وإمّا أن يكون هو مالك بن أعين الجهني البصري، كما استظهره المحقق الخوئي؛ فإنه استظهر ذلك من مراجعة الروايات المتعددة عنه، وهو وإن لم يُنصّ على توثيقه صريحاً أيضاً إلا أن مضامين الروايات العديدة التي يرويها تدلّ على أنّه إمامي وأنّه كان من الخواصّ العارفين بأمر أهل البيت عليهم السلام^{٢٩}. مضافاً إلى رواية الأجلاء عنه كعمرو بن أبي المقدام^{٣٠}، وجميل بن دراج^{٣١}، وعاصم بن حميد^{٣٢}، وبريد^{٣٣}، وهشام بن سالم^{٣٤}، وعلي بن رئاب^{٣٥}. بل روى عنه بعض الثلاثة وهو صفوان بن يحيى ولو بواسطة بريد^{٣٦}، ومحمد بن أبي عمير^{٣٧}.

٣ - ٣ - بل إنّ هذه الرواية محلّ البحث قد وصفها العلامة الحليّ بالصحة مع نسبته الرواية إلى مالك بن أعين سواء أكان مراده الجهني أم الشيباني^{٣٨}، وتبعه غيره على ذلك التصحيح^{٣٩}، كما أنّها تشتمل على حكم مُخصّص بالإمامية ويُعتبر من منفرداتهم في قبال الفقه السنيّ، ويظهر للباحث مدى اعتناء المحدثين برواياته وقبولهم لها عموماً، كما أنّ الأصحاب فقهاء ومحدثين قد تلقّوا هذه الرواية بالقبول في أصل الحجب في الجملة، فرواها المشايخ الثلاثة، وهي من المشاهير كما وصفها السيوري^{٤٠}، بل قال ابن فهد: «الرواية من الصحاح، وبمضمونها عمل كثير من الأصحاب، واختلفوا في تنزيلها على أربعة أنحاء...»^{٤١}، وتبعه الأردبيلي في نسبة العمل بها إلى الأكثر^{٤٢} وكذا صنع المحقق السبزواري^{٤٣}، بل نسب الشهيد الأوّل ذلك إلى المعظم^{٤٤}، فقد عمل بها الصدوق والشيخان وآخرون^{٤٥}، وإن ردّها أو تردّد في العمل بها بعض^{٤٦}.

٤ - ٣ - علماً بأنّ أكثر مَنْ ردّها أو توقّف فيها لم يكن بسبب التشكيك في السند، بل لإشكالات في دلالة فقراتها الأخيرة لزعم مخالفتها لأصول المذهب، وأمّا ردّ ابن إدريس لها فعلى مبناه المعروف من عدم عمله بأخبار الآحاد.

أجل، ردّ الشهيد الثاني السند بناءً على كون روايه مالك بن أعين الشيباني، وتبعه الأردبيلي، فيما أنّ احتمال كونه الشيباني في غاية الضعف، بل هو احتمال منتفٍ لإهمال ترجمة الشيباني من قبل النجاشي والشيخ، وإنّما ذكره الكشي فقط.

٥ - ٣ - إذن، فيحصل لنا وثوق قويّ بصدور الرواية سيّما مع عدم ثبوت تضعيف لمالك بن أعين سواء أكان الواقع في السند هو الشيباني فضلاً عمّا إذا كان المقصود به الجهني، فلا يبعد اعتبار السند حينئذٍ، وقد عبّر المجلسي الأوّل عنه بالقويّ كالصحيح^{٤٧}، وعبّر عنه ولده في مرآته بالحسن^{٤٨} وإن عبّر في ملاذه بالحسن أو المجهول^{٤٩} ولم يصفه بالضعف، وعبّر عنه الفيض بالقويّ^{٥٠}، وعدّه النراقي معتبراً^{٥١}.

٦ - ٣ - أضف إلى ذلك: أنّ نوع الأسئلة التي وردت في هذا الحديث تكشف عن فقاهاة السائل فيسأل ويُدقّق، كما نرى أنّ أبا جعفر الباقر (عليه السلام) لم يتقه، وأجابه (عليه السلام) بما هو مختصّ بأهل البيت (عليهم السلام)، فقد كرّر ذكر لفظ الإمام عدّة مرّات^{٥٢}، لاحظ الفقرات التالية (عليه السلام): «يُدفع ما ترك أبوههم إلى الإمام حتّى يُدركوا، فإن أتمّوا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه إليهم، وإن لم يتمّوا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه...»، وهذا كاشف عن أنّ مالك بن أعين الراوي لهذا الحديث بل لسائر الأحاديث هو الجهني البصري الشيعي، وليس الشيباني المجهول تشييعه.

٧ - ٣ - إنّنا لو تتبعنا الروايات التي رويت عن مالك بن أعين لرأينا أنّ أكثر الرواة عنه من الأجلاء، وهم: الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن عبد الله بن مسكان^{٥٣}، عمرو بن عثمان عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب^{٥٤}، هشام بن سالم - وهي هذه الرواية -، أبو علي الأشعري (أحمد بن إدريس) عن محمّد بن عبد الجبار عن صفوان عن بريد العجلي عنه^{٥٥}. ورواية الأجلاء عنه تكون تُساعد على توثيقه وتقويته.

٨ - ٣ - إنه مضافاً إلى رواية صفوان عنه بالواسطة^{٥٦}، فقد روى عنه محمد بن أبي عمير مباشرة^{٥٧}.

والطريقان الأخيران - الرابع والخامس - يُشْتَبَن اعتبار جميع روايات مالك بن أعين مطلقاً، سواء أكان هو الشيباني أو الجهني.

٩ - ٣ - إنه مع قطع النظر عما تقدّم فإنه يُمكن القول بتصحيح سند الرواية أو اعتبارها بناءً على بعض القواعد والمباني في التوثيق العامة، والتي هي عبارة عما يلي: إمّا التمسك بالشهرة الروائية للقدماء حيث روى هذه الرواية المحمّدون الثلاثة، وإمّا التمسك بكون عمل المشهور جابراً لضعف السند^{٥٨} سيّما عمل القدماء حتّى قيل: إنه لا يرى منهم مُخالف عدا الحلّي، وهو بالإضافة إليهم شاذّ^{٥٩}، وإمّا بتصحيحها لكونها مروية عن الحسن بن محبوب السّرّاد المُجمع على تصحيح ما يصحّ عنه، ومثلها في قوّة الصحيحة^{٦٠}. وهذه المباني تُثبت اعتبار هذه الرواية خاصّة. وإن كنا لا نرى هذه المباني.

المحور الرابع: البحث في اعتبار دلالة الحديث

والسؤال المثار في المقام هو: هل إنّ مضامين رواية ابن أعين مُخالفة للقواعد العامة أو لا؟

وسبق أن نوّهنا إلى عدم أهمية الإشكاليات الدلالية مع افتراض تمامية السند؛ لأنّ هذه الاستثناءات ستُصبح قيوداً للقواعد العامة.

ومهما يكن من أمر، فقد خاض الفقهاء في هذا البحث مدّعين اشتغال الحديث على مخالفات للقواعد العامة، وأمّا الموارد التي ادّعي مُخالفة الرواية فيها للقواعد العامة فبعضها مُختصّ بباب الإرث وبعضها ليس كذلك، وإليك التفصيل مع المناقشة والردّ:

الإشكالية الأولى: إن القاعدة تقضي بإجراء الطفل مجرى أبيه في الكفر^{٦١}، ومقتضاها عدم توريثه بناءً على حجبه بالوارث المسلم حسب ما هو المشهور، والحجب فوري، فيما أن رواية ابن أعين حكمت بانتظار الطفل ريثما يبلغ حتى يتبين محجوبيته لو لم يُسلم أو عدم محجوبيته لو أسلم.

وقد وقعت المناورة حول هذه النقطة بين دافع للإشكالية وبين داعم^{٦٢}، وخلاصة موقفنا تجاه ذلك كما يلي:

أولاً: إن محجوبية الطفل غير معلومة، سيما مع تحقق الموجب وهو القرابة، سواء أقلنا إنها بسبب الكفر التبعي أو عدم الإسلام؛ وذلك لعدم استقرار صفة المحجوبية قبل البلوغ، والقدر المتيقن هو محجوبية الكافر البالغ. ودعوى عدم الفرق بين الكفر الأصلي والتبعي في المحجوبية عُهدتها على مُدعيها.

ثانياً: إنه لا غضاضة في الإلتزام باطراد الحكم في الأطفال مُطلقاً حتى لو كانوا إخوة الميت، لا قصره في خصوص الأولاد فقط.

ثالثاً: وأما عدم توريث الأطفال فللشك في ارتفاع المانع - وهو المحجوبية - بسبب تزلزله، بخلاف ابني الأخ والأخت، اللذين أحرز فيهما الموجب وارتفع المانع، ولذا ورثا توريثاً مُتزلزلاً.

رابعاً: إن إسلام الطفل حال الطفولية مُعَد لاستحقاقه، فيحجر الحاكم على التركة رعايةً لمصلحته؛ لوجود ما يصلح أن يكون سبباً لاستحقاقه^{٦٣}.

الإشكالية الثانية: إن سبق القسمة على الإسلام يمنع من الاستحقاق^{٦٤}، ومقتضاها عدم توريث من ارتفع عنه المانع بعد القسمة، فلا يُورث من أسلم بعدها، فيما أن هذه الرواية حكمت بتوريث الطفل لو أسلم بعد القسمة.

وقد تصدّى بعض الفقهاء للجواب^{٦٥}. وموقفنا هو: إن قبض الوارث المسلم في فرض وجود الأطفال بسبب تزلزل الحجب إنّها هو مُراعى باستقرار الحجب عند البلوغ، فليس القبض هنا قبض استحقاق قطعي للإرث حتّى يكون قسمة، فَمَن بلغ وقيل الإسلام كان أحقّ بالإرث، ولم يندرج في مسألة (مَن أسلم بعد القسمة)؛ لعدم تحقّقها بسبب عدم استقرارها، وإن بقي على الكفر تحقّق المانع واستقرّ الحجب، وكانت التركة للوارث المسلم كما ذكره صاحب البلغة^{٦٦}.

الإشكالية الثالثة: إن النفقة لا تجب على أحد إلا بسبب^{٦٧}، وقد حكمت الرواية بلزوم الإنفاق على الأطفال من قبل الأقارب المسلمين، كما أنّه لا يجب بذل المال على أحد إلا بعوض^{٦٨}، وفي مورد الرواية لم تُلزم بجبران المال الذي أنفق حال عدم إسلام الأطفال، بل إنّهُ يذهب هدرًا، وأيضاً إنّ مقتضى أدلّة توريث المسلم من الكافر اختصاص مَن كان مسلماً بنصيبه من الإرث، وعدم وجوب بذله ولا شيء منه للقريب الكافر صغيراً كان أو كبيراً^{٦٩} فضلاً عن غيره، بيد أن الرواية أمرت بالبذل على الصغار. وتصدّى بعض الفقهاء للجواب^{٧٠}، فيما واجههم آخرون بالردّ^{٧١}. بيد أن الأوجه في الردّ بحسب نظرنا: أن يتمّ تبرير الحكم بإيجاب الإنفاق من التركة من الأساس طبقاً لمبنى خاصّ بنا- فصلناه في محله- خلاصته: أن التركة مطلقاً إنّما هي ملك الشارع، يُقسّمها وفق ما يرى من مصالح العباد، وإيجابه الإنفاق على الصغار يقع في هذا السياق. وعليه، لا وجه للقول بأنّه مخالف لأصول المذهب أو للقواعد العامّة، بل القاعدة العامّة تقتضي فتح يد الشارع في باب التوريث في تعيين كيفية التصرف في التركة. الإشكالية الرابعة: عدم منع الوارث المسلم من حصّته دون حاجب^{٧٢} مع تحقّق المُوجب وارتفاع المانع، بينما حكمت الرواية بالحيلولة دون

استقرار ملكه لها حتى يبلغ الصغير؛ فإنَّ استحقاق الإرث إمّا أن يثبت مع تحقّق الموجب وارتفاع المانع وعدم الحاجب أو لا يثبت، ولا حالة ثالثة بينهما، في حين حكمت الرواية بكون الحكم بتوريث الصغير مراعىً بإسلامه^{٧٣}. ولا يُنقض على ذلك بتوريث الحمل مراعىً بولادته وانفصاله؛ فإنَّ المراعاة في الحمل ليست للتدرّد في أصل الاستحقاق، بل لتعيين مقدار الحصّة من حيث الذكورة والأنوثة أو الوحدة والتعدّد بعد الفراغ عن أصل استحقاقه.

لكن يُمكن أن يُقال في دفعه بأنّه لا مانع من الالتزام بوجود حالة ثالثة، وهي فيما إذا ثبت الموجب وشكّ في المانع والحاجب فيُحكم بعدم استقرار السلطنة التامّة على التركة والاحتياط لحقوق الناس سيّما القاصرين، بل ما نحن فيه أولى من الحمل الذي يُعزل له من التركة احتياطاً مع أنّه لا يُعلم أصل تولّده حيّاً ولا أصل استحقاقه، لا أن استحقاقه مقطوع والشكّ في تعيين حصّته.

الحاصل: أنّه يُمكن الذود إلى حدّ ما عن مضامين هذه الرواية كلاً أو جلاً وإن كان بعض وجوه الدفاع ليس قطعياً- كما أنّ بعض الإشكالات كذلك- بيد أنّ بعضها وجيه، قال في البلغة: «وأما مخالفة المتن للأصول فمما ذكرنا ظهر لك عدم مخالفته لشيء منها...»^{٧٤}، وعلى فرض مُعارضتها لبعض الأصول فليست هي بمُستنكرة، فلا يقدح ذلك في حجّيتها لو تمّت سنداً، ولا غضاضة في الإفتاء بها، وبها يُخرج عن تلك الأصول بالتقييد والتخصيص^{٧٥}.

بل قد يُقال بأنَّ أصل الحكم بحجب المسلم للكافر- حتّى لو كان بالغاً- على خلاف القاعدة^{٧٦}. ونحن نقبل أن أصل الحجب استثناء من أدلّة (توريث الكافر والمسلم من المورث الكافر)، وإن كنّا لا نقبل دعوى أنّه

استثناء من قاعدة ﴿أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾؛ لاختصاص هذه القاعدة بالتوارث بين المسلمين فقط، فيما لو كان المورث والوارث مسلمين. وعلى أية حال، فقد اتضح حجّية الرواية واعتبار سندها، فلا محيص عن الإفتاء طبقها، علماً بأنّ توسيع دائرة دلالة الرواية أو الاقتصار على المورد المنصوص فيها وبالتالي الإفتاء تبعاً لذلك سعة وضيقاً كلّ ذلك يُعدّ عملاً بمضمون الرواية، فتوسيع دائرة الدلالة ليس مخالفة للرواية^{٧٧}. إذن، لو بنينا على اعتبار سند الرواية - كما هو الصحيح - فلا غضاضة في الإفتاء طبقها سواء في لزوم التربّص حتّى بلوغ الأولاد الصغار وفيما اشتملت عليه من تفاصيل كوجوب النفقة وكيفيتها.

إلا أنّ صاحب الجواهر ادّعى ندرة العامل بجميع ما تضمّنته الرواية من أحكام وأنّ المتّجه ترك هذا الخبر^{٧٨}، بل ربّما يظهر منه في مورد آخر دعوى عدم العامل بها^{٧٩}. وهو - كما ترى - بعد عمل معظم المتقدّمين وبعض المتأخّرين بها.

ولو بنينا على ضعف سند الرواية فلا يُفتى بها، وحيث لا بدّ من الرجوع إلى المُستند في أصل الحجب:

فإذا تمّ دليل لفظي مطلق على حجب المسلم للكافر مطلقاً - كما إذا تمّت رواية الحسن بن صالح سنداً ودلالة - كان مقتضى الصناعة استحقاق المسلم لتمام التركة واستقرار ملكه لحصّته من أوّل الأمر وعدم لزوم التربّص وعدم وجوب الإنفاق^{٨٠}.

وإن لم يتمّ الدليل اللفظي على أصل الحجب، وإنّا حكمنا بالحجب على أساس الإجماع والدليل اللَّبِّي، فمن الواضح أنّ هذا الدليل لا يتمّ في المقام؛ لعدم الإجماع على الحجب فيه، وذهاب أكثر المتقدّمين إلى استثناء

صورة وجود أولاد صغار للميت الكافر مع وجود قرابة مسلم مطلقاً أو في خصوص ابن الأخ وابن الأخت المسلمين، فيكون مقتضى القاعدة عندئذٍ الاقتصار في الحجب على المقدار المتيقن من الإجماع، وهو ما إذا لم يكن للميت ولد صغار^{٨١}. وأمّا إذا كان له ولد كذلك، فلا يثبت حجب الوارث المسلم للأولاد الصغار؛ لعدم دخول هذه الصورة في معقد الإجماع، فيرثه أقرب أقربائه إليه وهم أولاده الصغار، وفي الفترة المتخلّلة بين الصبا والبلوغ يجب الإنفاق عليهم من سهمهم من التركة من قبل وليّهم ولو كان الإمام عليه السلام^{٨٢} شأنهم شأن أيّ قاصر آخر. فإن بلغوا وأسلموا لا بحث في بقاء ملكهم لخصصهم كملأً، وأمّا لو لم يُسلموا وبقي فاضل من حصصهم من التركة فقد صرح أستاذنا عليه السلام باستقرار فاضل الإرث للقرابة المسلم^{٨٣}، أي استقرار حجه للأولاد الكفّار؛ وكأنّه لدخول هذه الصورة في معقد الإجماع حينئذٍ.

ومهما يكن من أمر فإنَّ إثبات تمامية دلالة الحديث الذي جادت به مدرسة الإمام محمد الباقر عليه السلام سوف يفتح لنا آفاقاً فقهية وفكرية وإنسانية وأخلاقية واسعة؛ وذلك بلحاظ الأبعاد التي تنطوي عليها دلالة هذا الحديث وما اشتمل عليه من فتاوى المستحكمة كما سوف يتّضح في المحورين الآتيين.

المحور الخامس: تحديد دائرة دلالات الحديث والفروع الفقهية المستنبطة
إنَّ القدر المتيقّن من دلالة الرواية كون الحكم بتزلزل الحجب ثابتاً وجعله
مُرَاعَى ببلوغ الصغار فيما لو أعلنوا إسلامهم حين صغرهم وبقوا عليه إلى
بلوغهم ولزوم نفقتهم في صورة كون المسلم ابن أخ وابن أخت وكون الصغار
أولاداً للكافر مع وجود الزوجة، وهذه هي الصورة المنصوصة في الرواية.

ومن الواضح أنّ ابن الأخ وابن الأخت إنّما يرثان حصص آبائهم، وهما أخو الميّت وأخته، ولو كانا إخوة للميّت من أمّه لتساوت حصّتيهما؛ لأنّ كلاله الأمّ ترث بالتساوي مع التعدّد بلا فرق بين الإناث أو الذكور أو اجتماع الذكور والإناث معاً، وأمّا كلاله الأب فترث بالتفاوت للذكر مثل حظّ الأنثيين، وحيث حكمت الرواية بأنّ لابن الأخ ثلثي التركة ولابن الأخت ثلثها، فيُعرف أنّ الحكم الوارد فيها ناظر إلى الإخوة من الأب. وبهذا أفْتى بعضهم^{٨٤}.

لكن يا ترى هل يُقتصر في هذه الأحكام على ما صُرح به في متن الحديث أو يُمكن توسيع دائرة الدلالة وفسح المجال أمام استنباط فروع أخرى منها أو لا؟

وليُعلم أنّ القول بتوسعة دائرة الحكم والتعدّي إلى صور أخرى غير منصوصة ليس من باب الاستحسان أو القياس، بل هو من باب الفهم العُرفي للنصّ والاستناد إلى القاعدة الأصولية، وهي (إلغاء خصوصية المورد)؛ فإنّ العُرف يرى أنّ تمام النكتة في هذا الحكم كامنة في رعاية حقوق الطفل، ولا خصوصية للحثّيات الواردة في الحديث. فهذا النمط من الاستدلال في واقعه هو استدلال بالنصّ، وليس استحساناً ولا قياساً، كما هو واضح.

وهنا نطرح بعض التفريعات التي قد تُستفاد من هذا الحديث:

١ - الفرع الأوّل: هل يُقتصر في الوارث المسلم على ابن الأخ وابن الأخت؟ في ذلك عدّة احتمالات:

الاحتمال الأوّل: الاقتصار على ابن الأخ وابن الأخت؛ لأنّه مورد الرواية التي بها خرجنا عن القاعدة في حجب المسلم للكافر^{٨٥}.

الاحتمال الثاني: شمول الحكم للأخ والأخت من الأب؛ لأنّ أولاد الإخوة يرثون حصص آبائهم، فالملحوظ أولاً في هذا الحكم الإخوة، وحكم أولادهم كان تبعاً.

الاحتمال الثالث: شمول الحكم للكلالة مطلقاً؛ لعدم احتمال الخصوصية للإخوة من الأب عرفاً، وهذا هو الظاهر بدوياً ممّن أفتى بذلك^{٨٦}، فجُعِلت صورة المسألة: فيما لو اجتمع إخوة للأب ولهم الثلثان وإخوة من الأم ولهم الثلث؛ وكأنتهم لم يجرأوا على الابتعاد كثيراً عن الصورة المنصوصة من الاحتفاظ بالحصص، وهي: الثلث والثلثان.

الاحتمال الرابع: شمول الحكم إلى مُطلق القرابة المسلم وسواء أكان في مرتبة الأولاد أو متأخراً عنهم^{٨٧}؛ وذلك للتعدّي العُرفي، فإنّ العُرف يرى أنّ تمام النكته مُنصبّة على مُراعاة حقّ الأولاد الصغار من قبل الأقرباء مهما كانوا، وهذا هو الأرجح بحسب نظرنا. وبهذا أفتى بعضهم، ونسبه الطبائبي إلى الأكثر^{٨٨}، ونسبه النراقي إلى كثير ممّن عمل بالرواية^{٨٩}. لكن استبعد الأردبيلي هذا التعدّي والشمول^{٩٠}.

الاحتمال الخامس: شمول الحكم لمطلق الوارث نسبياً كان أو سببياً، وربما يُمكن استفادة هذه التوسعة من إطلاق عبارة المحقّق نصير الدين الطوسي^{٩١}. وقد أطلق السيد السيستاني دام ظلّه^{٩٢}.

وبناءً على ما رجّحناه من التعدّي، فيُمكن جريان الحكم في صور كثيرة في فرض إسلام الإخوة المسلمين، مثل:

أخوان للأب مسلمان وزوجة وأولاد صغار. فالتركة بين الأخوين مناصفة. أخ لأب وأخ لأمّ مع الزوجة والأولاد الصغار. فللأول خمسة أسداس التركة وللثاني السدس.

أخت لأب وأخ- أو أخت- لأمّ وزوجة وأولاد، فللأخت للأب خمسة أسداس، ثلاثة بالفرض، وسدسين بالردّ، وللأخ- أو الأخت- لأمّ سدس. وهكذا....

أيضاً نتعدّى في الحكم إلى الأجداد سواء أكانوا منفردين أو مع الإخوة، على اختلاف قراباتهم.

بل نتعدّى في الحكم إلى العمومة والخؤولة كذلك.

بل ونتعدّى من الورثة النسيين إلى السبيين:

كما لو كانت الزوجة مسلمة مع الأولاد الصغار. فلها الربع بالفرض، وأما ردّ الباقي عليها أو على الإمام ففيه خلاف، والحكم هو الحكم. وكذا مع تعدّد الزوجات.

وكما لو كان هناك ضامن جريرة. وهكذا....

٢ - الفرع الثاني: هل يقتصر على صورة تعدّد الأولاد؟

نظراً لعدم احتمال الخصوصية عرفاً في تعدّد الأولاد الصغار، فيثبت الحكم حال اتحاد الولد، كما لو خلف الكافر ولداً واحداً صغيراً، فإنّ جميع ما ذكر من أحكام تجري بشأنه. وقد صرح السيد السيستاني دام ظلّه بتعميم الحكم للولد واحداً كان أو متعدداً^{٩٣}.

٣ - الفرع الثالث: هل يقتصر على صورة وجود الزوجة؟

المستفاد عرفاً عدم الخصوصية في ذلك؛ فإنّ وجود الزوجة الكافرة وعدمها لا يغيّر من الحكم شيئاً؛ نظراً لعدم إرثها مع وجود الوارث للمسلم. وعليه، فلو فرض ابن الأخ وابن الأخت المسلمين مع الأولاد الصغار دون وجود الزوجة الكافرة فالحكم هو هو. وقد أهمل السيد السيستاني دام ظلّه الزوجة في صورة المسألة^{٩٤}.

٤ - الفرع الرابع: هل يُقتصر في الصغار على الأولاد؟
في ذلك احتمالان:

الاحتمال الأول: الاقتصار على الأولاد فقط؛ لأنه مورد الرواية التي بها خرجنا عن القاعدة في حجب المسلم للكافر. وهو الظاهر الأولي من جميع من عمل بالرواية.

الاحتمال الثاني: شمول الحكم لكل وارث صغير؛ للتعدي العرفي، فإنَّ العُرف يرى أنَّ تمام النكته مُنصبٌّ على مُراعاة حقِّ الصغير ولداً كان أو أختاً أو غيرهما، وهذا هو الأرجح بحسب نظرنا. ونسبه النراقي أيضاً إلى كثير^{٩٥}، ولكن لم نعثر على أحد قد صرح بذلك. بل سوف يأتي البحث قريباً في مدى إمكان توسعة الحكم إلى الحمل أيضاً.

٥ - الفرع الخامس: هل يثبت الحكم مع انفرد الأولاد بالتركة؟

لو انفرد الأولاد بالتركة سواء تعدّدوا أو اتحدوا ولم يكن وارث غيرهم، فقد يُقال بجريان الحكم عليهم؛ وذلك من باب الأولوية، فإنَّ الحكم قد ثبت لهم حال وجود الوارث المسلم فكيف إذا انتفى المزاحم لهم! بيد أنَّ الصحيح: أنَّهم يرثون ويأخذون حصصهم والحال هذه طبقاً للقاعدة العامّة في الإرث من الكافر. ولا حاجة إلى الاستناد إلى هذا الحديث، بل لا موضوع لجريان تلك الأحكام الخاصّة في المقام، وإنَّما يُنفق عليهم ممَّا يرثونه من مورّثهم.

٦ - الفرع السادس: هل يثبت حكم الإنفاق على الصغير مُطلقاً؟

اتضح أنَّ الأرجح هو تعميم الحكم بتعليق قسمة التركة إلى كلّ صغير بلا فرق بين الولد وغيره كالأخ الصغير؛ للنكته العُرفية المتقدّمة من الاحتياط لحقِّ الصغير.

لكن يا تُرى هل يُقال الكلام نفسه بلحاظ النفقة؟!

قد يُقال: إنَّ الولد حيث إنَّه كان لازم النفقة على أبيه قبل موته فيُنْفَق عليه من التركة رعاية لذلك، وأمَّا الصغير غير واجب النفقة على المورث كالأخ الصغير فلا تجري هذه النكته العُرفية في تعميم الحكم بلزوم الإنفاق إليه إلا إذا انحصر حفظ الصغير بالإنفاق عليه من التركة، وأمَّا إذا وجد مَنْ يُنفق عليه أو كان ذا مال فلا يبقى حينئذٍ للقول بالإنفاق من التركة وجه. ومن هنا ينقدح الشكُّ في إطلاق أصل الحكم بلزوم النفقة حتَّى بلحاظ الولد الصغير الذي هو مورد الرواية، فإنَّ الرواية لا يبعد كونها ناظرة إلى الحالة المُتعارفة والغالبة من عدم وجود مال للصغير ولا مَنْ يُنفق عليه فهنا حكمت الرواية بالإنفاق عليه من التركة، فيتَّحد الحكم في الولد الصغير وغيره من الأقارب في النفقة، وذلك بأن يُقال بأنَّ لزوم الإنفاق على الصغير - مهما كان ولدًا أو غيره - يدور مدار انحصار الإنفاق عليه بكونه من التركة، فيكون الحكم بالإنفاق مقيداً بعدم وجود مال للصغير أو عدم النفقة ولو من غيره، وإلا فلا وجوب.

ومن ذلك يُعرف أنَّ هذه الأحكام تجري أيضاً على الزوجة الصغيرة، فيجب الإنفاق عليها حتَّى تبلغ. ولم أجد من بحث ذلك أو أشار إليه.

٧ - الفرع السابع: ما هو الحكم لو أسلم بعض الأولاد دون بعض؟

من الواضح أنَّه بحسب القواعد العامَّة إنَّما يثبت الحكم الخاصَّ على مَنْ أسلم، ومَنْ لم يُسلم يثبت له حكمه الخاصَّ به بلا إشكال ولا كلام. ولكن ثمة إشكالية في التطبيق، بيان ذلك: لو فرضت الصورة الواردة في الحديث، أي: ابن أخ وابن أخت وأولاد صغار وأسلم أحدهم، فحيث إنَّ مَنْ أسلم هو المرشَّح لحيازة التركة فهذا يقتضي تحويل التركة إلى الإمام، ومعه لا يبقى شيء من التركة ليُنْفَق على مَنْ لم يُسلم، فينحصر الحكم والحال هذه بتصدِّي الإمام للنفقة على جميع الصغار حتَّى زمان بلوغهم لمعرفة حالهم بعد البلوغ.

٨ - الفرع الثامن: هل يثبت الحكم للحمل؟

ينقدح مما ذكرنا تَوْأَنَّ الأحكام المذكورة لا تختص بمورد الرواية، وهو الصغير، أي: الولد المنفصل - بل تشمل الحمل أيضاً؛ لما ذكرنا من النُّكْتة العُرفية، وهي الاحتياط لحق الصغير وعدم تضييعه، فيُراعى إرثه بولادته حيّاً ويُنفق عليه إلى بلوغه أيضاً بالنحو المذكور.

٩ - الفرع التاسع: كيف يتم إخراج النفقة؟

لقد دلت الرواية في فقرتها الثانية على أنَّ النفقة يتم توزيعها على الورثة حسب حصصهم بالنسبة، حيث جاء فيها ما يلي: قيل له: كيف يُنفقان على الصغار؟ فقال: «يُخرج وارث الثلثين ثلثي النفقة، فإذا أدركوا قطعوا النفقة عنهم»^{٩٦}، ولو اختلفت صورة المسألة فختلف النسب.

١٠ - الفرع العاشر: ما هو الحكم في حالة استغراق النفقة للتركة أو

قصور التركة عنها؟

المستفاد من إطلاق وجوب النفقة في الحديث، كما في قوله ﷺ: «فإنَّ على الوارثين أن يُنفقا على الصغار ممَّا ورثا عن أبيهم حتَّى يُدركوا» وقوله ﷺ: «يُخرج وارث الثلثين ثلثي النفقة...» هو شمول الحكم لما إذا استغرقت النفقة التركة، بحيث لم يبقَ شيء منها للوارث، بل وشمول الحكم لما إذا قصرت التركة عن الوفاء بالنفقة، بحيث يُمكن تغطية بعضها أو تغطيتها في بعض المدَّة إلى حين البلوغ؛ إذ غرض الشارع تأمين نفقة الأطفال إلى زمان بلوغهم، كما يُفهم من قوله ﷺ: «فإن كان له ولد صغار فإنَّ على الوارثين أن يُنفقا على الصغار ممَّا ورثا عن أبيهم حتَّى يُدركوا»، وقوله ﷺ: «يُخرج وارث الثلثين ثلثي النفقة»، ولم يأتِ التعبير (يُخرج وارث الثلثين ثلثين للنفقة).

ولم أرَ من تعرَّض لهذا الفرع أو أشار إليه.

١١ - الفرع الحادي عشر: من هو المُتصدّي للإنفاق على الصغار؟

لقد اشتملت الرواية على تفصيل بين صورتين: صورة ما إذا بقي الأطفال على حالهم إلى البلوغ، وصورة ما إذا أعلنوا إسلامهم في صغرهم وبقوا عليه، فإنَّ المُنفق عليهم في الصورة الأولى هو الوارث المسلم، وفي الثانية الإمام وإن كان استقطاع النفقة من التركة في كلتا الحالتين، حيث ورد في فقرتها الأولى: «... فإن كان له ولد صغار فإنَّ على الوارثين أن يُنفقا على الصغار ممَّا ورثا عن أبيهم حتَّى يُدركوا»، وفي فقرتها الأخيرة: قيل له: فإن أسلم أولاده وهم صغار؟ فقال: «يُدفع ما ترك أبوهم إلى الإمام حتَّى يُدركوا، فإن أتموا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه إليهم، وإن لم يُتموا على الإسلام إذا أدركوا دفع الإمام ميراثه إلى ابن أخيه وابن أخته المسلمين...»^{٩٧}.

لكن أغفل هذا التفصيل في كلمات مَنْ عمل بهذه الرواية.

١٢ - الفرع الثاني عشر: هل تثبت هذه الأحكام للنصراني خاصّة؟

قد يُقال بأنَّ هذه الرواية كانت جواباً لسؤال، والجواب عادة يكون مطابقاً للسؤال، وحيث إنَّ السؤال كان عن النصراني إذا مات وله أطفال صغار، فلا بدَّ أن يكون الجواب مختصّاً به فقط وفقط.

بيد أنَّه لا خصوصية للنصراني في المقام؛ إذ العرف لا يحتمل له أيّة خصوصية، فإنَّ تمام النكتة تدور مدار كون المورث ذميّاً، ولذا يُتعدّى في هذه الأحكام إلى كلّ ذمي مات وله صغار نصرانياً كان أو يهودياً أو مجوسياً أو غيرهم، حتَّى لو قيل بمخالفة هذه الأحكام للقواعد، وقد جعل الشيخ المفيد عنوان المسألة (الذمي).

بل لا خصوصية للذمي في المقام، بل تجري هذه الأحكام على كلّ كافر ولو لم يكن ذميّاً كما لو كان في صلح أو هدنة مع المسلمين، سيّما إذا قيل

بعدم مخالفة هذه الأحكام للقواعد، كما هو الراجح عندنا، وقد جعل جملة من الفقهاء عنوان المسألة (الكافر).

بل يُمكن القول بشمول هذه الأحكام لكل قاصر كالمجنون وإن كان بالغاً؛ لأنَّ العرف يرى أنَّ النكته الملحوظة هي القصور، فالعرف لا يَتمل الفرق بين الصغير وبين المجنون من هذه الجهة، بل كل قاصر يكون مشمولاً لهذه الأحكام إذا لم يكن مورثه مسلماً.

أجل، قد يُستشكل في كون قصور الصغير ليس ممتداً بل له غاية، وغايته البلوغ بالتاسعة للأُنثى وبالخامسة عشرة للذكر، وأمَّا الجنون فهو ممتد، وحينئذٍ فكيف يُنفق عليه؟ وكيف يُتوقع انقطاع قصوره بالإسلام؟! لكن بالإمكان التغلب على هذه العقبة بأن يُنفق على المجنون من التركة حتّى يُفيق أو يموت أو حتّى نفاذ التركة وإن طال الزمن.

المحور السادس: وقفة تحليلية لهذه النظرية الفقهية

إنَّ المواقف الشرعية تارة تنشأ من ملاكات مبهمة وما علينا إلا التسليم بها والتعبّد بكلام الشارع، وأُخرى تنشأ من ملاكات قابلة للإدراك، فيا تُرى ما نحن فيه- أي: ما تضمّنه هذا الحديث من أحكام- هل يُعدّ من النحو الأوّل؟ أو من النحو الثاني؟

المتبادر في الذهن لأوّل وهلة أنّه من النحو الثاني، سيّما إذا قيل بمخالفتها للقواعد التشريعية العامّة في باب الإرث وما يرتبط به؛ لأنّه قد يُدعى أنَّ القاعدة في الحجب هي: حجب الوارث المسلم وإن بُعد للوارث الكافر وإن قُرب. وهو في الحقيقة تحكيم للبُعد العقدي وإعطائه دوراً في الساحة التشريعية.

يبدأ أن التأمل الدقيق يكشف عن أن حديث الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام
يتبنى أيضاً على رؤية كلامية وعقدية وقرآنية حول الإنسان وحول الخالق
سبحانه، وأيضاً يتبنى على مبدأ تشريعي وعملي:

أما الرؤية القرآنية عن الإنسان فتتمثل في أن الأصل فيه الصفاء
والاستقامة وعدم الانحراف وعدم الكفر، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{٩٨}، ومن هنا لم يتعامل الإمام الباقر عليه السلام
مع أطفال الكافر الورثة كتعامله مع الوارث الكافر، وهذا كاشف عن
أنه لم يعتبرهم كفاراً استناداً إلى المبدأ القرآني المذكور، بل انطلق عليه من نظرة
إيجابية حول الإنسان بأن فطرته على التوحيد والاستقامة، ومن هنا لم يلحق
الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام الطفل بأبويه على أساس قاعدة التبعية، بل تم
لحظ مبدأ الفطرة الإنسانية النزيفة وتحكيمها في المقام. وفي حسن زرارة،
قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ...﴾؟ قال:
فطرهم على معرفة أنه ربهم، ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ومن
رازقهم»^{٩٩}، وفي حسن زرارة، قال عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألت عن قول الله
عز وجل: ﴿حَنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾^{١٠٠}؟ قال: الحنيفية من الفطرة التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله. قال: فطرهم على المعرفة به...^{١٠١}.
وأما الرؤية القرآنية عن الله جلّ وعلا فتتمثل بأن له الأسماء الحسنى
والصفات العليا، ومنها أنه أرحم الراحمين وأن رحمته وسعت كل شيء،
قال تعالى: ﴿...وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^{١٠٢}، وقال عز
اسمه: ﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾^{١٠٣}، وقال جل شأنه: ﴿...
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً...﴾^{١٠٤}. وهذه الرؤية تتجلى وتنعكس
في المجال التشريعي، وأحد تجلياتها وانعكاساتها هو هذه الأحكام الرحيمة
بالأطفال والضعفاء، والعناية بحقوقهم.

وأما المبدأ التشريعي والعملي فهو مبدأ الإحسان إلى اليتامى؛ فإنّ الطفولة واليتيم هو موضوع لرعايتهم، وهذا أصل تشريعي ثابت لا كلام فيه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^{١٠٥}. ولا ريب في كون هذا اللسان لسان الإيجاب والفرض؛ فإنّ أخذ الميثاق لا يكون على حكم ترخيصي، كما أنّ تركه لا يستلزم الإعراض عن دين الله والتوليّ عنه. بل حاولت بعض الآيات أن تضرب على الوتر العاطفي، كما في قوله جلّت عظمتة: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^{١٠٦}. وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام: «... ولقول أبي جعفر عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة...»^{١٠٧}، ورواه ولده الصادق عليه السلام أيضاً، وعن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام، قال: «قلت: في كم يجب لأكل مال اليتيم النار؟ فالك في درهمين»^{١٠٨}. ثمّ إنّ عنوان (الذرية الضعاف) الوارد في الآية أعمّ من الصغير؛ فإنّه يشمل المجنون أيضاً. وهذه النكته يُمكن توظيفها فقهياً. وكما هو واضح فإنّ حديث ابن أعين يقع في هذه السياقات التشريعية الواردة في حماية حقوق اليتيم. وهنا يتصدّى الإمام الباقر عليه السلام لإبراز مدى حرص الشريعة على حماية حقوق اليتيم المالية وإن كانت بمقدار درهمين. وعلى أيّة حال، فالإمام الباقر عليه السلام لم يترك الطفل في متاهة التضييع والبوار، بل جعله تحت مظلة الحماية والكفالة، فأوجب النفقة عليه من تركه أبيه مطلقاً سواء أسلم الطفل بعد بلوغه أو لا.

لقد مرّ بيان التفصيل في المتصدّي للنفقة على الطفل بين صورتين: في الأولى الورثة المسلمون، وفي الثانية الإمام، أي: الحاكم.

ولعلّ الوجه في تحليل هذا التفصيل بين الصورتين عقلياً هو:

إنّهُ في الصورة الأولى تكون التركة للوارث المسلم لتقدّمه على غيره في استحقاق التركة بسبب توفّر الموجب والشرط، وأمّا صيرورتها إلى الأولاد الصغار بعد البلوغ غير معلومة لتوقّفها على إسلامهم حينذاك، وهو غير محرّز عند تقسيم التركة.

وفي الصورة الثانية فقد توفّر في الأولاد الصغار الموجب قطعاً وهو قرابتهم بالميّت، وأمّا الشرط وهو إسلامهم، فهو مُتوفّر فيهم أيضاً إلا أنّه مُحتمل الارتفاع في فترة ما قبل البلوغ، فيُقدّمون على غيرهم من الورثة، وتصير التركة إليهم، ولا يصحّ القول بأنّه لا أثر لإسلامهم قبل البلوغ، بل إنّ لإسلامهم أثراً وإن اختلف عن أثر إسلام البالغ، ومن آثاره عدم التعامل مع الصغير الذي أسلم كالكافر، بل يكون كالمسلم فعلاً ولزوم الاحتياط لحقوقه.

وبسبب صغرهم تُعطى حصصهم إلى الولي؛ لكون الصغير مظنة تعرّضه للحيف سيّما مع تحسّس الورثة الكبار عادة من مزاحمته لهم، وحيث إنّهُ في فرض السؤال ليس لهم وليّ خاصّ مسلم؛ لعدم الولاية للأخ والأخت فضلاً عن ابن الأخ وابن الأخت، فتُعطى تركتهم للإمام باعتباره ولياً عامّاً بعد فقد الوليّ الخاصّ لهم. ومن هنا لو فرض أنّ الوارث المسلم هو أبو الميّت فُسلّم التركة بيده باعتباره وليّاً. وقد مضى أنّ بإمكان الإمام أن يتصدّي للنفقة حتّى في الصورة الأولى أيضاً؛ نظراً لولايته العامّة.

ومن المحتمل - وإن كنّا لا نقطع به - أن يكون الوارث وكيلاً عن الحاكم (أي: الولي العام) في هذه الحالة، أو يكون الوارث تحت نظر الحاكم.

وهذا الوجه الأخير وإن لم يكن قطعياً بل هو تكييف ظني، ولكنّه تكييف عقلائي متناسب مع ذوق الشريعة، ولا بأس به بعد إمكانية دلالة الرواية المعتبرة عليه بالملزمة، فلا يُشترط في وجاهته كونه ظاهراً من الكلام؛ لكونه بحثاً تحليلياً صرفاً لما تضمّنته الرواية المعتبرة من تفصيل، فهو من باب بيان فلسفة الحكم وحكمته، وليس علّته وملاكه الواقعي، ولسنا بصدد جعله دليلاً للاستنباط.

هذا، وقد مرّت الإشارة إلى مبنى خاصّ بنا- فصلناه في محلّه- خلاصته: أنّ التركة مطلقاً إنّما هي ملك الشارع، يُقسّمها وفق ما يرى من مصالح العباد، بل ويتصرّف بها كذلك، فيتصدّى بها هو مالك- لا بما هو ولي- للنفقة تارة، وتارة يُوكل النفقة إلى الورثة للقيام بذلك.

وكيف كان فإنّ هذا امتياز مهمّ يُسجّل لصالح مدرسة الإمام الباقر (عليه السلام) الفقهية، دون سائر المذاهب الإسلامية التي ذهبت إلى انتفاء التوريث مطلقاً مع اختلاف الدين^{١١٩}؛ فإنّهم جعلوا الوارث - صغيراً كان أو كبيراً- إمّا يرث أو لا يرث ولا ثالث لهما، فيما نرى أنّ الإمام الباقر (عليه السلام) طرح حالة ثالثة، وهي حالة برزخية، ألا وهي حالة توقّع حياة الطفل للإرث بعد بلوغه وإسلامه، ولزوم الإنفاق عليه حال الطفولة احتياطاً له؛ لاحتمال استقرار استحقاقه للتركة مستقبلاً.

أهم نتائج البحث:

أثبتنا أنه بالإمكان تصحيح سند الرواية والقول باعتبارها على أكثر من مبنى. وهذا هو المهم في البحث.

فيما يتعلّق بمضمون الرواية فقد أورد عليه الفقهاء إشكالية اشتماله على مخالفة القواعد العامّة، وذكروا أربع إشكاليات، رددناها طرّاً، وأثبتنا حجّيتها، بل إنّ أصل إشكال المخالفة مع القواعد لا يقدح بالحجّية مع تمامية السند؛ للزوم الالتزام بمقتضى الدليل المخصّص.

في فرض موت الكافر ووجود الوارث المسلم مع الصغير فإنّ حجب القرابة المسلم البالغ للقرابة الصغير له صورتان:

الصورة الأولى: أن يُسلم الصغير في صغره فتُعطى التركة لوليّه المسلم - الخاصّ إن كان وإلا فالعامّ - ويلزمه الإنفاق على الصغير حتّى يبلغ، فإن بقي على إسلامه حاز ما بقي، وإلا سلّم إلى القرابة المسلم. وقد دلّت الرواية في فقرتها الثانية على أنّ النفقة يتمّ توزيعها على الورثة حسب حصصهم بالنسبة.

الصورة الثانية: أن لا يُسلم الصغير في صغره فتُعطى للقرابة المسلم ويلزمه الإنفاق على الصغير حتّى يبلغ، فإن بلغ وأسلم دُفع له ما بقي من حصّته، وإلا استقرّ ملك المسلم عليه. هذا بحسب الحكم الأوّلي، بيد أنّه يُمكن للحاكم أن يتصدّى لوضع يده على التركة، ويتولّى الإنفاق على الصغار؛ إمّا من باب الحسبة أو الولاية أو بناءً على مبنى ثالث خاصّ لنا. لا فرق في الصورتين بين كون القرابة المسلمة كلالّة أو غيرها من القربات، ولا بين كون الصغير ولدًا للكافر أو غيره من أقربائه وورثته. ولا فرق بين الوارث النسبي والسبي.

لا يبعد ثبوت هذه الأحكام بشأن الحمل أيضاً.

لا خصوصية للنصراني في المقام، ولذا يُتعدّى في هذه الأحكام إلى كلّ
 ذمّي مات وله صغار نصرانياً كان أو يهودياً أو مجوسياً أو غيرهم.
 بل لا خصوصية للذمّي في المقام، بل تجري هذه الأحكام على كلّ كافر
 ولو لم يكن ذمّياً كما لو كان في صلح أو هدنة مع المسلمين.
 بل يُمكن القول بشمول هذه الأحكام لكلّ قاصر كالمجنون وإن كان
 بالغاً إذا لم يكن مورّثه مسلماً، فيُنْفَق على المجنون من التركة حتّى يُفَيِّق أو
 يموت أو حتّى نفاد التركة وإن طال الزمن.
 ابتناء هذه الأحكام التشريعية على رؤية عقدية وقرآنية حول الخالق
 تعالى وحول الإنسان.

يُستخلص من ذلك كلّهُ البُعد الإنساني في فقه الإمام الباقر (عليه السلام) في حماية
 حقوق الطفل وإن كان كافراً، وهذا امتياز مهمّ يُسجّل لصالح مدرسة
 الإمام الباقر (عليه السلام) الفقهية، دون سائر المذاهب الإسلامية التي ذهبت إلى
 انتفاء التوريث مطلقاً مع اختلاف الدين.

الهوامش:

- ١- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة ٢٦: ١٨-١٩، ب ٢ من موانع الإرث، ح ١. وانظر: الكليني، الكافي ٧: ١٤٣، ح ١. الطوسي، تهذيب الأحكام ٩: ٣٦٨ ح ١٣١٥، الطوسي، الاستبصار ٤: ٣١٣-٣١٤، المشيخة. الصدوق، مَنْ لا يحضره الفقيه ٤: ٣٣٧، ح ٥٧٢٩.
- ٢- النساء: ١٧٦.
- ٣- ابن فهد، المهذب البارع ٤: ٣٣٧.
- ٤- المفيد، المقنعة: ٧٠١. الطوسي، النهاية: ٦٦٥. أبو الصلاح الحلبي، الكافي في الفقه: ٣٧٥. ابن البرّاج، المهذب ٢: ١٥٩-١٦٠. ابن زهرة، غنية النزوع: ٣٢٩. الكيدري، إصباح الشيعة: ٣٧٠. ابن سعيد، الجامع للشرائع: ٥٠٢. المحقق الطوسي، جواهر الفرائض: ٢٠٨ [المطبوع في مجلّة فقه أهل البيت ﷺ، العدد: ١٧]. الشهيد الأوّل، الدروس الشرعية ٢: ٣٤٥-٣٤٦. الفيض الكاشاني، مفاتيح الشرائع ٣: ٣١٢، المفتاح (١٢٠٧). الفاضل الإصفهاني، كشف اللثام ٩: ٣٤٧. النراقي، مستند الشيعة ١٩: ٣٧.
- ٥- السيستاني، علي، منهاج الصالحين، ٣: ٣٢١، م (٩٥٩). قال: «إذا مات الكافر وله ولد صغير أو أكثر محكوم بالكفر تبعاً وكان له وارث مسلم من غير الطبقة الأولى واحداً كان أو متعدداً دُفعت تركته إلى المسلم، والأحوط لزوماً له أن يُنفق منها على الصغير إلى أن يبلغ، فإن أسلم حيثنّذ وبقي شيء من التركة دفعه إليه، وإن أسلم قبل بلوغه سلّم الباقي إلى الحاكم الشرعي ليتصدّى للإنفاق عليه، فإن بقي مسلماً إلى حين البلوغ دفع إليه المتبقي من التركة - إن وجد - وإلا دفعه إلى الوارث المسلم».
- ٦- ابن إدريس، السرائر ٣: ٢٦٨-٢٦٩. المحقق الحليّ، شرائع الإسلام ٤: ٨١٥. ابن فهد، المهذب البارع ٤: ٣٣٧-٣٣٩. الشهيد الثاني، مسالك الأفهام ١٣: ٣٣. العلامة الحليّ، تحرير الأحكام الشرعية ٥: ٥٩-٦٠. مختلف الشيعة ٩: ٥٧-٥٨. إرشاد الأذهان ٢: ١٢٧. السيوري، التنقيح الرائع ٤: ١٣٥-١٣٦. الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٣. المجلسي، روضة المتقين ١١: ٣٨٧. الجزائري، التحفة السنية: ٣٦١ [مخطوط].
- ٧- أنظر: النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٣٠. الهاشمي الشاهرودي، مجلّة فقه أهل البيت ﷺ، العدد (٢٣): ١٧، ٢٧-٢٨، مقال تحت عنوان (إرث المسلم من الكافر).
- ٨- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة ٢٦: ١٨، ب ٢ من موانع الإرث، ح ١.
- ٩- الطوسي، اختيار معرفة الرجال ١: ٣٨٢، الرقم (٢٧٠).
- ١٠- الصدوق، مَنْ لا يحضره الفقيه ٤: ٣٣٧، ح ٥٧٢٩.
- ١١- الكليني، الكافي ٧: ١٤٣، ح ١.
- ١٢- الطوسي، تهذيب الأحكام ٩: ٣٦٨، ح ١٣١٥.

مئة مرة].

- ٣٨- العلامة الحلي، تحرير الأحكام الشرعية ٥: ٥٩-٦٠. مختلف الشيعة ٩: ٥٧.
- ٣٩- ابن فهد الحلي، المهذب البارع ٤: ٣٣٧. الشهيد الأول، الدروس الشرعية ٢: ٣٤٥. المجلسي، روضة المتقين ١١: ٣٨٧. النراقي، مستند الشيعة ١٩: ٣٧. الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠.
- ٤٠- أنظر: السيوري، التنقيح الرائع ٤: ١٣٥.
- ٤١- ابن فهد الحلي، المهذب البارع ٤: ٣٣٧.
- ٤٢- الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٣.
- ٤٣- المحقق السبزواري، ذخيرة المعاد ٢: ٧٩٤.
- ٤٤- الشهيد الأول، الدروس الشرعية ٢: ٣٤٦.
- ٤٥- الصدوق، مَنْ لا يحضره الفقيه ٤: ٣٣٧، ح ٥٧٢٩. المفيد، المقنعة: ٧٠١. الطوسي، النهاية: ٦٦٥. ابن البراج، المهذب ٢: ١٥٩-١٦٠. جواهر الفقه: ١٦٧، م ٥٩٤. أبو الصلاح الحلبي، الكافي في الفقه: ٣٧٥. ابن زهرة، غنية النزوع: ٣٢٩. الكيدري، إصباح الشيعة: ٣٧٠. ابن سعيد الحلي، الجامع للشرائع: ٥٠٢. المحقق الطوسي، جواهر الفرائض: ٢٠٨، [المطبوع في مجلة فقه أهل البيت ﷺ، العدد: ١٧]. الشهيد الأول، الدروس الشرعية ٢: ٣٤٥-٣٤٦. الفاضل الإصفهاني، كشف الثام ٩: ٣٤٧. النراقي، مستند الشيعة ١٩: ٣٧. ولم يستعبده صاحب الرياض وإن احتاط استحباً [الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠-٤٥١].
- ٤٦- ابن إدريس، السرائر ٣: ٢٦٨-٢٦٩. المحقق الحلي، شرائع الإسلام ٤: ٨١٥. ابن فهد، المهذب البارع ٤: ٣٣٧. العلامة الحلي، تحرير الأحكام الشرعية ٥: ٥٩-٦٠. مختلف الشيعة ٩: ٥٧. إرشاد الأذهان ٢: ١٢٧. الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٣. الشهيد الثاني، مسالك الأفهام ١٣: ٣٣. الجزائري، التحفة السنية: ٣٦١ [مخطوط].
- ٤٧- المجلسي، روضة المتقين ١١: ٣٨٧.
- ٤٨- العلامة المجلسي، مرآة العقول ٢٣: ٢١٣-٢١٤.
- ٤٩- العلامة المجلسي، ملاذ الأخيار ١٥: ٣٩١.
- ٥٠- الفيض الكاشاني، مفاتيح الشرائع ٣: ٣١٢، المفتاح (١٢٠٧).
- ٥١- النراقي، مستند الشيعة ١٩: ٣٧.
- ٥٢- وهذا الاصطلاح غير رائج في الفقه السني، فهم كثراً يُعبرون بالسلطان ونحوه.
- ٥٣- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة ١: ٤٠٩، ب ٢١ من الوضوء، ح ٧، و ٤٣٠، ب ٢٩، ح ٣.
- ٥٤- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة ٢: ٣٢٠، ب ٢٤ من الحيض، ح ١١، و ٣٧٩، ب ٣ من

- الاستحاضة، ح ١، و ٣٨٣ - ٣٨٤، ب ٣ من النفاس، ح ٤، و ٣٩٥، ب ٧، ح ١.
٥٥ - المصدر السابق ٤: ٤٦٠، ب ٥٨ من لباس المصلّي، ح ١.
٥٦ - المصدر السابق ٢٦: ١٨، ب ٢ من موانع الإرث، ح ١.
٥٧ - المصدر السابق ٧: ٢٢٣، ب ٤٨ من الذكر، ح ١٥.
٥٨ - أنظر: النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٧. الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠.
٥٩ - أنظر: النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٧. الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠.
٦٠ - أنظر: النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٧. الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠.
٦١ - أنظر: المُحقّق الحليّ، شرائع الإسلام ٤: ٨١٥. الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠. النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٢٩.
٦٢ - أنظر: ابن فهد، المهذّب البارع ٤: ٣٣٧ - ٣٣٨. المقداد، التنقيح الرائع ٤: ١٣٥ - ١٣٦. الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٥. الفاضل الإصفهاني، كشف اللثام ٩: ٣٤٧. الشهيد الأوّل، الدروس الشرعية ٢: ٣٤٦. الطوسي، الخلاف ٣: ٥٩١، م (٢٠) حيث حكم بصحة إسلام المراهق. الشهيد الثاني، مسالك الأفهام ١٣: ٣١ - ٣٢. النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٢٨.. النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٧. النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٢٩.
٦٣ - أنظر: المصدر السابق: ٣٣٨ - ٣٣٩.
٦٤ - أنظر: المُحقّق الحليّ، شرائع الإسلام ٤: ٨١٥. الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠. النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٢٩.
٦٥ - أنظر: الشهيد الثاني، مسالك الأفهام ١٣: ٣٢. ابن فهد، المهذّب البارع ٤: ٣٣٨. السيوري، التنقيح الرائع ٤: ١٣٥ - ١٣٦.
٦٦ - أنظر: بحر العلوم، بلغة الفقيه ٤: ١٩٤.
٦٧ - أنظر: السيوري، التنقيح الرائع ٤: ١٣٦. النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٢٩.
٦٨ - أنظر: النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام ٣٩: ٢٩.
٦٩ - أنظر: الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠.
٧٠ - أنظر: ابن فهد، المهذّب البارع ٤: ٣٣٩. العلامة الحليّ، مختلف الشيعة ٩: ٥٨ - ٥٥. الشهيد الثاني، مسالك الأفهام ١٣: ٣٣. العلامة المجلسي، روضة المتقين ١١: ٣٨٧.

٧١- النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٢٩. الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٦.

٧٢- أنظر: النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٢٩.

٧٣- أنظر: المصدر السابق.

٧٤- بحر العلوم، بلغة الفقيه ٤: ١٩٤.

٧٥- الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥٠. النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٧.

بحر العلوم، بلغة الفقيه ٤: ١٩٤. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة ٢٦: ١٩، الهامش رقم (٤).

٧٦- أنظر: الهاشمي الشاهرودي، مجلّة فقه أهل البيت ﷺ، العدد (٢٣): ٣٥، مقال

تحت عنوان (إرث المسلم من الكافر).

٧٧- النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٦.

٧٨- النجفي، جواهر الكلام ٣٩: ٣٠.

٧٩- المصدر السابق: ٢٩.

٨٠- أنظر: المصدر السابق.

٨١- أنظر: المصدر السابق.

٨٢- أنظر: المصدر السابق.

٨٣- أنظر: المصدر السابق.

٨٤- ابن سعيد، الجامع للشرائع: ٥٠٢. ابن فهد، المهذب البارع ٤: ٣٣٩. الشهيد

الأوّل، الدروس الشرعية ٢: ٣٤٥-٣٤٦. النراقي، مستند الشيعة ١٩: ٣٧.

٨٥- الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٦.

٨٦- المفيد، المقنعة ٧٠١. الطوسي، النهاية: ٦٦٥. ابن البرّاج، المهذب ٢: ١٥٩-١٦٠.

٨٧- الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٦.

٨٨- الحائري الطباطبائي، رياض المسائل ١٢: ٤٥١.

٨٩- النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٦. وانظر: بحر العلوم، بلغة الفقيه ٤: ١٩٣.

٩٠- الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ٤٨٦.

٩١- المحقّق الطوسي، جواهر الفرائض: ٢٠٨ [المطبوع في مجلّة فقه أهل البيت ﷺ،

العدد: ١٧].

٩٢- السيستاني، علي، منهاج الصالحين، ٣: ٣٢١، م (٩٥٩). قال: «إذا مات الكافر

وله ولد صغير أو أكثر محكوم بالكفر تبعاً وكان له وارث مسلم من غير الطبقة الأولى

واحداً كان أو متعدداً...».

٩٣- السيستاني، علي، منهاج الصالحين، ٣: ٣٢١، م (٩٥٩).

٩٤- السيستاني، علي، منهاج الصالحين، ٣: ٣٢١، م (٩٥٩).

- ٩٥- النراقي، مُستند الشيعة ١٩: ٣٦.
- ٩٦- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة ٢٦: ١٨-١٩، ب ٢ من موانع الإرث، ح ١.
- ٩٧- المصدر السابق ٢٦: ١٨-١٩، ح ١.
- ٩٨- الروم: ٣٠.
- ٩٩- البرقي، المحاسن، ١: ٢٤١، ح ٢٢٤.
- ١٠٠- الحج: ٣١.
- ١٠١- الكليني، الكافي، ٢: ١٢، ح ٣.
- ١٠٢- الأعراف: ١٥١.
- ١٠٣- الأعراف: ١٥٦.
- ١٠٤- غافر: ٧.
- ١٠٥- البقرة: ٨٣.
- ١٠٦- النساء: ٩.
- ١٠٧- الصدوق، علل الشرائع، ٢: ٤٧٩-٤٨٠، ح ١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٩٩.
- مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه، ٣: ٥٦٥، ح ٤٩٣٤.
- ١٠٨- العياشي، ١: ٢٢٣.
- ١٠٩- ابن قدامة، عبدالله، المغني، ٧: ١٦٥-١٦٦.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* ابن إدريس، أبو جعفر محمد بن منصور، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين- قم/ ١٤١١هـ.

* ابن البرّاج، القاضي عبدالعزيز بن البرّاج الطرابلسي، جواهر الفقه، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين- قم، ط١/ ١٤١٠هـ.

* _____، المهذّب، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين- قم، ط١/ ١٤١١هـ.

* ابن زهرة الحلبي، حمزة بن علي، غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، مؤسسة الإمام الصادق. - قم/ ١٤١٧هـ.

* ابن سعيد، يحيى بن سعيد الحلّي الهذلي، الجامع للشرائع، مؤسسة سيّد الشهداء العلمية- قم/ ١٤٠٥هـ.

* ابن فهد الأسدي الحلّي، جمال الدين أحمد بن محمد، المهذّب البارِع في شرح المختصر النافع، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين- قم، ط١/ ١٤٠٧هـ.

* ابن قدامة، موقّق الدين أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن محمود، المغني (على مختصر الخرقي)، دار الكتاب

العربي للنشر والتوزيع- بيروت/ بدون تاريخ.

* أبو الصلاح الحلبي، تقيّ الدين بن نجم، الكافي في الفقه، تحقيق: رضا الأستاذي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) العامة- إصفهان، ط١/ ١٤٠٣هـ.

* الأردبيلي، المولى أحمد بن محمد، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين- قم/ بدون تاريخ.

* بحر العلوم، محمّد، بلغة الفقيه، منشورات مكتبة الصادق- طهران، ط٤/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٤م - ١٣٦٢هـ. ش.

* البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية- طهران/ ١٣٧٠هـ - ١٣٣٠هـ. ش.

* الجزائري، عبد الله بن نور الدين، التحفة السنّية في شرح النخبة المحسّنة- طهران، ط١/ بدون تاريخ.

* الجواهري، محمد، المفيد من معجم رجال الحديث، منشورات مكتبة محلاتي قم، ط٢/ ١٤٢٤هـ.

* الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة المعروف اختصار اسمه بـ(وسائل الشيعة)، مؤسسة

- آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١/ ١٤١٢ هـ.
- * الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي & قم، ط ٥/ ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م.
- * الزراري، أبو غالب، تاريخ آل زرارة، مطبعة ربّاني- إيران/ ١٣٩٩ هـ.
- * السيستاني، علي، منهاج الصالحين، مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني - قم، ط ١/ ١٤١٦ هـ.
- * السيوري الحلّي، جمال الدين مقداد بن عبدالله، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، مكتبة آية الله العظمى المرعشي - قم/ ١٤٠٤ هـ.
- * الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين - قم، ط ١/ ١٤١٢ هـ.
- * الشهيد الثاني، زين الدين الجبعي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ط ١/ ١٤١٣ هـ.
- * الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، منشورات الرضي - قم، ط ٢/ ١٣٦٨ هـ. ش.
- * _____، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية- النجف الأشرف/ ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
- * _____، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت/ ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
- * _____، مَنْ لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين - قم، ط ٢/ بدون تاريخ.
- * الطباطبائي الحائري، علي، رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين - قم، ط ١/ ١٤١٢ هـ.
- * الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال المعروف بـ (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم/ ١٤٠٤ هـ.
- * _____، تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية- طهران/ ١٣٩٠ هـ.
- * _____، الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين - قم/ ١٤٠٧ هـ.
- * _____، النهاية في مجرّد الفقه والفتاوى، انتشارات قدس محمّدي - قم/ بدون تاريخ.
- * العلامة الحلّي، الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين - قم، ط ١/ ١٤١٠ هـ.

* _____، تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) - قم، ط ١ / ١٤٢٠ - ١٤٢٢ هـ.

* _____، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، مؤسسة نشر الفقاهة - قم، ط ١ / ١٤١٧ هـ.

* _____، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم، ط ٢ / ١٤١٢ هـ.

* العلامة المجلسي، محمدباقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٢ / ١٤٠٤ هـ.

* _____، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم، ط ١ / ١٤٠٦ هـ.

* العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، تفسير العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران / بدون تاريخ

* الفاضل الإصفهاني، بهاء الدين محمد بن الحسن المعروف بالفاضل الهندي، كشف اللثام عن قواعد الأحكام، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين - قم، ط ١ / ١٤١٦ هـ.

* الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي، مكتبة أمير المؤمنين علي - إصفهان، ط ١ / ١٤٠٦ هـ. ش.

* _____، مفاتيح الشرائع، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٣ / ١٣٦٧ هـ. ش.

* الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٣ / ١٣٨٨ هـ.

* الكيدري، قطب الدين البيهقي الكيدري الصهرشتي، إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) - قم، ط ١ / ١٤١٦ هـ.

* المجلسي الأول، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، مؤسسة فرهنگي اسلامي كوشانبور - قم، ط ٢ / ١٤٠٦ هـ.

* مجلة فقه أهل البيت (عليه السلام)، الصادرة من مؤسسة دائرة المعارف طبقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام)، العددان: ١٧ - ١٨. و العدد: ٢٣.

* المحقق الحلي، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تحقيق: السيد صادق الشيرازي، منشورات استقلال - طهران، ط ٢ / ١٤٠٩ هـ [أوفست من الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م بموافقة مؤسسة الوفاء - بيروت].

* المحقق السبزواري، المولى محمد باقر، كفاية الفقه المشتهر بـ (كفاية الأحكام)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم، ط ١ / ١٤٢٣ هـ.

التاريخ العربي- بيروت، ط٧/ بدون تاريخ.

* النراقي، المولى أحمد بن محمد مهدي،
مستند الشيعة في أحكام الشريعة،
مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث-
قم، ط١/ ١٤١٥هـ.

* المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد
بن النعمان، المقنعة، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين-
قم، ط٢/ ١٤١٠هـ.

* النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام
في شرح شرائع الإسلام، مؤسسة



الشيخ محمد عبد الكاظم المظفر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين. عمدت إلى شرح ما جاء من أبيات شعرية جرت على لسان الإمام الباقر عليه السلام. وقد وقع الكلام في فصلين:

الأول: أمور عامّة في الشعر، وقد بيّنت فيه مفهوم الشعر لغةً واصطلاحاً، وحيث إنّ الشعر من المباحث التي تمّ تناولها في علمين وهما الأدب، والمنطق، تعرّضت إلى بيانه في اصطلاح كلّ منهما، وبيان وجه الفرق بينهما، كما بيّنت فيه الشعر في الجاهليّة والإسلام، وذلك بطرح نظرة موجزة عن منزلة الشعر في نفوس الجاهليين، وأغراضهم منه، ومنزلته عندهم، كما قد بيّنت تطوّره في الإسلام، وكيف قام الإسلام بتهذيبه، وقد ذكرت الأخبار الواردة عن أهل بيت العصمة عليه السلام في الشعر، وكانت الأخبار نوعين، الأول: تمدح الشعر، وهي ثلاثة طوائف: ما تمدح الشعر بما هو، وما تمدح الشعر في الأئمة عليه السلام، وما تمدح الشعر في الإمام الحسين عليه السلام، الثاني: النصوص التي ذمّت الشعر، وقد بيّنت توجيه هذا الذم.

كما قد تعرّضت فيه إلى بيان حكم قول الشعر بالنسبة إلى المعصوم،
فبيّنت حكم قول النبي ﷺ للشعر، وهل إنّه ممنوع عن قوله تكويناً، أو
اختياراً، وبيّنت حكم قول الأئمة عليهم السلام للشعر إنشاءً، وإنشاداً، وفي اتصافهم
بالشاعرية.

الثاني: الشعر في كلام الإمام الباقر عليه السلام، وقد كانت الأشعار الواردة
في كلامه عليه السلام على صنفين، أحدهما: معلومة النسبة إلى شاعرها، والآخر:
مجهولة النسبة.

هذا تمام ما قد تناولناه، سائلين المولى -عزّ وجلّ- أن يتجاوز عن
نقصنا، وعجزنا، فهو الكامل لا غيره، وأسأله أن يتقبّل هذا القليل بكرمه
الواسع، كما وأسأله -سبحانه- أن يُنعم على الشيخ الأستاذ علي الغزّي بما
هو أهله من الجود والكرم على ما بذله من جهد في إتمام هذا العمل،
وصلّى الله على محمّد وآله الميامين المتتجيين.

الفصل الأول: أمور عامة في الشعر

ونقصد بها مباحث يشترك فيها الشعر بشكل عامّ، مفهوماً، ومنزلةً،
وحكماً، فهنا مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: مفهوم الشعر

نحتاج في تحديد مفهوم الشعر إلى تتبع معناه عند أصحاب اللغة أولاً، والاصطلاح ثانياً، ونعني بهم الأدباء والمناطق، فهنا جهتان:

الجهة الأولى: الشعر لغةً

الشعر لغة العلم والفطنة، قال الخليل: «وَشَعَرْتُ بِكذا أَشْعُرُ شِعْرًا لا يريدون به من الشعر المبيت^١، إنما معناه: فَطَنْتُ له، وعلمت به. ومنه: ليت شعري، أي: علمي. وما يُشْعِرُك أي: ما يدريك. ومنهم من يقول: شَعَرْتُهُ، أي: عَقَلْتُهُ وفهمته»^٢.

وقال الزمخشري: «وما شَعَرْتُ به: ما فطنت له وما علمته... وما يُشْعِرُكم: وما يُدْرِكُكم»^٣.

وقال الجوهري: «وَشَعَرْتُ بالشيء - بالفتح - أَشْعُرُ به شِعْرًا: فَطَنْتُ له. ومنه قولهم: ليت شعري، أي: ليتني علمت»^٤.

وقال ابن منظور: «شَعَرَبِهْ وشَعَرَ يَشْعُرُ شِعْرًا وشِعْرًا وشَعْرَةً ومَشْعُورَةً ومَشْعُورًا وشَعُورَةً وشِعْرَى ومَشْعُورَاءَ ومَشْعُورًا - الأخيرة عن اللحياني - كله: علم»، وقال: «ليت شعري ما صنع فلان، أي: ليت علمي حاضر أو محيط بما صنع، فحذف الخبر، وهو كثير في كلامهم. وأشعره الأمر وأشعره به: أعلمه إياه. وفي التنزيل: ﴿وما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾^٥، أي: وما يُدْرِكُكم. وأشعرته فشعر، أي: أدريته فدرى. وشعر به: عقله. وحكى اللحياني: أشعرت بفلان: أطلعت عليه، وأشعرت به: أطلعت عليه، وشعر لكذا إذا فطن له»^٦.

الجهة الثانية: الشعر اصطلاحاً

يُعدّ الشعر من المباحث التي اهتمّ بها الأدباء والمناطق؛ لما له من ارتباط بموضوعات علومهم، وقد تعرّضوا لمفهومه كلّ بما ينسجم مع مسائل علمه، فالشعر اصطلاحاً بمعنيين سنتناولهما، ثمّ نبيّن وجه الفرق بينهما، فهنا مطالب ثلاثة:

المطلب الأوّل: الشعر عند الأدباء

ذكر أصحاب الأدب تعريفات عديدة للشعر، وبملاحظتها تتكوّن عند الناظر صورة الشعر، ويُعلم منها جهة نظرهم عند استعمالهم مفردة (الشعر)، ومن جملة ما ذكروه:

قال الخليل: «والشُّعْرُ: القريض المحدّد بعلامات لا يجاوزها، وسُمِّيَ شعراً؛ لأنّ الشاعر يظنّ له بما لا يظنّ له غيره من معانيه»^٧.

قال ابن منظور: «منظوم القول، غلب عليه؛ لشرفه بالوزن والقافية»^٨.

قال نشوان بن سعيد الحميري: «الشُّعْر: الكلام يُجعل على أوزانٍ وقوافٍ لازمةٍ في آخره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^٩، أي: يصلح له»^{١٠}.

قال ابن طباطبا العلوي: «الشُّعْر -أسعدك الله- كلامٌ منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله النَّاسُ في مخاطبتهم، بما خُصَّ به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجّته الأسماع، وفسد على الذوق، ونظمه معلوم محدود، فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدق بها حتّى تصير معرفته الاستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه»^{١١}.

قال ابن سنان الخفاجي: «وأما حدّ الشعر فهو: كلامٌ موزونٌ مقفًى يدلّ على معنى.

وقلنا: كلام؛ ليدلّ على جنسه.

وقلنا: موزون؛ لنفّرّق بينه وبين الكلام المنشور الذي ليس بموزون،
وقلنا: مقفًى؛ لنفّرّق بينه وبين المؤلّف الموزون الذي لا قوافي له، وقلنا: يدلّ
على معنى؛ لنحتزّز من المؤلّف بالقوافي الموزون الذي لا يدلّ على معنى»^{١٢}.
قال ابن رشيق القيرواني: «الشعر يقوم بعد النيّة من أربعة أشياء،
وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدّ الشعر»^{١٣}.

قال أحمد بن محمّد الفيومي: «والشعر العربيّ هو النظم الموزون،
وحده ما تركّب تركّباً متعاضداً، وكان مقفًى موزوناً مقصوداً به ذلك،
فما خلا من هذه القيود، أو من بعضها فلا يُسمّى شعراً، ولا يُسمّى قائله
شاعراً، ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنة موزوناً فليس بشعر لعدم القصد،
أو التقفية، وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد؛ لأنّه
مأخوذ من شعرت إذا فطنت وعلمت، وسُمّي شاعراً لفطنته وعلمه به،
فإذا لم يقصده فكأنّه لم يشعر به»^{١٤}.

ومن ذلك تظهر أهميّة قيد (القصد) في دفع وهم كون القرآن الكريم
شعراً، وما يوهّم ذلك هو ورود بعض الآيات على أوزانٍ شعريّة، قال
عبّاس محمود العقّاد: «وأبلغ من كلّ ما تقدّم في الإبانة عن معدن اللغة
العربيّة، وعن هذه الخاصّة الفنيّة فيها أنّ أوزانها تتفق مع كلّ ترتيل
فصيح، ولو لم يكن شعراً مقصوداً، كما اتّفقت في الآيات الكثيرة من
القرآن الكريم، وينبغي أن يؤمن المسلم وغير المسلم بأنّ القرآن الكريم
لم يكن شعراً، وما هو بقول شاعر كما جاء فيه، وكما جاء في كلام الرسول
الذي أحى إليه.

ومما يوافق وزن البحر الطويل فيه: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، ومما يوافق وزن البحر المديد: (إن قارون كان من قوم موسى)، ومما يوافق وزن البحر البسيط: (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم)، ومما يوافق وزن البحر الكامل: (صلّوا عليه وسلّموا تسليماً)، ومما يوافق وزن البحر الخفيف: (وتوكّل على العزيز الرحيم)، ومما يوافق وزن البحر الرمل: (إنّهم رجسٌ ومأواهم جهنّم)، ومما اتفق فيه وزن بيت كامل:

لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون

ومن تزكّى فإنّما يتزكّى لنفسه

وجفان كالجواب وقدر راسيات

ويخزهم وينصرّكم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا

وقرآن فرقناه لتقرأه على النّاس

وهذا وأمثاله يطّرد في كلّ كلام عربيّ مرّتل فصيح، ولا يعهد له نظير في اللغات الأخرى، ولو كانت من اللغات التي يتقارب فيها الشّعر والنثر ولم يبلغ فنّها الشّعري مبلغ العروض العربيّة من دقّة التقسيم والتفصيل^{١٥}. قال ابن قدامة: «إنّ أوّل ما يُحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن: معرفة حدّ الشعر الحائز له عمّا ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز - مع تمام الدلالة - من أن يقال فيه: إنّه قولٌ موزونٌ مقفًى يدل على معنىً.

فقولنا: قول: دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر.

وقولنا: موزون: يفصله ممّا ليس بموزون؛ إذ كان من القول موزون وغير موزون.

وقولنا: مقفًى: فصل بين ماله من الكلام الموزون قوافٍ، وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع.

وقولنا: يدلّ على معنى: يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى ممّا جرى على ذلك من غير دلالة على معنى»^{١٦}.

وقال ابن خلدون في بيان معناه: «وإذا تقرّر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده حدّاً أو رسماً للشعر به تُفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض؛ فإنّنا لم نقف عليه لأحد من المتقدّمين فيما رأيناه، وقول العروضيّين^{١٧} في حدّه إنّهُ الكلام الموزون المقفّى ليس بحدّ لهذا الشعر الَّذي نحن بصدده ولا رسم له، وصناعتهم إنّما تنظر في الشعر من حيث اتّفاق أبياته في عدد المتحرّكات والسواكن على التّوالي، ومماثلة عروض أبيات الشعر لضربها، وذلك نظر في وزن مجدّد عن الألفاظ ودلالاتها، فناسب أن يكون حدّاً عندهم، ونحن هنا ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصّة، فلا جرم أنّ حدّهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بدّ من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثيّة، فنقول: الشعر هو الكلام البليغ المبنيّ على الاستعارة والأوصاف، المفصّل بأجزاء متّفقة في الوزن والرّويّ مستقلّ كلّ جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به.

فقولنا: الكلام البليغ جنس.

وقولنا: المبنيّ على الاستعارة والأوصاف فصل له عمّا يخلو من هذه؛ فإنّهُ في الغالب ليس بشعر.

وقولنا: المفصّل بأجزاء متّفقة الوزن والرّويّ فصل له عن الكلام المشور الَّذي ليس بشعر عند الكلّ.

وقولنا: مستقلّ كلّ جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله وبعده بيان للحقيقة؛ لأنّ الشعر لا تكون أبياته إلّا كذلك، ولم يفصل به شيء.

وقولنا: الجاري على الأساليب المخصوصة به فصلٌ له عمّا لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة فإنّه حينئذٍ لا يكون شعراً إنّما هو كلام منظوم؛ لأنّ الشعر له أساليب تخصّه لا تكون للمثور، وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً»^{١٨}.

المطلب الثاني: الشعر عند المناطقة

قد تناول المناطقة في كتبهم المنطقيّة تعريف الشعر، وبيّنوا تفاصيل قيوده، ومن ذلك:

قول العلامة الحليّ قدّس سرّه: «صناعة من الصناعات، وهو عند القدماء كلّ كلام مخيّل يقتضي للنفس بسطاً أو قبضاً، فهو الشعر الذي يتكلّم فيه صاحب المنطق، ولم يعتبر الوزن، ولا القافية، ولا الصدق، ولا الكذب، بل مجرد المحاكاة المفيدة للتخيّل»^{١٩}.

وقال -أيضاً-: «القياس المؤلّف من المخيّلات يسمّى شعراً، والغرض منه ترغيب النّفس أو تنفيرها، وفائدته الاستعطاف من السّماحة والجود، ويروحه الوزن والصوت الطيّب، ومتقدّموا المنطقيين كانوا لا يعتبرون الوزن في الشعر، والمتأخرون اعتبروه، واعتبروا القافية أيضاً»^{٢٠}.

وقال شمس الدين الشهرزوريّ في بيان مفهومه: «والشعر محاكاة صناعيّة وهو عند القدماء كلام مخيّل مسجّع، لا كما هو عليه الشعر في زماننا؛ فإنّ الشعر عند المحدثين كلام موزون بالأوزان العروضية متساوي الأركان مقفّى، ولا يعتبرون التخيّل، وهذا متّفق عليه في اللغة العربية والفارسية والتركية.

وأما عند الأمم السالفة القديمة من اليونانيين والسرّانيين والعبرانيين، فلم ينقل عنهم ولا عن أحد من قدمائهم شعراً موزوناً، بل عنهم نقل ما



هو كالأسجاع الشبيهة بالنثر من غير قواف، ثم إنهم بعد ذلك اختلطوا بالعرب والفرس وتعلّموا منهم ذلك الأسلوب، صنعوا شعراً موزوناً يدخل في العروض والقوافي على قانون أهل زماننا.

وكلام المعلّم الأول يدلّ على أنّ الشعر ما كان له وزن في زمانهم، واصطلاحه بأنّ الشعر ما يوقع أثراً في النفس يشبه التصديق في انقباضها وانبساطها وإيثارها وكراهيتها وميلها وانحرافها وتسهيل الأمور وتهويلها وتعظيمها وتحقيرها، كقولك: «العسل مرّة مقيّة» فتنفر النفس، وللخمر أنّه: «ياقوت سيّال» فتسهل شربه، وللمرّ أنّه: «خمر لذيذ» فتقدم عليه. فالكلام الشعريّ قياسٌ مؤلفٌ من قضايا توقع في النفس تخيلاً يشبه التصديق، فقد تكون تلك القضايا المؤثرة تخيلاً باعتبار أولية، كضرورة الموت فإنّها تؤثر في النفس قبضاً، وقد تكون مشهورة باعتبار آخر، كأحوال الجنة والنار»^{٢١}.

وقال الشيخ الرئيس ابن سينا في بيان معناه: «إنّ الشعر هو كلامٌ مخيل مؤلفٌ من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب: مُقَفَّاة.

ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعيّ، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كلّ قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعيّة؛ فإنّ عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر.

ومعنى كونها مُقَفَّاة هو أن تكون الحروف التي يُحْتَم بها كلّ قول منها واحدة».

وقال -أيضاً-: «وإنّما ينظر المنطقيّ في الشعر من حيث هو مخيل، والمخيل هو الكلام الذي تدعّن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير رويّة وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسياً غير فكريّ، سواء كان القول مصدّقاً به أو غير مصدّق به»^{٢٢}.

وقال الفارابي: «فقوام الشعر وجوهره عند القدماء هو أن يكون قولاً مؤلفاً مما يحاكي الأمر، وأن يكون مقوِّماً بأجزاء يُنطق بها في أزمنة متساوية، ثم سائر ما فيه فليس بضروريٍّ في قوام جوهره، وإنَّما هي أشياء يصير بها الشعر أفضل. وأعظم هذين في قوام الشعر هو المحاكاة، وعلم الأشياء التي بها المحاكاة، وأصغرها الوزن»^{٢٣}.

المطلب الثالث: بيان وجه الفرق والاشتراك بين معنى الشعر عند الأدباء والمناطق

يظهر من مجموع ما تقدّم: أنَّ الشعر عند أصحاب الأدب قوامه أمران: أحدهما: الهيئة التي يكون عليها الكلام، والتي تتحقّق بالوزن والقافية. الآخر: المادة التي يشتمل عليها، فينبغي أن تكون كلاماً بليغاً في الأوصاف، ومشتملة على فكرة رئيسية يُريد الشاعر إيصالها للمتلقّي، فتكون هي مدار القصيدة والجامع الذي يربط الأفكار الواردة فيها. وأمّا عند أصحاب المنطق فالمقوِّم له التخيل والتصوير، ولم يكن للوزن والقافية اعتبار عند علماءه قديماً.

نعم، أصبح الوزن والقافية شرطاً في الشعر عند المتأخّرين منهم؛ لكبير أثرهما في التخيل والتصوير؛ لاشتغالهما على النغمة والموسيقى اللتين تُحرّكان الشعور.

ومن ذلك يظهر الفرق بين الشعر بالمفهوم الأدبي والمفهوم المنطقي، حيث إنّ الشعر بمفهوم المناطقة أخصّ؛ لأنهم يشترطون فيه أن تكون قضاياه من المخيلات^{٢٤}، وما كان من المنظوم غير حاوٍ على التخيل والتصوير فلا يعدّونه شعراً، فلا يسمّون المنظوم في المسائل العلمية أو التاريخية شعراً، وإنَّما يعدّونها شبيهةً بالشعر من حيث الهيئة عند من يعتبرها في الشعر وإلا فلا تكون شعراً بالبتّة.

بينما الشعر بمفهوم الأدباء فهو أعمّ من أن تكون قضاياها مخيِّلة، بل يمكن أن يتألّف من جميع مبادئ المطالب، فلا يفرّقون بين الشعر الذي تكون قضاياها مخيِّلة أو يقينيّة أو مظنونة أو وهميّة أو مشهورة وغيرها، قال حازم القرطاجني: «الشعر كلام موزون مقفّى من شأنه أن يُجَبّب على النفس ما قُصد تحبيبه إليها، ويُكرّه إليها ما قُصد تكريهه، لتُحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمّن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوّة صدقه، أو قوّة شهرته، أو بمجموع ذلك»^{٢٥}.

نعم، لو أخذنا الشعر بمفهومه عند متقدمي المناطق لأصبح أعمّ من الشعر الأدبي؛ لعدم اشتراطهم الوزن فيه.

المبحث الثاني: الشعر في الجاهليّة والإسلام

لو أردنا أن نذكر فكرة إجماليّة عن الشعر في الجاهليّة والإسلام لوجدنا أنّ الشعر من الخطابات التي لها تأثير في النفس البشريّة؛ لقدرته على تحريك العواطف قبضاً وانبساطاً، بما يُعطيه من زخم التخيل، والنفوس للتخيل أكثر استجابة واقتناعاً، مع ما تصاحبه من الالتذاذ، قال العلامة الحليّ -رحمه الله-: «والالتذاذ هو إدراك النّفس ما يلائمها من حيث هو ملائم، والسبب في أنّ النفوس العاميّة للتخيل أطوع منها للإقناع؛ أنّ تعجّب النفس من المحاكاة أكثر من تعجّبها من الإقناع»^{٢٦}.

فالشعر فنّ تعبيريّ يستخدم اللغة والموسيقى والإيقاع لنقل الأفكار والمشاعر والتجارب الإنسانيّة، ويعود أصله للعصور القديمة، حيث كان يُستخدم لنقل المعارف والتاريخ والقصص، بل روي بيانّ أوّل من قال الشعر نبيّ الله آدم - على نبينا وآله وعلّيه -^{٢٧}، ونقل المسعودي في مروجه بعض الأبيات التي وصفها بأنّها مستفيضة في كونها منسوبة لآدم عليه السلام^{٢٨}.

وكان للشعر اهتمام بالغ عند العرب، فانتسح نطاقه في الجاهلية ولم يكن مقتصرًا على التعبير عن الخيال والوجدان وما يختلج الإنسان فحسب، بل كانوا ينظمونه للتفاخر، أو ذكر معاركهم، أو حوادث دهرهم، ومن هنا جاءت تسمية الشعر بـ(ديوان العرب)، أي: سجلّ تاريخهم، فصار للشعر حضور كبير في حياة العرب الاجتماعية، فيُنشد في التجمّعات وفي المحافل الغفيرة، وأخذ الشعراء يستثمرون الأسواق كـ(ذي المجنة، وذي المجاز، وعكاظ) لينشر كلّ واحد منهم محامد قومه ويتفاخرون بها، وقد اشتهر العرب بحبهم للزهو والتفاخر، فكانوا يتفاخرون بالآباء والأجداد والأنساب والأحساب والشرف والسيادة وكثرة الأبناء وأعداد القوم وانتصاراتهم وأموالهم وما يملكونه من الدواب والخيول وغيرها، قال الجاحظ: «فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استبقاءِ مآثرها، وتحصين مناقبها، على ضربٍ من الضروب، وشكلٍ من الأشكال.

وكانت العربُ في جاهليّتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفّى، وكان ذلك هو ديوانها»^{٢٩}.

وكان للشاعر مكانة مرموقة في المجتمع الجاهليّ وذات قيمة وقدّر عندهم، قال ابن رشيّق: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنّه حماية لأعراضهم، وذبّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهتّون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج»^{٣٠}.

وقال الجاحظ: «كان الشاعر في الجاهلية يُقدّم على الخطيب؛ لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم، ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم، ويهيّب من فرسانهم، ويخوّف من كثرة عددهم، ويهاهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم.



فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبةً، ورحلوا إلى السوق،
وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر^(٣١)
ومع ظهور الإسلام تبدلت مفاهيم المسلمين وأصبح تفكيرهم عقلياً
منطقياً، بعيداً عما كان سائداً في المجتمع الجاهلي حيث كانت العاطفة تلقي
ظلالها عليهم؛ نتيجة تأثرهم بالمنظومة الدينيّة الإسلاميّة التي كانت تدعو
للتفكير والتدبّر والاستضاءة بهدي العقل الذي أودعه الله في الناس،
وجعله نبراساً لهم؛ ليتخلصوا به من ظلال الجهل المخيم على نفوسهم،
فتبدلت خصائص الأدب في الإسلام عما كان عليه، فقد قلّ فيه المديح،
وقلّت فيه المبالغة في المديح والهجاء والفحش، وكثر فيه مدح الإسلام،
ورثاء الشهداء، وضرب الأمثال والمواعظ، وإيراد الحكم، والحث على
مكارم الأخلاق؛ تأثراً بالقرآن الكريم والحديث الشريف.



بعث الله -تبارك وتعالى- نبيّه الكريم المصطفى ﷺ في زمان مشحون
بالفصاحة، وسمة الكلام فيه البلاغة، فقد كانوا يُزيّنون كلامهم بما يستلزم
التفوّق والبراعة، ويعمدون فيه إلى ما يوجب طباقه بمقتضى الحال، وارتقاءه
إلى أعلى مدارج الكمال، ويقصدون فيه أنواع المحسنات اللفظيّة والمعنويّة،
وأنحاء بدايع النكت العربيّة، وتناسب العبارات، والاستعارات، ولطائف
التخيّلات، والمجازات، ومحاسن الكنايات والتشبيهات، إلى غير ذلك من
الأمور التي تزيد في الكلام دقّة وسحرًا، وفي القلب ابتهاجًا وانسباطًا^(٣٢).

فكان مقتضى الحكمة الإلهيّة أن يجعل معجزة نبيّه ﷺ من جنس
ما يبرعون فيه؛ لتكون أكثر تأثيرًا بهم لما يروه فيها بوجدانهم من قوّة
بالغة لا تتأتّى لبشرٍ أبدًا، ويمنع العقل أن تكون هذه الخطابات صادرة
من إنسان يُشاركهم اللغة ومصادر العلم، فلذا كان للقرآن الكريم
بالغ الأثر في نفوس غير المعاندين، فأذعنوا له وانصاعوا، ويدلّ على

ذلك ما روي في (الكافي)، عن: «أبي يعقوب البغدادي، قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن (عليه السلام): لماذا بعث الله موسى بن عمران (عليه السلام) بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمداً -صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء- بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): إن الله لما بعث موسى (عليه السلام) كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم.

وإن الله بعث عيسى (عليه السلام) في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم.

وإن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام -وأظنه قال: الشعر-^{٣٣}، فأتاهم من عند الله من واعظه^{٣٤} وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم.

قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط! فما الحجة على الخلق اليوم؟

قال: فقال (عليه السلام): العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذب.

قال: فقال ابن السكيت: هذا -والله- هو الجواب^{٣٥}.

ومن هنا فقد أدى انزعاج وامتعاض المعاندين ممن يضر الإسلام مصالحه الشخصية إلى التقليل من شأن النبي (صلى الله عليه وآله) فوصفه بأنه شاعر؛ حتى لا تكون له مزيد مزية على غيره من الشعراء، فيكون شاعراً مجيداً كغيره من الشعراء الذين يقلون عنه إجادة للشعر، وحكي ذلك في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾^{٣٦}.



فجاءت الخطابات القرآنية نافيةً صفة الشعر عن القرآن نفسه، وكذا تنفي كون النبي ﷺ شاعرًا، كقوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾^{٣٧}، وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾^{٣٨}.

نعم، في قوله تبارك وتعالى: والشعراء...

ذم بعض الشعراء معللاً الذم بكونهم يخوضون بكل ما يغلب عليهم من الهوى، ويحثون على أشياء لا يفعلونها هم، وينهون عن أشياء يرتكبوها، ويغرون السذج بسحر بيانهم فيتبعم الغاؤون من الناس، وليس في هذه الآيات دلالة على ذم الشعر ولا مدحه بل لم تتطرق إليه إلا مرة على سبيل نفيه عن أن يكون ملكة من ملكات النبي ﷺ، وذكر في كون الحكمة من نفي الشعر عنه ﷺ وأنه منزلة عن قوله، هي: أن الله -سبحانه- وصف الشعراء بالطيش والسفه، وأثمهم يقولون ما لا يفعلون، فهم متهمون بالغلو والكذب والإقبال على الملذات المادية من خمر وميسر والخوض في الأعراض ومجاوزة الحق في أكثر شعرهم، فبرأ الله -سبحانه- نبيه عن تلك الصفات الذميمة الذي قال عنه -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^{٣٩}.

وقد ورد عن تراجمة القرآن وأهل الذكر ﷺ بيان لقوله -تعالى-: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، عن «حماد بن عثمان، عن أبي جعفر ﷺ في قول الله -عز وجل-: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، قال: هل رأيت شاعرًا يتبعه أحد؟ إنما هم قوم تفقهوا الغير الدين، فضلّوا وأضلّوا»^{٤٠}. وعن «محمد بن الفرات، عن أبي جعفر ﷺ قال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾»^{٤١}، قال: في أصلاب النبيين، ﴿وَالشُّعْرَاءُ

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٤٢﴾، قال: نزلت في الذين غيَّروا دين الله بآرائهم، وخالفوا أمر الله، هل رأيتُم شاعراً قطّ تبعه أحد؟ إنّما عنى بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فيتَّبِعُهُمُ الناس على ذلك، ويؤكد ذلك قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ﴾، يعني يُنَاطِرُونَ بالأباطيل، ويُجادلون بالحجج المضلّة، وفي كلّ مذهب يذهبون، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، قال: يعطون الناس ولا يتَّعظون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، وهم الذين غصبوا آل محمّد ﷺ حقّهم...»^{٤٢}.

وروي في (الاعتقادات)، للشيخ الصدوق -رحمه الله- قال: «وسئل الصادق عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، قال: هم القُصَّاص»^{٤٣}.

فما ذكرناه -سلام الله عليهما- يصرف مفردة (الشعراء) عن أن يكون المراد منها هم أصحاب الكلام المنظوم المقفّى، بل المراد منه أحد معنيين أو كلاهما:

أحدهما: العلماء الذين يتفقهون بغير هدى، ولم يكن تفقّهم بدافع ديني، وإنّما كان غرضهم من التفقّه الوجاهة أو الرياسة أو غيرهما من المنافع الدنيويّة، وهذا التفسير لمفردة (الشعراء) يتناسب مع ما ذكر لمفردة (الشعر) في اللغة، حيث يُراد بها العلم والفطنة.

والآخر: القُصَّاص الذين يكذبون في قصصهم، ويقولون ما يخطر ببالهم، وما يشعرون به دون الاتكال على العلم والمعرفة.

نعم، يظهر من جملة من النصوص أنّ الشعر والشعراء على قسمين، مدح، ومذموم، فهنا جهتان:

الجهة الأولى: النصوص المادحة

وهي على ثلاثة طوائف:

الطائفة الأولى: النصوص التي مدحت الشعر بما هو

١- ما روي في (النوادر)، لفضل الله الراوندي -رحمه الله- قال: «قال (عليه السلام): قال رسول الله ﷺ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَمَنِ الْعِلْمُ جَهْلًا، وَمَنِ الشَّعْرُ حِكْمًا، وَمَنِ الْقَوْلُ عِيًّا»^{٤٤-٤٥}.

٢- ما روي في (مجمع البيان)، للشيخ الطبرسي -رحمه الله- قال: «وفي الحديث عن الزهري، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاذَا تَقُولُ فِي الشَّعْرِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّمَا يَنْضَحُونَهُم بِالنَّبْلِ»^{٤٦}.

٣- ما روي في (اختيار معرفة الرجال)، للشيخ الطوسي -رحمه الله- قال: «نصر بن الصباح، قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَمْهُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ الْمُسْتَرِقُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَمَاعَةَ، قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): يَا مَعْشَرَ الشَّيْعَةِ! عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ شَعْرَ الْعَبْدِيِّ؛ فَإِنَّهُ عَلَى دِينِ اللَّهِ»^{٤٧}.

وفي هذه النصوص دلالة واضحة في مدح الشعر إذا كان شعر حق لا باطل فيه، فقد قيده ﷺ بالحكمة، ولا تتأتى الحكمة في أمر باطل، بل بينهما تمام المنافرة، وكذلك مدح المؤمن الشاعر بكونه ذو مزيتين: الجهاد بالقتال والجهاد بالكلام، ووصف الشعر بأنه أداة من أدوات القتال، وهي النبأ؛ للمناسبة بينهما فإن المتكلم والنَّبأ كلاهما يرميان من بعيد، ويُصيبان الهدف بالجراح، بل الجراح الناتجة عن الكلام أشدّ وطأة من جراح النبل، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (رب قول أنفذ من سوط).



الطائفة الثانية: النصوص التي مدحت الشعر في الأئمة (عليه السلام)

قد اعتنى الأئمة (عليه السلام) بأمر الشعر، وجعلوا للشاعر منزلةً إذا كان الشاعر قد وظّف شعره في خدمة الحق والدين، ولم يصرفه للخوض في الباطل، أو الانتفاع به منافع دنيوية.

وليس شيء أحقّ في أن يصرف الشاعر فيه همّته وبيان الحقّ فيه من أن يوظّف شعره في أهل الحقّ (عليه السلام) من بيان ظلاماتهم، والمدح فيهم، والقبح بأعدائهم، وذكر آثارهم وأحوالهم، وما جرى عليهم - سلام الله عليهم ولعن أعدائهم ومغتصبي حقّهم - وقد وردت نصوص كثيرة في بيان منزلة من قال فيهم الشعر وفضله، ومن هذه المرويات:

١- ما روي في الحديث المعتبر عن «عبدالله بن الفضل الهاشمي»، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «من قال فينا بيت شعر بنى الله - تعالى - له بيتاً في الجنة».

٢- ما روي عن «أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتّى يؤيّد بروح القدس».

٣- ما روي عن «الحسن بن الجهم»، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلّا بنى الله له مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرّات، يزوره كلّ ملكٍ مُقَرَّبٍ وكلّ نبيٍّ مُرْسَلٍ»^{٤٨}.

الطائفة الثالثة: النصوص التي مدحت الشعر في الامام الحسين (عليه السلام)

كان لهم (عليه السلام) إهتمام بالغ في قضية سيد الشهداء (عليه السلام)، ونتيجة ذلك برز دورٌ مهمٌ للشعر في إبقائها، وكانوا (عليه السلام) يُدركون ما للشعر من أثر عظيم في النفوس، وما يلقاه من انفعال في القلوب، فأصبحوا يحثّون على قول الشعر في الإمام الحسين (عليه السلام) ويدفعون نحو إنشاده، ومما جاء في ذلك:

١- ما روي في المعتبر عن «جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: ستة لا يُسلم عليهم: اليهودي، والنصراني، والمجوسي، والرجل على غائطه وعلى موائد الخمر، وعلى الشاعر الذي يقذف المحصنات، وعلى المتفكّهين بسبّ الأمّهات»^{٥١}.

٢- ما روي عن «نوف قال: بت ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام ... [ذكر الخبر حتّى بلغ: يا نوف إياك أن تكون عشّاراً، أو شاعراً، أو شرطيّاً، أو عريقاً، أو صاحب عرطبة، وهي: الطنبور، أو صاحب كوبة، وهو: الطبل؛ فإنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وآله خرج ذات ليلة فنظر إلى السماء، فقال: إنّها الساعة التي لا تُردّ فيها دعوة، إلّا دعوة عريف، أو دعوة شاعر، أو دعوة عاشر، أو شرطي، أو صاحب عرطبة، أو صاحب كوبة»^{٥٢}.

٤- ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «وإياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يضنون بالمدح ويجودون بالهجاء»^{٥٣}.

٥- ما روي عن «محمد بن مروان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده ابن خربوذ فأنشدني شيئاً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لئن يمتلئ جوف الرجل قيحاً خيراً من أن يمتلئ شعراً، فقال ابن خربوذ: إنّما يعني بذلك من قال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويلك -أو يحك- قد قال ذاك رسول الله صلّى الله عليه وآله»^{٥٤}.

فالناظر في هذه المرويّات يُلاحظ كون الذمّ فيها معللاً من قبلهم عليهم السلام وأنّه بخصوص ما ذكروه من كون مرادهم بالشاعر من كان يقذف بشعره المحصنات، ويُمكن تعميم كلامهم -سلام الله عليهم- لكلّ ما كان من الشعر خوفاً في الباطل، بحمل قذف المحصنات على أنّه المثال الأبرز للشعر الذي يدعو إلى الباطل والفساد؛ لكونه الغالب في أشعارهم.

وكذلك قد كان النهي عن ملاحاة الشعراء، أي: النزاع معهم الموجب للعداوة والبغضاء، قال الجوهرى: «ولا حيتته ملاحاةً ولحاةً، إذا نازعته. وفي المثل: (من لاحاك فقد عاداك). وتلاحوا، إذا تنازعوا»^{٥٥}، وهذا النهي إرشاد من الإمام -سلام الله عليه- إلى أن الملاحاة معهم توجب الضغينة في الصدور فينبري في القدح والذم والهجاء والخوض بالباطل، ويصرف همته في ذلك، فنهى عن ذلك تجنباً لهذا اللازم الموجب لحرمة الشعر.

وأيضاً الذمّ الوارد في كلام النبي ﷺ ليس ذمّاً لقول الشعر مطلقاً، وإنما لأن يكون الشعر هو ما يملأ القلب، فلا يبقى معه مجال للمعارف الحقة وغيرها مما يلزم أن يمتلئ به قلب المؤمن، قال الشريف الرضي -رحمه الله-: «لأنّ المراد به النهي عن أن يكون حفظ الشعر أغلب على قلب الإنسان، فيشغله عن حفظ القرآن وعلوم الدين حتّى يكون أحضر حواضره، وأكثر خواطره، فشبهه ﷺ بالإناء الذي يمتلئ بنوع من أنواع المائعات، فلا يكون لغيره فيه مسرب، ولا معه مذهب»^{٥٦}.

المبحث الثالث: حكم قول الشعر بالنسبة للمعصوم

وقع البحث في حكم الشعر إنشاءً وإنشاداً بالنسبة للنبي ﷺ ثم تفرّع على ذلك البحث عن حكمه في الأئمة -صلوات الله عليهم- فانتشار التساؤل حول أنّ حكم إنشاد النبي ﷺ هل مُتخصّص بشخصه الكريم، أم أنّه يجري في الأئمة ﷺ كذلك؟

ومن هنا يكون الكلام في جهتين:

الجهة الأولى: حكم قول النبي ﷺ الشعر

لا خلاف بين علماء المذاهب الإسلامية في أنّ النبي ﷺ ممنوع عن قول الشعر إنشاءً وإنشاداً، وهذا تبعاً لصريح قوله -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ

وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ^{٥٧}، ويؤيد ذلك ما رواه ابن عساكر، قال: «قال رسول الله ﷺ: اللهم إن عمرو بن العاص هجاني، وهو يعلم أنني لست بشاعر، فاهجه، والعنه عدد ما هجاني، أو مكان ما هجاني»^{٥٨}.

وهذا القدر محلّ وفاق بين العلماء، ولكن وقع الخلاف بينهم في أن امتناعه ﷺ هل لأنّه مسلوب القدرة على قول الشعر تكويناً، أو أنّه كان قادراً عليه، وامتنع عن ذلك اختياراً؛ لأنّه مُحَرَّم عليه، فلهم في ذلك رأيان: الأول: سلب قدرته ﷺ عن قول الشعر تكويناً

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: «وقد كان نبينا محمد ﷺ أفضل النبيين وأعلم المرسلين، ولم يكن محيطاً بعلم النجوم، ولا متعرّضاً لذلك، ولا يتأتّى منه قول الشعر، ولا ينبغي له»^{٥٩}، فإنّ عدم التأتّي ظاهر بعدم التمكن من ذلك، ففي المغرب في ترتيب المغرب، قال: «هذا ممّا يتأتّى فيه المضغ، أي: يمكن ويسهل»^{٦٠}.

قال الشيخ الطوسي - رحمه الله -: «ثم أخبر - تعالى - عن نبيّه ﷺ فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، ومعناه: ما علّمناه الشعر؛ لأنّا لو علّمناه ذلك لدخلت به الشبهة على قوم في ما أتى به من القرآن، وأنّه قدر على ذلك لما في طبعه من الفطنة للشعر»^{٦١}.

قال الملا فتح الله الكاشي: «وَمَا يَنْبَغِي لَهُ: وما يصحّ له الشعر، ولا يتطلّب لو طلبه، أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأتّ له ولم يتسهّل، كما جعلناه أميّاً لا يتهدّى للخطّ ولا يحسنه؛ لتكون الحجّة أثبت، والشبهة أدحض»^{٦٢}.

قال السيد الطباطبائي: «فقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾، نفى أن يكون علّمه الشعر، ولازمه أن يكون بحيث لا يُحسن قول الشعر، لا أن يُحسنه

ويمتنع من قوله لنهي من الله متوجه إليه، ولا أن النازل من القرآن ليس بشعر، وإن أمكنه ﷺ أن يقوله^{٦٣}.

قال إبراهيم بن سري الزجاج: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ»، أي: ما علّمنا محمداً ﷺ قول الشعر، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، أي: ما يتسهّل له ذلك^{٦٤}.

وقال ابن الجوزي: «قوله -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾، قال المفسرون: إن كفار مكة قالوا: إن القرآن شعر، وإن محمداً ﷺ شاعر، فقال الله -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، أي: ما يتسهّل له ذلك^{٦٥}.

قال عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني: «قوله -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾، أي: ليس الذي علّمناه من القرآن شعراً، أو قول الشعر، وذلك أن كفار مكة قالوا: إن هذا الذي يقوله محمد ﷺ شعر، وإن محمداً ﷺ شاعر. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، أي: ما يصحّ له ولا يتأتّى له لو طلبه؛ لأنّا صرفناه عنه، ولم نجعل له طبعاً متائياً مُنقاداً لقوله، ولقد كان يتمثل بيت من الشعر لغيره فيكسره^{٦٦}.

الثاني: ما قيل في انتهائه ﷺ عن قول الشعر اختياراً

قال الشيخ الطبرسي -رحمه الله-: «فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾، يعني قول الشعراء، وصناعة الشعر، أي: ما أعطيناه العلم بالشعر وإنشائه، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أن يقول الشعر من عند نفسه.

وقيل: معناه ما يتسهّل له الشعر، وما كان يتزّين له بيت شعر حتّى إنّه إذا تمثّل بيت شعر جرى على لسانه مُنكسراً^{٦٧}.

قال الفيض الكاشني -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾: «كأن المراد أنّه لم يقل كلاماً شعرياً، لأنّه لم يقل كلاماً موزوناً، فإنّ

الشعر يُطلق على المعنيين جميعاً؛ ولهذا عدّوا القرآن شعراً مع أنّه ليس بمقفّى، ولا موزون.

وقد ورد في الحديث: (أنّ من الشعر لحكمة)، يعني: من الكلام الموزون، وقد نُقل

عنه ﷺ كلمات موزونة، كقوله:

أنا النبي لا كذب *** أنا ابن عبد المطلب،

وقوله:

هل أنت إلا إصبع دमित *** وفي سبيل الله ما لقيت

وغير ذلك.

وما روته العامة أنّه كان يتمثّل بالأبيات على غير وجهها؛ لتصير غير موزونة، لم يثبت، فإن صحّ فلعلّه إنّما فعل ذلك لئلا يتوهموا أنّه شاعر، وأنّ كلامه كلام شعريّ، فإنّ الوزن، والقافية، ليسا بنقص في الكلام، ولو كانا نقصاً ما أتى بهما أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد استفاض عنه الأبيات، وكذا عن سائر الأئمة (عليهم السلام) وإنّما النقص في الكلام الشعريّ^{٦٨}.

وقال إسماعيل حقّي البروسويّ: «والظاهر أن المراد ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ من حيث نبوّته، وصدق لهجته أن يقول الشعر؛ لأنّ المُعَلِّم من عند الله لا يقول إلا حقّاً، وهذا لا ينافي كونه في نفسه قادراً على النظم، والنثر، ويدلّ عليه تمييزه بين جيّد الشعر، ورديئه، أي: موزونه، وغير موزونه، على ما سبق، ومن كان مميّزاً كيف لا يكون قادراً على النظم في الإلهيات والحكم! لكنّ القدرة لا تستلزم الفعل في هذا الباب؛ صوّناً عن إطلاق لفظ الشعر، والشاعر الذي يوهّم التخيل، والكذب، وقد كان العرب يعرفون فصاحته، وبلاغته، وعذوبة لفظه، وحلاوة منطقته، وحسن سرده، والحاصل أن كلّ كمال إنّما هو مأخوذ منه ﷺ»^{٦٩}.

والظاهر رجحان القول بالسلب التكويني للقدرة على قول الشعر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾، فإنه صريح بعدم تعليمه النبي ﷺ الشعر، والتعليم منه -سبحانه- معناه إيجاد القدرة على العلم في الإنسان فعدم تعليم الله -سبحانه- النبي ﷺ الشعر يعني سلب القدرة منه على إنشاءه.

الجهة الثانية: حكم قول الإئمة ﷺ الشعر

وفيها مقامان:

المقام الأول: إنشاد الشعر وإنشاءه من الأئمة ﷺ

لا خلاف في أن الإمام ﷺ غير ممنوع عن إنشاد الشعر، فقد ورد من النصوص عنهم ﷺ التي يقولون فيها الشعر ما لا يسع ذكره وحصره، ومنها ما سيأتي الحديث عنه في كلام مولانا الباقر ﷺ.

وأما حكم إنشائهم ﷺ الشعر فالظاهر أنهم غير ممنوعين عنه كذلك، ويدل على ذلك ما روي في معتبرة عبد السلام بن صالح الهروي: «قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي -رحمه الله- [على] علي بن موسى الرضا ﷺ بمرو، فقال له: يا ابن رسول الله ﷺ، إني قد قلت فيك قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال ﷺ: هاتها، فأنشده: ... فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية *** تضمّنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا ﷺ: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين، بهما تمام قصيدتك؟

فقال: بلى يا ابن رسول الله، فقال ﷺ:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة *** توقد في الأحشاء بالخرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً *** يُفَرِّجُ عَنَّا الهمَّ والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله! هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟

فقال الرضا ﷺ: قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي، حتى تصير طوس

مختلف شيعتي وزوّاري...»^{٧٠}.



فهذا الخبر صريح في أنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) أنشأ الشعر إنشاءً، ولم يكن في مقام الاستشهاد بالشعر، ويؤيد ذلك: أنَّ العلماء في كلماتهم -الآتي ذكرها- الملاحظ فيها أنَّهم يُناقشون في اتِّصاف المعصوم (عليه السلام) بصفة الشاعرية أو لا يتَّصف، وهذا فرع كونه (عليه السلام) قادرًا على إنشاء الشعر شعرًا، ولو كان محرَّمًا عليه قوله لما صحَّ الحديث في الاتِّصاف وعدمه.

المقام الثاني: اتِّصاف الأئمة (عليهم السلام) بالشاعرية

وللعلماء في اتِّصاف الأئمة (عليهم السلام) بالشعر قولان:

أحدهما: نفي كونهم -سلام الله عليهم- شعراء

وممن ذهب إلى هذا القول:

أولاً: السيد الخوئي -رحمه الله- قال: «لم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أحد من الأئمة -صلوات الله عليهم- شاعرًا، وإنَّما كان غالبًا وفي مناسبات معيّنة يستشهد بشعر العرب، وقد نُسب إليه ديوان شعر لم تثبت صحَّة نسبته إليه -عليه الصَّلاة والسَّلام-»^{٧١}.

ثانيًا: السيد الجلاي، قال: «إنَّ قول الشعر لا يليق بأولئك العلماء، القادة، السادة، الذين كانت لهم اهتمامات كبرى، ومع أنَّ الشعر المنسوب أكثره ضعيف اللفظ والوزن، ولا وقع له في مجال اللغة والأدب، فضلًا عن أن يُقاس بكلماتهم الثريَّة التي هي في قمَّة البلاغة والفصاحة»^{٧٢}.

الآخر: كونهم -سلام الله عليهم- شعراء

وممن ذهب إلى هذا القول:

١- السيد محسن الأمين العاملي -رحمه الله-، قال: «هل نظم مولانا أمير المؤمنين وأبناؤه (عليهم السلام) الشُّعر أم لا؟ وهل ما يُنسب إليهم منه لهم مع أنَّه دون أقوالهم البالغة أقصى درجات البلاغة؟ على أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يقله وهم مقتدون به قولًا وفعلاً!

الجواب: لا شك أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد نظم الشعر وتطابقت الأنقال على كثير منه، مثل قوله (عليه السلام):

دَعَوْتُ فَلْبَانِي مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةً *** فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانٍ غَيْرِ لثَامٍ
فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانٍ لَيْسُوا بِعَزَلٍ *** غَدَاةُ الْوَغَى مِنْ شَاكِرٍ وَشَبَامٍ
هَمْدَانِ أَخْلَاقٌ وَدِينٌ يَزِينُهُمْ *** وَبَأْسٌ إِذَا لَاقُوا وَجَدَّ خَصَامٍ
جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانَ فَأَيْهَا *** سَمَامُ الْعَدَى فِي كُلِّ يَوْمٍ رَجَامٍ
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ *** لَقُلْتُ لَهُمْدَانَ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ
وقوله (عليه السلام) يوم صفين وقد أقبل الحُضَيْنُ بن المنذر الرقاشي، وهو يومئذٍ شابٌّ يزحف برايته وكانت حمراء فأعجب علياً (عليه السلام) زحفه وثباته، فقال:
لِمَنْ رَايَةً حَمْرَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا *** إِذَا قِيلَ: قَدَمَهَا حُضَيْنٌ تَقَدَّمَ
ويدنو بها في الصفِّ حتى يزيها *** حِيَاضُ الْمَنَايَا تَقْطُرُ الْمَوْتَ وَالْدَمَا
ترأُّه إذا ما كان يومَ كَرِيهَةٍ *** أَبِي فِيهِ إِلَّا عَزَّةٌ وَتَكْرَمَا
جَزَى اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ *** رُبْعَةٌ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
إلى غير ذلك ممَّا روته الثقات الأثبات.

ولا يُلْتَفَتُ إلى قول من قال بأنَّه لم يثبت عنه (عليه السلام) شيء من الشعر، ويشبه أن يكون مثل إنكار نسبة (نهج البلاغة) إليه.
وقد جمعنا ما صحَّ من شعره (عليه السلام) في ديوان مرَّتب على حروف المعجم، نسأله تعالى التوفيق لإكماله وطبعه.

نعم، ليس كلُّ ما يُنسب إليه من الشعر هو له، بل بعضه معلوم أنَّه ليس له، وكذلك باقي الأئمَّة (عليهم السلام) قد صحَّت نسبة الشعر إلى كثير منهم، وليس هو دون كلامهم، وبعض ما يُنسب إليهم لم تصحَّ نسبته، وبعضه معلوم أنَّه ليس لهم لرُكَّته.

أما عدم نظم جدهم ﷺ للشعر فليس عجزاً، بل لحكمة اقتضت ذلك، وهي دفع شبهات المنافقين عن القرآن العظيم بأنه ليس قول شاعر، ولا تجب مساواتهم ﷺ له في ذلك، والله أعلم»^{٧٣}.

٢- السيد محمد حسين الطهراني - رحمه الله - قال: «وكان أمير المؤمنين ﷺ أشعر الشعراء، وذكر الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين)، وفي كتاب (فضائل بني هاشم)، وأيضاً البلاذري في كتاب (أنساب الأشراف)^{٧٤}: أن علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم»^{٧٥}.

٣- السيد المرعشي - رحمه الله - قال: «إن الإمام [عليه السلام] ما عُرف بكثرة قول الشعر، وما صحَّ عنه إلا أبيات قليلة، كما ذكر ذلك ياقوت في معجم الأدباء»^{٧٦}.

الفصل الثاني: الشعر في كلام الإمام الباقر ﷺ

وردت أخبار كثيرة عنه - سلام الله عليه - يقول فيها الشعر، وقوله تارة يكون من قبيل نقل حادثة، فيكون الشعر الوارد في هذه الأخبار ذكره ﷺ على نحو النقل فقط، والأخبار من هذا القبيل غير متعلقة بالبحث؛ فهي إما تكون قولاً لغير المعصوم فخروجها معلوم^{٧٧}، أو أنها من قول معصوم آخر فينبغي بحثها في كلام مَنْ نُقلت عنه ﷺ في بحث مستقل يتعلّق به^{٧٨}.

وأخرى يكون الشعر قد جاء في كلامه ﷺ وهو المتكلم به، والبحث يتعلّق في هذا النوع من الأخبار.

ثم إن الشعر في كلامه - سلام الله عليه - على نحوين: فتارة يكون قائل الشعر معلوماً، وأخرى يكون مجهولاً، وعليه فيقع الكلام في مبحثين:

المبحث الأول: الأشعار التي عُلِمَ شاعرها

وفيه ستة روايات:

الرواية الأولى

١/ ما روي في (تاريخ مدينة دمشق)، لابن عساكر، قال: «قال قيس بن النّعمان: خرجت يوماً إلى بعض مقابر المدينة، فإذا أنا بصبيّ جالس عند قبر يبكي بكاءً شديداً، وإنّ وجهه ليلقي شعاعاً من نور، فأقبلت عليه، فقلت: أيها الصّبيّ ما الذي عقلت له من الحزن حتّى أفردك بالخلوة في مجالب الموتى، والبكاء على أهل البلاء، وأنت بغو الحداثة، مشغول عن اختلاف الأزمان، وحنين الأحزان، فرفع رأسه وطأطأه، وأطرق ساعة لا يحير جواباً، ثمّ رفع رأسه وهو يقول:

إنّ الصّبيّ صبيّ العقل لا صغر *** أزرى بذى العقل فينا لا ولا كبر
ثمّ قال لي: ما هذا، إنّك خلي الذّرع من الفكر، سليم الأحشاء من الحرقه، أمّنت تقارب الأجل بطول الأمل، إنّ الذي أفردني بالخلوة في مجالب أهل البلاء، ذكر قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^{٧٩}.

فقلت: بأبي أنت وأمي، من أنت؟ فأني لأسمع كلاماً حسناً.
فقال: إنّ من شقاوة أهل البلاء قلّة معرفتهم بأولاد الأنبياء، أنا محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ -عليهم السّلام-، وهذا قبر أبي، فأني أنس أنس من قربته، وأني وحشة تكون معه، ثمّ أنشأ يقول:

ما غاض دمعني عند نازلة *** إلّا جعلتُك للبكا سببا
إنّي أجلّ ثرى حللتُ به *** من أن أرى لسواك مُكْتَبِبا
فإذا ذكرتُك ساحتك به *** منّي الدّموع ففاض فانسكبا
قال قيس: فانصرفت، وما تركت زيارة القبور مُذ ذاك»^{٨٠}.

الشرح:

قوله: إِنَّ الصَّبِيَّ صَبِيَّ الْعَقْلِ لَا صَغَرَ *** أَرَى بَذِي الْعَقْلِ
فِينَا لَا وَلَا كَبِرَ

الصبا: من الصبوة، وهو الجهل في مرحلة الطفولة، قال الزمخشري:
«وفي فلان صبوة وهي جهلة الفتوة»^{٨١}.

يُستعمل العقل ويُراد به أمران:

أحدهما: ما يكون في قبال الجهل، قال الخليل: «العقل: نقيض
الجهل»^{٨٢}، وهو المُسمَّى بـ(العقل النظري)، بمعنى: أن الهدف من مدرّكاته
هو المعرفة، لا العمل على ضوئها، نحو: إدراك حقائق الوجودات.

الآخر: ما يكون في قبال الصبا، قال الزمخشري: «وعقل فلان بعد
الصبا، أي: عرف الخطأ الذي كان عليه»^{٨٣}، وهو المُسمَّى بـ(العقل العملي)،
بمعنى: ما يُستنبط به ما يجب أن يُفعل من الأمور الإنسانيّة، نحو: حُسن
العدل، وقبح الظلم.

والمراد من العقل في كلام الإمام -صلوات الله وسلامه عليه- هو
العقل العمليّ الذي يكون في قبال الصبا؛ بدليل المقابلة بينهما، ويؤيد هذا
ما روي في نص آخر من أنّه ﷺ قد عقّب هذه الأبيات بقوله: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا
أودع عبداً حكمةً لم يزدده الحكماء العلماء لصغر سنّه، وكان عليه من الله
نوره والمهابة»^{٨٤}، فقد عبّر الإمام بالحكمة، والتأمل في معنى الحكمة يُعطي
أنّها ما يمنع الإنسان من الوقوع في الخطأ؛ لكونها مأخوذة من (حكم)
بمعنى منع، ويشهد لذلك قول ابن فارس: «وسميت ... الحكمة لأنّها
تنع من الجهل»^{٨٥}.

ولما كان الراوي مستغرباً من فعل الإمام ﷺ، حيث إنّ الفعل لا
يتناسب مع أطباع الصبيان من ميلهم للهو واللعب، فانبرى سائلاً عن

الدوافع التي تدفع صغيراً للانفراد في المقابر، وحالة الحزن التي تغمره، مع أنّ حادثة السنّ تقتضي أن يكون الصبيّ غير مُدرك لحوادث الزمن، والحنين والحزن على ما غبر منه، ومن هنا أجابه الإمام (عليه السلام) بهذا البيت، ومعناه: أنّ مدار الصبا ليس صغر السنّ، بل بالعقل، فالصبيّ هو من كان جاهلاً فيما ينبغي فعله في شؤون حياته، أمّا من كان عالماً بذلك فيكون خارجاً عن الصبا، وهو الجهل في مرحلة الطفولة، نعم يكون طفلاً صغيراً نظراً إلى سنّه الصغير.

هذا في صدر البيت وهو تحديد معنى الصبيّ والتفريق بينه وبين الصغير، أمّا عجز البيت فقد تناول نفي الانتقاص من العالم، وذلك بنفي الإزراء في البيت، وهو الانتقاص والتحقيق، قال الجوهريّ: «والإزراء: التهاون بالشيء، يقال: أزريت به، إذا قصّرت به. وأزدرئته، أي: حقّرت»^{٨٦}. فإنّ العالم يجعل الله له الهيبة والوقار في نفوس العلماء والحكماء، ولا يفرّقون في ذلك بين العالم الصغير والكبير، بل هم في ذلك سواء، وأصل العجز من البيت هو: (لا أزرى بذّي العقل فينا ولا الكبير)، فعبر عن العالم الصغير بذّي العقل، وقيد (فينا) إشارة إلى المكانة العلميّة التي يحظى بها أهل البيت (عليهم السلام) الذين أودع الله فيهم العلم والحكمة، الذين كبيرهم في العلم لا يُقاس وصغيرهم جمرة لا تُداس.

لم يُنسب هذا البيت بحسب الظاهر لغير الإمام (عليه السلام)، أمّا الأبيات القادمة فقد وقع الخلاف في نسبتها، فُسبت لأبي محلم الراوية محمّد بن هاشم التميميّ السعديّ^{٨٧}، وقيل: إنّها لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف^{٨٨}. والظاهر خطأ كلا النسبتين؛ لأمرين:

الأول: أنّ ولادة كلا المذكورين تعقب إستشهاد الإمام الباقر (عليه السلام) الذي كان في السنة ١١٤ من الهجرة، فقد ذكر السيوطي بأنّ ولادة محمّد

بن هشام كانت سنة حج المنصور^{٩٠}، وكانت سنة حج المنصور هي ١٤٤ من الهجرة^{٩١}.

وأما معقل بن عيسى فلم أقف على ذكر له، أما أخوه أبو القاسم بن عيسى بن إدريس فقد ذكر الزركلي سنة وفاته، وهي ٢٢٦ من الهجرة^{٩١}، والفارق بين شهادة الإمام ووفاة أخيه كبيرة جدًا، تفوق المائة عام، وعليه فيكون حين إستشهاد الإمام (عليه السلام) إما لم يولد بعد، أو كان صغيرًا يبعد إنشاده الشعر، وتمثل الإمام به.

الثاني: أن هذه الأبيات قد رويت بأن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قد تكلم بها على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عن «الذيال بن حرملة، قال: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يغدو ويروح إلى قبر رسول (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته ويبكي تفجيعًا، ثم يقول: يا رسول الله، ما أحسن الصبر إلا عنك، وأقبح البكاء إلا عليك، ثم يقول:

ما غاض دمعي عند نازله *** إلا جعلتك للبكا سببا

وإذا ذكرتك ميتًا سفحت *** مني الجفون ففاض وانسكبا

ثم يُمِرُّغ وجهه في التراب، ويبكي، ويندب ويذكر ما حلَّ به بعده...»^{٩٢}.

ومن هنا لا يبقى وجه لنسبة هذه الأبيات إلى المذكورين، وتكون الأبيات التي استشهد بها الإمام الباقر (عليه السلام) لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ويُحتمل أن تكون لشخص في زمانه، أو سابق عليه.

وهذه الأبيات هي:

ما غاض دمعي عند نازلة *** إلا جعلتك للبكا سببا

غاض: كذا وردت في هذا النص، والظاهر أنها مصحّفة عن (فاض)

- كما يشهد لذلك جملة من المصادر^{٩٣} - لعدم تناسب (غاض) والتي بمعنى النقص^{٩٤}، مع المقصود من بيت الشعر، بخلاف (فاض).

انسكب: فعل مطاوعة من (سَكَبَ)، أي: صبَّ، تقول: «سكبت الماء فانسكب: صبيته»^{١٠١}.

معنى البيت: يتحدث فيه الإمام عليه السلام عن الحالة التي تحصل له عند جريان ذكر المفقود على لسانه، وهي كثرة الدموع المؤدّي إلى انصبابها بغزارة، والمقصود من البيت إذا جرى ذكرك على لساني جادت الدموع منّي فتكثر حتى تنصبّ.

بقي شيء: قيل بأن هذه الرواية من الموضوعات، وأن الذي يدلّ على وضع هذه الرواية أنّها ذكرت أن الإمام عليه السلام كان صبيّاً بعد وفاة أبيه، ومّا أجمع عليه المؤرخون أن عمره الشريف في ذلك الوقت كان تسعاً وثلاثين سنة، مع أن التأمل في فصولها يوحي بأنّها من الموضوعات^{١٠٢}.

ويُمكن أن يُقال: إنَّ التأمل في فصولها ينفي احتمال كونها من الموضوعات؛ لأنّ مفردة الأب ليس المقصود منها الأب الفعليّ وهو الإمام السجّاد عليه السلام؛ فإنَّ العرب تتوسّع في استعمالها فتشمل الجدَّ والعمّ، كما في قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾^{١٠٣}، وإسماعيل عليه السلام كان العمّ^{١٠٤}، كما تتوسّع العرب في استعمال لفظ (الأمّ) فتشمل الخالة^{١٠٥}.

نعم يرد احتمال الوضع على ما رواه قطب الدين الراونديّ، حيث ورد فيما رواه عن «القاسم بن محمّد بن أبي بكر: بينا أنا مارٌّ ببقيع الغرقذ إذ رأيت فتى أحسن من الشمس الطالعة جالساً بين قبرين: قبر الحسن بن عليّ وقبر زين العابدين عليه السلام يبكي بكاء لم أسمع أشجى منه...»^{١٠٦}، فقد ذكر في الرواية أنّ القبر للإمام زين العابدين عليه السلام، ولكن لا يبعد وقوع التصحيف، أو الإضافة من النسخ بعد معلوميّة عدم صبا الإمام حين موت أبيه، والتصريح باسمه كاملاً.

مضافاً إلى كونها مروية عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وهو من أصحاب الإمام زين العابدين (عليه السلام)، بل من ثقاته كما روي عن «إسحاق بن جرير، قال أبو عبد الله (عليه السلام): كان سعيد ابن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي، من ثقات علي بن الحسين (عليه السلام)»^{١٠٨}، فيبعد عدم معرفته بالإمام الباقر (عليه السلام).

الرواية الثانية

٢/ ما روي في (تقريب المعارف)، لأبي الصلاح الحلبي - رحمه الله - قال: «وروا عن سورة بن كليب، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن أبي بكر وعمر، قال: هما أول من ظلمنا حقنا، وحملنا الناس على رقابنا، قال: فأعدت عليه، فأعاد عليّ ثلاثاً، فأعدت عليه الرابعة، فقال: لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا *** وما علّم الانسان إلا ليعلم»^{١٠٩}.

الشرح:

البيت مشهور ومعلوم النسبة، حتّى صار مثلاً تناقلته العرب، وهو من أشعار جرير بن عبد المسيح المتلمّس الضُّبَعي، وهو شاعر جاهليّ ولد في عام ٥٢٥، وتوفي في ٥٨٠ من الميلاد^{١١٠}.

قيل بأنّ المتلمّس قال هذا البيت في عامر بن الظرب، حيث كان قد انتهى عن شرب الخمر في الجاهليّة، وقال: إنّ شيئاً يُذهب بالعقل، ويورث الجنون، لحقيق بالترك، وحكم بالديّة بمائة من الإبل، وفيه يقول الشاعر المتلمّس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا *** وما علّم الانسان إلا ليعلم
وذلك أنّه كبر وعمي، فكان يُنبّه للأمر بأن يُقرع محمل أو جفنة، أو عصا بعصا، فإذا سمع تنبّه^{١١١}.

وقيل بأنّ عامر بن الظرب -وقيل عمرو بن حمّة الدوسي^{١١٢}- كان حاكماً في العرب، عاش حتّى أنكر عقله، فكان إذا زاغ في الحكم قُرعت له العصا، فينتبه ويعود إلى الحقّ^{١١٣}.

وذو الحلم: هو الحليم، أي: صاحب الأناة والعقل^{١١٤}، قال أبو هلال العسكري: «ومن أشرف نعوت الإنسان أن يُدعى حليماً؛ لأنّه لا يُدعاه حتّى يكون عاقلاً، وعالماً ومُصطبراً مُحْتَسِباً، وعفوّاً وصافحاً، ومُحْتَمِلاً وكاظماً، وهذه شرائف الأخلاق، وكرائم السجايا والخصال»^{١١٥}.

تقرع: من القرع، أي: الضرب، قال ابن سيده: «وقرع الشيء يقرعه قرعاً: ضربه»^{١١٦}.

معنى البيت: أنّ العاقل الحصيف إذا عرض له ما يمنعه من العلم والمعرفة فلا يحتاج إلّا لمجرّد التنبيه لينتبه لما فاتته؛ وذلك لرّاحة عقله ومعرفته العالية فلا يحتاج إلى أكثر من التنبيه لمعرفة ما وقع منه من الخطأ، فلذا يحتاج إلى حركة أو صوت أو إشارة ليتدارك بها أمره، ومن هنا جُعل قرع العصا للتنبيه حال الغفلة والسهو.

وقد استشهد الإمام عليه السلام بهذا البيت الذي كان مثلاً سائراً على الألسنة؛ لأنّه قد بيّن للسائل موقفه من أبي بكر وعمر، ولم يكتفي السائل بذلك، فقال له المثل هذا للتنبيه بأنّ ما قاله إشارة يكتفي بها الحصيف في معرفة منزلتهما عند الإمام ورأيه فيهما.

الرواية الثالثة

٣/ ما روي في (كفاية الأثر)، عن «أبي مريم عبد الغفار بن القاسم، قال: دخلت على مولاي الباقر عليه السلام وعنده أناس من أصحابه، ذكر الإسلام، فقلت: يا سيدي، فأيّ الإسلام أفضل؟



قال: من سَلِمَ المؤمنون من لسانه ويده.

قلت: فما أفضل الأخلاق؟

قال: الصبر والسماحة.

قلت: فأَيُّ المؤمنين أكمل إيماناً؟

قال: أحسنهم خُلُقًا.

قلت: فأَيُّ الجهاد أفضل؟

قال: من عَفَرَ جواده وأهريق دمه.

قلت: فأَيُّ الصلاة أفضل؟

قال: طول القنوت.

قلت: فأَيُّ الصدقة أفضل؟

قال: أن تهجر ما حَرَّمَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليك.

قلت: يا سيدي، فما تقول في الدخول على السلطان؟

قال: لا أرى لك ذلك.

قلت: فَإِنِّي رَبَّما سافرت الشام فأدخل على إبراهيم بن الوليد.

قال: يا عبد الغفار إِنَّ دخولك على السلطان يدعو إلى ثلاثة أشياء:

مَحَبَّة الدنيا، ونسيان الموت، وقَلَّة الرضا بما قسم الله.

قلت: يا ابن رسول الله، فَإِنِّي ذو عَيْلة، وأتَّجِر إلى ذلك المكان لجرِّ

المنفعة، فما ترى في ذلك؟

قال: يا عبد الله، إِنِّي لست آمرك بترك الدنيا، بل آمرك بترك الذنوب،

فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، وأنت إلى إقامة الفريضة أحوج

منك إلى اكتساب الفضيلة.

قال: فقبَّلت يده ورجله، وقلت: بأبي أنت وأُمِّي يا ابن رسول الله، فما

نجد العلم الصحيح إِلَّا عندكم، وإِنِّي قد كَبُرْتُ سَنِي، ودَقَّ عَظْمي ولا أرى

فيكم ما أَسْرَه، أراكم مقتَلين مشرَّدين خائفين، وإِنِّي أقمت على قائمكم منذ

حين، أقول: يخرج اليوم أو غداً.

قال: يا عبد الغفار، إنَّ قائمنا ﷺ هو السابع من ولدي، وليس هو أو ان ظهوره، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الأئمة بعدي اثنا عشر، عدد نعباء بني إسرائيل، تسعة من صلب الحسين، والتاسع قائمهم، يخرج في آخر الزمان، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. قلت: فإن كان هذا كائناً يا ابن رسول الله ﷺ إلى من بعدك؟ قال: إلى جعفر وهو سيّد أولادي، وأبو الأئمة، صادق في قوله وفعله، ولقد سألت عظيمًا يا عبد الغفار، وإنك لأهل الإجابة.

ثم قال ﷺ: ألا إن مفاتيح العلم السؤال، وأنشأ يقول:

شفاء العمى طول السؤال وإنَّها *** تمام العمى طول السكوت على الجهل^{١١٧}.

الشرح:

البيت للشاعر بشار بن برد العُقيليّ، المولود في أواخر القرن الأوّل الهجريّ، سنة ٩٦ هـ، في بادية البصرة حيث نشأ، وتعلّم، واشتهر شعره فيها. وتكلمته:

فكن سائلاً عمّا عناك فإنَّها *** دعيتَ أخا عقل لتبعث بالعقل

كان أئمة الهدى ﷺ يدعون الناس إلى مزاحمة العلماء، والحثّ على الانتفاع بهم، وسؤالهم عمّا كمن في صدورهم، وقد ورد عنهم -صلوات الله عليهم- الكثير من الأخبار في هذا الشأن، منها ما روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»^{١١٨}.

ومن هنا فقد أعجب الإمام الباقر ﷺ بسؤال الراوي، فبيّن خطر ما سأل عنه، ورفعته، ومدح السائل وأثنى عليه، ثم بيّن ضرورة السؤال ودوره في تحصيل العلوم، واستعان في بيان مطلوبه بهذا البيت الذي كتبه الشاعر عن الجهل بالعمى، وجعل الشفاء منه بالسؤال الناتج عنه العلم الرافع للجهل، ومن كان شأنه هذا فليس جاهلاً، وإنَّها باحثاً عن الحقيقة متعلِّماً، وإنَّها الجاهل من سكت على جهله، ولم يبحث عن العلم والمعرفة.

الرواية الرابعة

٤ / ما روي في (مناقب آل أبي طالب)، لابن شهر آشوب، بإسناده عن «الصادق عليه السلام» قال: لما أشخص أبي، محمد بن علي عليه السلام إلى دمشق سمع الناس يقولون: هذا ابن أبي تراب! قال: فأسند ظهره إلى جدار القبلة، ثم حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: اجتنبوا أهل الشقاق، وذرية النفاق، وحشو النار، وحصب جهنم، عن البدر الزاهر، والبحر الزاخر، والشهاب الثاقب، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجوهاً، فنردّها على أدبارها، أو يلعنوا كما لعن أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً، ثم قال بعد كلام: أبصنو رسول الله تستهزؤون! أم بيعسوب الدين تلمزون! وأي سبل بعده تسلكون! وأي حزن بعده تدفعون! هيهات هيهات برز والله بالسبق، وفاز بالخُصل، واستوى على الغاية والحرز على الخطاب، فأنحسرت عنه الأبصار، وخضعت دونه الرقاب، وقرع الذروة العليا، فكذب من رام من نفسه السعي، وأعياه الطلب، فأنى لهم التناوش من مكان بعيد، وقال:

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَأَيِّكُمْ *** من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى *** وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
فَأَنَّى يَسُدُّ ثَلَمَةَ أَخِي رَسُولَ اللَّهِ إِذْ شَفَّعُوا، وَشَقِيقَهُ إِذْ نُسَبُّوا،
وَنَدِيدَهُ إِذْ قَتَلُوهُ، وَذِي قَرْبَى كَتَزَهَا إِذْ فَتَحُوا، وَمُصَلِّي الْقِبْلَتَيْنِ إِذْ تَحَرَّفُوا،
وَالْمَشْهُودَ لَهُ بِالْإِيْمَانِ إِذْ كَفَرُوا، وَالْمَدَّعَى لِنَبْذِ عَهْدِ الْمُشْرِكِينَ إِذْ نَكَلُوا،
وَالْخَلِيفَةَ عَلَى الْمَهَادِ لَيْلَةَ الْحَصَارِ إِذْ جَزَعُوا، وَالْمُسْتَوْدَعَ الْأَسْرَارِ سَاعَةَ
الْوَدَاعِ، إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ»^{١١٩}.

الشرح:

الآبيات للشاعر جُرُول بن أوس بن مالك العبسي، المعروف بالخطيئة (ت ٤٥ هـ)، وكان شاعرًا مخضرمًا أدرك الجاهليّة والإسلام، كان كثير المهجاء عنيفًا به، لم يسلم من هجاءه حتّى أبويه ونفسه^{١٢٠}، قال هذين البيتين في ضمن قصيدة له يمدح بها بني سعد، مطلعها:

ألا طرقتنا بعدما هجدوا هند *** وقد سرن خمسًا واتلّابّ بنا نجد^{١٢١}

قوله: أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ *** من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

بعد المدح الذي قدّمه الخطيئة في الآبيات المتقدمة في بني سعد يتوجّه بالخطاب للعاذلين، بأن يقلّلوا اللوم لبني سعد في أمره، أو أن يكفوا أمره هم بأنفسهم، والمعنى: ضيّعتم أنتم وسدّوا هم، فهلّا فعلتم مثل ما فعلوا. قوله: أو لئلك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى *** وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا

البنى: جمع بُنية، وقد روي البيت بكسر الباء، قال ابن سيده: «والبنية والبُنية: ما بنيته، وهو البنى والبنى»^{١٢٢}، ويُحتمل أن يكون مراده البناء. وعليه، فيحتمل قوله وجهين، أحدهما: (إن بنوا أحسنوا ما بنوه)، أي: أن الحسن وصفٌ لما ينتج عن بنائهم، والآخر: (إن بنوا أحسنوا البناء)، أي: أن الحسن وصفٌ لآلية البناء، والأوفق لسياق البيت الأوّل.

عقدوا: من (العقد)، أي: العهد، قال الخليل: «والعقد مثل العهد، عاقده عقدًا، مثل: عاهدته عهدًا»^{١٢٣}، والمراد هنا عقد الجوار، بقرينة سياق القصيدة، أي: (إن عقدوا عقد جوار لجار أحكموه).

شدّوا: أي: أحكموا الشيء وجعلوه قويًا، قال الجوهري: «شدّ الله ملكه وشدّدّه، أي: قوّاه. والتشديد: خلاف التخفيف»^{١٢٤}.

ومعنى البيت: أولئك - أي بنو سعد، وقد أشار لهم بالبعد تعظيماً - قوم إذا شيدوا أمراً أحسوا ببناءه، وإن عاهدوا عهداً وفوا به، وإن عقدوا عقد جوار أحكموه.

وقد خاطب الإمام عليه السلام بهذين البيتين الشاميين ممن جهلوا حق علي وعترته عليه السلام، فبين لهم عظيم منزلته، وكبير فضله، وقديم إحسانه، ومن جملة ما ذكره - صلوات الله عليه - هذين البيتين وقد أراد بهما بيان تضييع الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لدينهم بدنياهم، وكيف حافظ علي عليه السلام على الدين بعد النبي، وكيف شيد أركان الدين، وحفظ قواعده، وأحسن البناء بعدما حاول القوم هدم أركانه.

الرواية الخامسة

٥/ ما روي في (الكافي)، عن «نجم بن حطيم الغنوي»، عن أبي جعفر عليه السلام قال: اليأس ممّا في أيدي الناس عزّ المؤمن في دينه، أو ما سمعت قول حاتم^{١٢٥}:

إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى *** إذا عرفته النفس والطمع الفقر^{١٢٦}.

الشرح:

عزمت: من (العزم)، وهو الإرادة المستحكمة في فعل أمر، قال الجوهري: «عَزَمْتُ عَلَى كَذَا عَزْماً وَعَزْماً بِالضَّمِّ وَعَزِيْماً وَعَزِيْماً، إِذَا أَرَدْتَ فَعْلَهُ وَقَطَعْتَ عَلَيْهِ»^{١٢٧}.

اليأس: نقيض الرجاء^{١٢٨}.

ألفيته: من (ألفى)، أي: وجَدَ^{١٢٩}.

الطمع: الرجاء، قال ابن سيده: «طَمَعَ فِيهِ، وَبِهِ، طَمَعًا وَطَمَاعَةً وَطَمَاعِيَةً وَطَمَاعِيَّةً: حَرَصَ عَلَيْهِ، وَرَجَاهُ»^{١٣٠}.

المعنى: إذا عوّدت نفسك اليأس عمّا في يد الناس وجدته الغنى، أمّا الرجاء بما في يد الناس فهو الفقر.

وقد ذكر الإمام الباقر (عليه السلام) هذا البيت في بيان حكم يُدرّكه العقلاء بفطرتهم ووجدانهم، وهو أنّ العزّ في الاستغناء، وفي هذا قال أمير المؤمنين لمولانا الحسن (عليه السلام): «يا بنيّ، استغنِ عمّن شئت تكن نظيره، وسلّ من شئت تكن حقيقه، واعطِ من شئت تكن أميره»^{١٣١}.

الرواية السادسة

٦/ ما روي في (تُحف العقول عن آل الرسول ﷺ)، لابن شعبة الحرّائي، قال: «وقال [يعني: الإمام الباقر (عليه السلام)]: ما عرف الله -عزّ وجلّ- من عصاه، وأنشد:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبّه *** هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته *** إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع»^{١٣٢}.

الشرح:

يُنسب هذا الشعر لأكثر من قائل، فنُسب للشافعي^{١٣٣}، ولمحمود بن حسن الورّاق^{١٣٤}، ولأبي العتاهية إسماعيل بن القاسم^{١٣٥}، ولذي الرّمة^{١٣٦}، وغيرهم. وقول الإمام (عليه السلام) لهذه الأبيات يتنافى مع نسبتها لغير ذي الرّمة، إذ كان استشهاده (عليه السلام) سنة ١١٤ هـ، وولادة الشافعيّ سنة ١٥٠ هـ^{١٣٧}، ووفاة الورّاق سنة ٢٢٥ هـ^{١٣٨}، فبين شهادته (عليه السلام) ووفاة الورّاق ١١١ سنة، فبعيد أن يكون قد أدرك الإمام (عليه السلام) فضلاً عن أن يستشهد بشعره، وولادة أبي العتاهية سنة ١٣٠ هـ^{١٣٩}. وأمّا نسبة هذه الأبيات لذي الرّمة فلا مانع منه؛ لأنّ ولادته سنة ٧٧ هـ، وكان شاعراً مكثراً جيّداً مشهوراً، يُجاري الفرزدق وجريراً والأخطل.

ولكن يصعب التصديق بنسبتها إليه، لوجوه:

١- لم يعمّر ذو الرّمة أكثر من أربعين سنة، فقد مات بعد الإمام (عليه السلام) بثلاثة سنين، في العام ١١٧ هـ، فلا يُحتمل أن تبلغ أشعاره هذه الشهرة الواسعة التي تجعلها تبلغ الإمام (عليه السلام)، ويستشهد بها في إيصال مراده.

٢- يبعد احتمال صدور هذه المعاني عنه؛ لعدم انسجامها مع طبيعته الماجنة، وخلوّ أشعاره عن هكذا معاني نفيسة.

٣- لم ينسب هذه الأبيات له -بحسب الظاهر- أحدٌ غير الجاحظ، ولا يبعد احتمال اشتباهه في النسبة.

ومن هنا يُحتمل جدّاً كونها للإمام الباقر (عليه السلام)، وأنها ممّا جادت به قريحته الشريفة.

قوله: تعصي الإله وأنت تُظهر حبّه *** هذا لعمر ك في الفعال بديع

بديع: العجيب المُخترع لا على مثال^{١٠}.

معنى البيت: من عجيب الأفعال أن تُظهر حبّ الإله -سبحانه-

وتعصيه في الأوان ذاته.

قوله: لو كان حبّك صادقاً لأطعته *** إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع

معنى البيت: لو كنت صادقاً فيما أظهرته من حبّ الله -عزّ وجلّ-

لكنت مطيعاً له؛ فإن من شواهد المحبة ومثبتاتها طاعة المحبّ للمحبوب،

والعمل بما يُحبّ والانتفاء عمّا يكره.

وهذا البيت يتوافق مع غرض الإمام (عليه السلام) في أنّ معرفة الله مقرونة بطاعته

-سبحانه-، حيث ينبغي للمؤمن أن يعرف ما يُحبّ الله فيأتمر به، وما يكره

فيتنهي عنه، وإلا لما كان مطيعاً له، وعدم الطاعة لا يتناسب مع حبّه.

المبحث الثاني: الأشعار التي لم يُعلم شاعرها

وفيه روايتان:

الرواية الأولى

١- ما روي في (كشف الغمّة في معرفة الأئمّة)، للإربليّ، قال: «نقلتُ من كتاب جمعه الوزير السعيد مؤيد الدين أبو طالب محمّد بن أحمد بن محمّد بن عليّ بن العلقميّ - رحمه الله تعالى -، قال: ذكر الأجلّ أبو الفتح يحيى بن محمّد بن حيّاء الكاتب، قال: حدّث بعضهم، قال: كنت بين مكّة والمدينة فإذا أنا بشبح يلوح من البريّة، يظهر تارةً ويغيب أخرى، حتّى قرُب منّي فتأمّلته فإذا هو غلامٌ سباعيّ أو ثنائيّ، فسلم عليّ، فرددت عليه، وقلت: من أين؟

قال: من الله.

فقلت: وإلى أين؟

قال: إلى الله.

قال: فقلت فعلام؟

فقال: على الله.

فقلت: فما زادك؟

قال: التقوى.

فقلت: ممّن أنت؟

قال: أنا رجل عربيّ.

فقلت: أين لي.

قال: أنا رجل قرشيّ.

فقلت: أين لي.

فقال: أنا رجل هاشميّ.



فقلت: أبن لي.

قال: أنا رجل علويّ، ثمّ أنشد:

فنحن على الحوض ذوّاده *** ندود ويُسعد ورّاده

فما فاز من فاز إلّا بنا *** وما خاب من حُبنا زاده

فمن سرّنا نال منّا السرور *** ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان غاصبنا حقّنا *** فيوم القيامة ميعاده

ثمّ قال: أنا محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -عليهم جميعاً السّلام-، ثمّ التفتُ فلم أره، فلا أعلم أهل صعد إلى السّماء أم نزل في الأرض!«^{١٤١}.

الشرح:

قوله: فنحن على الحوض ذوّاده *** ندود ويُسعد ورّاده

ذوّاده: من الذود، أي: الدفع، قال الخليل: «وذذته أذوده عن كذا، أي: دفعته»^{١٤٢}.

روّاده: من الورد، أي: الحضور، قال الجوهريّ: «ورّد فلان وروداً: حضر. وأورّده غيره، واستورّده، أي أحضره»^{١٤٣}.

زاده: الزاد: الطعام المُعد للسفر والحضر، قال الخليل: «الزّاد، وهو الطّعام الذي يُتخذُ للسّفر والحضر»^{١٤٤}، وقيل لخصوص السفر^{١٤٥}.

تظافرت الأخبار على أنّ لرسول الله ﷺ حوضاً في القيامة، واسمه الكوثر، أكرم الله به نبيّه الكريم، وجاء في وصفه بأنّه نهر يجري تحت عرش الله تعالى، وماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، طينه مسكٌ، وصخوره درٌّ، ومن يشرب منه شربةً لن يظمأ ولن يستقّ بعدها أبداً، فيقول الشارب منه: «يا ليتني تركت هاهنا، لا أبغي بهذا بدلاً، ولا عنه تحويلاً»^{١٤٦}.



الشيخ
العلامة
المرجع
المعتمد
عليه
السلام
المفتي
المعتمد
عليه
السلام

والوالي على الحوض يوم القيامة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كثرت الأخبار في ذلك، كالمروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «وخليفتي على الحوض يومئذ خليفتي في الدنيا، فقليل: ومن ذاك يا رسول الله؟ قال: إمام المسلمين، وأمير المؤمنين ومولاهم بعدي علي بن أبي طالب، يسقي منه أوليائه، ويدود عنه أعداءه كما يدود أحدكم الغريبة من الإبل عن الماء»^{١٤٧}.

والبيت موافق لما يلزم من الاعتقاد بأهل بيت النبوة، وموضع الرسالة في أنهم عليهم السلام يدفعون عن الورود على الحوض من كان عدواً لهم، وأتهم أصحاب الكوثر، والساقون لمن أتاه ممن والاهم، واعتقد بهم، وحينئذ ستر عينه بما يلقاه من السرور، والسعادة، التي تدفعه لأن يقول: يا ليتني تركت هاهنا، لا أبغي بهذا بدلاً، ولا عنه تحويلاً.

قوله: فما فاز من فاز إلّا بنا *** وما خاب من حُبنا زاده

ينبغي للإنسان البحث عما يوجب له الفوز بسعادة الآخرة، والسعي للوصول إلى نعيمها، ولا يتحقق هذا الفوز إلّا بالإيمان التام، المقبول عند الله سبحانه، ومما يُحقّق الإيمان هو حبّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فقد وردت كثير من الأخبار التي قرنت الإيمان بحبّ آل النبي صلى الله عليه وآله، وجعلته دائراً مداره وجوداً وعدمًا، منها ما رواه الزمخشري عن «جرير بن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم مُنكرٌ ونكيرٌ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله - تعالى - زوّار قبره ملائكة الرحمن، ألا ومن مات على حبّ آل محمد فُتح له في قبره بابان من الجنة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين

عينه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»^{١٤٨}.

وآل محمد ﷺ هم خصوص العلويين، وهم الذين جعل الله مودتهم أجر النبي ﷺ حيث قال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^{١٤٩}، قال الزمخشري: «روي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما ﷺ»^{١٥٠}.

ولا تكون النجاة في الآخرة، والسلامة من مهولاتها، إلا بمودة أهل البيت ﷺ، فهم الشفيع لمن أحبهم، بل لا يقبل عمل العامل ما لم يكن عارفاً بحقهم، روي عن «عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يحبنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا يتفجع عبدٌ بعمله إلا بمعرفته بحقنا»^{١٥١}.

ومن هنا يتبين المراد من الفوز بهم -سلام الله عليهم-، فمن جعل حب آل النبي ﷺ زاده الذي يُعده لسفر الآخرة، لا محالة يكون قد تزود بها لن يجعل سعيه خائباً، وهذا هو الفوز العظيم.
قوله:

فَمَنْ سَرَّنا نال منَّ السرور *** وَمَنْ ساءنا ساء ميلاده

مما يوجب شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة هو إدخال السرور على أهل بيته -سلام الله عليهم-، وإدخال السرور على آل النبي -عليه وعليهم السلام- يكون جزاءه نيله منهم، ولا سرور أعظم مما يحصل بشفاعة النبي ﷺ، فقد روي عن «أبان بن تغلب، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جدّه ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد التوسّل إليّ، وأن يكون له عندي يدٌ أشفع له بها يوم القيامة، فليصل أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم»^{١٥٢}.

وأما من أساء إليهم عليه السلام وأبغضهم فلا نصيب له من طهارة المولد، وقد تظافرت الأخبار على ذلك، منها ما روي عن «جابر، قال: قال أبو أيوب الأنصاري: اعرضوا حبَّ عليٍّ عليه السلام على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به، فإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليٍّ بن أبي طالب: لا يُحبُّكَ إلَّا مؤمن، ولا يبغضك إلَّا منافق، أو ولد زنيَّة، أو حملته أمه وهي طامث»^{١٥٣}، وما روي عن «أبي رافع، عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحبَّ عترتي فهو لإحدى ثلاث، إمَّا: منافق، وإمَّا لزنيَّة، وإمَّا امرؤ حملت به أمه في غير طهر»^{١٥٤}.

وفي هذا البيت إشارة إلى هذين الخصوصيتين التين اختصَّهم الله -تعالى- بهما:

أحدهما: أنَّ مُدخل السرور عليهم يكون قد استوجب السرور الذي لا سرور بعده، وهو شفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله.
والأخرى: أنَّ من أساء لهم -سلام الله عليهم- لا يكون طاهر المولد.

قوله: وَمَنْ كَانَ غَاصِبَنَا حَقًّا *** فيوم القيامة ميعاده

عمد جمعُ من الناس بعدما فارق رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا إلى ظلم أهل بيته عليهم السلام، فغصبوهم حقَّهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، فأجروا عليهم أنواع الظلامات، وجروا عليهم الويلات، وأذوا فيهم قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، والذين جعل مخاصمهم مخاصمًا له، فقد روي عنه أنَّه قال: «استوصوا بأهل بيتي خيرًا فإنِّي أخاصمكم عنهم غدًا، ومن أكن خصمه أخصمه»^{١٥٥}، ومن أخصمه دخل النار»^{١٥٦}.

فاتَّبِع القوم أهوائهم، وحبَّهم للدنيا، فبعضهم أنزلوا أنفسهم محلاً لا ينبغي لهم، وليسوا أهلاً له، فادَّعوا الرياسة وأنَّهم خلفاء رسول الله ﷺ، وهذا أشنع وأشدَّ مراتب حبِّ الدنيا.

وآخرون أنكروا فضلهم، وأعانوا عليهم عدوَّهم، ونصبوا لهم العداوة والبغضاء، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا يضلَّ من اتَّبعنا، ولا يهتدي من أنكرنا، ولا ينجو من أعان علينا عدوَّنا، ولا يُعان من أسلمنا، فلا تتخلَّفوا عنَّا لطمع دنيا، وحُطام زائلٍ عنكم، وأنتم تزولون عنه، فإنَّ من آثر الدنيا على الآخرة، واختارها علينا عظُمت حسرته غداً، وذلك قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ ١٥٧-١٥٨.

وكلَّ من ظلم آل محمد ﷺ قولاً، أو فعلاً، أو كان عوناً، أو ناصرًا، أو مؤيداً لمن ظلمهم، فليس لهم في الآخرة نصيب من رحمة الله تعالى، ولا من شفاعة رسوله ﷺ، ومأواهم النار، وهذا وعد رسول الله ﷺ الصادق الذي لا ريب فيه، فقد روي أنَّه قال: «حُرِّمَت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وقاتلهم، وعلى المُعترِض عليهم، والسابِّ لهم، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٥٩-١٦٠.

وهذا البيت يدلُّ على هذا المعنى، وهو أنَّ غاصب حقِّ آل محمد -عليه وعليهم السَّلام- موعده الآخرة، فإنَّ فيها سيلقى جزاء ظلمه لهم، ولا محيص له عن عذاب السعير، ولات حين مندم.

محلَّ الشاهد: أنَّ الإمام الباقر عليه السلام في مقام التعريف بنفسه للسائل عمَّد إلى ذكر عمومات نسبه، وهي كونه عريباً، أو قرشياً، أو هاشمياً، ولكنَّ السائل لم يكتفِ بذلك، فطلب منه المزيد من البيان والتعريف عن نفسه، فعرَّف نفسه الزكيَّة من جهتين:

إحداهما: بذكر كونه من خصوص العلويين من بني هاشم، وذكر له الخصوصيات التي يمتازون بها، والفضل الثابت لهم، وجعل هذا البيان من خلال الآيات التي قالها ﷺ.

والأخرى: تصرّحه باسمه الشريف كاملاً وصولاً إلى عليّ ﷺ، فأوضح له أنّه من العلويين، وكيف ينتسب لهم.

التأمّل في هذه الآيات يُعطي جلياً أنّها من إنشائه ﷺ فإنّ المعاني المذكورة فيها يصعب تصورها وصدورها عن غير المعصوم.

الرواية الثانية

٢/ ما روي في (كفاية الأثر)، عن «جابر بن يزيد الجعفيّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر ﷺ، قال: قلت له: يا ابن رسول الله، إنّ قومًا يقولون: إنّ الله -تبارك وتعالى- جعل الإمامة في عقب الحسن والحسين ﷺ، قال: كذبوا والله، أو لم يسمعوا الله تعالى ذكره يقول: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾^{١٦}، فهل جعلها إلّا في عقب الحسين ﷺ.

ثم قال: يا جابر، إنّ الأئمة هم الذين نصّ رسول الله ﷺ بالإمامة، وهم الأئمة الذين قال رسول الله ﷺ: لما أُسري بي إلى السماء وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش بالنور، اثنا عشر اسماً، منهم عليّ، وسبطاه، وعليّ، ومحمّد، وجعفر، وموسى، وعليّ، ومحمّد، وعليّ، والحسن، والحجّة القائم -صلوات الله وسلامه عليهم- فهذه الأئمة من أهل بيت الصفوة والطهارة، والله ما يدّعيه أحدٌ غيرنا إلّا حشره الله -تعالى- مع إبليس وجنوده.

يُكرمون ذريتهم، ويعظمون قدرهم، كما هو شأن النصارى في إكرامهم لعيسى عليه السلام فيجلّون آثاره، قال ابن حجر الهيتمي: «ولما فعل يزيد برأس الحسين عليه السلام كان عنده رسول قيصر، فقال متعجباً: إنّ عندنا في بعض الجزائر في دير حافر حمار عيسى عليه السلام فنحن نحجّ إليه كلّ عام من الأقطار، وننذر النذور، ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنّكم على باطل. وقال ذمّي آخر: بيني وبين داوود عليه السلام سبعون أباً، وإنّ اليهود تُعظّمني، وتحترمني، وأنتم قتلتم ابن نبيكم!»^{١٧٣}.

قوله: والمؤمنون لحبّ آل محمد *** يرّمون في الآفاق بالنيران

يُبيّن الإمام عليه السلام حال الشيعة آنذاك، حيث كان الموالي لآل النبي صلى الله عليه وآله لا يأمن على نفسه وعياله من أعداء أهل البيت عليه السلام، فقد قاسوا أنواع الظلم والجور، ولم يكن مهرب من الظلم سوى الانتقاء، وإخفاء الولاء، أو التشرّد بعيداً عن الأوطان، فهذا حال أتباعهم -سلام الله عليهم-، وأمّا حالهم فكان أدهى وأمرّ، فقد روي «أنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان! ما لقينا من ظلم قريش إيّانا، وتظاهرهم علينا، وما لقينا شيعتنا ومحّبّونا من الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتملأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثمّ تداولتها قريش واحداً بعد واحد حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتّى قُتل، فبوع الحسن عليه السلام ابنه وعوهد، ثمّ غدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتّى طعن بخنجر في جنبه، ونُهِيت عسكره، وعولجت خلاليل أمّهات أولاده، فوداع معاوية، وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل، حق قليل، ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، وقتلوه، ثمّ لم نزل أهل البيت نُستذلّ،



وُسْتَضَامَ، وَنُقِصَى، وَنُمْتَهَنَ، وَنُحْرِمَ، وَنُقْتَلَ، وَنَخَافَ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَى دِمَائِنَا وَدِمَاءِ أَوْلِيَائِنَا، وَوَجَدَ الْكَاذِبُونَ الْجَاهِدُونَ لَكُذِبِهِمْ وَجُحُودَهُمْ مُوَضَّعًا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَقَضَاةُ السُّوءِ، وَعَمَالُ السُّوءِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ، فَحَدَّثُوهُمْ بِالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الْمَكْذُوبَةِ، وَرَوَوْا عَنَّا مَا لَمْ نَقُلْهُ وَمَا لَمْ نَفْعَلْهُ؛ لِيُبْغِضُونَا إِلَى النَّاسِ، وَكَانَ عُظْمُ ذَلِكَ وَكِبَرُهُ زَمَنَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقُتِلَتْ شِيعَتُنَا بِكُلِّ بَلَدَةٍ، وَقُطِعَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظَّنَّةِ، وَكَانَ مَنْ يُذَكَّرُ بِحُبِّنَا وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا سُجِّنَ، أَوْ نُهِبَ مَالُهُ، أَوْ هُدِمَتْ دَارُهُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ يَشْتَدُّ وَيَزْدَادُ إِلَى زَمَانِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَاتِلِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُمْ كُلَّ قَتْلَةٍ، وَأَخَذَهُمْ بِكُلِّ ظَنَّةٍ وَتَهْمَةٍ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُقَالُ لَهُ زَنْدِيقٌ، أَوْ كَافِرٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مَنْ أَنْ يُقَالَ شِيعَةٌ عَلَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَحَتَّى صَارَ الرَّجُلُ الَّذِي يُذَكَّرُ بِالْخَيْرِ - وَلَعَلَّهُ يَكُونُ وَرِعًا صَدُوقًا - يُحَدَّثُ بِأَحَادِيثٍ عَظِيمَةٍ، عَجِيبَةٍ مِنْ تَفْضِيلِ بَعْضِ مَنْ قَدْ سَلَفَ مِنَ الْوَلَاةِ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ - تَعَالَى - شَيْئًا مِنْهَا، وَلَا كَانَتْ، وَلَا وَقَعَتْ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهَا حَقٌّ؛ لَكَثْرَةِ مَنْ قَدْ رَوَاهَا مَنْ لَمْ يُعْرِفْ بِكَذِبٍ، وَلَا بِقَلَّةٍ وَرِعٍ» ١٧٤.

الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي مَوْضِعِ الْحَسْرَةِ وَالتَّأْسَفِ عَلَى مَا جَرَى عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حَيْثُ لَمْ تَحْفَظِ الْأُمَّةُ حَرَمَةَ جَدِّهِمْ فِيهِمْ، فَسَلَبُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَنَازَعُوهُمْ مَكَانَهُمُ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ - سَبْحَانَهُ - لَهُمْ، وَتَمَادَوْا فِي بَغْيِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ، وَشَرَّدُوهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِظُلْمِ آلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَطْ، بَلْ تَجَاوَزُوا إِلَى ظُلْمِ كُلِّ مُؤْمِنٍ بِهِمْ وَمَوَالٍ لَهُمْ - سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -، فَقَارَنَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَيْنَ حَالِ الْيَهُودِ الْمُؤْمِنِينَ بَنِيَّهِمْ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَبَيْنَ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حَيْثُ إِنَّ الْيَهُودَ يَعِيشُونَ بِنِهَايَةِ أَمْنٍ، لَا تَمَسُّهُمْ الشَّدَائِدُ وَالْمَحَنُ، بَيْنَمَا الْمُؤْمِنُونَ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يَعِيشُونَ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ وَعَنَاءٍ، وَيُحَارَبُونَ وَيُقْتَلُونَ وَيُشَرَّدُونَ.

الهوامش:

- ١ - والظاهر أنَّ مقصود الخليل من (الشعر المبيّت) هو الشعر الاصطلاحيّ في المنظور الأدبيّ.
- ٢ - العين: ١ / ٢٥١.
- ٣ - أساس البلاغة: ١ / ٥١٠.
- ٤ - الصحاح: ٢ / ٦٩٩.
- ٥ - سورة الأنعام: ١٠٩.
- ٦ - لسان العرب: ٤ / ٤٠٩، ويلاحظ: المفردات في غريب القرآن: ٤٥٦، تاج العروس من جواهر القاموس: ١٢ / ١٧٧، تهذيب اللّغة: ١ / ٤٦٨.
- ٧ - العين: ١ / ٢٥١.
- ٨ - لسان العرب: ٤ / ٤١٠.
- ٩ - سورة يس: ٦٩.
- ١٠ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٦ / ١٦٩.
- ١١ - عيار الشعر: ٥ - ٦.
- ١٢ - سرّ الفصاحة: ٢٧٥.
- ١٣ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١ / ١١٩.
- ١٤ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١ / ٣١٤.
- ١٥ - اللّغة الشاعرة: ٣٠ - ٣١.
- ١٦ - نقد الشعر: ٢.
- ١٧ - يظهر من تفاصيل كلماته وما ذكره من تعريف أنَّ المقصود من العروضيين هم الأدباء الذين تعرضنا لشيء من كلامهم.
- ١٨ - تاريخ ابن خلدون: ١ / ٧٨٩.
- ١٩ - الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد: ٣٠١.
- ٢٠ - القواعد الجليّة في شرح الرسالة الشمسيّة: ٤٠٤.
- ٢١ - رسائل الشجرة الإلهيّة في علوم الحقائق الربّانيّة: ١ / ٤٤٠ - ٤٤١.
- ٢٢ - الشفاء: ٩ / ٢٣ - ٢٤.
- ٢٣ - المنطقيّات للفارابي: ١ / ٥٠١.
- ٢٤ - وهي قضايا ليس من شأنها أن توجب تصديقاً، إلّا أنّها توقع في النفس تخييلات تؤدّي إلى انفعالات نفسيّة، من انبساط في النفس أو انقباض [المثاليين المعروفين: العسل مرّ مهوَّع، والخمر ياقوته سيّالة همراء]، ومن استهانة بالأمر الخطير أو تهويل أو تعظيم



لشيء اليسير، ومن سرور وانسراح أو حزن وتألم، ومن شجاعة وإقدام أو جبن وإحجام، وتأثير هذه القضايا في النفس ناشئ من تصوير المعنى بالتعبير تصويرًا خياليًا خلّابًا وإن كان لا واقع له. منطلق المظفر: ٣٥٤.

٢٥- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢١.

٢٦- الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد: ٤٣٧.

٢٧- روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه حين سُئل عن أول من قال الشعر، قال: «لما أنزل [آدم (عليه السلام)] إلى الأرض من السماء فرأى تربتها، وسعتها، وهوائها، وقتل قابيل هابيل، فقال آدم (عليه السلام):

تغيّرت البلاد ومن عليها *** فوجه الأرض مغبرّ قبيح

تغيّر كلّ ذي لون وطعم *** وقلّ بشاشة الوجه المليح». الخصال: ٢٢٣.

٢٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر: ١ / ٤٦.

٢٩- الحيوان: ١ / ٥١.

٣٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١ / ٦٥.

٣١- البيان والتبيين: ١ / ٢٠٣.

٣٢- يُلاحظ: شرح أصول الكافي للمازندراني: ١ / ٢٩٩.

٣٣- التردد من أبي يعقوب.

٣٤- كذا. ولعله تصحيف (مواعظه).

٣٥- الكافي: ١ / ٧٢ - ٧٣.

٣٦- سورة الأنبياء: ٥.

٣٧- سورة يس: ٦٩.

٣٨- سورة المعارج: ٣٨ - ٤١.

٣٩- سورة القلم: ٤.

٤٠- معاني الأخبار: ٣٨٥.

٤١- سورة النمل: ٢١٨ - ٢١٩.

٤٢- تفسير القمي: ٢ / ١٢٥.

٤٣- الاعتقادات: ١٠٩.

٤٤- قال الخليل: «وقد عيّ عن حجّته عيّا، وعيّت بهذا الأمر وعنه، إذا لم أهتمد لوجهه، وأعياني الأمر أن أضبطه». العين: ٢ / ٢٧٢.

٤٥- النوادر للراوندي: ١٥٥.

٤٦- مجمع البيان: ٧ / ٣٦٠.

٤٧- اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٧٠٤.

٤٨- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١ / ١٥.

٤٩- كامل الزيارات: ٢٠٨.

٥٠- كامل الزيارات: ٢١١.

٥١- الخصال: ٣٢٦.

٥٢- الخصال: ٣٣٨.

٥٣- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ٢ / ٤٢٤.

٥٤- مستطرفات السرائر: ٢٥٤، ويُنظر اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٤٧٢.

٥٥- الصحاح: ٦ / ٢٤٨١.

٥٦- المجازات النبويّة: ١١١.

٥٧- سورة يس: ٦٩.

٥٨- تاريخ مدينة دمشق: ٤٦ / ١١٨.

٥٩- تفسير القرآن المجيد المُستخرج من آثار الشيخ المفيد: ٣٣٧.

٦٠- المغرب في ترتيب المغرب: ١ / ٢٦.

٦١- التبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٤٦٠.

٦٢- زبدة التفاسير: ٥ / ٥٣٠.

٦٣- تفسير الميزان: ١٧ / ١٠٨.

٦٤- معاني القرآن وإعرابه: ٤ / ٢٩٣.

٦٥- زاد المسير في علم التفسير: ٦ / ٢٨٠.

٦٦- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز: ٦ / ٣٥٧.

٦٧- مجمع البيان: ٨ / ٢٨٧.

٦٨- التفسير الصافي: ٤ / ٢٥٩.

٦٩- روح البيان: ٧ / ٤٣١.

٧٠- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢ / ٢٩٤.

٧١- صراط النجاة: ١٠ / ٣٨٧.

٧٢- الإمام الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: ٩٥ - ٩٦.

٧٣- معادن الجواهر ونزهة الخواطر: ١ / ٤٢٤ - ٤٢٥.

٧٤- قال البلاذري: «حدّثنا محمد بن صباح البزار، حدّثنا هشيم، قال: أخبرني عمر بن

أبي زائدة، عن الشعبي، قال: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان

عليّ (عليه السلام) أشعر الثلاثة». أنساب الأشراف: ٢ / ١٥٢ ح ١٥٥.

٧٥- معرفة الإمام: ١٢ / ٢٠٧.

٧٦- شرح إحقاق الحق: ٣١ / ٥٨٢.

٧٧- مثل ما روي في (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق، قال: عن «محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم بفناء الكعبة يوم افتتح مكة، إذ أقبل إليه وفدٌ فسلموا عليه... ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رحم الله قسًا، يُحشر يوم القيامة أمة وحده، قال: هل فيكم أحدٌ يُحسن من شعره شيئاً؟ فقال بعضهم: سمعته يقول:

في الأولين الذاهبين *** من القرون لنا بصائرُ

لما رأيت مواردًا *** للموت ليس لها مصادرُ

ورأيت قومي نحوها *** تمضي الأكابر والأصاغرُ

لا يرجع الماضي إليّ *** ولا من الباقين غابرُ

أيقنت أني لا محالة *** حيث صار القوم صائرُ

وبلغ من حكمة قس بن ساعدة، ومعرفته، أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يسأل من يقدم عليه من أياد من حكمه، ويصغي إليه سمعه». كمال الدين وتمام النعمة: ١٦٦ - ١٦٧.

٧٨- مثل ما روي في (أمالي الشيخ الصدوق)، عن «بهجة بنت الحارث بن عبد الله التغلبي، عن خالها عبد الله بن منصور - وكان رضيعاً لبعض ولد زيد بن علي عليه السلام -، قال: سألت جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، فقلت: حدثني عن مقتل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال: ... وأرسل علياً ابنه - عليه السلام - في ثلاثين فارساً، وعشرين راجلاً؛ ليستقوا الماء، وهم على وجلٍ شديد، وأنشأ الحسين (عليه السلام) يقول:

يا دهر أف لك من خليل *** كم لك في الإشراق والأصيل

من طالب وصاحب قتيل *** والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل *** وكل حي سالك سبيلي...». أمالي الشيخ الصدوق: ٢١٥ - ٢٢١.

٧٩- سورة يس: الآية ٥١.

٨٠- تاريخ مدينة دمشق: ٥٤ / ٢٨١.

٨١- أساس البلاغة: ١ / ٥٣٥.

٨٢- العين: ١ / ١٥٩.

٨٣- أساس البلاغة: ١ / ٦٧٠.

٨٤- ألقاب الرسول وعترته: ٥٨، مكارم أخلاق النبي والائمة: ٢٩١.

٨٥- مقاييس اللغة: ٢/ ٩١.

٨٦- الصحاح: ٦/ ٢٣٦٨.

٨٧- معجم الشعراء للمرزباني: ٤٢٩، الوافي بالوفيات للصفدي: ٥/ ١١٠، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٢٥٨.

٨٨- معجم الشعراء للمرزباني: ٤٢٩، الوافي بالوفيات للصفدي: ٥/ ١١٠.

٨٩- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٢٥٨.

٩٠- الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٥/ ٩٧.

٩١- الأعلام: ٥/ ١٧٩.

٩٢- دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام): ١٩٨- ١٩٩.

٩٣- الدرّ الفريد وبيت القصيد: ٩/ ١٦٩، البديع في نقد الشعر: ١٨٩.

٩٤- الغيظ، وهو النقص من كلّ شيء، يُقال «غاض الماء»، أي: قلّ ونضب، و«غاض ثمن السلعة»، أي: نقص. يُلاحظ: الصحاح: ٣/ ١٠٩٦.

٩٥- العين: ٧/ ٦٥.

٩٦- العين: ٧/ ٣٦٧.

٩٧- معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣٨٦.

٩٨- العين: ٥/ ٤١٨.

٩٩- المحكم والمحيط الأعظم: ٦/ ٧٨٧.

١٠٠- الصحاح: ١/ ٣٧٦.

١٠١- العين: ٥/ ٣١٦.

١٠٢- حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) للشيخ القرشي: ١/ ٥٧.

١٠٣- البقرة: ١٣٣.

١٠٤- الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٢٣١.

١٠٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤/ ١٤٩.

١٠٦- مكارم أخلاق النبي والأئمة (عليهم السلام): ٢٩١.

١٠٧- رجال الشيخ الطوسي: ١١٩.

١٠٨- الكافي: ١/ ٤٧٢.

١٠٩- تقريب المعارف: ٢٤٥.

١١٠- يُلاحظ: ديوان شعر المتلمّس الضُّبعيّ: ٢١- ٢٤.

١١١- أنساب الأشراف للبلادريّ: ١٣/ ٢٦٧.

- ١١٢- التذكرة الحمدونيّة: ١ / ٣٩٥.
- ١١٣- التذكرة الحمدونيّة: ٧ / ٤٩.
- ١١٤- المحكم والمحيط الأعظم: ٣ / ٣٦٤.
- ١١٥- ديوان المعاني: ١ / ١٣٥.
- ١١٦- المحكم والمحيط الأعظم: ١ / ١٩٨.
- ١١٧- كفاية الأثر: ٢٥٠ - ٢٥٣.
- ١١٨- نهج البلاغة: ٤ / ١٨.
- ١١٩- مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٣٤.
- ١٢٠- الأعلام للزركلي: ٢ / ١١٨.
- ١٢١- ديوان الخطيئة: ٤٠.
- ١٢٢- المحكم والمحيط الأعظم: ١٠ / ٤٩٩.
- ١٢٣- العين: ١ / ١٤٠.
- ١٢٤- الصحاح: ٢ / ٤٩٣.
- ١٢٥- لم يُذكر في ديوانه.
- ١٢٦- الكافي: ٢ / ١٤٩.
- ١٢٧- الصحاح: ٥ / ١٩٨٥.
- ١٢٨- المحكم والمحيط الأعظم: ٨ / ٦٣٢.
- ١٢٩- المحكم والمحيط الأعظم: ١٠ / ٤١٨.
- ١٣٠- المحكم والمحيط الأعظم: ١ / ٥٦١.
- ١٣١- مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢ / ٤٢٠.
- ١٣٢- تُحف العقول: ٢٩٤.
- ١٣٣- ديوان الشافعي: ٩١.
- ١٣٤- العقد الفريد: ٣ / ١٦٨، الكامل في اللغة والأدب: ٢ / ٤.
- ١٣٥- المحاسن والمساوي: ١٥٩.
- ١٣٦- الجاحظ في المحاسن والأضداد: ١٦٨.
- ١٣٧- الأعلام للزركلي: ٦ / ٢٦.
- ١٣٨- الأعلام للزركلي: ٧ / ١٦٧.
- ١٣٩- الأعلام للزركلي: ١ / ٣٢١.
- ١٤٠- الصحاح: ٣ / ١١٨٣، المحكم والمحيط الأعظم: ٢ / ٣٣.
- ١٤١- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ٢ / ٣٥٣ - ٣٥٤.

- ١٤٢- العين: ٨ / ٥٥.
- ١٤٣- الصحاح: ٢ / ٥٤٩.
- ١٤٤- العين: ٧ / ٣٧٧.
- ١٤٥- الصحاح: ٢ / ٤٨١.
- ١٤٦- كامل الزيارات: ٢٠٤ - ٢٠٥.
- ١٤٧- الأمالي للشيخ الصدوق: ٣٧٤.
- ١٤٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٨ / ٣١٤.
- ١٤٩- سورة الشورى: ٢٣.
- ١٥٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤ / ٢١٩.
- ١٥١- الأمالي للشيخ المفيد: ٤٤.
- ١٥٢- الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٦٢.
- ١٥٣- علل الشرائع: ١ / ١٤٥.
- ١٥٤- الخصال: ١١٠.
- ١٥٥- أخصم صاحبه: لقنه حجته حتى خُصم. الصحاح: ١ / ٢٥١.
- ١٥٦- ذخائر العقبى: ١٨.
- ١٥٧- سورة الزمر: ٥٦.
- ١٥٨- الخصال: ٦٣١.
- ١٥٩- سورة آل عمران: ٧٧.
- ١٦٠- الأمالي للشيخ الطوسي: ١٦٤.
- ١٦١- سورة الزخرف: ٢٨.
- ١٦٢- كذا. وفي نسخ أخرى: (لا رعى الله حق).
- ١٦٣- كذا. وفي نسخ أخرى: (حادث الأزمان).
- ١٦٤- سورة الحج: ٧٨.
- ١٦٥- سورة هود: ٨٠.
- ١٦٦- سورة القمر: ١٠.
- ١٦٧- سورة المائدة: ٢٥.
- ١٦٨- كفاية الأثر: ٢٤٦ - ٢٤٨.
- ١٦٩- قال في اضطهاد الموالين لآل البيت (عليه السلام):
- إن اليهود بحبها لنبيها *** أمّنت بوائق دهرها الخوّان

وكذا النصارى، حبّهم لنبیّهم *** یمشون زهوًا فی قُرى نجران
والمسلمون بحبّ آل نبیّهم *** یُرمون فی الآفاق بالنيران.

دیوان دعبل بن علی الخزاعي: ۱۳۴.

۱۷۰- ذکر ذلك النجاشي في ترجمة علي بن علي بن رزين أخي دعبل، قال: «قال
إسماعيل: ولد أبي علي بن علي سنة اثنتين وسبعين ومائة، وتوفي سنة ثلاث وثمانين
ومائتين، فكان عمره مائة وإحدى عشرة سنة، وولد عمي دعبل سنة ثمان وأربعين
ومائة في خلافة المنصور». رجال النجاشي: ۲۷۷.

۱۷۱- العين: ۱ / ۱۷۷.

۱۷۲- يُلاحظ: الصحاح: ۱ / ۲۷۸.

۱۷۳- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ۲ / ۵۸۱.

۱۷۴- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ۱۱ / ۴۳ - ۴۴.



بسم الله الرحمن الرحيم

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

حرف الألف

- * أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، التحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- * الاعتقادات في دين الإمامية، المؤلف: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، التحقيق: عصام عبد السيد، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- * اختيار معرفة الرجال، المؤلف: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي، السيد مهدي الرجائي، الناشر: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث - قم، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ.
- * الإمام الحسين عليه السلام حياته وسيرته، المؤلف: السيد محمد رضا الجلاي، الناشر: دار المعروف للطباعة والنشر - قم.

- * الأمالي، المؤلف: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)،

التحقيق: قسم الدراسات الإسلامية

- مؤسسة البعثة، الناشر: مركز

الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة،

الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

* ألقاب الرسول ﷺ وعترته، المؤلف:

م قدماء المحدثين في القرن الرابع،

الناشر: مكتبة السيد المرعشي - قم،

سنة الطبع: ١٤٠٦هـ.

* الأعلام، المؤلف: خير الدين بن

محمود بن محمد بن علي بن فارس

الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)،

الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة:

الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

* الأمالي، المؤلف: الشيخ المفيد أبو

عبدالله محمد بن محمد بن النعمان

الحارثي (ت ٤١٣هـ)، التحقيق:

حسين الأستاذ ولي، علي أكبر

الغفاري، الناشر: دار المفيد للطباعة

والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة:

الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

* الأمالي، المؤلف: أبو جعفر محمد

بن الحسن بن علي بن الحسن

الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، التحقيق:

قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة

البعثة، الناشر: دار الثقافة للطباعة

والنشر والتوزيع - قم، الطبعة:

الأولى، ١٤١٤هـ.

حرف الباء

* البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن

بحر بن محبوب الكناي بالولاء،

الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ
(ت ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة
الهلال - بيروت، عام النشر:
١٤٢٣هـ.

*بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،
المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر،
جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،
التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
الناشر: المكتبة العصرية - صيدا.

*البديع في نقد الشعر، المؤلف: أبو
المظفر أسامة بن مرشد بن عليّ
بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنائي
الكلبي الشيزري (ت ٥٨٤هـ)،
التحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي،
الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة:
الأستاذ إبراهيم مصطفى، الناشر:
الجمهورية العربية المتحدة - وزارة
الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم
الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة.
حرف التاء

*تاج العروس من جواهر القاموس،
المؤلف: محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي، التحقيق: جماعة من
المختصين، من إصدارات: وزارة
الإرشاد والأنباء في الكويت -
المجلس الوطني للثقافة والفنون
والآداب بدولة الكويت، أعوام
النشر: ١٣٨٥ - ١٣٢٢ هـ - ١٩٦٥
- ٢٠٠١م.

*تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن

أحمد بن الأزهر الهروي، أبو
منصور (ت ٣٧٠هـ)، التحقيق:
محمد عوض مرعب، الناشر: دار
إحياء التراث العربي - بيروت،
الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

*تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان
المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر
ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،
المؤلف: عبد الرحمن بن خلدون (ت
٨٠٨هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي
والفهارس: الأستاذ خليل شحادة،
مراجعة: الدكتور سهيل زكار، الناشر:
دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

*تفسير القمي، المؤلف: عليّ بن
إبراهيم القمي (ت نحو سنة
٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق:
السيد طيّب الموسوي الجزائري، سنة
الطبع: ١٣٨٧هـ.

*تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها
وتسمية من حلّها من الأماثل أو
اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها،
المؤلف: أبو القاسم عليّ بن الحسن
ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي،
المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)،
دراسة وتحقيق: محبّ الدين أبو سعيد
عمر بن غرامة العموري، الناشر: دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام
النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

*تفسير القرآن الكريم المستخرج من

آثار الشيخ المفيد، المؤلف: الشيخ
المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد
بن النعمان الحارثي (ت ٤١٣هـ)،
التحقيق: السيد محمد علي أيازي،
الناشر: مؤسسة بوستان كتاب - قم،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

* التبيان في تفسير القرآن، المؤلف:
أبو جعفر محمد بن الحسن بن عليّ
بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)،
تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير
العاملي، الناشر: مكتب الإعلام
الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
* التفسير الصافي، المؤلف: المولى
محسن، الملقب بالفیض الكاشاني
(ت ١٠٩١هـ)، صححه وقدم له
وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي،
الناشر: مكتبة الصدر - طهران،
الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ.

* تقريب المعارف، المؤلف: أبو
الصلاح تقي بن نجم الحلبي (ت
٤٤٧هـ)، التحقيق: فارس تبريزيان
الحسون، الناشر: المحقق، سنة
الطبع: ١٤١٧هـ.

* التذكرة الحمدونية، المؤلف: أبو المعالي
محمد بن الحسن بن محمد بن عليّ
بن همدون، بهاء الدين البغداديّ
(ت ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر -
بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
* تاريخ الأدب العربي، المؤلف: الدكتور
شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف -

مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠-١٩٩٥م.
* تحف العقول عن آل الرسول ﷺ،
المؤلف: أبو محمد الحسن بن عليّ بن
الحسين بن شعبة الحراتي من أعلام
القرن الرابع، تصحيح وتعليق: علي
أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين -
قم، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

حرف الجيم
* الجوهر النضيد في شرح منطق
التجريد، ويليّه رسالة التصور
والتصديق، المؤلف: العلامة الحليّ،
صدر الدين محمد الشيرازي (ت
٧٢٦هـ)، الناشر: انتشارات بيدار،
سنة الطبع: ١٣٦٣هـ.

* جمل من أنساب الأشراف، المؤلف:
أحمد بن يحيى بن جابر بن داود
البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، حققه وقدم
له: سهيل زكار، رياض زركلي،
الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

* الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو
عبدالله محمد بن أحمد الأنصاريّ
القرطبي (ت ٦٧١هـ)، التحقيق: أحمد
البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار
الكتب المصريّة - القاهرة، الطبعة:
الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

حرف الحاء
* الحيوان، المؤلف: عمرو بن بحر بن
محبوب الكنائيّ بالولاء، الليثي، أبو

عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)،
الناشر: دار الكتب العلميّة - بيروت،
الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.

* حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) المؤلف:
الشيخ باقر شريف القرشي (ت
١٤٣٣هـ)، الناشر: دار البلاغة -
بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.
* ديوان الخطيئة، المؤلف: جُرُول بن
أوس بن مالك العبيسي، المعروف
بالخطيئة (ت ٤٥هـ)، التحقيق: حمدو
أحمد طماس، الناشر: دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت،
الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

حرف الخاء

*الخصال، المؤلف: الشيخ الصدوق،
محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى
بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)،
التحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ،
الناشر: مؤسسة النشر الإسلاميّ
التابعة لجامعة المدرّسين - قم، سنة
الطبع: ١٤٠٣هـ.

حرف الدال

* دستور معالم الحكم ومأثور مكارم
السيم من كلام أمير المؤمنين عليّ بن
أبي طالب (عليه السلام)، المؤلف: أبو عبد الله
محمد بن سلامة القضاعي (ت
٤٥٤هـ)، الناشر: مكتبة المفيد - قم.

*الدرّ الفريد وبيت القصيد، المؤلف:
محمد بن أيّدمر المستعصميّ (ت
٧١٠هـ)، التحقيق: الدكتور كامل

سلمان الجبورِيّ، الناشر: دار الكتب
العلميّة - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

* ديوان شعر التلمّس الضبعي، المؤلّف:
جرير بن عبد المسيح التلمّس
الضبعيّ (ت ٥٨٠م)، التحقيق: حسن
كامل الصيرفيّ، الناشر: جامعة الدول
العربيّة - معهد المخطوطات العربيّة،
سنة الطبع: ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

*ديوان المعاني، المؤلف: أبو هلال
الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد
بن يحيى بن مهران العسكري (ت
نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الجيل -
بيروت.

* ديوان الشافعي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، التحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

*ديوان دعبل بن عليّ الخزاعي،
المؤلف: أبو عليّ محمّد دِعبِل بن
عليّ بن رزين الخزاعيّ (ت ٨٣٥هـ)،
التحقيق: حسن همد، الناشر: دار
الكتاب العربيّ للطباعة والنشر
والتوزيع - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

حرف الذال

* ذخائر العقبى، المؤلف: أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ)، الناشر:

مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين
القدسي-القاهرة، سنة الطبع: ١٣٥٦هـ.
حرف الراء

* رسائل الشجرة الإلهية في علوم
الحقائق الربانية، المؤلف: محمد بن
محمود، شمس الدين الشهرزوري
(ت بعد عام ٦٨٧هـ)، الناشر:
مؤسسة الحكمة والفلسفة - طهران،
الطبعة: الأولى، ١٣٨٣هـ ش.

* رموز الكنوز في تفسير الكتاب
العزیز، المؤلف: عبد الرزاق بن رزق
الله الرسعني الحنبلي (ت ٦٦٠هـ)،
التحقيق: عبد الملك ابن دهيش،
الناشر: مكتبة الأسد - مكة
المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

* روح البيان، المؤلف: إسماعيل
حقي بن مصطفى الإستانلوي
الحنفي الخلوئي، مولى أبي الفداء
(ت ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر
- بيروت.

* رجال الشيخ الطوسي، المؤلف:
أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي
بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)،
التحقيق: جواد القيومي الإصفهاني،
الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرسين - قم،
الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

حرف الزاي

* زبدة التفاسير، المؤلف: المولى فتح الله
بن شكر الله الشريف الكاشاني (ت

٩٨٨هـ)، التحقيق: مؤسسة المعارف،
الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية -
قم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

* زاد المسير في علم التفسير، المؤلف:
جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن
علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)،
التحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر:
دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤٢٢هـ.

حرف السين

* سرّ الفصاحة، المؤلف: أبو محمد
عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان
الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، الناشر:
دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

حرف الشين

* شمس العلوم ودواء كلام العرب
من الكلوم، المؤلف: نشوان بن
سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ)،
التحقيق: الدكتور حسين بن عبدالله
العمرى، ومطهر بن علي الإرياني،
والدكتور يوسف محمد عبدالله،
الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت،
دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى،
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

* الشفاء، المؤلف: أبو علي الحسين بن
عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا
البلخي، ثم البخاري (ت ٤٢٧هـ)،
التحقيق: عبدالله بدوي، الناشر: مكتبة
آية الله المرعشي النجفي العامة - قم،



الطبعة: الثانية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
 * شرح أصول الكافي، المؤلف: مولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

* شرح إحقاق الحق، المؤلف: السيد نور الله الحسيني المرعشي (ت ١٤١١هـ)، تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي.

* شرح نهج البلاغة، المؤلف: أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

حرف الصاد

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، التحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
 * صراط النجاة مع تعليقة ومُلَحَق للميرزا التبريزي، المؤلف: السيد

أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، الناشر: دفتر نشر برگزيده، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
 * الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت ٩٧٤هـ)، التحقيق: عبد الرحمن بن عبدالله التركي، كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

حرف العين

* العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، التحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

* عيار الشعر، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسيني العلوي، أبو الحسن (ت ٣٢٢هـ)، التحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المؤلف: أبو علي الحسن بن رشيح القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، التحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

* عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، المؤلف:

الشيخ الصدوق، محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* العقد الفريد، المؤلف: أحمد بن محمد

بن عبد ربّه بن حبيب بن جدير بن سالم، المعروف بابن عبد ربّه الأندلسيّ (ت ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

* علل الشرائع، المؤلف: الشيخ

الصدوق، محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها - النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

حرف الفاء

* فهرست أسماء مصنّفي الشيعة

= رجال النجاشي، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عليّ بن أحمد بن العباس النجاشيّ الأسديّ الكوفيّ (ت ٤٥٠هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ.

حرف القاف

* القواعد الجليّة في شرح الرسالة الشمسيّة، المؤلف: العلامة الحليّ، صدر الدين محمد الشيرازيّ (ت ٧٢٦هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلاميّ - قم، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

حرف الكاف

* الكافي، المؤلف: الشيخ محمد

بن يعقوب الكلينيّ الرازيّ (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة - طهران، الطبعة: الخامسة، ١٣٦٣ش.

* كامل الزيارات، المؤلف: أبو القاسم

جعفر بن محمد بن قولويه القميّ (ت ٣٦٨هـ)، التحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

* كشف الغمّة في معرفة الأئمّة،

المؤلف: أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ (ت ٦٩٣هـ)، الناشر: دار الأضواء - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

* كمال الدين وتمام النعمة، المؤلف:

الشيخ الصدوق، محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ.



* الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، التحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

* الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، التحقيق: أبو محمد بن عاشور، المراجعة والتدقيق: الأستاذ نصير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

* كفاية الأثر، المؤلف: أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي (ت ٤٠٠هـ)، التحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، الناشر: انتشارات بيدار، سنة الطبع: ١٤٠١هـ.

* الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

* ٧ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل، وبهامشه أربعة كتب، المؤلف: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبطه وصحّحه ورّبه: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث - القاهرة، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

حرف اللام

* لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، الحواشي: ليلازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

* اللغة الشاعرة، المؤلف: عباس محمود العقاد، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: ١٩٩٥م.

حرف الميم

* المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، التحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو

العبّاس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلميّة - بيروت.

* المنطقيّات، المؤلّف: أبو نصر محمّد بن محمّد بن طرخان الفارابيّ (ت ٣٣٩ هـ)، التحقيق: محمّد تقي دانّش پژوه، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامّة - قم، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

* المنطق، المؤلّف: الشيخ محمّد رضا المظفّر (ت ١٣٨٣ هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجامعة المدرّسين - قم.

* منهاج البلغاء وسراج الأدباء، المؤلّف: أبو الحسن حازم بن محمّد بن حسن، ابن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ).

* مروج الذهب ومعادن الجوهر، المؤلّف: أبو الحسن عليّ بن الحسين المسعوديّ (ت ٣٤٦ هـ)، الناشر: منشورات دار الهجرّة - قم، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.

* معاني الأخبار، المؤلّف: الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجامعة المدرّسين - قم، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش.

* مجمع البيان في تفسير القرآن، المؤلّف: أبو عليّ الفضل بن الحسن

الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين المختصّين، الناشر: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

* مستطرفات السرائر (باب النوادر) موسوعة ابن إدريس الحليّ، المؤلّف: الشيخ أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن إدريس العجليّ الحليّ (ت ٥٩٨ هـ)، التحقيق: السيد محمّد مهدي الموسويّ الخرساني، الناشر: العتبة العلويّة المقدّسة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* المجازات النويّة، المؤلّف: أبو الحسن السيد محمّد بن الحسين بن موسى الموسويّ الهاشميّ، الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق وشرح: طه محمّد الزيتي، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي - قم.

* المغرب في ترتيب العرب، المؤلّف: أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٠ هـ)، التحقيق: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

* الميزان في تفسير القرآن، المؤلّف: السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢ هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجامعة المدرّسين - قم.

* معاني القرآن وإعرابه، المؤلّف:

دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة:
الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

* المحكم والمحيط الأعظم، المؤلّف:
أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده
المرسّي (ت ٤٥٨هـ)، التحقيق: عبد
الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب
العلميّة - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

* مناقب آل أبي طالب (ع)، المؤلّف: أبو
عبدالله محمد بن عليّ بن شهر آشوب
ابن أبي نصر بن أبي حبيشي الروي
المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ)، تصحيح
وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة
النجف الأشرف، الناشر: المكتبة
الحيدريّة - النجف الأسرف، سنة
الطبع: ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

* المحاسن والمساوي، المؤلّف: إبراهيم
بن محمد البيهقيّ (ت نحو ٣٢٠هـ)،
نسخة: المكتبة الشاملة الإلكترونيّة.
* المحاسن والأضداد، المؤلّف:
عمرو بن بحر بن محبوب الكنائيّ
بالولاء، الليثيّ، أبو عثمان، الشهير
بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الناشر:
دار ومكتبة الهلال - بيروت، عام
النشر: ١٤٢٣هـ.

حرف النون

* نقد الشعر، المؤلّف: أبو الفرج
قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد
البغداديّ (ت ٣٣٧هـ)، الناشر:
مطبعة الجوائب - تركيا، قسطنطينيّة،

إبراهيم بن السريّ بن سهل، أبو
إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)،
التحقيق: عبد الجليل عبده شلبي،
الناشر: عالم الكتب - بيروت،
الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
* معادن الجواهر ونزهة الخواطر،
المؤلّف: السيد محسن الأمين العامليّ،
الناشر: دار الزهراء (ع) للطباعة
والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

* معرفة الإمام، المؤلّف: السيد محمد
حسين الطهرانيّ (ت ١٤١٦هـ)،
الناشر: دار المحجة البيضاء - بيروت،
الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

* مكارم أخلاق النبيّ (ص) والأئمّة،
المؤلّف: قطب الدين أبو الحسين
سعید بن هبة الله الراونديّ (ت
٥٧٣هـ)، التحقيق: السيد حسين
الموسويّ، الناشر: مكتبة ودار
مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة -
العراق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

* معجم مقاييس اللغة، المؤلّف: أبو
الحسين أحمد بن زكريا القزوينيّ
الرازيّ (ت ٣٩٥هـ)، التحقيق: عبد
السلام محمد هارون، الناشر: دار
الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

* معجم الشعراء، المؤلّف: أبو عبيد
الله محمد بن عمران المرزبانيّ (ت
٣٨٤هـ)، تصحيح وتعليق: الكتور
ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسيّ،

الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ.

* النوادر، المؤلف: ضياء الدين أبو الرضا

فضل الله بن عليّ الحسنيّ الراونديّ

(ت ٥٧١هـ)، التحقيق: سعيد رضا

عليّ عسكري، الناشر: دار الحديث -

قم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٧هـ.

* نهج البلاغة، المؤلف: أبو الحسن

السيد محمد بن الحسين بن موسى

الموسويّ الهاشمي، الشريف الرضيّ

(ت ٤٠٦هـ)، التحقيق والشرح:

الشيخ محمد عبده، الناشر: دار

الذخائر - قم، الطبعة: الأولى،

١٣١٢هـ.

حرف الواو

* الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح

الدين خليل بن أيك بن عبدالله

الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، التحقيق:

أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى،

الناشر: دار إحياء التراث - بيروت،

عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



دار إحياء التراث العربي

الجوانب التربوية والأخلاقية من شخصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام) واتخاذها أنموذجاً

أ.د. حوراء عباس كرمـاش
جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

الملخص:

إنّ الهدف الأساس من هذا البحث توضيح الجوانب التربوية والأخلاقية من شخصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام) فهو أنموذجاً مهماً في التربية المهدّبة للأفراد، كما هو علّم من أعلام العلم والهداية والإصلاح في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ونشأ وتربى على هدى القرآن المجيد وخلق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) المتجسد في أبيه الكريم خير تجسيد، ولقد بدت آيات الذكاء الخارق والنبوغ المبكر الذي كان ينبىء عن الرعاية الإلهية التي خصّ بها هذا الإمام العظيم منذ نعومة أظافره، وهكذا شخصية جديرة بالاهتمام والبحث والدراسة.

وإنّ البحث الحالي في شخصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قد يتناول جزءاً قليلاً من جوانب معالم شخصيته (عليه السلام) لأنّ هكذا شخصيّة لها أبعاد كثيرة. ويتناول البحث الحالي مبحثين، في المبحث الأول تم البحث في هويته من حيث: اسمه ونسبه ومولده وتسميته وألقابه وكنيته ونشأته وخلافته ووفاته ومدفنه. وفي المبحث الثاني تم البحث في الجوانب التربوية والأخلاقية في شخصيته أنموذجاً. أما أهمية البحث فتتجلّى بالمحاور الآتية:

أولاً- الأهمية النظرية:

- إن البحث يتّجه نحو دراسة شخصية مهمّة وهي شخصية الإمام محمد الباقر عليه السلام والتي تعدّ من الشخصيات الفذة والنادرة، التي تركت آثارها ومواقفها النبيلة والتي تعدّ منارةً يضيء للأجيال طريق الحقيقة، مثل هكذا شخصيّة تستحقّ الاهتمام والتقدير، والبحث والدراسة.

ثانياً- الأهمية التطبيقية العملية:

- تساعد هذه الدراسة الباحثين الذين يرغبون بإجراء دراسات أخرى مُتشابهة ذات علاقة بالموضوع، فتكون الدراسة مصدراً لمعلومات يُمكن أن يُستعان به.



Abstract

Human societies have known influential figures in the lives of peoples and nations, unique and rare figures, whose legacy and noble stances have left a beacon that illuminates the path of truth for generations, figures worthy of attention and appreciation.

The main goal of this research is to clarify the educational and moral aspects in the biography of Imam al-Baqir (peace be upon him), because such a personality deserves attention, research and study, and the analytical method was used.

Research into the personality of Imam Muhammad al-Baqir (peace be upon him) addresses many aspects; Because such a personality has many dimensions. The current research dealt with two chapters. The first chapter investigated his identity in terms of: his name, lineage, birth, designation, titles, nickname, upbringing, succession, death, and burial place. The second chapter investigated the educational and moral aspects of his personality. The importance of the research is evident in the following axes:

First - The theoretical importance:

-The research is heading towards studying an important personality, which is the personality of Imam Muhammad al-Baqir (peace be upon him), who is considered one of the unique and rare personalities, who left his legacy and noble positions and which is considered a beacon that illuminates the path of truth for generations. Such a personality deserves attention and appreciation, research and study.

Second: Practical application importance:

This study helps researchers who want to conduct other similar studies related to the topic, so the study will be a source of information that can be used.



المبحث الأول

سيرة الإمام الباقر (عليه السلام)

- اسمه

محمد الباقر (عليه السلام)، هو ابن زين العابدين وسيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، هو الخامس من سلسلة الأنوار الربّانية المنبعثة من نور النبي الأعظم «محمد» (عليه السلام)، وجدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ النبي الأكرم محمد (عليه السلام)، ويتّصل نسبه إلى إسماعيل بن النبي إبراهيم (عليه السلام).

- ولادته:

ولد الإمام محمد الباقر (عليه السلام) بالمدينة المنورة في الأول من شهر رجب عام ٥٧ هجري حيث فرح بمولده أبوه الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) وأمه فاطمة بنت الإمام الحسن (عليه السلام).^٢
وعاصر الإمام الباقر (عليه السلام) جدّه الإمام السبط الأصغر الحسين بن علي (عليه السلام) وكان عمره في واقعة عاشوراء أربع سنوات.

- نشأته:

نشأ الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في بيت من أعظم بيوتات العرب، هو بيت آل محمد (عليه السلام) مهبط الرسالة ومستقرّ الوحي، وقد حظي الإمام باهتمام بارز من قبل جدّه الإمام الحسين وأبيه الإمام زين العابدين (عليه السلام) وهما يبيّانه للدور القيادي الذي سوف يناط به، ومما لا شك فيه أنّ الإمام الباقر قد عاش في كنف أبيه الإمام علي بن الحسين مدّة خمس وثلاثين سنة إلا شهرين، وقد لازمه وصاحبه طيلة هذه المدّة فلم يفارقه، فأفرغ عليه أشعة من روحه المقدّسة التي أضاءت آفاق هذا الكون، وأفاض عليه ما استقرّ في نفسه من نور النبوة وهدى الرسالة.^٣

وتشير المصادر التاريخية أن الإمام محمد بن علي الباقر قد نهل في مراحل نشأته الأولى من بيت النبوة متمثلاً بشخص جدّه الإمام الحسين سبط النبي الأكرم ﷺ، وقد بيّنت المصادر المدّة الزمنية التي قضاها مع جدّه الإمام الحسين كانت أربع سنين، ومّا يدعم هذا الرأي قول الإمام الباقر ﷺ: «قتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت».

- المميزات الشخصية للإمام الباقر ﷺ

كان من أبرز مميّزاته ﷺ العلم الواسع، وقد برز علمه هذا في فترة انتشار الفلسفة اليونانية وتوسع الناس في المناظرات الكلامية وتعدّد المذاهب الفقهية والمدارس العقائدية ما استدعى بروز شخصيات علمية هامة تحمل على عاتقها مهمة ترسيخ دعائم الفكر الإسلامي الأصيل وتقوية دعائم الفقه الشيعي في مقابل المذاهب المختلفة. فكان تأسيس جامعة أهل البيت ﷺ التي حوت عدداً كبيراً من العلماء حيث كانوا يأتون الى المدينة المنورة من مختلف الأقطار الإسلامية لينهلوا من الإمام الباقر ﷺ علومهم ومعارفهم. وقد قال عطاء وهو أحد كبار علماء العامة يصف الإمام الباقر ﷺ: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم في مجلس أبي جعفر الباقر. لقد رأيت الحكم بن عيينة كأنه عصفور مغلوب لا يملك من أمره شيئاً. ومن مميّزاته أيضاً صلابته في مواجهة الحكّام الأمويّين؛ حيث لم يرضخ لضغوطهم، فأكمل مهمته الإلهية على أكمل وجه. هذا فضلاً عن العبادة والورع والتقوى التي يتحلّى بها أئمة أهل البيت ﷺ.

- زوجاته وأولاده عليه السلام

تزوج الإمام الباقر عليه السلام من أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، فأنجب منها الإمام الصادق وعبد الله، كما تزوج من أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية، فأنجب منها إبراهيم وعبيد الله، وله ثلاثة أولاد آخرون هم: علي وأم سلمة وزينب من بعض إماءته عليه السلام.

- ولايته

بدأت ولاية الإمام الباقر عليه السلام وإمامته الفعلية في عهد الوليد بن عبد الملك الذي شغل عن آل بيت الرسول الأعظم ﷺ طوال فترة حكمه بتصفية أسرة الحجاج بن يوسف التي كانت تمسك بزمام السلطة في عهد أبيه عبد الملك بن مروان.

وجاء من بعده عمر بن عبد العزيز الذي اتسمت مواقفه ببعض الإنصاف تجاه أهل البيت عليه السلام فمنع سب علي عليه السلام من على المنابر وكان بنو أمية قد اتخذوها سنة بأمر من معاوية، ثم جاء من بعده يزيد بن عبد الملك الذي انصرف إلى حياة الترف واللهو والمجون.

- شهادته عليه السلام

استشهد الإمام الباقر عليه السلام علي يد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في ٧ ذو الحجة ١١٤ هجري قمري وكانت مدة إمامته ١٩ سنة ودفن في البقيع بالمدينة المنورة إلى جانب والده الإمام علي بن الحسين وعم أبيه الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

المبحث الثاني

الشواهد التربوية والأخلاقية في شخصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام):

قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم)) ولتحقيق هذا الهدف، ينبغي أن تكون الأسرة لديها المعلومات والبحث الكافي لتربية أولادهم على التربية الصالحة، ينبغي أن تكون الأسرة لديها المعلومات والبحث الكافي لتربية أولادهم على التربية الإسلامية، لهذا يؤكد الإمام الباقر (عليه السلام) على تربية الأولاد وفق منهج القرآن الكريم، ونوضح الآن أبرز الجوانب التربوية والأخلاقية التي لها دور في تربية الأولاد تربية صحيحة.

أولاً- برّ الوالدين وصلة الرحم

وهذا يلزم من الأبناء النبلاء أن يقدّروا فضل آبائهم وأمهاتهم وعظيم إحسانهم ، فيقابلونهم بما يستحقونه من حسن الوفاء وجميل التقدير والاحترام ولطف البرّ والإحسان وسمو الرعاية والتكريم أدبياً ومادياً. وقد عظم القرآن الكريم شأن الأبوين، وحثّ على احترامهما وتقديم الرعاية لهما بل وأوجب ذلك ، حيث قال : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا* ٧ وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* ٨ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا* ٩ ٨.

فقد أعربت هاتان الآيتان عن فضل الوالدين وضرورة مجازاتها بالشكر والعرفان والبرّ والإحسان اللائقين بهما، فأمرت الآية الأولى بشكرهما بعد شكر الله وقرنت الثانية الإحسان إليهما بعبادته تبارك وتعالى.



وعلى هدى القرآن وردت عن الإمام الباقر (عليه السلام) رواية نقلها عنه محمد بن مسلم الطائفي قال فيها : ثلاث لم يجعل الله تعالى فيهنّ رخصة : أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين بارّين كانا أو فاجرين^٩.

وفي طليعة المبادئ الخلقية التي فرضتها الشريعة الإسلامية وأكّدت عليها أيضاً صلة الرحم ، بالتودّد إليهم والعطف عليهم وإسداء العون المادي لهم ودفع المكاره والشرور عنهم ومواساتهم في الأفراح والأحزان ، روى زرارة بن أعين عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : صلة الرحم تزكي وتنمي الأموال ، وتدفع البلوى وتيسّر الحساب^{١٠}.

وفي رواية تفسيرية أخرى يجمع الإمام الباقر (عليه السلام) فيها بين برّ الوالدين وصلة الرحم ناقلاً لحديث جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقد ورد عن جابر الجعفي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾^{١١} .
عن الإمام (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : برّ الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية^{١٢}.

والأحاديث الشريفة التي تحمل هذا المعنى كثيرة جداً ، منها : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أي العمل أحب إلى الله؟ قال : الصلاة في وقتها. قلت : ثم أي؟ قال : برّ الوالدين. قلت : ثم أي؟ قال : الجهاد في سبيل الله.

وعن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : من سرّه أن يمدّ له في عمره ، ويوسّع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتقّ الله ، وليصل رحمه. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده والبخاري بإسناد جيّد والحاكم^{١٣}.

إذن برّ الوالدين وصلة الرحم من أهم الجوانب التربوية والخلقية الواجب مراعاتها لما لها من أثر بالغ في إسعاد الأبوين والأقرباء وتكون بذلك مدعاة لحبّهم وفخرهم وهي توصل الفرد إلى وفرة من المال وزكاة الأعمال الصالحة في الرصيد الأخروي ومنجاة من صروف الأقدار والبلايا، فإذا ما اتّخذ البرّ والصلة منهجاً تربوياً يومياً سعد بذلك الفرد فالمجتمع، وسعادة المجتمع تعني انتشار الفضيلة بين طبقاته، ومن ثم الفوز الديني والأخروي بإذن الله تعالى.

ثانياً: الحلم وكظم الغيظ

وهما ضبط النفس إزاء مثيرات الغضب، وهما أشرف السجايا وأعز الخصال ودليان على سمو النفس وكرم الأخلاق.

وقد مدح الله العلماء والكاظمين الغيظ، وأثنى عليهم في قوله تعالى: ﴿... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾^{١٤} وفي قوله تعالى ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^{١٥}. وعلى هذا النسق جاءت توجيهات الإمام الباقر (عليه السلام)، فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^{١٦} عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله تبارك وتعالى يبغض اللعان، السباب، الطعان على المؤمنين، المتفحش، السائل الملحف ويحب الحيي، الحليم، المتعفف^{١٧}.

وأيد الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ) بقاء هذه الآية على عمومها وأنه لا حاجة إلى التخصيص وعده هو القول الأقوى - أي تفسير الإمام الباقر المتقدم - واستدلّ عليه بما يعضده من آيات قرآنية كريمة أخرى، فقال: إن موسى وهارون (عليهما السلام) مع جلال منصبهما أمرا بالرفق

واللين مع فرعون ، وكذلك رسول الله محمد ﷺ مأمور بالرفق وترك الغلظة وكذلك قوله تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^{١٨} وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^{١٩}.

ثالثاً: الحث على الصدقة والترغيب فيها

ورد فيه عن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه، أو فصيله حتى تكون مثل أحد^{٢١}.

ولقد أكد وبين الإمام الباقر عليه السلام هذا النهج القويم في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ ... ﴾^{٢٢} فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال الله وكّلت بالأشياء غيري إلا الصدقة ، فإني أقبضها بيدي حتى إن الرجل والمرأة يصدّق بشقة التمرة فأربيها له كما يربي الرجل منكم فصيله وفلوه ، حتى أتركها يوم القيامة أعظم من أحد^{٢٣}.

رابعاً: القناعة ومحاسنها

القناعة: هي الاكتفاء من المال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام فيما زاد على ذلك^{٢٤}. وهي صفة كريمة تعرب عن عزة النفس وشرف الوجدان وكرم الأخلاق، قال الإمام الباقر عليه السلام: من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس^{٢٥}.

وقال أيضاً في وصاياه الأخلاقية : إياك أن يطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾^{٢٦}. وقال تعالى ﴿ لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^{٢٧}.

فإن دخلك من ذلك شيء، فاذا ذكر عيش رسول الله ﷺ ، فإنها كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوفه السعف إذا وجده^{٢٨}.

وللقناعة أهمية كبرى وأثر بالغ في حياة الإنسان وتحقيق سعادته النفسية والجسمية، فهي تحرّره من عبودية المال، واسترقاق الحرص، والطمع، وعنائهما المرهق، وترسخ فيه روح العزّة والكرامة، والعفة والقناعة، وهي بعد كل هذا تمدّ صاحبها ببقطة روحية، وبصيرة نافذة، وتحفّزه على التأهب للأخرة بالأعمال الصالحة وتوفير بواعث السعادة فيه.

خامساً- الرياء وأقسامه

الرياء : هو طلب الجاه والرفعة في نفوس الناس، بمראה أعمال الخير وهو من أسوء الخصال وأفظع الجرائم^{٢٩}، وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمّه والتحذير منه، ويحدث الرياء بسبب قيام بعض الأفراد بأي فعلٍ كان رياءً؛ حتى يحصل بسببه على مدح الناس وعلى مكانة في قلوبهم ويريد أن يرونه أو يسمعون به ويقولون عنه بأنه فعل خيراً، ولا يريد بهذا العمل مرضاة الله عز وجل، وفي هذه الحالة لا يكون صادقاً مع الله سبحانه بفعله ولا تكون نيّته خالصة لله تعالى، فهنا أصبح هذا فعله لغير الله سبحانه، وهنا أشرك بالله بفعله وبعمله هذا. ويوجد كثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال أهل البيت عليهم السلام فيها تأكيد على النهي والابتعاد والتحذير من آفة الرياء؛ لما فيه من خطورة على الإنسان المسلم، وهذه الخطورة تتجسّد بفساد وإبطال فعل الخير إذا كان الشخص يرائي فيه، ويذهب به بثوابه ويصبح هباءً منثوراً، وما ورد من الآيات القرآنية في القرآن الكريم التي تحثنا على الابتعاد عن هذا الفعل الدنيء والتحذير منه وعدم إشراك، أي شيء مع الله تعالى في العمل؛ لأنه سبحانه يعلم ما في داخل قلب الإنسان المرائي حتى ولو أخفى رياءه عن الناس ويبين لهم أنه لا يرائي بعمله، ولكنه على العكس من ذلك يريد أن يرى فعله الناس حتى يحظى بقبولهم ويكون معروفاً عندهم بالسمعة والسيرة الحسنة، ولا يريد

بالعمل أن يكون خالصاً لله تعالى، إذ إنَّه قال الله سبحانه عن الذين يفعلون الخير رياءً: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^{٣٠}، وكذلك وَضَحَ الرسول الأعظم ﷺ لنا خطره ووصفه بالشرك الأصغر، أي: (إن من يفعل الخير رياءً أمام الناس فقد أشرك مع الله تعالى سواء كان يعلم بذلك أنه شرك أو لا يعلم)، كما روي عن النبي ﷺ، إذ إنَّه قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء،...)،^{٣١} وكذلك نجد هذا التحذير في ما روي عن أبي عبد الله عن أبيه ﷺ قال: قال الإمام علي عليه السلام: واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة^{٣٢}، وكذلك إن الإمام الصادق عليه السلام بيَّن لنا حقيقة الرياء إذ إنَّه قال: (كلُّ رياء شرك)^{٣٣}.

ويعدّ الرياء خلقاً ذمياً، وهو من صفات المنافقين، قال تعالى في وصف المنافقين ﴿يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^{٣٤}، وقال تعالى ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾^{٣٥}، ويمكن أن نلخص أقسامه بما يلي:

١ - الرياء بالعقيدة (النفاق): يتم ذلك بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر، وهذا هو النفاق وهو أشدّها منكراً وخطراً على المسلمين، لخفاء كيده وتستره بظلام النفاق.

٢ - الرياء بالعبادة مع صحة العقيدة: وذلك بممارسة العبادات أمام ملاء الناس مراعاة لهم وتركها في الخلوة والسرّ، كالتظاهر بالصلاة والصيام وإطالة الركوع والسجود والتأني بالقراءة والأذكار وارتداد المساجد وشهود الجماعة، ونحوها من صور الرياء، في صميم العبادة أو مكملاتها، وهنا يغدو المرائي أشدّ إثماً من تارك العبادة، لاستخفافه بالله عز وجل، وخداعه الناس.

٣ - الرياء بالأفعال: كالتظاهر بالخشوع، وتطويل اللحية، ووسم الجبهة بأثر السجود، وارتداء الملابس الخشنة ونحوه من مظاهر الزهد.

٤ - الرياء بالأقوال : ومنه الرياء في النصيح والوعظ والإرشاد، وتعمّد ذكر الله تعالى أمام الناس، وإظهار الحزن والأسف على ارتكاب الناس للمعاصي والذنوب والمنكرات، وإظهار العلم أمام الناس^{٣٦}.

وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في التحذير من الرياء وعده شركاً صريحاً بالله تعالى، في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^{٣٧}، في رواية زياد بن المنذر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : من صلّى مراعاة للناس فهو مشرك ، ومن زكّى مراعاة الناس فهو مشرك ، ومن صام مراعاة الناس فهو مشرك ومن حجّ مراعاة الناس فهو مشرك ومن عمل عملاً ممّا أمر الله به مراعاة الناس فهو مشرك ولا يقبل الله عمل مراعاة^{٣٨}.

وفي رواية للإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) رواها زرارة وحران ابنا أعين عنه أنه قال: لو أن عبداً عمل عملاً يطلب به رحمة الله والدار الآخرة ثم أدخل فيه رضا أحد من الناس كان مشركاً^{٣٩}.

وعلى ضوء ذلك نلاحظ إن الإمام (عليه السلام) ينهانا عن الرياء في العمل الذي نعمله، وكذلك يبين لنا (عليه السلام) أنه من الصفات الذميمة التي لا يقبلها الله تعالى وأن الإمام (عليه السلام) لا يريد أن نفعل الخير رياءً، سواء كان هذا الفعل في العبادات؛ كالصوم والصلاة، أو في التعامل مع الآخرين؛ كمساعدة الفقراء أو التكلّم مع الناس بكلام طيّب وغيرها من الأشكال الخاصة بالرياء.

فهكذا نرى أنّ الإمام الباقر (عليه السلام) يوجّه أنظار المسلمين إلى ابتغاء مرضاة الله تبارك تعالى في جميع عباداتهم ومعاملاتهم باعتبار أن أي عمل عبادي يدخله شيء من العجب والمراعاة عدّ ذلك العمل نفاقاً استوجب صاحبه أن يسمّى مشركاً.

سادساً- النجوى وأنواعها:

يقصد بالنجوى: الكلام في صوت خافت، فإذا كانت النجوى فإنها لا تكون علنية، بل قوام النجوى هو السرّ والخفاء يقال: تناجى القوم تسارّوا، والنجوى: السرّ. وليس للنجوى معنى واحد أو وجه واحد، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الممدوح، وبمعنى المذموم. ويمكن أن تكون مرتبطة بأمرٍ سلبيٍّ أو بأمرٍ إيجابيٍّ. فعندما تكون بالأمر الإيجابي ذلك من صفات الأنبياء الذين وصفهم الله أنهم يناجون ربهم، واتخذهم رب العالمين له، ومثاله في قول الله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^{٤٠}.

وأصل النجاء: الانفصال من الشيء^{٤١}، أي يمكن أن ينفصل الشخص عن مجموعة لأمر جيد أو لأمر فيه شرّ.

فعندما تكون «النجوى» بالمعنى الإيجابي، بالإضافة لما عرضناه من كتاب الله عز وجل من أن النجوى قد تكون بين العبد وربّه، فقد ورد عن عبد الرحمن بن سيابة والأجلح جميعاً، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رسول الله ﷺ لما خلا بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الطائف، أتاه عمر بن الخطاب، فقال: أتناجيه دوننا، وتخلو به دوننا؟ فقال: «يا عمر، ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه»^{٤٢}.

ويمكن ملاحظة أمر مهمّ وهي أن: مناجاة النبي ﷺ للإمام علي (عليه السلام) تتضمن إشارة عملية إلى أنه (عليه السلام) هو صاحب سرّ النبي ﷺ دون سائر الناس، بل إن النبي ﷺ أعلن: أن ثمة أمراً إلهياً بهذه النجوى، بل هو ﷺ قام بالإعلان عن أن الإمام علياً (عليه السلام) هو موضع سرّ الله تبارك وتعالى مباشرة، لأنه قال: بل الله انتجاه.

ويمكن أن نستدل من هذه الرواية وفي خصوص العبارة التي وردت في نصّ الزيارة: «السلام عليكم يا أهل النجوى».

أ - إن الإمام علي عليه السلام هو من خصوص الذين انتجاهم الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وآله ولحفظ سرّه، وبالتالي فإن ما كان لأمر المؤمنين عليه السلام هو للأئمة عليه السلام من بعده، فهم حفظة سرّ النبي صلى الله عليه وآله، وخزنة علمه.

ب - إن الأئمة عليه السلام هم المصطفون من الله عز وجل، ودليله ما ورد في العبارة المذكورة في الزيارة «السلام عليكم يا أهل الصفوة»، والاصطفاء يستتبعه أن يكونوا هم أهلاً لكي يكونوا موقع النجوى من الله عز وجل. نستنتج من ذلك أن الأئمة عليه السلام يؤدّون النجوى الإيجابية فهم:

- ١ - هم المنتجبون من الله.
 - ٢ - هم حفظة سر الرسول صلى الله عليه وآله من بعده، ولا يمكن لأي أحد أن يدّعي أن أسرار الله عليه السلام عند سواهم.
 - ٣ - هم من يناجون الله سرّاً، وذلك لشدة قربهم منه عز وجل.
 - ٤ - هم أهل لهذه النجوى مع الله دون غيرهم، وذلك ما وصفتهم بها العبارة في الزيارة، ولا أحد غيرهم.
 - ٥ - وهم مطلّعون على نجوى العباد في حال أنهم توجّهوا بنجواهم لهم، فهم مطلّعون، وسامعون، ويعلمون بمناجاتنا لهم.
- أما النجوى بالمعنى السلبي هي: المسارّة، بأن يُسرّ الإنسان في أذن صاحبه كلاماً، ويخفضان الصوت، هذه هي المسارّة، وقد يتوهم الناظر إليهما أنهما يريدان به، ومصدر هذه النجوى هو الشيطان، يعني: يصدر هذا الفعل من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه، وهي القيل والقال، فهو الذي يزيّن لهم ذلك.

وقد روى زياد بن المنذر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إن الله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقليل: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^{٤٣}.

ويمكن تفسير الآية بـ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي إتيانها من عمل الشيطان، وإن طبيعة هذا العمل هي طبيعة شيطانية، وهنا يتجلى ويتضح لنا أكثر - نوعاً ما - مفهوم الشيطان أيضاً. وعلى سبيل المثال: قد يجلس البعض في جمع، وبينما هم يتحدثون، يشرع اثنان منهم بالنجوى والهمس في الأذن، وهذا ما يُحزن الآخرين ويجعلهم يسيئون الظن فيما يقولانه، إلى درجة أنهم يعتقدون بأنهما يحكيان مؤامرة ضد أحدهما أو بما يسوءه؛ ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ فالأمر لا يعني أنهم إذا تناجوا وتهامسوا فإن جذور المؤمنين ستجث من الأساس، بل تناجوا أيها المنافقون ما شئتم! إن الله تعالى ينهى عن النجوى حتى لا يُرتكب عملٌ منافٍ للأخلاق، لا أن المؤمنين سيلحق بهم الأذى والضرر، بل مصيرهم (أصحاب النجوى) إلى جهنم هم ومناجاتهم! ﴿وَلَيْسَ بِضَارٍّ هُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فكل ما في العالم وكل قوانينه وقواعده هي بإذن الله ولا يمكن نقضها إلا بإذنه، ولهذا يأتي الله تعالى أحياناً على ذكر «إِذْنِ اللَّهِ»، وقد أتى على ذكره هنا أيضاً، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ويجب عليهم ألا يخافوا من هذه الظواهر والأحداث التي تقع، والتي تُحزّنهم وتُنم عن مؤامرة الأعداء. فلنفترض أن اثنين من المنافقين جلسا ليتهامسا وقد دبّرا كذلك مؤامرة ضد المؤمنين، فهل سيلحق بالمؤمنين ضررٌ حتميٌّ من هذه الناحية؟ كلا. وجاء في زاد المسير وغيره في معنى النجوى: ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان سرّاً كان أو ظاهراً^{٤٤}.

وقال سيّد قطب: لقد تكرر في القرآن النهي عن النجوى السلبية، وهي أن تجتمع طائفة بعيداً عن الجماعة الإسلامية، لتبثّ أمراً... وكان اتّجاه التربية الإسلامية واتّجاه التنظيم الإسلامي كذلك أن يأتي كل أناس بمشكلته أو بموضوعه، فيعرضه على النبي ﷺ مسارة إن كان أمراً

شخصياً لا يريد أن يشيع عنه شيء بين الناس، أو مساءلة علنية إن كان من الموضوعات ذات الصبغة العامة^{٤٥}.

يقول الشيخ محمود شلتوت : إن هذه الآية تقرّر أنّ أكثر ما يتناجى به الناس فيما يتّصل بغيرهم شرٌّ لا خير فيه، ذلك بأنّ النفوس مجبولة على محبة إظهار الخير والتحدّث به في الملاء والعلانية ومجبولة على إخفاء الشرّ وكنهانه، وقلماً يكتُم الناس حديثاً يتعلّق بغيرهم ويكون خيراً كله ، وقلماً يذيعون حديثاً يتعلّق بغيرهم ويكون شرّاً كلّهُ...^{٤٦}.

وأخيراً عند عرضنا لآراء المفسرين في تفسير الآية تبين أن الإمام الباقر (عليه السلام) لم يشذ تفسيره عن تفاسيرهم، فقد أراد أن يلفت الناس إلى بعض عناصر هذا النوع من التجوى السلبية وهو القيل والقال، أي: صرفه في غير موضعه - وكثرة السؤال التي تؤدي إلى الخصومة والتنافر بنفي الخير عنها ليعرفوا ما لهذه العناصر من آثار سيئة، ويحذروا من عواقبها الوخيمة ليتسنى للمجتمع أن يرقى إلى مصاف الفضيلة وتقديم الجانب الأخلاقي وصقله عند الفرد المسلم.

سابعاً- التآخي والتآلف بين المسلمين

كان العصر الجاهلي مسرحاً للمآسي والأرزاء في مختلف مجالاته ونواحيه الفكرية والمادية، وكان من أبشع مآسيه ذلك التسيّب الخلقى والفوضى المدمّرة ممّا صيّرهم يارسون التنافر والتناحر والفتك والنهب والسلب. فلما أشرق نور الإسلام، استطاع بمبادئه الخالدة ودستوره العظيم أن يداوي تلك الأمراض ويكافح تلك الانحرافات في العقيدة والسلوك، فانشأ بعد ذلك ﴿ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^٧ علماً وأخلاقاً، فتلاشت تلك المفاهيم الجاهلية، وخلفتها المبادئ الإسلامية السامية، وراح رسول

الله ﷺ يبني أمة مثالية تبرز الأمم نظاماً وأخلاقاً وكمالاً .. وكلما سار المسلمون أشواطاً تحت راية القرآن وقيادة الرسول ﷺ توغّلوا في معارج الكمال حتى حقّقوا مبدأ المؤاخاة بما لم يشهد له التاريخ الإنساني مثيلاً، وغدا المسلمون أمة واحدة مرصوفة الصف لا تفرّقهم النعرات القبلية والفوارق الاجتماعية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^{٤٨}. وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^{٤٩}.

وصبّ الإمام الباقر عليه السلام هذه القواعد الأخلاقية والأسس التربوية في قوالب متعدّدة، فمرة يوجّه أنظار المسلمين لما في التآخي والألفة من تعميق للأواصر الاجتماعية على شكل وصية أخلاقية، ومرة أخرى يحذّره من التنافر والتخاصم على شكل تفسير لآية قرآنية، وإليك هذا النموذج التفسيري: ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ...﴾^{٥٠} أنه قال: إن الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهما عن ذنبه فإذا فعلاً ذلك استلقى على قفاه ومدّ يديه وقال فزت، فرحم الله امرءاً ألف بين وليّين لنا، يا معشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا^{٥١}.

وعن جابر الجعفي عنه أنه قال: إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً، فانظر إلى قلبك فإذا كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففبك خير، والله يحبّك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ^{٥٢}.

وإذا ما أردنا أن نتلمّس صورة حية للتآخي الروحي الإسلامي نجده واضحاً جليّاً في المسلمين الأوائل من مهاجرين وأنصار، فالرسول الكريم ﷺ ومعه تلك الثلة المباركة القليلة العدد في أول الدعوة من صحابته الكرام استطاع بدينه العظيم أن يحطّم أسطورة الإمبراطوريتين

العالميتين آنذاك ، وما كان ذلك ليكون لولا وجود أهم ركيزة من ركائز ذلك الانتصار والرحف المبارك ألا وهو التأخي والمودة الروحانيين فما أجدر المسلمين اليوم بأن يتحلوا بهما لتأزم الموقف وخطورة المعطيات.

ثامناً- أدب دخول البيوت

يذكر آداب الاستئذان قبل الدخول للبيوت بمعناه العام والخاص، ومن جملة تلك الآداب أدب دخول البيوت. ففي قوله تعالى: ﴿... فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾^{٥٣}، عن أبي الصباح وزيد بن المنذر قالاً: سألنا أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿... فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، فقال: هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل عليهم ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم، وإن لم يكن فيه أحد فليقل: السلام علينا من ربنا^{٥٤}.

تاسعاً- الأمانة ومحاسنها

الأمانة: هي أداء ما أؤتمن عليه الإنسان من الحقوق، وهي بالضد من الخيانة، وهي من أنبل الصفات وأشرف الفضائل، بها يحرز المرء الثقة والإعجاب وينال الشرف والسؤدد. وكفاها شرفاً أن الله تبارك وتعالى مدح المتحلين بها، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^{٥٥} وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^{٥٦}. ولبدأ الأمانة أثر بالغ في حياة الأمم والأفراد، فهي نظام أعمالهم وقوام شؤونهم وعماد نبلمهم وشرفهم وسبيل رقيهم المادي والأدبي، ومن البديهي أن من تحلى بالأمانة كان مشار التقدير والإعجاب وحاز ثقة الناس واعتزازهم وشاركهم في أموالهم، ويصدق ذلك على الأمم عامة، فإن حياتها لا تسمو ولا تزدهر إلا في محيط تسوده الثقة والأمانة.

وكان رمز الأمانة وعنوانها وحامل لواءها رسول الله ﷺ قبل النبوة في تلقيه من قبل عامة الناس بالصادق الأمين ، وبعد النبوة في اجتماع خصال الفضل فيه وانحياز النبل إليه ، فقد حاربه كفار قريش وعتاتها في مكة وأذاقوا أصحابه أصناف العذاب، وأطلقوا عليه سيلاً من الأسماء المفتريات كساحر ومجنون ولكنهم على الرغم من ذلك كله، كانوا إذا أرادوا أن يأتمنوا أحداً على أموالهم أو دعوها عنده ، فكان بحق كما وصفه ربّه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^{٥٧}.

ومما أثر عن الإمام الباقر عليه السلام في هذا المجال ، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾^{٥٨} عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : إنها في كل من أوّمن أمانة من الأمانات ، وأمانات الله وأمره ونواهيهِ وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من مال وغيره^{٥٩}.

ونقل الشيخ الطوسي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة، ويكون الأمر للأمر بأداء الأمانة من الغنائم والصدقات وغير ذلك مما يتعلّق به حق الرعية^{٦٠}.

ومن أنواع الأمانات ، أمانة التعامل مع الناس ، وردّ أماناتهم إليهم: أمانة المعاملات والودائع المادية ، وأمانة النصيحة للراعي والرعية ... وسائر ما يجلوّه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل مجالي الحياة على وجه الإجمال.

التوصيات:

من خلال البحث نوصي بما يأتي:

- نشر الوعي الديني والثقافي بين أبناء المجتمع من خلال أقوال الإمام

محمد الباقر عليه السلام

- نشر أفكار وأراء الإمام عليه السلام في المناهج الدراسية.

- على كل الآباء والتربويين والمرشدين الانتباه إلى شخصية الإمام عليه السلام

والسير منهجها واتخاذها قدوة لأن الإمام يمثل تطلعاً جديداً في العطاء العام للقيادة الإسلامية التي تقود الأمة نحو الهدف الأسمى والأكمل.

- غرس القيم الأخلاقية والمبادئ التربوية التي دعا لها الإمام الباقر عليه السلام

في الجيل الجديد والتحلي بهذه الصفات من خلال الدروس الأخلاقية.

المقترحات: من خلال البحث نقترح إجراء الدراسات الآتية:

- الفلسفة التربوية للإمام الباقر عليه السلام.

- الأفكار التربوية والنفسية للإمام الباقر عليه السلام.

- التوازن النفسي للإمام الباقر عليه السلام.



الشيخ محمد الباقر

- ١- القرشي، حياة الإمام محمد الباقر، ١٤٣٠، ٢٣.
- ٢- القرشي، حياة الإمام محمد الباقر، ١٤٣٠، ٢٦.
- ٣- العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١٤٠٤، ٤٥.
- ٤- العاملي، وسائل الشيعة، ١٤١٦، ١٨٨.
- ٥- الذهبي، ميزان الاعتدال، ١٤٢٠، ٨٤.
- ٦- المصدر السابق نفسه.
- ٧- لقمان / ١٤ - ١٥.
- ٨- الإسراء / ٢٣ - ٢٤.
- ٩- الوافي، الفيض الكاشاني، ٣ / ٩٣.
- ١٠- المصدر نفسه، ٣ / ٩٤.
- ١١- الرعد / ٢١.
- ١٢- مجمع البيان، الطبرسي، ٦ / ٢٨٩.
- ١٣- الوافي، الفيض الكاشاني، ٣ / ٩٣.
- ١٤- الفرقان / ٦٣.
- ١٥- آل عمران / ١٣٤.
- ١٦- البقرة / ٨٣.
- ١٧- المجلسي، بحار الأنوار، ٧ / ١٠٨.
- ١٨- النحل / ١٢٥.
- ١٩- الأعراف / ١٩٩.
- ٢٠- التفسير الكبير، الرازي، ٣ / ١٨٠.
- ٢١- ابن كثير، ١ / ٥٨٤ - ٥٨٥.
- ٢٢- البقرة / ٢٧٦.
- ٢٣- الفيض الكاشاني، ١ / ٢٣١.
- ٢٤- موعظة المؤمنين، القاسمي، ٢ / ٢٤٤.
- ٢٥- الوافي، الفيض الكاشاني، ٣ / ٧٩.
- ٢٦- التوبة / ٥٥.
- ٢٧- الحجر / ٨٨.
- ٢٨- الوافي، الفيض الكاشاني، ٣ / ٨٧.
- ٢٩- الأخلاق، عبد الله شبر، ١٥٧.
- ٣٠- الانفال / ٤٧.
- ٣١- لب الباب في طهارة أهل الكتاب، اللنگرودي، ص ٥٢.

- ٣٢ - جامع السعادات، النراقي، ج٢، ص ٥٠٠.
- ٣٣ - المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الكاشاني، ج٦، ص ١٤٦.
- ٣٤ - النساء / ١٤٢.
- ٣٥ - البقرة / ٢٦٤.
- ٣٦ - موعظة المؤمنين، القاسمي، ٢٦٦.
- ٣٧ - الكهف / ١١٠.
- ٣٨ - تفسير القرآن، القمي، ٢ / ٤٦.
- ٣٩ - تفسير العياشي، العياشي، ٢ / ٤٦.
- ٤٠ - سورة مريم / آية ٥٢.
- ٤١ - الفيض الكاشاني، ٢ / ١٨٦.
- ٤٢ - نفس المصدر السابق.
- ٤٣ - المجادلة: ١٠.
- ٤٤ - نفس المصدر السابق.
- ٤٥ - في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢ / ٢٢٦.
- ٤٦ - تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، الشيخ محمود شلتوت، ٢٢٧ - ٢٢٨.
- ٤٧ - آل عمران / ١١٠.
- ٤٨ - الحجرات / ١٣.
- ٤٩ - الحجرات / ١٠.
- ٥٠ - الأنفال / ١.
- ٥١ - قلائد الدرر الشيخ الجزائري، ٢ / ٢٩٩.
- ٥٢ - علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ١١٧.
- ٥٣ - النور / ٦١.
- ٥٤ - الفيض الكاشاني، ٢ / ١٨٣.
- ٥٥ - المؤمنون / ٨.
- ٥٦ - الأنفال / ٢٧.
- ٥٧ - القلم / ٤.
- ٥٨ - النساء / ٥٨.
- ٥٩ - مجمع البيان، الطبرسي، ٦ / ٢٨٩.
- ٦٠ - التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٥ / ٢٣٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

* ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي، زاد المسير، ط ١، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
* الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم - إيران، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ط ١٤١٦ هـ.
* الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، قم - إيران، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ط ١٤١٣ هـ.

* الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.

* الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ط ١، المطبعة البهية، مصر، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.

* سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٥، مطبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧ م.
* شبر، السيد عبد الله، الأخلاق، تحقيق: جواد شبر، ط ١، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٣ هـ.

* العاملي، يوسف بن حاتم، الدر النظيم في مناقب الأئمة (عليهم السلام)، قم - إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩ هـ.

* العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٧١ هـ.

* شلتوت، الشيخ محمود، تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، ط ٤، مطبعة دار العلم، القاهرة، ١٩٦٦ م.
* الصدوق، محمد بن علي، علل

الشرائع، مطبعة النجف، العراق (د.ت).

* الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
* الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٨٦ هـ / ١٩٥٧ م.
* العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، بيروت - لبنان، الناشر: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

* القرشي، باقر شريف، حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، تحقيق: مهدي باقر شريف القرشي، دار المعروف، ط ١، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

* النغرودي، محمد حسن، لب الباب في طهارة أهل الكتاب، مؤسسة أنصاري، قم، إيران.

* الكاشاني، المولى محسن الفيض، الوافي، طبع حجر، قم، ١٣٢٣ هـ.
* الكاشاني، المولى محسن الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج ٦، قم.

* الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.

* المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، بيروت - لبنان، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

* النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج ٢، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق.

احترام المؤمن وحرمة ووجوب ستر عيوبه

دراسة في المفاهيم وعقوبات المخالفين وآثارها الاجتماعية في المأثور عن الإمام الباقر عليه السلام

الشيخ محمد علي الصالح
الحوزة العلمية / النجف الاشرف

ملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفى الأمين سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين. إن الله عز وجل شرف المؤمن، وعظم مقامه، وأحاطه بحدود لم يسمح للآخرين بتعديها وتجاوزها، فأمر بصيانتة في نفسه وعرضه وماله، في حضوره وغيبته، بالقول أو الفعل أو الإشارة، وقد وردت الأوامر بهذه الجوانب في الآيات والروايات الشريفة، وأكدت عليها أيما تأكيد، حتى وصل الحال في بعضها إلى سلب الإيمان أو الإسلام من الهاتك للحرمة والمتعدي عليها، وقد كان للإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) اهتمام كبير - كغيره من أهل بيت العصمة عليه السلام - في بيان حدود حرمة المؤمن والذنوب والأفعال والأقوال التي تندرج فيها أو تؤول إليها، كما حث عليه على الأمور التي تحفظ كرامة المؤمن وتصونها وتوجب أداء الحقوق المتعلقة به اتجاه الآخرين.



ولما كان التعدي على المؤمن مذموماً ومنهياً عنه، فلا شك أن فعله يستتبع أثراً، ويستحق فاعله أو قائله إثماً وذنباً، ولكل واحد من هذه الذنوب عقوبة أو جزاء وآثار وتوابع سيئة، كما أنه يستحق الصائن لها الأجر والثواب والآثار الطيبة في الحياة الدنيا والآخرة، وحيث كان من أنفع أساليب التربية والتهذيب هو المعرفة والعلم بحقائق الأشياء وحدودها، والتعرّف على الثواب والعقاب المترتب على تلك الأفعال والأقوال لما في ذلك من نفع كبير في الترغيب في الخير والردع عن الشر؛ كانت هذه دراسة مختصرة في بيان المفاهيم المرتبطة بحقوق المؤمن وحرمة، وما يترتب عليها من آثار نافعة وضارة في الدارين، مع تحليلها وتوظيفها بما يرتبط بمجتمعاتنا وعلاقات الفرد مع الآخرين، في ضوء ما رشح لنا من أنوار الإمام الباقر (عليه السلام).



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفى الأمين سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين. الإسلام دين الله جلّ وعلا، وهو دين عامّ لكلّ الخلق بمختلف أصنافهم ولغاتهم وأماكنهم، وكذلك هو شامل كلّ زمان، فلا يقتصر على زمان نزول القرآن أو بعثة الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، وهو الدين الخاتم، وليس فيه نقص أو خلل، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^١، كما أنّه يعمّ جميع شؤون الحياة ممّا يتعلّق بالإنسان نفسه وما يرتبط به مع غيره من أفراد أو مجتمع أو غيرهما.

وقد كرّم الله بني آدم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^٢، وخاصّة المسلم والمؤمن فقد أكّدت الشريعة على حفظ كرامتهما وحرمتها وعدم التعديّ عليهما، ومن ذلك أن لا يتجاوز بظلم أو غيبة أو بهتان أو طعن أو وشاية ونحو ذلك، ولشدّة اهتمام الشريعة بذلك فقد وردت النصوص الكثيرة في هذا الشأن منها ما يبيّن حرمة أو كراهة هذه الأفعال والأقوال، ومنها ما يبيّن العقوبة المترتبة عليها، ومنها ما يبيّن العواقب والآثار المتعقبة على ارتكاب هذه الأمور، وفي مقابل ذلك بيّنت هذه النصوص أو غيرها الثواب والأجر على حفظ كرامة المؤمن ومراعاة حقوقه، وأيضاً الآثار الطيّبة والإيجابيّة على فعل هذه الأمور.

وفي هذا البحث نقتصر على ما ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه)، وربّما نقلنا بعض الآيات الشريفة أو كلام غيره من المعصومين عليه السلام كمؤيّدات وشواهد في المطالب، ونبيّن

أثر الإمام عليه السلام في احترام المؤمن وحرمة ووجوب ستر عيوبه، وستكون هذه دراسة في المفاهيم وعقوبات المخالفين وآثارها الاجتماعية في المأثور عنه عليه السلام بشكل موجز بما يتناسب مع هذا المؤتمر المبارك ببركة الأئمة الاثني عشر الأطهار عليهم السلام، وبجوار ورعاية العتبة العباسية المطهرة.

وقد رتب هذا البحث -إضافة للمقدمة- على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المفاهيم محل البحث وحدودها

المبحث الثاني: ما ورد في حرمة المؤمن وعدم جواز هتك ستره وتبعية عثراته.

المبحث الثالث: العقوبات الإلهية للمتعدّين على حرمة المؤمن.

المبحث الرابع: الآثار الاجتماعية للتعدّي على المؤمن.

المبحث الخامس: الآثار الطبية لستر المؤمن وحفظ حرمة.

أسأل الله تعالى أن أكون موفقاً في هذه الدراسة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا المصطفى وآله الطاهرين.



المبحث الأول:

في تعريف المفاهيم محلّ البحث وحدودها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التربية

التربية: لغة من تَرَبَّه، ورَبَّاه تربية: أَحَسَنَ القيام عليه.^٣

وإصطلاحاً هي عادة، أي فعل الشيء الواحد مراراً.

وقيل: التربية عملية تنشئة اجتماعية للفرد لتعويده بعض العادات والقيم السائدة في المجتمع وإكسابه المعلومات والمعارف الموجودة في المجتمع.^٤ وعُرِّفت أيضاً بأنها ما تضافي على الجسم والنفس كلّ جمال وكمال ممكن لها، وقيل: هي التي تبني خلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل، وتنمّي فيه جميع الفضائل التي تصونه من الرذائل، وتمكّنه من مجاوزة ذاته بالتعاون مع أقرانه على فعل الخير. وقيل: هي مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتّى يبلغ أقصى كمالاته المادّيّة والروحيّة في إطار المجتمع الذي يعيش فيه، وقيل: هي الحياة وهي عمليّة تكيف بين الفرد وبيئته.^٥

والتربية ضرورة من ضروريّات الحياة، وشأن أصيل من شؤون الإنسان بها يكسب مقوماته النفسيّة، والاجتماعيّة، وبها يتحقّق امتيازه عن سائر الحيوانات، فهي ضرورة للفرد والمجتمع على حدّ سواء.^٦

إنّ مفهوم التربية بالمعنى العامّ يشمل جميع أنواع النشاطات التي تؤثر في تنمية الفرد واستعداداته وسلوكه، ولا يختصّ ذلك بما يقوم به الفرد من إعداد لنفسه، أو بما يقوم به الغير لتنمية قدرته، بل يشمل مفهوم التربية ما هو أكثر من ذلك؛ إذ يحوي كلّ تعديل وتهذيب للأخلاق والسلوك، ويحوي كلّ ما يتمّ بطريق غير مباشر كالقوانين السائدة ونظام الحكم، وأنماط المعيشة، والتقاليد، والعادات الاجتماعيّة، والأنظمة المتّبعة في العرف وغيرها.

فهذه العوامل غير المباشرة تؤثر في التربية، كما تؤثر فيها البيئة الماديّة، والظروف الطبيعيّة التي لا تخضع لسيطرة الفرد كالجو والموقع الجغرافي، وغيرها، ومن ثمّ كان كلّ ما يساعد على تشكيل الكائن البشريّ وجعله في الحالة التي هو عليها من العوامل المؤثرة في تكوين التربية وإيجادها، وعلى هذا، فالتربية - بهذا المعنى - تشمل كلّ تنمية وتهذيب ينصبّ على قوى الفرد واستعداداته ونواحي سلوكه بقصد توجيهه^٧.

ونحن نرى أنّ ما جاءت به الشريعة المقدّسة كافٍ لبيان معالم التربية وحدودها وأساليبها، ومنها ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام)، وبالتالي فسيكون هنا بيان التربية على حفظ الحرمة وفق ما اثر عنه (صلوات الله وسلامه عليه).

المطلب الثاني: في تعريف بعض الألفاظ التي سترد في المباحث اللاحقة وسنقتصر فيها على بعض المفردات، لكون الأغلب واضحة المعنى، وإن كانت قد ترد على معانٍ مختلفة، لكنها تتّضح بالسياق والقرائن.

الهُتَكَ: هَتَكَ السُّتْرَ: تمزيقه وخرقه. وقد هَتَكَتُهُ فَأَهْتَكَ أي فضحته، والاسم الهَتَكَةُ وهي الفضيحة. وهَتَكَ الأُسْتَارَ شُدَّدَ للمبالغة. وَهَتَكَ افْتُضِحَ^٨. **الهِلَاكُ:** العطب. يقال هَلَكَ الشَّيْءُ يَهْلِكُ هَلَاكًا وَهُلُوكًا وَمَهْلَكًا أي عطب. والاسم الهُلْكُ بالضم. قوله ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ، وَأَهْلَكَ غَيْرَهُ وَاسْتَهْلَكَهُ. والهِلْكَةُ بالتحريك: الهلاك. ومنه قولهم هي الهِلْكَةُ الهُلُكَاءُ وهو تأكيد لها^٩.

العَثْرَةُ: الزلة والخطيئة، وَمِنْهُ "يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ، يقال: عَثَرَ بِهِ فِرْسُهُ فسقط، وَتَعَثَرَ لِسَانُهُ: تَلَعَثَمَ. وفي الحديث: لَا حَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ، أي لا يحصل له الحِلْمُ ويوصف به حتّى يركب الأمور وَتَنْخَرِقَ عليه وَيَعَثُرُ فيها فيعتبر بها وَيَسْتَبِينَ مواضع الخطأ فيجتنبها^{١٠}.

العورة: العَوْرَاتُ: جمع عَوْرَة، وهي كل ما يُستحيى منه إذا ظهر، وهي من الرجل ما بين السرة والركبة، ومن المرأة الحرّة جميع جسدّها إلّا الوجه واليدين إلى الكوعين... ومنه الحديث «المرأة عَوْرَة» جعلها نفسها عَوْرَة؛ لأنّها إذا ظهرت يُستحيى منها كما يُستحيى من العَوْرَة إذا ظهرت. وفي حديث أبي بكر «قال مسعود بن هنيذة: رأيتُه وقد طلع في طريق مُعَوْرَة» أي ذات عَوْرَة يخاف فيها الضّلال والانقطاع. وكلّ عيب وخلل في شيء فهو عَوْرَة ومنه حديث عليّ «لا تجهزوا على جريح، ولا تصيبوا مُعَوْرًا»، أَعَوَرَ الفارس: إذا بدا فيه موضع خلل للضرب. فيه "عَوْرَة المؤمن على المؤمن حرام". وَمَعْنَاهُ -على ما ذكره الصّادق عليه السلام- أَنْ يَزِلَّ زَلَّةً أَوْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْهِ فَيَحْفَظُهُ لِيُعِيرَهُ بِهِ يَوْمًا. وَفِي خَيْرِ آخِرِهِ إِذَا عَهِدَ سِرَّهُ ١١.

العيب: العيوب جمع عَيْبٌ، وهو كل ما يزيد أو ينقص على مجرى الطبيعي، كزيادة إصبع ونقصانه، وفي الدعاء (واستر لي عيوبي) المراد هنا ما زاد في الدين أو نقص عنه، يقال: عَابَ المتاع عَيْبًا من باب سار فهو عَائِبٌ، وعَابَهُ صاحبه فهو مَعِيبٌ. والمُعَايِبُ: العُيُوبُ ١٢.

المبحث الثاني:

ما ورد في حرمة المؤمن وعدم جواز هتك ستره وتتبع عثراته
شَرَّفَ الله عزَّ وجلَّ المؤمنَ، وعظَّم مقامه، وأحاطه بحدود لم يسمح
للآخرين بتعدّيها وتجاوزها، فأمر بصيانتَه في نفسه وعرضه وماله، في
حضوره وغيبته، بالقول أو الفعل أو الإشارة، وقد دلَّت على ذلك
النصوص الشرعيّة من الآيات والروايات الكريمة، وما يرتبط ببحثنا
هو ما روي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، ولا يخفى أنَّ بعض الروايات
وردت بصيغ العموم أو الإطلاق من دون تنقيص على المؤمن، كالتعبير بـ:
إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ، ونحوها، ولكنه مندرج فيها،
فيصلح أن يكون من موارد الطوائف والعناوين الآتية.
ولنذكر تمهيداً قبل الشروع في موارد التحريم والذمّ:

تمهيد:

خلقنا الله سبحانه وتعالى وخلق كلَّ جزء منّا، وأمرنا بعبادته وطاعته،
ولا تقتصر الطاعة على أداء العبادات المخصوصة كالصلاة والصيام والحج
... ولا تنتهي بالمعتقدات كالاعتقاد بربوبية الله تعالى ونبوة الأنبياء (عليهم السلام) إلى
آخرها، وإنّما يجب الخضوع لله جلَّ وعلا في كل عضو من الأعضاء بحسب
الأوامر والنواهي المتوجّهة له أو المتعلّقة به، ومن ذلك وجوب غَضِّ
البصر عمّا حرّم الله تعالى النظر إليه، وحرمة لمس ما حرّم الله، وصون
اللسان والأذن عمّا لا يجوز، وهكذا.

فاللسان مسؤول عن بعض الأفعال، فهو منهيٌّ عن بعض التصرفات
كالغيبة والبهتان والإساءة والكذب وغيرها، كما أنّه مطلوب منه فعل
أمور أخرى كشكر الله تعالى وردّ السلام وإظهار الامتنان في موارد
والإصلاح بين الناس عند القدرة، وغير ذلك، وستكون هذه الأعضاء

شاهدة على أصحابها يوم القيامة بما فعلت؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^{١٣}.

وربما يكون تأثير اللسان أشد من اليد وأضر بالمقابل، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (زلة اللسان أشد من جرح السنان)^{١٤}.

ويقول الشاعر:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ * فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معاييا * فدعها وقل يا عين للناس أعين

ويقول الآخر:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالَا
وقال غيره:

جراحات السنان لها التئام *** ولا يلتام ما جرح اللسان

ولذا نجد الشريعة المقدسة أكدت على أهميّة مراعاة الأدب وحسب التعامل واللين، وفي مقام العمل بالاستقامة والصلاح وإظهار وتجسيد الأحكام الشرعيّة على الجوارح والأفعال، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^{١٥}، ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^{١٦}، فعلى الإنسان المؤمن الذي يخشى الله أن يحسب حساباً لكلامه مع الناس، وأن يتكلّم بالصواب، فالكلام المسيء مخالف لتقوى الله، والمتقي لله يتكلم مع الناس بأدب واحترام.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (وليخزن الرجل لسانه، فإنّ هذا اللسان جموح بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه؛ لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واره.

وإنَّ المنافق يتكلَّم بها أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه. وقد قال رسول الله ﷺ: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه. فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم، فليفعل) ١٧.

وعن الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (قولوا للناس أحسن ما تحبُّون أن يقال لكم) ١٨. وعن الإمام علي (عليه السلام): (اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، وأحبَّ لغيرك ما تحبَّ لنفسك، واکره له ما تکره لها، لا تظلم كما لا تُحبَّ أن تُظلم، وأحسن كما تُحبَّ أن يُحسن إليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس ما ترضى لهم منك) ١٩.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (من نوى الصوم ثم دخل على أخيه فسأله أن يفطر عنده فليفطر، فليدخل عليه السرور، فإنَّه يحتسب له بذلك اليوم عشرة أيام) ٢٠. وعنه (عليه السلام): (من دخل على أخيه وهو صائم تطوَّعاً فأفطر كان له أجران: أجر لنيته لصيامه، وأجر لإدخال السرور عليه) ٢١.

ومن المناسب الإشارة إلى أنَّه قد يكون الإحسان للمؤمن وإكرامه أو الإساءة له بالإشارة أو الكتابة أو بالنظر ونحو ذلك، وقد يكون بالسكوت، كما في الاستماع للغيبة من دون الدفاع عن أخيه المؤمن، والإشارة بالعين أو الوجه أو اليد للاستخفاف والانتقاص منه أو الحث على التعدي عليه. ولا يخفى أنَّ هذا لا يختص بالمجالس الواقعيَّة، بل يشمل ما يسمَّى بالعالم الافتراضي كما في مواقع التواصل الاجتماعي، فيكون كتابة ما يسيء للمؤمن تعدياً عليه، وكذا تأييده بالإعجاب به أو تشجيعه أو تكثير نشره، فإنَّه يكون شريكاً للأوَّل ومعيناً على الظلم والتجاوز.

ومن المعلوم أنَّ الأخبار والأقوال تحتمل الصدق والكذب وتشتمل على الحقِّ والباطل، فلا بدَّ من الثبُّت والتأكَّد قبل التصديق والنقل لها، كما لا يجوز

ترتيب الآثار عليها أو التعويل عليها، فربما كانت باطلة وأدّى نقلها إلى الافتتان أو الاقتتال أو التباغض أو هتك الأعراض وسلب الأموال، وغير ذلك. بل قد يحرم النقل والترويح حتى مع كون الخبر صادقاً؛ لكونه إذاعة لسرّ المؤمن، أو تتبّع عثراته وعيوبه، أو نشر فضيحته، أو تقليل مقامه ومكانته، أو هتك عرضه، أو تدليل لظالم والعدو عليه فيسعى في ظلمه أو قتله، ونحو ذلك الكثير ممّا يترتب على ما يستهين به الكثير ولا يحسب حساباً لعواقبه.

كما أنّه لا فرق في هذه الموارد بين ما كان عن قصد وجدّ، وما كان لأجل المزاح واللهو؛ فإنّ هذا لا يسوّغ له هتك حرمة وإذلاله والانتقاص منه كما سيّضح هذا وغيره فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

فشتان بين عليم صموت * وبين جهول كثير الكلام

وبين مشير لقصد الوفاق * وبين مثير لنار الخصام

ولا يكفي ادّعاء الإنسان أنّه يحبّ الله ويعبده ولكنّه في الواقع يجاربه بترك طاعته وارتكاب معصيته، فإنّما العبوديّة والخضوع لله تكون بامثال أوامره وترك نواهيه، وإلى ذلك يشير ما نُسب لإمامنا الباقر (عليه السلام): (ما عرف الله من عصاه) وأنشد:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبه * هذا لعمرك في الفعال بديع

لو كان حبّك صادقاً لأطعته * إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع^{٢٢}.

بعد هذا التمهيد أقول: إنّ التعديّ على حرمة المؤمن يكون على طوائف، نذكر بعضاً منها:

١ - الظلم والأذى والإعانة عليها

وهو مفهوم عامّ يشمل كلّ أو جلّ طرق ووسائل التعديّ على حرمة المؤمن صغيرها وكبيرها، وما كان باليد أو باللسان أو ببقية الجوارح، إلّا

أنا أفردناه وجعلناه عنواناً في قبال بقية المفاهيم لمزيد اهتمام به، ولتندرج فيه العديد من العناوين والوسائل التي اقتصرت الروايات فيها على النهي عن التجاوز على المؤمن بشكل إجمالي، أو صرحت بالألفاظ الظلم أو الأذى أو ما يعين عليهما ونحوها من الألفاظ ذات المعنى المؤذي لها.

وهذه الطائفة من الروايات تشمل القتل والجرح والضرب والحبس والتضييق والتهديد ونحوها والإعانة عليها، ومن هذه الروايات:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: (يُخْشَرُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَدِيَ دَمًا، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِ شِبْهُ الْمِحْجَمَةِ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لَهُ هَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِ فُلَانٍ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي وَمَا سَفَكْتُ دَمًا، فَيَقُولُ: بَلَى، سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ رَوَايَةَ كَذَا وَكَذَا فَرَوَيْتَهَا عَلَيْهِ فَنَقَلْتُ حَتَّى صَارَتْ إِلَى فُلَانٍ الْجَبَّارِ فَقَتَلَهُ عَلَيْهَا، وَهَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِهِ) ٢٣.

والمحجمة هي القارورة التي يستعملها الحجاج لإخراج الدم، والرواية تبين أن هذا العبد رغم عدم ارتكابه ذنب القتل أو المشاركة فيه إلا أنه يعطى قارورة فيها دم إنسان معين، وأنه شريك في سفك دمه وقتله، وذلك لأنه حدث برواية عنه وأشاعها، فبلغت السلطان فقتله بسبب تلك الكلمة التي أشاعها ونشرها، فهو معين على القتل.

ومنها: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (الظُّلْمُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الظُّلْمَاتُ فِي الْآخِرَةِ) ٢٤.

فيبين عليه السلام بعض عواقب الظلم في الآخرة، وأنه يوجب وقوع الظالم في ظلمات فيها، فهو بعيد عن النور والراحة والاطمئنان.

ومنها: عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلِمُ بِمَظْلَمَةٍ إِلَّا أَخَذَهُ اللَّهُ بِهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ) ٢٥.

ويَتَّضَح منها أَنَّ الظالم مأخوذ بظلمه، ومجازى عليه، وقد يكون ذلك بنفسه كأن يتسلَّط عليه من يظلمه أو يبتلى بمرض أو حبس أو ضيق أو خوف ونحوها، وقد يكون في ماله بأن يسلب ماله أو يتلف أو يحترق أو يفتقر ونحوها، وهذا في ظلم الإنسان لغيره، فلا بدَّ أن يؤخذ بنفسه أو ماله إلَّا أن يعفو عنه المظلوم كما ورد في بعض الروايات، وأمَّا الظلم الذي بينه وبين الله تعالى فقد لا يؤاخذ عليه إذا تاب.

ومنها: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (لَمَّا حَصَرَ عَلِيٌّ بَنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاءَ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّ أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَصَرْتَهُ الْوَفَاءَ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ قَالَ يَا بُنَيَّ - إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ ^{٢٦}).

وهي تكشف عن خطورة هذا الصنف من الظلم بعد أن عدَّها عليه السلام من الوصايا الأخيرة قبل وفاته.

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ^{٢٧} قال: هو أدنى الأدنى، حرَّمه الله فما فوقه ^{٢٨}.

وعن محمد بن فرات، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام له: إِيَّاكُمْ وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ تَوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَلَا يَجِدُهَا عَاقٌّ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلَا شَيْخُ زَانٍ، وَلَا جَارٌ إِزَارَهُ خِيَلَاءَ، إِنَّمَا الْكَبْرِيَاءُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ^{٢٩}.

وعن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إِنَّ أَبِي نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ وَمَعَهُ ابْنُهُ يَمْشِي وَالْابْنُ مَتَكِيٌّ عَلَى ذِرَاعِ الْأَبِ، قَالَ: فَمَا كَلَّمَهُ أَبِي عليه السلام مَقْتًا لَهُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا) ^{٣٠}.

وقال الشيخ المجلسي في توضيح هذه الرواية: الظاهر أن ضمير (كلمه) راجع إلى الابن. ورجوعه إلى الأب من حيث مكّنه من ذلك بعيد، وقد يُحمل على عدم رضى الأب، أو أنّه فعله تكبراً واختيلاً، ومن هذه الأخبار يفهم أن أمر برّ الوالدين دقيق، وأنّ العقوق يحصل بأدنى شيء^{٣١}.

وعن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد السلمي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لو علم الله شيئاً أدنى من أفٍ لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما)^{٣٢}. ونحوه ما رواه حريز، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أدنى العقوق أف، ولو علم الله أن شيئاً أهون منه لنهى عنه)^{٣٣}.

وعن أبي ولّاد الحنّاط قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؟ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتها، ولا تكلفها أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^{٣٤}.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: وأما قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾، قال: إن أضجرك فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما إن ضرباك. قال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ قال: يقول لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم.

وقال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورفقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يديك فوق أيديهما، ولا تتقدّم قدامهما)^{٣٥}.

ومنها: عَنْ أَبِي حمزة عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَا إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَابَ الْبِرِّ وَأَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةُ الْبَغْيِ وَكَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ يَنْظُرَ فِي عَيْبِ غَيْرِهِ مَا يَعْمَى عَلَيْهِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ يَنْهَى النَّاسَ عَمَّا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ^{٣٦}.



ومنها: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام:
(يَا سُلَيْمَانُ أَتَدْرِي مِنَ الْمُسْلِمِ؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: الْمُسْلِمُ
مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَتَدْرِي مِنَ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ:
قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَنْ ائْتَمَنَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ،
وَالْمُسْلِمُ حَرَامٌ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً تُعْتَبُ) ^{٣٧}.

ومنها: عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي إِذَا رَضِيَ
لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي إِيْثْمٍ وَلَا بَاطِلٍ وَإِذَا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخِطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ
وَالَّذِي إِذَا قَدَرَ لَمْ يُخْرِجْهُ قُدْرَتُهُ إِلَى التَّعَدِّيِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ) ^{٣٨}.

ومنها: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ مَنْ ائْتَمَنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَلَا
أُنَبِّئُكُمْ بِالْمُسْلِمِ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ
السَّيِّئَاتِ وَتَرَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ حَرَامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ
أَوْ يَغْتَابَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً) ^{٣٩}.

ومنها: عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: (مَنْ أَعَانَ عَلَى مُسْلِمٍ بِشَطْرِ
كَلِمَةٍ كَتَبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) ^{٤٠}، وَنَحْوَهُ عَنْ مُحَمَّدٍ
بْنِ عُبَيْدٍ بَنْ مُدْرِكٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (مَنْ أَعَانَ عَلَى مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ
كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيَّنَّ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) ^{٤١}.

٢ - السبِّ

عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمَتَفَحِّشَ) ^{٤٢}.
عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (سَبَابُ الْمُؤْمِنِ
فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ) ^{٤٣}.
عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَيْمٍ أَتَى
النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: أَوْصِنِي؟ فَكَانَ فِيهَا أَوْصَاهُ أَنْ قَالَ: لَا تَسُبُّوا النَّاسَ
فَتَكْتَسِبُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ) ^{٤٤}.

ومعلوم أن سبَّ المؤمن أحد الطرق لإيذاته، وقد نهى عنه عليه السلام.

٣ - الطعن

من الأمور التي لا يجوز فعلها، والتي تمسّ حرمة المؤمن ومكانته هو الطعن بالمؤمن، وذلك بأن يصفه ببعض الصفات والنعوت المسيئة له والتي تنقص من قدره ومقامه، أو توجب إيقاعه في الخطر أو إخافته، ونحو ذلك، ومما يبيّن ذم هذه الصفة والنهي عنها ما ورد عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: (مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَطْعُنُ فِي عَيْنِ مُؤْمِنٍ إِلَّا مَاتَ بِشَرِّ مِيتَةٍ وَكَانَ قَمِينًا أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى خَيْرٍ)٤٥.

ومعنى قَمِنَ: خليق وجدير وحريّ٤٦، فالطاعن في المؤمن أبعد ما يكون إلى الهداية والصلاح، وهو أقرب إلى البقاء على الانحراف والظلم والتعدي ولا يرجع إلى الحق والخير والاستقامة، فهذه الصفة مضارّها شديدة وخطيرة؛ إذ لا يرجى من صاحبها الاعتدال والسلامة من الشرّ.

كما أنّ عاقبة الطاعن أنّه يموت ميتة سوء، بل شرّ ميتة.

٤ - تتبّع العثرات والعورات والاشتغال بعيوب الناس عن عيب نفسه من المؤسف أنّه شاع في المجتمعات المختلفة - ومنها الإسلامية - ظاهرة الاشتغال بعيوب الناس وأخطائهم ومساوئهم وعوراتهم، وفي الغالب لا يكون هذا الاهتمام بهذه الأفعال لأجل الإصلاح والتبنيه والنهي عن المنكر، وإنّما لأجل الطعن في الآخر والإساءة له والحطّ من مقامه، ونحوها؛ لخلاف بينهما أو اختلاف أو تنافس أو حسد وما إلى ذلك.

وربّما يكون بهتاناً وافتراءً واتهاماً له بما ليس فيه أو بما لم يقله أو يفعله، وهذا له طرق ووسائل مختلفة منها التكلّم عنه في المجالس والتجمّعات، ومنها الكتابة عنه في الصحف والمجلاّت والكتب والملصقات، ومنها من خلال وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة الشائعة في هذا الزمان، والتي ربّما يكون المتلقّون والمطالعون أو المستمعون فيها أكثر من الوسائل الأخرى؛ لأسباب تتعلّق بالتقنيّة المعتمدة فيها والسهولة وتوفّرها لدى الأكثر.

وقد يقع الإنسان في تناقض وازدواج في المعايير في هذا المجال، فتجده يعيب على غيره بما يتّصف هو به، أو يذمّ شيئاً ولكنه يعتبره مدحاً بلحاظ شخص آخر، وهذا بحدّ ذاته علامة هامّة على عدم الصدق والإنصاف في تصرّفاتِه، وأنّه نابع عن غايات سيّئة فيه، ولكنه يخدع الآخرين بصورة الحثّ على الاستقامة وادّعاء الأمانة.

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام العديد من الروايات الدامّة لتتبّع عيوب الآخرين، خصوصاً مع عدم اهتمامه بعيب نفسه.

ومن ذلك ما ورد عن أبي حمزة الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَاباً لِلْبِرِّ وَإِنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةً لِلْبَغْيِ، وَكَفَى بِالْمُرءِ عَيْباً أَنْ يُبْصَرَ مِنَ النَّاسِ مَا يَعْمَى عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ يُعَيَّرَ النَّاسَ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ) ^{٤٧}.

وعن الحسين بن مختار عن بعض أصحابه عن أبي جعفر عليه السلام قال: (كَفَى بِالْمُرءِ عَيْباً أَنْ يَتَعَرَّفَ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ مَا يَعْمَى عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ، أَوْ يَعِيبَ عَلَى النَّاسِ أَمْرًا هُوَ فِيهِ لَا يَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ) ^{٤٨}.

ويؤيدها ما ورد عن أبي حمزة، قال: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (كَفَى بِالْمُرءِ عَيْباً أَنْ يُبْصَرَ مِنَ النَّاسِ مَا يَعْمَى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ) ^{٤٩}.

وأذية الجليس بما لا يعنيه التدخل في شؤونه والتعرّض لأُموره الخاصّة التي لا يرغب بإظهارها وكشفها، فيقوم بالإلحاح والإصرار على شرحها والاطّلاع عليها، في حين أنّه لو شاء جليسه كشفها لكشفها من نفسه، ولكنه قد يضطرّ بسبب كثرة السؤال أو الاتّهام بأشياء أخرى لأن يبيدي سرّه ويبيّنه، وقد يترتب على ذلك أن يعرّض نفسه لخرج أو خطر، أو يسبّب باختلاف العلاقة بينهما من صديق إلى عدوّ، أو انكساره أمامه، أو سقوط مقامه.

٥ - الغيبة والبهتان

تقدّم ما يعمّ هاتين الصفتين وكذلك بعض الروايات المتضمّنة لهذين المفهومين، إلّا أنّهما يستحقّان الفصل والإفراد لما لهما من أهمّية، ولشيوع الابتلاء بهما في المجتمعات، وهما يؤدّيان إلى الإساءة للمؤمن والانتقاص منه وإسقاطه أمام الآخرين، وكلاهما من المحرّمات التي وردت النصوص في ذمّهما بكثرة - إلّا موارد استُثّيت ليس هذا موضع التعرّض لها-، ومن ذلك ما رواه سُليمان بن خالدٍ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَتَمَّنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، أَلَّا أُنبِّئُكُمْ بِالْمُسْلِمِ؟ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرِ السَّيِّئَاتِ وَتَرَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالْمُؤْمِنُ حَرَامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ أَوْ يَغْتَابَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً) ٥٠.



المبحث الثالث العقوبات الإلهية للمتعدّين على حرمة المؤمن

لما كان التعدّي على المؤمن مذموماً ومنهياً عنه، فلا شكّ أنّ فعله يستتبع أثراً، ويستحقّ فاعله أو قائله إثماً وذنباً، ولكلّ واحد من هذه الذنوب عقوبة أو جزاء، وهي وإن تقدّم ذكرها أو ذكر بعضها في المبحث السابق، إلّا أنّنا أفردناها في مبحث خاص، لما في ذلك من نفع كالتركيز على العقوبة التي قد تكون رادعة عن الإقدام على ذلك الفعل، وأيضاً بيان الروايات الواردة فيها بلحاظ الجزاء لا بلحاظ الذنب الذي به استحقّه، ولتعدد العقوبات الواردة في بعض الروايات سواء على فعلٍ واحد أو أكثر.

وأبرز هذه الأمور التي وردت في هذه الروايات هي:

١ - القرب للكفر

فقد ورد في ذمّ متبّع العثرات والباحث عن الزلات لدى أخيه المؤمن بقصد نشرها وفضحه بها في يومٍ آخر، كما لو كان ذلك عند حدوث نزاع بينهما، أو عدم حصوله على غاية ما منه، بأنّه يكون أقرب إلى الكفر، فهذا يكون بدرجة يُخاف عليه من الوقوع في الكفر والدخول فيه، وهذا تغليظ في ذمّ هذا الفعل والنهي عنه.

وهذا ما رواه زرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: (أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجل على الدين فيحصى عليه عثراته وزلاته ليعتّفه بها يوماً ما)^{٥١}.

٢ - يموت ميتة شرّ وعدم رجوعه إلى خير

من الأمور المهلكة والموجبة لترك الحقّ والاستقامة الطعن في شخص المؤمن، ومن العقوبات التي وردت عن الإمام الباقر عليه السلام هي أنّه يجازى بالموت شرّ ميتة، وأيضاً لا يرجى له الاستقامة والرجوع إلى خير، بل يبقى متخبّطاً وسائراً في طرق الضلال والانحراف.

فَعَنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَطْعُنُ فِي عَيْنِ مُؤْمِنٍ إِلَّا مَاتَ بِشَرِّ مِيتَةٍ وَكَانَ قِمْنًا أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى خَيْرٍ) ^{٥٢}.

٣ - الاشتراك في الدم والذنب والظلم

كما أن كل تعدد على المؤمن وتجاوز على حرمة أو الإساءة له هو ظلم له، والظلم من الذنوب، بل هو من كبائرهما، وهذا يشمل أي نوع ظلم كما تدل عليه الرواية الآتية، فكيف إذا كان هذا الظلم هو قتلاً للمؤمن أو اشتراكاً في قتله أو إعانة عليه ودلالة للقاتل والظالم عليه؟! وهذا الظلم يتحول في الآخرة إلى ظلمات على الظالم والمتعدي، وهو يتضمن الحكم عليه بالضلال الدنيوي والهلاك الأخروي.

فَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (الظُّلْمُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الظُّلُمَاتُ فِي الْآخِرَةِ) ^{٥٣}.

وَعَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلِمُ بِمَظْلَمَةٍ إِلَّا أَخَذَهُ اللَّهُ بِهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ) ^{٥٤}.
وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (لَمَّا حَضَرَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةَ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلَّا اللَّهَ) ^{٥٥}.

والوصية عند الوفاة بشيء تدل على شدة أهمية الموصي به وخطورته.

وَعَنْ يُونُسَ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: (يُخْشَرُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَدِيَ دَمًا، فَيَدْفَعُ إِلَيْهِ شَبَّةَ الْمَحْجَمَةِ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِ فُلَانٍ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي وَمَا سَفَكْتُ دَمًا! فَيَقُولُ: بَلَى، سَمِعْتَ مِنْ فُلَانٍ رِوَايَةَ كَذَا وَكَذَا فَرَوَيْتَهَا عَلَيْهِ فَنَقَلْتُ حَتَّى صَارَتْ إِلَى فُلَانٍ الْجَبَّارِ فَقَتَلَهُ عَلَيْهَا، وَهَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِهِ) ^{٥٦}.

فالناقل لما يسبب قتل المؤمن - وإن لم يكن بقصد قتله أو أذيته - يكون شريكاً مع القاتل في القتل ومعيناً له، وبالتالي يُعطى يوم القيامة دماً بمقدار مشاركته ودوره في إراقة دمه، فلهذا يجب توخي الحذر والتأني الشديد قبل نقل الكلام وروايته لئلا يكون من المعينين على المؤمن.

٤ - سلب عنوان الإسلام والإيمان

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ ائْتَمَنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِالْمُسْلِمِ؟ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ؟ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ وَتَرَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالْمُؤْمِنُ حَرَامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يُخْذِلَهُ أَوْ يَغْتَابَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً) ^{٥٧}.

فتبين هذه الرواية من ينطبق عليه عنوان المؤمن وعنوان المسلم، ويستفاد منه أن من تتحقق فيه الصفة المذكورة لا يتصف بالإيمان أو الإسلام، وهذه الصفة هي ائتمان المؤمنين أنفسهم وأموالهم عليه، وسلامة المسلمين من يده ولسانه، فمن لم يأتمنه المؤمنون فليس بمؤمن، ومن لم يسلم منه المسلمون فليس بمسلم.

ثم تؤكد الرواية على ضرورة حفظ حرمة المؤمن وعدم التعدي عليه فتبين أنه يحرم على المؤمن أن يرتكب أفعالاً بحق أخيه المؤمن، وهي أن يَظْلِمَهُ أَوْ يُخْذِلَهُ أَوْ يَغْتَابَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً، فمن فعل هذه أو أحدها فقد ارتكب إثماً وكان عاصياً.

٥ - اليأس من رحمة الله

إنَّ مَنْ مَعَالَمُ الْإِيمَانِ هُوَ الطَّمَعُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَأَمَّا الْإِبْتِعَادُ عَنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ سِوَاءَ بِالْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، أَوْ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَلَا يُوَافِقُ الْإِعْتِقَادَ السَّلِيمَ، لِأَنَّهُ

مخالف لما أمرنا به وجاء به القرآن والروايات، كما أنه يكشف عن عدم المعرفة بالله تعالى أو أنها ناقصة، فمن أبتلي باليأس من رحمة الله، فهو على خطر كبير، وكذلك من حشر يوم القيامة على هذا الوصف، فإنه يكون أبعد الناس من رحمة الله ولطفه ورضاه.

ومن الأعمال الموجبة لليأس من رحمة الله هو الإعانة على المسلم، أي المساعدة على ظلمه والتجاوز عليه وإن كانت الإعانة بشيء يسير، فعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: (من أعان على مسلم بشرط كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله)^{٥٨}، فالإعانة ولو كانت بشرط كلمة لا بكلمة تامة فإنها توجب كونه يوم القيامة من الآيسين من رحمة الله، وبالتالي يكون مصيره غضب الله وانتقامه وعذابه.

٦ - الظلمات في الآخرة

تقدم فيما سبق عند التعرض لأثر الاشتراك في الظلم ما يبين خطورة الظلم، وأنه يكون شريكاً للظالم في ظلمه، وهنا نودّ إيراد إحدى روايات تلك المسألة لإبراز هذه الخصوصية والتأكيد عليها، ألا وهي إيجابه لوقوع صاحبه في الظلمات في الآخرة، وكم هي من عاقبة سيئة ومهلكة، فعن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (الظُّلْمُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الظُّلُمَاتُ فِي الْآخِرَةِ)^{٥٩}.

٧ - الحرمان من الجنة

عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: (مُحَرَّمَةٌ الْجَنَّةُ عَلَى الْقَتَايِنِ الْمَشَاءِينَ بِالنَّمِيمَةِ)^{٦٠}.

قال الشيخ المجلسي: (وفي القاموس: القَتَّ نَمَّ الحديث والكذب واتباعك الرجل سرّاً لتعلم ما يريد، وفي النهاية فيه: لا يدخل الجنة قتات، وهو النمام، يقال: وقتّ الحديث يقتّه إذا زوره وهيباه وسواه. وقيل: النمام

الذي يكون مع القوم يتحدثون فينمّ عليهم، والقَتَات الذي يتسمع مع القوم وهم لا يعلمون ثمّ ينمّ، والقَسَّاس الذي يسأل عن الأخبار ثمّ ينمّها، انتهى. وربّما يؤوّل الحديث بالحمل على المستحلّ، أو على أنّ الجنّة محرّمة عليه^{٦١}.

٨- المؤاخذه على الظلم ومعاقبته

من العقوبات الإلهية على المتعدّي والظالم للمؤمن أنّه لا يترك فاعلها بلا جزاء وحساب، بل يقتصّ منه أو يعاقب على فعله، وتتنوّع العقوبة بين الدنيا والآخرة، أو فيهما معاً، وكذلك في نوع وطريقة العقاب، فمنها ما يؤاخذ بها في نفسه أو ماله، ومنها الموت بشرّ ميتة وعدم رجاء رجوعه للخير، ومنها كونه شريكاً في الظلم والذنب كالقتل بسبب فعله الذي أدّى له كالطعن فيه ونقل أقواله وأسراره إلى من يباشر قتله.

وبعض هذه الروايات تشير لعموم الحكم لكلّ من ظلم، فلا يشذّ منها ظلمٌ أو تعدّ صغيراً كان أم كبيراً، باليد أو باللسان، أو غيرها من الجوارح كالإخافة بالعين والكتابة وغيرها، فإنّ الروايات الدامّة والمبيّنة لهذه المعاصي لم تستثنِ أحداً أو فعلاً أو قولاً، ففي بعضها: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلُمُ بِمَظْلَمَةٍ)، وفي أخرى: (مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَطْعُنُ فِي عَيْنِ مُؤْمِنٍ).

وقد تقدّمت هذه الروايات، ونعيد بعضها للفائدة.

فمنها ما ورد عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلُمُ بِمَظْلَمَةٍ إِلَّا أَخَذَهُ اللَّهُ بِهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ)^{٦٢}.

وَعَنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَطْعُنُ فِي عَيْنِ مُؤْمِنٍ إِلَّا مَاتَ بِشَرِّ مَيِّتَةٍ وَكَانَ قَمِيْنَا أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى خَيْرٍ)^{٦٣}.

وعن يُونُسَ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: (يُخْشَرُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَدِيَ دَمًا، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِ شِبْهُ الْحِجْمَةِ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِ فُلَانٍ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي وَمَا سَفَكْتُ دَمًا! فَيَقُولُ: بَلَى، سَمِعْتَ مِنْ فُلَانٍ رَوَايَةَ كَذَا وَكَذَا فَرَوَيْتَهَا عَلَيْهِ فَنُقِلَتْ حَتَّى صَارَتْ إِلَى فُلَانِ الْجَبَّارِ فَقَتَلَهُ عَلَيْهَا، وَهَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِهِ) ^{٦٤}.



المبحث الرابع الآثار الاجتماعية للتعدّي على المؤمن

إنَّ الغضب الإلهي وعقوباته الدنيوية أو الأخروية وعدم رضاه عن المذنب، وطرده من الرحمة ومن قربه وحبّه هي أشدّ العقوبات، وقد بيّنا أهمّ هذه العقوبات في المبحث السابق، وكانت متفاوتة بين ما يبيّن العقاب الأخرويّ فقط، وما يبيّن العقاب والجزاء الدنيويّ فقط، وبين ما يجمع بينهما أو لا يحدد ظرف العذاب أو الجزاء، كما أنّ بعضها تشير لتعلّقها بالأبدان ومنها ما تشير لتعلّقها بالأرواح والقلوب والأموال ونحوها، وهذه وأمثالها كافية لمن له عقل في أن يتجنّب الأفعال المهلكة الموجبة لهذه العقوبات. ولكنّ بعض الروايات الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام أشارت لجوانب أخرى ربّما يعتبرها بعض الناس أهمّ ممّا سبق، وتكون رادعة له عن الإقدام على تلك المعاصي أو الاستمرار عليها، وهي ما توجب اشتهاار الظالم والهاتك للحرّمات بين الناس بفضيحة أو تعرّضه للظلم كما ظلّم هو، أو تعجيل تلك العقوبات عليه وعدم الإمهال والتأخير، ونحو ذلك، وهي آثار اجتماعيّة يلاحظ فيها الإنسان ما يترتّب على أفعاله وأقواله من العواقب في بيئته ومجتمعه، وما تترتّب عليها من مضارّ وأخطار، فيترك تلك الأفعال ليحصّن نفسه من الوقوع في هذه الفضائح أو العواقب. وقد تتبّعنا هذه الروايات وأوردناها هنا في مبحث مستقلّ ضمن عناوين منفردة لتكون مميّزة عن غيرها، ويسهل الوصول لها، وهي:

١ - الفضيحة والعيب

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُسَلِّمْ بِقَلْبِهِ، لَا تَتَّبِعُوا عَثَرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَثَرَاتِ الْمُسْلِمِينَ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَفْضَحْهُ) ^{٦٥}.

فالرواية تعد بأنّ الله تعالى يتكفّل بأنّ من تتبّع عثرات المسلمين يتبّع عثرته وتنااله الفضيحة بين الناس.

عَنْ أَبِي حمزة عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَا: (إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَابًا، الْبِرُّ وَأَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةُ الْبَغْيِ، وَكَفَى بِالْمُرءِ عَيْبًا أَنْ يَنْظُرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ مَا يَعْمَى عَلَيْهِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ يَنْهَى النَّاسَ عَمَّا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ) ^{٦٦}.

وعنه أيضاً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَاباً الْبِرُّ وَإِنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةُ الْبَغْيِ، وَكَفَى بِالْمُرءِ عَيْبًا أَنْ يُبْصِرَ مِنَ النَّاسِ مَا يَعْمَى عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ يُعَيِّرَ النَّاسَ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ) ^{٦٧}.

فالروايتان يبيّنان أَنَّ البغي من أسرع الأمور التي تعجل العقوبة، وفي مقابل ذلك فإنَّ فعل الخير يعجل الثواب.

٢ - يموت شرّ ميتة

عَنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَطْعُنُ فِي عَيْنِ مُؤْمِنٍ إِلَّا مَاتَ بِشَرِّ مَيِّتَةٍ وَكَانَ قِمْنًا أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى خَيْرٍ) ^{٦٨}.

وفد تقدّم الكلام عنها.

٣ - المؤاخذه في نفسه وماله

ما ورد عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلُمُ بِمَظْلَمَةٍ إِلَّا أَخَذَهُ اللَّهُ بِهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ) ^{٦٩}، ومَرَّ الكلام عنها أيضاً.

وهناك آثار أخرى اتّضح أمرها ضمن البحث السابق فلا نعيد.

المبحث الخامس: الآثار الطيّبة لستر المؤمن وحفظ حرمة

أمر الله تعالى بطاعته واتباع أوامره وتطبيق شريعته، والطاعة لله جلّ وعلا في امتثال أوامره والتجنّب عن نواهيه واجبة وعلى جميع عباد الله الامتثال والاتباع بحكم عبوديتهم، من دون أن ينظر العبد لأجر أو جزاء، وحقُّ على العبد طاعة سيّده، ولكن مع ذلك أكرم الله تبارك وتعالى الخلق

بأن أجرى الثواب والجزاء والعطاء لمن امتثل أوامره وتجنّب نواهيه، وكذا من يعمل بالمستحبات ويتجنّب عن المكروهات، وهذه العطايا والأفضال في الدنيا والآخرة، وهي تمثّل عامل حثّ وتشجيع للعبد على الطاعة والمداومة عليها، وكذا ما يتعلّق بالتحذير والوعيد لمن يخالفه ويعصي أوامره، فالترغيب والترهيب من الأساليب التي عاملنا بها الله تعالى ليوصلنا إلى الجادة المستقيمة، وفوق هذا وقبله هناك تعريف الله سبحانه لنفسه لنا وبيان صفاته وأسمائه أنّه المستحقّ للعبودية والطاعة، وأننا عبيد يجب أن نسعى لإرضاء الخالق جلّ وعلا، ومن عرف حقوق الله تعالى ومقام الربوبية والألوهية يسعى لطاعته وعبادته من دون نظر للثواب والعقاب، بل يعبده لأنّه وجده أهلاً للعبادة فعبده.

ومن جميع هذا بيّن الله سبحانه وتعالى أهميّة الطاعة والعبادة ومنها تربيتنا على صيانة حرمة المؤمن والحفاظ على حقوقه وعدم التعدي على حدوده في مختلف المجالات، ومنها ما جاء عن الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه)، وكما اتّضح لنا في البحوث السابقة العقوبات والآثار السلبية على هتك حرمة المؤمن والتعدي عليه، كذلك بيّن لنا الثواب والآثار الإيجابية لمن صان كرامة المؤمن وأدّى حقوقه وكفّ عن التجاوز عليه بل حفظه في نفسه وعرضه، ودافع عنه، وستره، وأكرمه، وتودّد إليه وأحبه، أعانه وعفا عنه.

وقد اخترنا بعض الروايات الواردة عنه عليه السلام وقسّمناها لعناوين بحسب مضامينها، وإن كان بعضها قد تكرر فيها سبق إلا أنّ البحث هناك كان من جهات أخرى، وهذه الآثار والمزايا هي:

١ - كَفَّ غَضَبَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: (مَنْ كَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَهُ اللَّهُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ عَنِ النَّاسِ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ^{٧٠}.
فالْمُؤْمِنُ الَّذِي يَكْفُ غَضَبَهُ عَنِ النَّاسِ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَعْظَمُهَا مِنْ بَشَارَةٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْكَفَّ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَنْوَاعِ وَالْوَسَائِلِ، كَكَفِّ الْغَضَبِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَغَيْرِهِمَا.

٢ - إِقَالَةُ الْعَثْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: (مَنْ كَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَهُ اللَّهُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ عَنِ النَّاسِ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ^{٧١}.
وهذا كسابقه، فمن يكف عن أعراض الناس أقاله الله تعالى نفسه يوم القيامة، ويعفو عنه ويتجاوز.

٣ - أَسْرَعَ الشَّيْءُ ثَوَاباً

عَنْ أَبِي هَمَزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَا: (إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَاباً، الْبِرُّ وَأَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةُ الْبَغْيِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يَنْظُرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ مَا يَعْصِي عَلَيْهِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ يَنْهَى النَّاسَ عَمَّا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ) ^{٧٢}.

وَعَنْهُ أَيْضاً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَاباً الْبِرُّ وَإِنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةُ الْبَغْيِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يُبْصِرَ مِنَ النَّاسِ مَا يَعْصِي عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ يُعَيِّرَ النَّاسَ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ) ^{٧٣}.

فَفِعْلُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمَعُونَتُهُمْ مِنْ أَرْسَعِ الْأَعْمَالِ دَرَجَةً لِلْخَيْرِ وَجَلْباً لِلنَّفْعِ، وَلَعَلَّ تَتَمُّةَ الرِّوَايَةِ تَشِيرُ إِلَى أَنَّ مِنَ الْخَيْرِ هُوَ تَجَنُّبُ مَا ذَكَرَ فِيهَا مِنَ النَّظَرِ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ، وَأَذِيَةِ الْجَلِيسِ، الْبَغْيِ وَالتَّعَدِّيِّ، وَالنَّهْيِ عَمَّا لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكُهُ هُوَ.

٤- من صفات المسلم والمؤمن

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
(أَلَا أُنبِئُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ ائْتَمَنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، أَلَا أُنبِئُكُمْ
بِالْمُسْلِمِ؟ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ؟ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ
وَتَرَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالْمُؤْمِنُ حَرَامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ أَوْ يَغْتَابَهُ
أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً) ٧٤.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ أَيْضاً، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام:
(يَا سُلَيْمَانُ، أَتَدْرِي مِنَ الْمُسْلِمِ؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: الْمُسْلِمُ
مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَتَدْرِي مِنَ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ:
قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَنْ ائْتَمَنَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ،
وَالْمُسْلِمُ حَرَامٌ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً تُعْتَبُ) ٧٥.
عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ
رِضَاهُ فِي إِيْمٍ وَلَا بَاطِلٍ، وَإِذَا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخِطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَالَّذِي
إِذَا قَدَرَ لَمْ يُخْرِجْهُ قُدْرَتُهُ إِلَى التَّعَدِّيِّ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ) ٧٦.

فالروايات تبين بعض صفات المؤمن التي لا بد أن تتحقق فيه، وأن
يتحلّى بها ومنها أن يكون أميناً يَأْتَمَنُهُ المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، فلا
يكون خائناً أو غاصباً أو متعدياً على الأنفس أو الحقوق الماديّة أو المعنويّة،
وأن يكون متحكماً بنفسه، فلا يكون متسرّعاً أو يتحرّك وفق نفسه الغضبيّة
وانفعالاته ونزواته، بل تكون أفعاله بما يرضاه الله تعالى، فلا يخرج عن
طاعة الله، فإن رضي لا يدفعه رضاه إلى التباهي أو الاحتفال بما لا يرضى
به الله سبحانه وارتكاب المعاصي والآثام، وإذا سخط لم يخرج عن حدود
الطاعة، وبقي في حدود طاعة الله، ولم يتعدّ على الآخرين ولا يسيء لهم.

فمن صفات المؤمن الاستقامة وعدم التعدي على الآخرين، وعدم سلب الأمانة منه، بل يظل مؤتمناً مسالماً، ومحافظاً على الحرمات وكرامات المؤمنين وحقوقهم.

ومن حوى هذه الصفات كان مؤمناً، وبالتالي ينال كل أوصاف المؤمن وفضائله وثوابه جزاءه.

٥ - من صفات الشيعة

عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْقَدَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) شِيعَتُنَا الْمُتَبَاذِلُونَ فِي وَلَايَتِنَا، الْمُتَحَابُّونَ فِي مَوَدَّتِنَا، الْمُتَزَاوِرُونَ فِي إِحْيَاءِ أَمْرِنَا، الَّذِينَ إِنْ غَضِبُوا لَمْ يَظْلَمُوا، وَإِنْ رَضُوا لَمْ يُسْرِفُوا، بَرَكَهٌ عَلَى مَنْ جَاوَرُوا، سَلَامٌ لِمَنْ خَالَطُوا^{٧٧}.

في هذه الرواية يبين (عليه السلام) بما ينقله عن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّ للشيعة صفاتاً ينبغي تحصيلها والالتزام بها، وبها تتحقّق له درجة خاصة في التشيع، ومرتبة مميّزة، ومن هذه الصفات:

المتباذلون في ولايتنا: فيبذل المؤمن لأخيه المؤمن ما يمكنه أن يساعده فيه ويعينه، ولا يكون أنانياً أو حسوداً ومنافساً بالباطل معه.

المتحابون في مودّتنا: فيكون بينهم مودّة وحبّ لأجل أهل البيت (عليهم السلام)، فلا يوجد بغض أو عداوة بينه وبين المؤمنين، وإذا كان هناك حبّ وتواؤم لا يكون منه تعدّ عليهم.

الذين إذا غضبوا لم يظلموا: وقد تقدّم ما يتعلّق بهذا في المورد السابق، فغضبهم لا يستلزم دخولهم في المعصية وظلم الآخرين.

سَلَامٌ لِمَنْ خَالَطُوا: فمن اقتربوا منه واختلطوا معه في العلاقات لا يوجب صدور ضرر منه عليهم، ولا يسيء لهم.

فمن يتّصف بهذه الصفة يكون في عداد شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، وما أحسنه من انتماء.

٦- مفتاح خير

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: (كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: يَا مُبْتَغِي الْعِلْمِ، إِنَّ هَذَا اللِّسَانَ مِفْتَاحُ خَيْرٍ وَمِفْتَاحُ شَرٍّ، فَاخْتِمْ عَلَى لِسَانِكَ كَمَا تَخْتِمْ عَلَى ذَهَبِكَ وَوَرِقِكَ)^{٧٨}.

حيث وصف اللسان بأنه وسيلة خير ومفتاحه، وهو حث على أن استعماله بشكل سليم يكون وسيلة لنيل الخير وكسبه.

٧- الود والحب

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ: أَوْصِنِي؟ فَكَانَ مِمَّا أَوْصَاهُ: تَحَبَّبْ إِلَى النَّاسِ يُحِبُّوكَ)^{٧٩}. فمن آثار التحبب للناس وعدم ارتكاب العداوة والبغض لهم والتجاوز عليهم، هو أنه يظفر بحبهم وودهم.

٨- البركة في العمل والزيادة في الرزق والعمر

عن الإمام الباقر عليه السلام: (من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بأهله زيد في عمره)^{٨٠}.

وهناك الكثير من الآثار التي وردت عنه عليه السلام على الالتزام باحترام المؤمن وأداء حقه وعدم إهانته والتعدي عليه، وكذا ما ورد عن سائر أهل بيت العصمة عليهم السلام، لكنني أكتفي بهذا القدر رعاية للاختصار، وهو كافٍ وشافٍ لمن له عقل وألقى السمع وهو شهيد.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى الصلاح والاستقامة للمجتمع، والالتزام بتعاليم الإسلام ومنها ما جاء عن سيّدنا وإمامنا أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه)، وأن يجعلنا ممن سار على نهجهم وأطاعهم، بحق المصطفى الأمين محمد وآله الطاهرين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف خلقه وآله المنتجبين.

لهوامش:

- ١- سورة المائدة: الآية ٤.
- ٢- سورة الإسراء: الآية ٦٩.
- ٣- لسان العرب: ٤٠١ / ١.
- ٤- مجلة الدراسات العربية: ٧٢٨.
- ٥- مدخل إلى التربية: ١٨.
- ٦- النظام التربوي في الإسلام: ٣٥.
- ٧- النظام التربوي في الإسلام: ٤٢.
- ٨- ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥ / ٢٤٣ مادة (هتك)، ومجمع البحرين: ٥ / ٢٩٩ مادة (عثر).
- ٩- ينظر: مجمع البحرين: ٥ / ٢٩٨ مادة (هلك).
- ١٠- ينظر: لسان العرب: ٤ / ٥٣٩ مادة (عثر)، ومجمع البحرين: ٣ / ٣٩٦ مادة (عثر).
- ١١- النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ٣١٨ مادة (عور)، ومجمع البحرين: ٣ / ٤١٦ مادة (عور).
- ١٢- مجمع البحرين: ٢ / ١٢٩ مادة (عيب) بتصرف.
- ١٣- سورة النور: الآية ٢٤.
- ١٤- عيون الحكم والمواعظ: ٢٧٦ رقم ٥٠٣٢.
- ١٥- سورة الأحزاب: الآية ٧٠.
- ١٦- سورة النساء: الآية ٩.
- ١٧- نهج البلاغة: ٢ / ٩٣ خطبة ١٧٦.
- ١٨- الكافي: ٢ / ١٦٥ باب الاهتمام بأمور المسلمين...، ح ١٠.
- ١٩- تحف العقول: ٧٤.
- ٢٠- الكافي: ٤ / ١٥٠ باب فضل إفطار الرجل عند أخيه إذا سأل، ح ٢.
- ٢١- علل الشرائع: ٢ / ٣٨٧ باب ١٢٠ ح ١.
- ٢٢- تحف العقول: ٢٩٤.
- ٢٣- الكافي: ج ٢، ص ٣٧٠، ح ٥.
- ٢٤- ثواب الأعمال: ٢٧٢ باب عقاب الظلم.
- ٢٥- الكافي: ٢ / ٣٣٢ ح ١٢.
- ٢٦- الكافي: ٢ / ٩١ ح ١٣.
- ٢٧- سورة الإسراء: الآية ٢٣.

- ٢٨- تفسير العيَّاشي: ٢ / ٢٨٥.
- ٢٩- الكافي: ٢ / ٣٤٩ باب العقوق، ح ٦.
- ٣٠- الكافي: ٢ / ٣٤٩ باب العقوق، ح ٨.
- ٣١- بحار الأنوار: ٦٥ / ٧١ ذيل ح ٢٩.
- ٣٢- الكافي: ٢ / ٣٤٩ باب العقوق، ح ٧.
- ٣٣- تفسير العيَّاشي: ٢ / ٢٨٥.
- ٣٤- سورة آل عمران: الآية ٩٢.
- ٣٥- تفسير العيَّاشي: ٢ / ٢٨٦.
- ٣٦- الكافي: ٢ / ٤٥٩ ح ١.
- ٣٧- الكافي: ٢ / ٢٣٣ ح ١٢.
- ٣٨- الكافي: ٢ / ٢٣٣ ح ١٣.
- ٣٩- الكافي: ٢ / ٢٣٥ ح ١٩.
- ٤٠- المحاسن: ١ / ١٠٣ ح ٨٠.
- ٤١- الكافي: ٢ / ٣٦٨ ح ٣.
- ٤٢- تحف العقول: ٢٩٦.
- ٤٣- الكافي: ٢ / ٣٦٠ باب السباب، ح ٢.
- ٤٤- الكافي: ٢ / ٣٦٠ باب السباب، ح ٣.
- ٤٥- الكافي: ٢ / ٣٦١ ح ٩.
- ٤٦- النهاية في غريب الحديث: ٤ / ١١١، لسان العرب: ١٣ / ٣٤٧.
- ٤٧- الكافي: ٢ / ٤٥٩ ح ١.
- ٤٨- الكافي: ٢ / ٤٦٠ ح ٣.
- ٤٩- الكافي: ٢ / ٤٦٠ ح ٢.
- ٥٠- الكافي: ٢ / ٢٣٥ ح ١٩.
- ٥١- الكافي: ٢ / ٣٥٤ باب مَنْ طلب عَثَرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وعوراتهم ح ١.
- ٥٢- الكافي: ٢ / ٣٦١ ح ٩.
- ٥٣- ثواب الأعمال: ٢٧٢ باب عقاب الظلم.
- ٥٤- الكافي: ٢ / ٣٣٢ ح ١٢.
- ٥٥- الكافي: ٢ / ٩١ ح ١٣.
- ٥٦- الكافي: ٢ / ٣٧٠ ح ٥.
- ٥٧- الكافي: ٢ / ٢٣٥ ح ١٩.

- ٥٨- المحاسن: ١/ ١٠٣ ح ٨٠.
- ٥٩- ثواب الأعمال: ٢٧٢ باب عقاب الظلم.
- ٦٠- الكافي: ٢/ ٣٦٩ باب النميمة ح ٢.
- ٦١- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١١/ ٥٦.
- ٦٢- الكافي: ٢/ ٣٣٢ باب الظلم ح ١٢.
- ٦٣- الكافي: ٢/ ٣٦١ ح ٩.
- ٦٤- الكافي: ٢/ ٣٧٠ ح ٥.
- ٦٥- الكافي: ٢/ ٣٥٥ باب مَنْ طلب عشرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وعوراتهم ح ٥.
- ٦٦- الكافي: ٢/ ٤٥٩ ح ١.
- ٦٧- الكافي: ٢/ ٤٥٩ ح ١.
- ٦٨- الكافي: ٢/ ٣٦١ ح ٩.
- ٦٩- الكافي: ٢/ ٣٣٢ ح ١٢.
- ٧٠- تحف العقول: ٣٩١.
- ٧١- تحف العقول: ٣٩١.
- ٧٢- الكافي: ٢/ ٤٥٩ ح ١.
- ٧٣- الكافي: ٢/ ٤٥٩ ح ١.
- ٧٤- الكافي: ٢/ ٢٣٥ ح ١٩.
- ٧٥- الكافي: ٢/ ٢٣٣ ح ١٢.
- ٧٦- الكافي: ٢/ ٢٣٣ ح ١٣.
- ٧٧- الكافي: ٢/ ٢٣٦ باب المؤمن وصفاته وعلاماته، ح ٢٤.
- ٧٨- الكافي: ٢/ ١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان، ح ١٠.
- ٧٩- الكافي: ٢/ ٦٤٢ باب التحبب إلى الناس والتودد لهم، ح ١.
- ٨٠- تحف العقول: ٢٩٨.



المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

* بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ)، تحقيق السيّد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسّسة الوفاء - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* تحف العقول، للحسن بن عليّ بن شعبة الحرّائي (القرن ٤ الهجري)، تحقيق عليّ أكبر الغفاري، الناشر جماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

* تفسير العيّاشي، لمحمد بن مسعود العيّاشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، الناشر: المكتبة العلميّة - طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

* ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، دار الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

* علل الشرائع، للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، الناشر مكتبة

الداوري، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

* عيون الحكم والمواعظ، لأبي الحسن عليّ بن محمد بن الحسن بن أبي نزار الليثي الواسطي (القرن السادس الهجري)، تحقيق حسين الحسيني البرجندي، دار الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

* الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق عليّ أكبر الغفاري، الناشر دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

* لسان العرب، جمال الدين بن منظور، (ت ٧١١هـ)، سنة الطبع: محرم ١٤٠٥هـ، الناشر: نشر أدب الحوزة.

* مجلة الدراسات العربيّة، مقالة مفهوم التربية الإسلاميّة، المجلد ٤٢، العدد ٢٠، يوليو ٢٠٢٠م.

* مجمع البحرين، لفخر الدين بن محمد الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق السيّد أحمد الحسيني الأشكوري، الناشر: المرتضوي، الطبعة الثالثة، طهران، ١٤١٧هـ.

* المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ)، تحقيق: المحدث جلال الدين، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة، قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ.

* مدخل إلى التربية، د. عمر أحمد
همشري، دار الصفاء، عمان - الأردن،
٢٠٠١م.

* مرآة العقول في شرح أخبار آل
الرسول، للشيخ محمد باقر محمد تقي
المجلسي (ت ١١١٠هـ)، تحقيق هاشم
رسول المحلاتي، الناشر دار الكتب
الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
* النظام التربوي في الإسلام،
الشيخ باقر شريف القرشي
(ت ١٤٣٣هـ)، دار الكتاب

الإسلامي، قم - إيران، ١٣٨٧ هـ.ش.
* النهاية في غريب الحديث
والأثر، لمبارك بن محمد بن الأثير
الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود
محمد الطناحي، الناشر: مؤسسة
إسماعيليان، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ش.
* نهج البلاغة، خطب الإمام
علي عليه السلام، جمع الشريف الرضي،
شرح الشيخ محمد عبدة، دار الذخائر،
قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.



جماليات التشكيل الأسلوبي وأثره في توليد دلالات المعنى عند الإمام محمد الباقر عليه السلام

أ.د. كريمة نوماس محمد المدني
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

تمثل أقوال أهل البيت عليهم السلام منظومة معرفية وثقافية متكاملة، لما يمتلكونه من منزلة كبيرة وعظيمة في المجتمع، فهم سلالة النسب الطاهر وأحفاد رسول الأمة وهاديا ونبيا المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد تم اختيار أقوال الإمام محمد الباقر عليه السلام ودراستها وفق المنهج الأسلوبي لكونها تمثل في جوهرها وتشكيلاتها اللغوية ذات قيمة أسلوبية مميزة وفاعلة لكشف مضمرات النص ومقاصده المختلفة على اختلاف مؤثراتها النصية ومثيراتها الأسلوبية، فظهرت أسلوبية أقوال الإمام بمشاهد مكثفة رؤيوية وذات تفصلات معنوية وعلائق ذهنية مثيرة تكشف ملابسات الواقع وتحتزل الرؤى المجتمعية في تناقضات فكرية ومؤثرات تصويرية وشفرات إيحائية متنوعة.

وقد تمثلت خطة الدراسة بقراءة أهم المثيرات الأسلوبية التي شكّلت منها نصوص وأقوال الإمام محمد الباقر عليه السلام، فبدأ البحث بدراسة المدخل المفاهيمي لبيان جماليات التشكيل الأسلوبي وكيف تحقق جماليات النص عبر المنهج الأسلوبي، أمّا الفقرة الثانية، فتمثلت باستعراض لسيرة الإمام محمد الباقر عليه السلام، وأمّا محاور الدراسة فتم دراسة جماليات أسلوب التوازي

وتشمل الصورة المتوازية لتظهر المعاني عبرها . أمّا المبحث الثاني، فدرست ظاهرة التضاد الأسلوبية، وفي المبحث الثالث ستمّ دراسة جماليات اللغة وفضاءاتها النسقية عبر التكرار ، وفي المبحث الرابع درست فيه أسلوبية النسق الاستعاري تصوّري ، ثم ختمت الدراسة بأهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث .

المدخل : جماليات التشكيل الأسلوبي ، إضاءة حول حياة الإمام الباقر عليه السلام العطرة

أولاً : جماليات التشكيل الأسلوبي :

تعد الخطابات الدينية والسياسية والاجتماعية منظومة معرفية فاعلة ومدوّنة ثقافية كاشفة عن مضمرات النصّ وفواعله النسقية ، وما يتميّن الخطاب بجماليات التعبير الأسلوبي الفاعل الذي يملك أدوات خطابية وأسلوبية يتحاور بها منشئ الخطاب مع المتلقّين للخطاب ، وبهذا يكون النصّ مهما تعدّدت أنماطه الخطابية ممارسةً أسلوبية ودلالية ذات نظام خاص يعيد للكلام طاقته الفاعلة ضمن حيّز الفضاء الذي يتواصل فيه منشئ النصّ مع متلقّيه ، فيتشكّل النصّ بجموعة أساليب تنبني عليها بداعة الصورة وعمقها ومسترفداتها النسقية والتركيبية، وهنا تكمن قيمة الشعرية الأسلوبية في تلك الخطابات برصدها لأهمّ الظواهر المستشرية في المجتمع لتكون صدمتها الظاهرية ودهشتها الإسنادية بأساليب تركيبية فاعلة فائقة القدرة على التمكنّ في ذهن المتلقّين

وبناء على ما تقدّم تحدّد قيمة الخطاب بما يمتلكه من عناصر ومهيمنات أسلوبية تجسّد المعاني التي يريد إيصالها للمجتمع ، وقد مثّلت خطابات أئمة أهل بيت الرسالة النبوية بلاغة الرؤيا الأسلوبية المثيرة لما تضمّره من

فواعل نصّية ومهيمنات أسلوية تعطي المعاني عمقاً تصويرياً وإيحائياً مهماً يعالج قضايا المجتمع وما طرأ عليه من أزمات وانحرافات فكرية ، فكانت خطابات الإمام محمد الباقر (عليه السلام) النموذج الأكمل لاكتشاف المخاطر التي تحيط بالمجتمع وتشخيصها وطرق معالجتها بأساليب مائزة وأنساق تربوية ودينية مدهشة تتمثل بالإرادة والفعل والجهد والحذر والطاعة ، فجاءت خطابه مؤسّسة لرؤية مجتمعية ومطابقة لمنظور اجتماعي إسلامي قيمى عالٍ ذي رؤية قويمه .

ثانياً : إضاءة حول سيرة الإمام الباقر (عليه السلام) العطرة

ولد الإمام الباقر (عليه السلام) في المدينة المنورة سنة سبع وخمسين من الهجرة النبوية الشريفة ، وحياة الإمام الباقر (عليه السلام) حافلة بكل المشاهد المؤلمة التي شهدتها مع أبيه وجده الإمام الحسين (عليه السلام) فقد شهد مرارته وألامها وحرقة السبي والقتل لآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لقد كان الإمام الباقر (عليه السلام) المنصوص عليه بالإمامة من بين إخوته خليفة لأبيه زين العابدين السجاد (عليه السلام) ، وقد انمازت شخصيته وهو ابن السلالة الطاهرة وحفيد رسول الأمة وهادياها بالزهد والعلم والفضيلة والمكارم والتقوى ، وقد كان إماماً مفترض الطاعة يحمل من العلم ما حمله أبوه وجده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد حدثت في عهده الحوادث الكثيرة واستطاع بمقدرته الفائقة وشخصيته المحنكة وعلمه الغزير أن يحلّ أزمات مّرت بها البلاد الإسلامية ، فكانت أقواله تحصيناً للمنهج الإسلامى وما يتوافق من الكتاب والسنة النبوية المطهّرة ، حتّى توفّي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة مائة وأربعة عشر للهجرة.

المبحث الأول : أسلوب التوازي

يؤدّي التوازي أثراً كبيراً في آفاق الدراسات الأسلوبية، فهو يكشف عن البنية المسؤولة عن توزيع العناصر اللغوية والفنية والدلالية داخل العمل الفني سواء أكان شعراً أم نثراً.

وعُرف التوازي في الدراسات النقدية الحديثة أنّه: ((تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما نفس البنية، بحيث يكون بينهما علاقة متينة إما على أساس المشابهة، أو على أساس التضاد)).^١

والتوازي من المقوّمات الأسلوبية التي تنشأ نتيجة ترديد وحدات صوتية متساوقة في النصّ، فيمنحه نمطاً خاصاً من الإيقاع يتجلّى في نسق من التناسبات المستمرة على مستويات متعددة منها: مستوى تنظيم البنى التركيبية وترتيبها، ومستوى تنظيم الأشكال والمقولات النحوية وترتيبها، ومستوى تنظيم الترادفات المعجمية، ومستوى الأصوات والهيكل التطريزية وترتيبها.^٢

ويمكن القول إنّ التوازي مكوّن أسلوبى يعمل على تنسيق العلاقات الداخلية للنصّ الأدبي بدءاً من العلاقات التركيبية ووصولاً إلى الإيقاع، وبهذا يجذب انتباه القارئ أو المتلقّي ضمن أنماط معينة من التماثلات الصوتية والتركيبية والدلالية المكوّنة لنسيج النصّ ضمن حالة تعادلية أو توازنية بين الثبات والتحوّل.

ولعل من أبرز امثلة التوازي ما ورد في أقوال الإمام الباقر (عليه السلام) في وصف حال العلماء مع الجهّال: (أولئك أشباه الأبحار والرهبان، قادة في الهوى، وسادة في الردى، وآخرون منهم جلوس بين الضلالة والهدى، لا يعرفون إحدى الطائفتين من الأخرى، يقولون ما كان الناس يعرفون

هذا، ولا يدرون ما هو، وصدقوا تركهم رسول الله ﷺ على البيضاء، ليلها من نهارها، لم يظهر فيهم بدعة، ولم يبدل فيهم سنة، لا خلاف عندهم ولا اختلاف، فلما غشى الناس ظلمة خطاياهم صاروا إمامين، داعٍ إلى الله تبارك وتعالى، وداعٍ إلى النار، فعند ذلك نطق الشيطان، فعلا صوته على لسان أوليائه، وكثر خيله ورجله، وشارك في المال والولد من أشركه، فعمل بالبدعة، وترك الكتاب والسنة، ونطق أولياء الله بالحجة وأخذوا بالكتاب والحكمة، فتفرق من ذلك اليوم أهل الحق وأهل الباطل وتخاذل وتهادن أهل الهدى، وتعاون أهل الضلالة حتى كانت الجماعة مع فلان وأشباهه، فاعرف هذا الصنف، وصنف آخر، فأبصرهم رأي العين نجباء، ألا ذلك هو الخسران المبين^٣

فقد بُني النص على نمط من العلاقات التركيبية المتوازنة عكست نسقاً بنائياً قائماً على ترديد البنية التركيبية الموحدة، وعبرها استطاع الإمام عليه السلام إبراز مجموعة من الصفات الخاصة بقيادة الهدى وقادة الردى، وبيان أثرهم في بناء المجتمع الإسلامي .

ولذا أسهمت بنية التوازي في تثبيت هذه الصفات والمعاني وإيصالها إلى المتلقي بطريقة نحوية - صرفية متقابلة لذا قيل: إن التوازي هو قائم في هذا النص بين ركنين متوازنين يتسندان إلى صورتين متوازنتين، فتنقية التوازي المزدوج واضحة المعالم، إذ أنتج التوازي القائم بين زوجين إيقاعاً منتظماً تنطوي تحته صيغ نحوية وصرفية متوازنة، فالإمام الباقر عليه السلام عبر هذا الإجراء الأسلوبية أكد على إبراز المعاني بشكل يثير أهمية الالتفات إلى التفرقة بين أهل الحق وأهل الباطل، ثم يبين في خاتمة قوله عليه السلام أن الخسران المبين لمن يوالي أهل الضلال والباطل .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الإمام الباقر (عليه السلام) : في الاستعاذة بالله تعالى :
 (اللهم إني أعوذ بك من الشرّ ، وأنواع الفواحش كلّها ، ظاهرها وباطنها ،
 وغفلاتها ، وجميع ما يريدني به الشيطان الرجيم ، مما يريدني به السلطان
 العنيد ، ممّا أحطت بعلمه ، وأنت القادر على صرفه عني ، اللهم إني أعوذ
 بك من طوارق الجنّ والإنس ، وزوابعهم وبوائقهم ومكايدهم ، ومشاهد
 الفسقة من الجنّ والأنس ، وأن استزل عن ديني ، فتفسد عليّ آخرتي)؛
 إن القيمة الأسلوبية لهذا النسق التركيبي تتجلى في المماثلة النحوية
 والصرفية بين السياقات النصّية المعتمدة على الخط التركيبي نفسه ، عبر
 التكثيف للتراكيب المتوازية ، فأراد الإمام الباقر (عليه السلام) أن يستظهر عبر هذه
 الأنماط التركيبية المتوازية تأثير وخطر الفسقة من الجنّ والإنس وإيقاظ
 النفوس الغافلة عن عبادة الله وطاعة الشيطان ، وبهذا الشكل اللغوي
 المتوازن المنظم يثير الإمام مجموعة علائق حياتية لها الأثر المباشر في تنظيم
 حياة الفرد وفق رؤية تصويرية مثيرة ، لإبراز فاعلية وأهمية النسق الضمني
 الذي يريد الإشارة والتركيز عليه عبر تحفيز النسق المتوازي وتنامي إحياءاته
 الخلقية بتنشئة الفرد والأسرة تنشئة صحيحة .

ومن وصاياه (عليه السلام) أيضاً :°

وإياك والثقة بغير المأمون ، فإن للشرّ ضراوة كضراوة الغذاء
 واعلم أنه لا علم كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب
 ولا عقل كمخالفة الهوى
 ولا خوف كخوف حاجز
 ولا رجاء كرجاء معين
 ولا فقر كفقر القلب
 ولا غنى كغنى النفس

ولا قوة كغلبة الهوى
ولا نور كنور اليقين
ولا يقين كاستصغارك الدنيا
ولا معرفة كمعرفتك بنفسك
ولا نعمة كالعافية

ثانياً : أسلوب التضاد

يعدُّ التضادُّ بنيةً أسلوبيةً فاعلةً لصناعة عنصر الإدهاش والمفاجأة في النصِّ الأدبي إيجاءً ودلالةً، إذ له أثر عميق في تعضيد المعنى وإثرائه، فهو يعزِّز الدلالة عن طريق: ((تقاطع الدوالِّ بالمدلولات والمزج بين المتنافرات وصهرها في كيان واحد يعانق فيها الشيء نقيضه فيتفاعلان في سياق دلالي بطبيعة التنافر)).^٦

فقيمة التضادِّ الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يبيِّن العنصرين المتقابلين، ويكون بينهما موضع التبادل أو التنافر، الذي لا ينحصر في التباين الدلالي فحسب، وإنما يكسب الألفاظ أيضاً بُعداً إيقاعياً لإنتاج جوٍّ خاص و متميز لإحداث الإقناع في المتلقِّي.

وعلى هذه لن يكون للتضادِّ أي تأثير ما لم يتداع في توالٍ لغوي وفي مثل هذا الحال تنتمي الألفاظ المتضادة إلى فئة واحدة، لكنها تعارض في دلالاتها ويكون التعارض بين لفظ موجود وفعل آخر موجود بالقوة، ولعله يكون أيضاً بين لفظ معيَّن والسياق الذي وردَ فيه، فالسمات المتعارضة تقوم في الأحوال كلّها على محور واحد يحتل فيه أحد الألفاظ طرفه الأول والآخر طرفه الثاني.

لذا قيل إنَّ التضادَّ هو ((ضربٌ من الانزياح في مسارات بناء النصِّ بين المعيارى المؤلف وغير المؤلف)).^٧ لتحقيق جوِّ من التناقضات والثنائيات الضدِّية التي ترتبط بالموقف الفكرى والوجدانى الذى يرمى إليه الأديب ويعززه، فمن أمثلة ما جاء من المتضادات في أقوال الإمام الباقر (عليه السلام):

ما ورد من وصاياه (عليه السلام) لأصحابه، منها وصيته لجابر بن يزيد الجعفي: ((ليعن قويكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنّا، فإن وجدتموه موافقاً للقرآن فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فيه فقفوا عنده، وردوا إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا، وإذا كنتم كما أوصيناكم، لم تعدّوا غيره، فمن مات منكم قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً، ومن أدرك منكم قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدواً لنا كان له أجر عشرين شهيداً))^٨

فأسلوب التضادّ فعّال في اتّجاهه الوظيفى، وهو سلطة مؤثّرة على النصِّ وتحمل المتلقّى على استنطاق الخطاب بقراءات متعدّدة وصولاً لاسترداد المقاصد، فهذه الألفاظ المتضادة اتّمت ثراءً دلاليّاً، وبهذا أسهم التضادّ إسهاماً فعّالاً في إنتاج دلالة ذات أبعاد عميقة. ف رؤية النص ومدايله التأملية عبر أسلوب التضادّ في (القوى والضعيف والغنى والفقير، كتم الأسرار وكشفها) ف الإمام (عليه السلام) يرسم خارطة طريق واضحة المعالم لتثبيت قيم الأخوة والتعاطف والتسامح واتباع نهج أهل البيت (عليهم السلام) لكونهم هم الرسالة السماوية التي أوصى بها الرسول الأعظم (عليه السلام) في تثبيت دعائم المجتمع الإسلامى .

فبنية التضاد عملت على التعبير عن مقصدية الإمام وكثفت الدلالة، إذ غالباً ما يأتي التضاد في خدمة المعنى، فالمتبّع لهذه الثنائيات يلاحظ أن كلّ ثنائية يرتبط طرفاها ارتباطاً تلازمياً بحيث إن ذكر الطرف الأول ذكّر الثاني، فانبثاق الدلالة واضحٌ عبر تلك الثنائيات التي أسهمت في جعل الدلالة أكثر عمقاً).

فغالباً ما يأتي التضادّ ليعزّز الدلالة في النصّ إذ يكون بين شيئين يتضادان في الظاهر ويلتقيان في العمق، الأمر الذي أكسب النصّ ثراءً أسلوبياً ودلالياً.

إن انبثاق السياق الأسلوبي بفعل المقابلة بين الثنائيات الضدية في الألفاظ المتضادة (القوي والضعيف، الغني والفقير) كشفت عن طاقة إيجابية تتضمّن معنى الولاء والطاعة لله وحده والحبّ والوفاء لأهل البيت (عليه السلام) وطاعة رسوله الكريم (عليه السلام)، فجاءت تلك الدوالّ المتضادة المتنافرة لتجسيد ذلك المعنى الذي قصده الإمام (عليه السلام)، فتناقض هذه الدوالّ في التراكيب يحقق في النهاية نوعاً من التناسب؛ لأنّ هذه الأزواج المتضادة تنساق إلى غاية واحدة، هي ما أَرادَه وقصده الإمام في تجسيد شعور الولاء والحب والاخلاص لله ولأهل بيته الكرام (عليه السلام).

وحديثه (عليه السلام) في صلاة القصر والصلاة التمام، إذ يقول (عليه السلام): ((إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصلاتين وبين يديها سُبحة، وهي ثمان ركعات، فإن شئت طوّلت، وإن شئت قصّرت، ثم صلّ صلاة الظهر، فإذا فرغت كان بين الظهر والعصر، سُبحة وهي ثمان ركعات، إن شئت طوّلت، وإن شئت قصّرت، ثم صلّ العصر)).^٩

حديث الإمام الباقر (عليه السلام) واضح المعالم عبر توضيحه لقضية شرعية دينية متعلّقة بالصلاة وأدائها بالتمام أو القصر، فاتضحَت الرؤية الشرعية عند المتلقي

بعبارات الطبايق من أداء الصلاة بتمامها أو تقصيرها .وتعدّ هذه الآراء الشرعية والاجتهادات الدينية هي أساس تنظيم المجتمع الإسلامي وبناء أسس قيمية ثابتة غير مضطربة تعلّمها الفرد المسلم ليعيش حياة منظمة وصحيحة ، فأهل بيت النبوة هم المسار الصحيح الذي أمرنا به الرسول ﷺ

فمن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد عن الإمام ﷺ في الاستعاذة بالله سبحانه (اللهم إني أعوذ بك من الشرّ ، وأنواع الفواحش كلّها ، ظاهرها وباطنها وغفلاتها ، وجميع ما يريدني به الشيطان الرجيم ، وما يريدني به السلطان العنيد ، ممّا أحطت بعلمه ، وأنت القادر على صرفه عني ، اللهم إني أعوذ بك من طوارق الجنّ والإنس ، وزوابعهم وبوائقهم ومكائدهم ، ومشاهد الفسقة من الجنّ والإنس ، وإن أستزل عن ديني فتفسد عليّ آخرتي ، وأن يكون ذلك منهم ضرراً عليّ في معاشي ، أو يعرض بلاء يصيبني منهم ، لا قوة لي به ولا صبر لي على احتماله فلا تبتلنا إلهي بمقاساته ، فيمنعني ذلك عن ذكرك ويشغلني عن عبادتك ، أنت العاصم الدافع الواقى من ذلك كلّ)^{١٠} وفي هذا الحديث يأتي دور الإمام الباقر ﷺ ليصنع شخصية الفرد المسلم صنعة حقيقية وذات قيم خلقية ومعايير إنسانية تجعله ينعم بالحياة الهادئة التي تحقّق ترسيخ الهوية الحقيقية للمجتمع الإسلامي ، إذ بين الإمام الباقر ﷺ الشواهد والأدلة التي تجلب الإساءة للهوية الإسلامية منها الفواحش بظاهرها وباطنها التي يخطّط لها الشيطان الرجيم لهدم المجتمع الإسلامي بعلاقاته الوهمية الفاحشة بين أفراد المجتمع ، كذلك أشار ﷺ إلى طوارق الإنس والجنّ ومكائدهم وبوائقهم في خلق الفتن والأزمات الاجتماعية التي تؤدي بهدم كل القيم والثوابت الإسلامية الصحيحة . فلا منجى ولا منقذ للإنسان سوى ذكر الله وعبادته بموالات أهل الرسالة السماوية وهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين أذهب الله

عنهم الرجس وطهّروهم تطهيراً والابتعاد عن معاصيه لينعم الفرد المسلم
بحياة هادئة وكريمة

ومن أمثلة التضادّ أيضاً في أقوال الإمام (عليه السلام): (في كتاب الله إمامان :
إمام الهدى ، وإمام الضلال ، فأما أئمة الهدى فيقدّمون أمر الله قبل أمرهم ،
وحكم الله قبل حكمهم ، وأما أئمة الضلال ، فإنهم يقدّمون أمرهم قبل
أمر الله ، وحكمهم قبل حكم الله ، أتباعاً لأهوائهم وخلافاً لما في الكتاب) ١١

ثالثاً : أسلوب التكرار

يُعدُّ التكرار من أهم السمات الأسلوبية في اللغة الأدبية؛ إذ عُرِفَ:
((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث يشكّل نغماً موسيقياً
يقتصده الناظم في شعره ونثره)). ١٢

وتُعد بنية التكرار من البنى الإيقاعية والأسس الأسلوبية التي تعمل
على تعميق الدلالة في النصّ الأدبي، عبر وظيفته المزدوجة التي تجمع بين
الوظيفة الفنية والوظيفة النفسية فضلاً عن وظيفته الصوتية الناتجة من
تكرار أصوات اللفظة نفسها. ١٣

ويمكن القول إنّ للتكرار وظيفة أسلوبية - إيقاعية تخدم النظام
الداخلي للنصّ الأدبي وذلك باستثمار الطاقة الصوتية المتولّدة من الصوت
في صناعة الإيقاع، والإيحاء بالدلالة، بذلك يستطيع الكاتب أن يعيد صياغة
بعض الصور من جهة، ويعمّق الدلالة الإيحائية للنصّ من جهة أخرى. ١٤
وقد برزت ظاهرة التكرار بشكل ملحوظ في أقوال الإمام الباقر (عليه السلام)؛ إذ
كان يرمي عبره تعزيز المعنى، وتقريره في نفس المتلقّي والتفاعل مع مقصدية
النص ، فضلاً عن الإيقاع النغمي الذي يؤدّيه التكرار في بنية النصّ.

وقد أسهمت بنية التكرار اللفظي في تشكيل قسم كبير من مكاتبات الإمام الباقر (عليه السلام)، فمن ذلك ما جاء في التوحيد قوله (عليه السلام):

(أما بعد ، فإني أوصيك بالتقوى ، فإن فيها السلامة من التلف ، والغنيمة في المنقلب ، إن الله يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله ، ويحلي بالتقوى عنه عما وجهله ، وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة ، وصالح ومن معه من الصاعقة ، وبالتقوى فاز الصابرون ، ونجت تلك العصب من المهالك ، ولهم إخوان على تلك الطريقة يلتمسون الفضيلة ، نبذوا طغيانهم من الإيراد بالشهوات لما بلغهم في الكتاب من المثالات ، حمدوا ربهم على ما رزقهم ، وهو أهل الحمد ، وذموا أنفسهم على ما فرطوا ، وهم أهل الذم ..) ^{١٥}

نلاحظ في هذا النصّ ترديد الدوالّ في توزيعات منتظمة بين فقرات النصّ، ففي كل مقطع تتكرّر لفظة ((التقوى)) متوزّعة بنحو لافت مشكّلاً منها الإمام (عليه السلام) لازمة ضرورة تسهم في الكشف عما يضمّره النصّ من رؤى وانفعالات نفسية تجاه المخاطب، فللتكرار قيمة دلالية وصوتية، لأنّه يتّصل ((بالإطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية الدنيا، وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية)). ^{١٦}

فالتقوى وما يتبعها من سلوكيات هي الدليل والمنهج الصحيح والقيوم الذي يضمن بناء شخصية الأسرة المسلمة والفرد في علاقاته مع الآخرين ، لأنّه في التقوى خشية الله وفي خشية الله عبادته والابتعاد عن معاصيه والرذائل التي تقوّض الشخصية وبناءها بالطريقة الصحيحة .



ومن أمثلة أقوال الإمام الباقر عليه السلام أيضاً في بيان الصلاة ونوافلها :
((إذا زالت الشمس فصلّ سُبْحَتَكَ، وأحبُّ أن يكون فراغُك من
الفريضة والشمس على قدمين، ثم صلّ سُبْحَتَكَ، وأحبُّ أن يكون
فراغُك من العصر والشمس على أربعة أقدام، فإن عَجَلَ بك أمرٌ
فابدأ بالفريضتين، واقضِ النافلة بعدهما، فإذا طلع الفجر فصلّ
الفريضة ثم اقضِ ما شئت)).^{١٧}

لقد جعل الإمام عليه السلام من تكرار اللازمة (الشمس) نمطاً ومنبهاً
أسلوبياً منذ مفتتح النصّ، ثم كرّرها مرتين في النصّ ليشكّل منها بؤرة
مركزية، مصدراً ومنبهاً أسلوبياً، وهذا الإلحاح في حقيقته، فهي إرشادات
تربوية وخلقية توجّه الفرد المسلم إلى السلوك القويم ليجعل منه شخصاً
مناسباً لبناء المجتمع، ومثل ذلك أيضاً قول الإمام عليه السلام في كتابه إلى عليّ
بن الرّيان في سؤاله عن الصلاة ووقتها:

((يصلّيها إذا كان على هذه الصّفة عند قصرة النجوم، والمغرب عند
اشتباكها، وبياض مغيب الشمسِ قصرة النجوم إلى بيانها)).^{١٨}
إنّ لتكرار اللازمة في النصّ المتقدّم تأثيراً دلاليّاً وإيقاعياً في بنية
النصّ، إذ تقوم هذه اللازمة بوظيفة مهمّة في إعطاء هندسة النصّ
الإيقاعية شكلاً مميّزاً يتوافق مع وقت الصلاة في (قصر النجوم) ممّا يترك
في نفس المتلقّي إحساساً عميقاً وأثراً فاعلاً إلى خاتمة النصّ، وهذا ما
يوفّر جمالية خاصة للتعبير الشرّي.

رابعاً : نسق الاستعارة التصويري

ويقوم الخطاب الاستعاري على خرق التطابق في العلاقات اللغوية وحصرها في كيان واحد عبر استثمار التنافر بين الدال والمدلول اعتماداً على الوظيفة المجازية التي تُعدّ أساس الصورة الاستعارية، فتعمل على استثارة المتلقي وتنشيط مخيلته ليتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة التي يمكن الوصول إليها عبر عدد من القراءات المنتجة لأبعادها الإيحائية، وعليه يمكن القول إنّ الخطاب الاستعاري يتشكّل من ((ممارسة استبدالية وتركيبية على مستوى محوري الاختيار والتأليف))^{١٩}.

ومن ثمّ، فإنّ الاستعارة انزياح استبدالي، وهي ((تقوم على كلمة واحدة وتستعمل بمعنى مشابه لمعناها الأصلي ومختلف عنه))^{٢٠}. وتكمن فصيحة الاستعارة أسلوبياً في هذا الواقع الجديد الذي تخلقه، وفي هذا الإيحاء المتولّد عن تردّد القارئ بين دالتين؛ دلالة حرفيّة غير مقصودة ولكنها مدّعاة تمنعها القرائن، ولا يمكن أن تتحقق إلّا في الخيال، ودلالة أخرى محتجبة يطلب من المتلقي استنتاجها بناءً على تلك القرائن^{٢١} فالبنية السطحية في الاستعارات المتقدّمة قد أسهمت في بلورة البنية العميقة، التي كشفت بدورها عن إichاءات الصور الاستعارية في النصّ، فضلاً عن إثارة المتلقي وإشراكه، فالاستعارة آلية تصويرية لا ترتبط باللغة فقط، بل بالنسق الاستعاري الذي يُعدّ استعارياً.

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك خطاب الإمام الباقر (عليه السلام) (فأمّا أئمة الهدى فيقدّمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم. وأمّا أئمة الضلال، فإنّهم يقدّمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، أتباعاً لأهوائهم، وخلافاً لما في كتاب الله تعالى).^{٢٢}

تتّضح في نصّ الإمام عليه السلام أيقونة بارزة وهي التي تشير إلى إمامي الهدى والضلالة ، فالأيقونة قائمة على الاستعارة ممّا يجعلها قابلة لفضاء من التأويلات وممّا يميّزها توازيها المتناظر مع الأيقونة الأخرى التي هي مضادّة لها في المعنى وتواليها النسقي وحراكها التوتري وفق معطيات يبرزها السياق النصّي الإشهاري ويتحكّم في توجّهاتها النصّية واستراتيجيتها الدلالية . ومن أمثلة أقوال الإمام الباقر عليه السلام الاستعارية ذات المضامين العميقة وصيته المقدسة : يا بني ، إن الله خبّا ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء :

خبّا رضاه في طاعته ، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً ، فلعل رضاه فيه .
 وخبّا سخطه في معصيته ، فلا تحقرن من المعاصي شيئاً ، فلعل سخطه فيه .
 وخبّا أوليائه في خلقه ، فلا تحقرن أحداً ، فلعلّ ذلك الولي .^{٢٣}

نلاحظ في وصية الإمام الباقر عليه السلام جماليات الاستعارة المكنية التي تفصح دلاليّاً عن القيم العليا التي رسّخها سبحانه وتعالى في الإنسانية ، من الطاعة والرضا والبعد عن السخط والغضب والتنبيه لما يجري في خلقه من الموالاة لمن يستحقّ الطاعة والاتباع من أوليائه ، فبدت الصور الاستعارية مندمجة مع بعضها لتعطي نتيجة حتمية متشابهة قائمة على تشخيص المحسوسات ليجعل الطاعة لله تعالى والمعصية له كالأشياء التي تخبّا وتوضع في مكان معين ، وقد أسهمت في بلورة البنيات العميقة التي كشفت بدورها إحياءات المعنى الذي أراده الإمام من ذلك التشخيص .

الختامة

- مثلت أقوال الإمام الباقر (عليه السلام) أسلوباً رصيناً مائزًا لاحتفائه بالأساليب البلاغية المتنوعة الهادفة لإصلاح المجتمع عبر تلك الرسائل الدينية والاجتماعية التي حفلت بالنصح والإرشاد والتوجيه وقول الحق والابتعاد عن الباطل وأهله ، وبناء الإنسان بناءً صحيحاً .

- ومن تلك السمات التي انماز بها أسلوب كلامه (عليه السلام) هو التكرار بوصفه أحد عناصر الإيقاع المؤثرة في المتلقي واستجلاء المعنى ، وقد برز بكثرة حضوره ليكون أسلوباً مهيمناً في بنية أقواله (عليه السلام) وأثرها في توجيه الفرد المسلم للتأكيد على أهم الأمور التي تصلح علاقاته مع الآخرين .

- وشكّل أسلوب الطبايق التضادي ملمحاً بارزاً؛ إذ عمل على تنسيق العلاقات الداخلية للمعنى المطلوب إيصاله وما تولّد منه من دلالات عميقة أسهمت في إضفاء الإيجاءات المؤثرة في المتلقين وتوجيه سلوكياتهم نحو اتباع الحق ومنهج أهل بيت الرسالة والابتعاد عن الباطل والفواحش .

- وشكّل محور التوازي نمطاً أسلوبياً مائزاً في أقوال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ضمن أنماط معينة من التماثلات الصوتية والتركيبية والدلالية المكونة لنسيج النصّ بنيةً مركزية مهمة في بث أفكار الإمام (عليه السلام) ، فأسهمت في توسيع أفق التصوّر عند المتلقين وحملهم على استشعار المسؤولية تجاه تلك الأوامر الصادرة عن إمام معصوم .

الهوامش:

- ١- شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة أسلوبية) : ١٤٤
- ٢- ينظر قضايا الشعرية : ١٠٦
- ٣- الكافي ، ج ٨ ، ص ٥٢ ، ح ١٦ ، بحار الأنوار ج ٧٨ ، ص ٣٥٨ ، ج ٢ ، مكاتيب الأئمة ، ج ٣ ، ٢٣٥
- ٤- ، بحار الانوار : ج ٥٢ ، ص ١١٢ - ينظر مكاتيب الأئمة : ٣ / ٣٢٢
- ٥- تحف العقول ، ص ٢٨٤ ، بحار الأنوار ج ٢٤ ، ص ١٥٦ ، ح ١٤
- ٦- الثنائيات الضدية : ١١٧
- ٧- استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبدالله العشي : ٢٦٨
- ٨- ، الكافي ج ٢ ، ص ٢٧١ ، ح ١٤ ، مكاتيب الأئمة ج ٣ ، ٢٣٥
- ٩- مكاتبات الائمة ، بصائر الدرجات ، ص ٢٣ ، ح ١ ، بحار الأنوار ج ٢٤ ، ص ١٥٦ ، ح ١٤ : ٢٧٣ : ٣
- ١٠- المصدر نفسه
- ١١- بحار الأنوار ج ٢٤ ، ص ١٥٦ ، ح ١٤
- ١٢- جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : ٢٣٩
- ١٣- البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث : ١٧٢
- ١٤- مقالات في الاسلوبية : ٨٣
- ١٥- مكاتبات الائمة : ٣ : ٢٥٦
- ١٦- خصائص الأسلوب في الشوقيات : ١٨٤
- ١٧- مكاتبات الائمة : ٣ : ٢٤٥
- ١٨- مكاتبات الائمة : ٣ : ٢٧٥
- ١٩- اللسانيات وتحليل النصوص : ٢١٠
- ٢٠- بنية اللغة الشعرية : ١١٠
- ٢١- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية : ١٢٠
- ٢٢- من لا يحضره الفقيه ، ج ٤ ، ص ١٩٧ ، ح ٥٤٥٤ : تهذيب الاحكام : ج ٣ ، ص ٧٦ ، ح ٢٣٦
- ٢٣- الكافي : ج ٢ / ٢٧١ ، بحار الانوار : ج ٩٥ ، ص ١١٢

المصادر والمراجع:

الرشيد، ١٩٨٠

* البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، مصطفى السعدني ، الإسكندرية ، ١٩٧٨
* مقالات في الأسلوبية ، منذر عياشي ، منشورات اتحاد أدباء الكتاب ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١

* خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد هادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١

* أسلوبية البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النصّ الإبداعي ، د. رحمن غركان ، ط١ ، دار الرائي ، دمشق ، ٢٠٠٨

* مكاتيب الأئمة ، الشيخ علي الأحمدي الميانحي (ت) ١٤٢١

* بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ١٩٨٦
* عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، د. مسعود بو دوحه ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠١١

* شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة أسلوبية) : د. محمد كنوني ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، أريد - الأردن ، ٢٠٢٠
* قضايا الشعرية : رومان جاكوبسون ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، ط١ ، دار توبقال ، المغرب ، ١٩٩٨

* أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء ، شفيع السيد ، مجلة إبداع مجلد ٢ ، العدد ٥ ، ١٩٨٤

* التوازي ولغة الشعر ، محمد كنوني ، مجلة فكر ونقد ، العدد ١٨ ، السنة الثانية ، ١٩٩٩

* مصطلح الثنائيات الضدية ، سمر الديوب ، مجلة عالم الفكر ، العدد ١ ، المجلد ٤١ ، ٢٠١٢

* إستراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبدالله العشّي ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، العدد السابع ، ٢٠١

* جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار

دور الإمام الباقر عليه السلام في ردّ الاعتبار للسيرة والسنة النبوية وروايتيهما

الدكتور عبد الكريم الشبلي
الجامعة التونسية

الملخص

لاستعادة اللحظة التأسيسية لتدوين السيرة النبوية، وإعادة الاعتبار لها بالرواية والقراءة العلمية والموضوعية، يختلف المؤرخون وتباين مدارسهم.. وقد تسبّب تأخر تدوين السيرة وخاصة السنة في دسّ الإسرائيليات وتشويه صورة النبي صلّى الله عليه وآله قبل البعثة وبعدها حسب ما تملّيه الأهواء والعقائد المنحرفة، وبما يعكس الخلافات السياسية والأيدولوجية خاصّة ما بين العلويين والأمويين والعباسيين في العصر الإسلامي لإضفاء الشرعية على ملكهم.. ولم يتورّع رواتهم ووعاظهم عن اختلاق ووضع روايات يدسّونها في السيرة والسنة النبوية ليخالطها الكثير من التحريف والافتراء والتشويه والنيل من صورة النبي صلّى الله عليه وآله وتشويهها عمداً أو بشكل غير مباشر، لإعلاء شأن أحدهم أو لإسباغ منقبة وفضل على ثانٍ أو لتبرئة ثالث.. وراجت الإسرائيليات لتملأ كتب التراث الإسلامي في إطار تاريخي اتسم بإحياء أيام العرب وأخبار الجاهلية وملوك اليمن وبني إسرائيل.. وطرح حكام بني أمية روايات السيرة في مجالس مسامراتهم، وقرب عبد الملك بن مروان عروة بن الزبير، واستقطب ابنه الوليد ابن شهاب الزهري تلميذ الإمام السجاد عليه السلام ليكتبوا السيرة والتاريخ من

منظور أموي وعلى النهج الزبيري.. ولم ترق لهم هذه الرواية وأحرقت، كما أجهضت محاولة الخليفة عمر بن عبد العزيز..

ركّز الإخباريون المتقدمون في سردياتهم المستنسخة على الأحداث المفصلية والخلافة في تاريخ الإسلام المبكر كالمغازي النبوية والسقيفة والشورى والجمال وصفين.. وصاغوها كامتداد لأيام العرب، لتصبح السيرة النبوية تفصيلاً عابراً من هذه السردية وتُفقد أي روح أو معنى.. في حين تصدّت جامعة أهل البيت وخاصة الإمامان الصادقان عليهما السلام لتأسيس علمي للسيرة النبوية ونشر المعاني العميقة والدروس العظيمة والتربية والآداب الشرعية لها.. نتبين ذلك من خلال روايات الإمام الباقر عليه السلام الذي شكّلت مواقفه تصحيحاً للسيرة النبوية ودفاعاً عن تراث أهل البيت عليهم السلام وتصحيح التاريخ الإسلامي، في ظل الحظر الأموي وفي محضر هشام بن عبد الملك أعظم خلفائهم، ونرى أنه أسّس النواة الأولى لرواية وكتاب السيرة والتاريخ، ويبن المنهج العلمي لكتابة السيرة النبوية وآداب السياسة الشرعية الهادفة لتهديب الحكام بكلمة حق وتوجيه السلطان إلى الحق، بعكس ما كان يسير عليه حكام بني أمية ثم بني العباس الذين طوّعوا وعّاظ السلاطين لأهوائهم واستدرجوا فقهاء السوء في ركا بهم..

التخطيط

مقدمة

١ - محاصرة الخلفاء للسيرة النبوية

٢ - الإمام الباقر عليه السلام والسيرة النبوية

٣ - دور الإمام الباقر التصحيحي:

رواية الإمام للسيرة

ردّ الشبهات

تكوين نواة المؤرّخين الإسلاميين

المقدمة

لئن اختلفت قراءات السيرة النبويّة، وتعدّدت الكتابات حولها عبر التاريخ، من آلاف كتب السيرة والفتوح والمغازي والشمائل والمدائح فضلاً عن مختلف المصادر التاريخية والدراسات والبحوث المعاصرة.. لكننا نجد أكثرها صنّف بطلب من الخلفاء والسلاطين، وأغفل معظمها روايات أهل بيت النبوة عليهم السلام وتجاهلت شهاداتهم، وخاصة روايات الإمام الباقر عليه السلام، وهي أخرى بمعرفة حقيقة أعظم شخصيّة في التاريخ، والأقرب لكشف معاني السيرة الحقيقيّة ونشر تفاصيلها.. وكان له دوره في مواجهة حصار السيرة العظيمة للنبي صلى الله عليه وآله وكشف ما تعرّضت له من التحريف والافتراء والتشويه، بعد أن أغفل الحاكمين عامة السيرة، واهتم حكام بني أمية والكثير من الحكّام ورواتهم ووعاظهم بأيام العرب في الجاهليّة وأخبار ملوك اليمن..

تسبّب تأخر تدوين السنّة والسيرة في كثرة الروايات المدسوسة التي شوّهت صورة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة وبعدها بما تمليه العقائد المنحرفة، وبها يعكس الخلافات السياسية والأيدولوجية بين العلويين والأمويين



والعباسيين في العصر الإسلامي إلى درجة تجذير خلافتهم في العصر الجاهلي، بل اتخذ الإخباريون وكتاب السيرة التاريخ الإسلامي والسيرة مطيئة لتضخيم صورة الخلفاء والصحابة على حساب صورة النبي ﷺ!، في محاولة لإضفاء الشرعية على ملكهم بروايات يدسونها وليسطروا سيرة توافق أهواءهم.. ولم يتورعوا عن النيل من شخصيته وتشويه سيرته عمداً أو بشكل غير مباشر، عبر دس نصوص مختلقة ومزيفة تُسيء إلى الرسول ﷺ وتنسب إليه ما لا يليق به مثل الإسرائيليات^٢. لذا توجب على المؤرخ البحث عن قراءة علمية وشرعية لرسم صورة واقعية ونقية للسيرة النبوية بالاعتماد على مصادر صحيحة، ومعايير وضوابط موضوعية تمكنا من الوصول إلى صورة حقيقية أقرب للواقع لشخصية النبي ﷺ، وتمييزها عن الصورة المصطنعة والمزيفة، وفهمها في إطارها التاريخي والفكري. ورغم أن الإمام الباقر (عليه السلام) استشهد قبل التدوين الرسمي للسيرة فقد ساهمت رواياته في تصحيح قراءتنا للسيرة النبوية.

١ - محاصرة الخلفاء للسيرة النبوية

كلمة السيرة لغة مشتقة من السير، ويعني المشي والحركة، وتعني السيرة طريقة المشي والحركة والسلوك.. وبعبارة أخرى: السيرة عبارة عن الأسلوب والنمط الذي يخطوه الإنسان في حياته وفي أعماله اليومية.

اصطلاحاً سيرة الرسول ﷺ هي طريقته ومنهجه في الحياة، ومجموع أقواله وأفعاله ومواقفه. وهي الأسلوب والنمط الذي كان يتبعه في أعماله اليومية من خلال سلوكه وأخلاقه وعلاقاته بالآخرين، للوصول إلى أهدافه النبيلة، مثلاً: كيف كان سلوكه؟ كيف كانت أخلاقه وعلاقاته بأصحابه وأهله ومجتمعه؟ كيف كان يُبلّغ رسالته؟ ما هي الأحداث التي واجهها في طريق الدعوة إلى الله؟ وكيف كان يتعامل معها؟ وسلوكه وطريقة تعامله مع الأحداث والتحديات والمستجدات^٣.



امتنع الخلفاء عن تدوين السنة عامة وجمع السيرة وخطب النبي ﷺ.. بل اهتم حكام بني أمية بأيام العرب وتراث الجاهلية وأخبار ملوك اليمن، فقرّبوا كعب الأخبار وعبيد بن شربة الجرهمي ووهب بن منبّه.. فسادت الإسرائيليات وشابت السيرة عديد التحريفات والشبهات..^٤ رغم توالي محاولات فردية لبعض التابعين لتدوين السيرة والسنة النبوية رغم الحظر المفروض عليها. فتنوّعت اهتمامات ومناهج أكثر الرواد الأوائل الذين اعتمدوا في منهج رواية الحديث والإسناد حرصاً على صحّة الخبر وتوثيقه، لتشكّل فيما بعد أساس مدرسة السيرة والمغازي المعتمدة على الروايات الشفوية، والسماع من الحفاظ الثقات وفق منهج الإسناد والعننة. فكانت أقرب إلى التجميع والتوثيق في حين تأخّر الاهتمام بالتاريخ الإسلامي وبالسيرة كمحطة مفصلية وتأسيسية. ولعلّ ذلك عائد إلى ولاءات الرواة الأوائل وانتماءاتهم القبليّة.

وعلى رأسهم عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٣ هـ)، يعدّه القوم أوّل من صنف في المغازي ومن متقدّمي الإخباريين، كان وثيق الصلة ببني أمية ومقرّباً منهم، وأكثر عنه النقل كل المؤرّخين، وكذلك أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ)، تتلمذ على يديهم محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ)، الذي أعدّ أوّل تسجيل لبدء حياة الرسول ﷺ، وابن إسحاق المطلبّي والواقدي..^٥ وكان عروة من الموالي لبني أمية وكانت له حظوة عندهم، شارك في وقعة الجمل ضدّ الإمام علي، وتولّى إمارة المدينة في أيام عبد الملك بن مروان الذي كان يدعوه ليسامره بأخبار السيرة.. وكان لآل الزبير من بعده بصماتهم على روايات السيرة، وخاصة مصعب وابن بكار الزبيري.. وغيرهم ممن كان هواهم الزبيري والقرشي بادياً في تصانيفهم.^٦

كما يعدّ أبان بن عثمان مرحلة انتقالية بين رواية الحديث والمغازي صلة الوصل بينهما، وكان مقرباً من الأمويين، اهتمّ عبد الملك وأبناؤه برواياته، وطلب منه سليمان بن عبد الملك أن يدوّنّها لكن لم ترق له.. وقيل أحرقت أو حفظت في خزائهم^٧! وانتظرنا حكم عمر بن عبد العزيز الأموي لمحاولة رفع الحظر على تدوين الحديث وروايته في حكمه القصير (٩٩-١٠١هـ)، إذ انتدب لتدوين الحديث أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي (ت ١٢٠هـ) تلميذ ابن شهاب الزهري، لكن فشلت المحاولة الرسميّة للحاكم عمر بن عبد العزيز وكانت مبادرته عقيمة وقاصرة في ظلّ عداء صريح وحظر متوارث على السنة عموماً^٨! وأصبح ابن شهاب الزهري المعاصر للإمام الباقر (عليه السلام)، مقرباً من بلاط عبد الملك الأموي وأبنائه اعتنى بأخبار السيرة ويجمع الأحاديث في وسط هيمنت عليه أخبار الجاهليّة ودسائس الإسرائيليات، جمع الأحاديث من أفواه الرجال من هنا وهناك، دون مدرك أساسي معتمد ومهمّ، أي كتاب يعول عليه، ولم تصلنا مدوّنته مع مؤاخذات العلماء على روايته^٩.

وانتظرنا كتابة السيرة النبويّة كمشروع للسلطة الحاكمة العباسية طلبه الحاكم المنصور العباسي على ابن إسحق (ت ١٥١هـ)، وقيل أنّه أملى عليه شروطاً ومواصفات محدّدة في التّأليف، ومع ذلك لم تصلنا إلا قطعة من روايته للسيرة^{١٠}، اشتهرت منقّحة برواية تلميذه ابن هشام الحميري المعافري (ت ٢١٣ أو ٢١٨هـ)، وهو أموي الهوى حذّف منها ما استشنع وما لم يستسغه^{١١}. وأصبح كتاب ابن إسحاق عمدة ومرجع كتب السيرة مع علمهم بتهذيب ابن هشام (ت ٢١٨هـ) لها بكثير من التصرّف من اختصار وتعديل ونقد ومعارضة بروايات غيره.. وأسقط ابن هشام أغلب سيرة ابن إسحاق وحذف من الأخبار ما يسوء بعض الناس! مدّعياً أنّه



«تارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء»^{١٢}. اتهم الواقدي وابن اسحاق بالتشيع والرفض فنقحت رواياتهم^{١٣}. وكذلك أهمل كتاب سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ) بسبب ولائه لأهل البيت عليهم السلام وإظهاره فضائلهم ومظلوميّتهم، رغم أنّه أقدم رواية للسيرة النبويّة وصدر الإسلام، وتجاهله أكثر الدراسات الحديثة^{١٤}!

ما وصلنا من مصنّفات هؤلاء المتقدّمين روايات مبثوثة في كتب السيرة اللاحقة مثل مغازي مسلم بن عقبة وسليم بن قيس وسيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام الحِمَيري (ت ١٨٢هـ)، ومغازي الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، وبعض الروايات المتناثرة بين طيّات المصادر التاريخية اللاحقة، والتي قرنت بين السيرة النبوية ومغازيه وبين أخبار الجاهليّة والخلفاء. كما ركّز الإخباريون في سرديّاتهم المستنسخة على الأحداث المفصلية والخلافيّة في تاريخ الإسلام المبكر كالسقيفة والشورى والجمل وصفين. صاغوها كامتداد لأيام العرب، بل أصبحت السيرة والمغازي النبوية تفصيلاً عابراً من هذه السردية بدون روح ولا معنى.. من نتائجها طمس جوهر السيرة ليستغلّها المستشرقون وغيرهم اليوم ليدعوا إلى إسقاط السنّة وتهميشها بدعوى التحريف والتدليس، وأنه لم يصحّ من السيرة النبوية إلّا مقاطع متفرّقة وضعيفة^{١٥}. وهذا القول محض زعم باطل وافتراء مُتعمّد، لأنّ ما صحّ من السيرة أكثر بكثير ممّا لم يصحّ منها، ولأنّ دراسة علميّة موضوعيّة وعلوم التعديل والتّجريح وغيرها كفيلة بفرز الروايات وتمحيصها وتحقيقها، حتّى مع تسامحها في روايات حوادث السيرة النبويّة، القوليّة والفعليّة والتقريرية^{١٦}.

يواجه الباحث في دراسة السيرة اليوم كل هذه المطبّات، فضلاً عن عوائق أخطر مثل تكتّم الإخباريين وتعتيمهم على جوانب مفصليّة من حياة النبي ﷺ ما قبل البعثة! لذلك يجب على الباحث في السيرة أن يتسلّح بالجرأة والصبر وطول الأناة وإعمال أدواته العلمية والمخبرية بمعزل عن ميولاته الوجدانية وعواطفه الدينية، والتخلّي عن كل المسلّمات المسبقة^{١٧}، وتتّبّع كل المصادر التي يُمكننا الرجوع إليها لاستخراج سيرة النبي ﷺ وتفاصيل حياته، وأهمّ المصادر الإسلاميّة كتاب الله عز وجل والأحاديث النبوية وروايات أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يمكن التخلّي عن كتب السيرة والفتوح والمغازي ومختلف المصادر التاريخية أياً كان فنّها أو مذهبها ويمكن الاستفادة منها بمزيد من التحقيق والتمحيص وعرضها على القرآن وسنة النبي وأهل بيته (عليهم السلام)^{١٨}.

فبعد أكثر من قرن من منع السلطة الحاكمة الأموية والعباسية لكتابة السيرة.. وإجهاض محاولة الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز تدوين السنة في فترة حكمه القصيرة (٩٩-١٠١ هـ) وكانت مبادرته عقيمة وقاصرة في ظلّ عداء صريح وحظر متوارث على السنة عامّة^{١٩}.. جاءت كتابة ابن إسحق للسيرة بطلب من الحاكم العباسي أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨ هـ) عندما قدم عليه بالخير، وقيل إنّه أملّى عليه شروطاً ومواصفات محدّدة في التأليف، وردّ عليه المسوّدّة الأولى إلى أن أوجد لجدهم العباس بن عبد المطلب دوراً في الإسلام! ولكن لم يصلنا منها إلّا قسم من روايته للسيرة^{٢٠}، واشتهرت رواية منقّحة لتلميذه عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ / ٢٨٨ م)، بعد أن حذّف منها ما استشنع وما لم يستسغه. وغلبت على روايات السيرة دسائس الإسرائيليات وروايات هلامية مشوّهة، دون مدرك أساسي معتمد ومهم^{٢١}. ويؤكّد ذلك استهداف

الحظر الأحاديث المخالفة للنظرية السياسية للحكم الذي ولد بالسقيفة،
 والسعي لتدوين ما يخدمها ويضفي عليها الشرعية، باختيار المنصور
 العباسي لمالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٦ م) وحدّد له مواصفات جمع
 السنة: «تجنّب شذائد ابن عمر ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود،
 واقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الصحابة والأئمة»^{٢٢}. لذلك
 تأخر تدوين السنّة والسيرة فانجرّ عنه كثرة الروايات المدسوسة التي
 شوّهت صورة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها وتسربت العقائد المنحرفة،
 وبما يعكس الخلافات السياسية والأيدولوجية خاصّة ما بين العلويين
 والأمويين والعباسيين في العصر الإسلامي إلى درجة تجذير خلافاتهم في
 العصر الجاهلي، فضلاً عن محاولات إضفاء الشرعيّة على ملكهم بروايات
 يدسونها في السيرة أو السنّة، على أيدي الحكّام ورؤاتهم ووعاظهم الذين
 سطّروا سيرة توافق أهواءهم. فخالط السيرة النبويّة الكثير من التحريف
 والافتراء والتشويه ولم يتورّعوا عن النيل من شخصيّة النبي ﷺ وتشويه
 صورته عمداً أو بشكل غير مباشر، لإعلاء شأن أحدهم أو لإسباغ
 منقبة وفضل على ثانٍ أو لتبرئة ثالث وذلك بتشجيع المحدثين والرواة في
 بلاطهم على وضع أحاديث تخدمهم وتشوّه أعداءهم، وخاصة الإمام علي
 وأهل البيت، وأبرز نموذج لذلك محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
 القرشي (٥٨ - ١٢٤ هـ) انتقل من المدينة ليكون محدّث البلاط^{٢٣}. فظهرت
 روايات مُتخلّقة ونصوص مزيفة وملأت الإسرائيليات التراث الإسلامي^{٢٤}.
 ورغم الحظر والتعظيم الذي فرضه الحكام على السنّة والسيرة النبوية
 وروايات أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، وإهمال مئات النصوص والروايات الواردة
 عنهم حول تفاصيل حياة رسول الله ﷺ الخاصة والعامة، فقد تنوّعت
 النصوص والأحاديث النبويّة المنقولة عن طريق الأئمّة من أهل بيته، تاريخيّة

وعقائدية وأحكام فقهية وأخلاقية.. توافق القرآن الكريم وتفسره^{٢٥}. وروي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «ما لم يُوافق من الحديث القرآن فهو زُخْرُفٌ»^{٢٦}.

٢- الإمام الباقر (عليه السلام) والسيرة النبوية

كانت الدولة الأموية قد سخرت كل اهتماماتها ومواردها لتوسيع حركة المغازي في مختلف الأنحاء، فقذفت أعداءها بالقبائل العربية التي كانت ترزح الأمصار تحت وطأة عصبيتها المتناحرة، ووجهت طاقتها القتالية لجلب الغنائم ومضاعفة الخراج وتوسيع سلطانها.. وكان آخر همها العناية بالثقافة الإسلامية، بل قام المشروع الأموي أو الإسلام الرسمي على تبرير وشرعة توجهات السلطة الأموية وسياساتها.

في هذه الظرفية أسس الإمام السجاد (عليه السلام) المدرسة الإسلامية في المدينة لحفظ تراث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، ورغم حصار الأمويين لهم استفاد الإمامان الصادقان (عليهما السلام) من ردهات أزمة الأمويين لمعالجة المجتمع الإسلامي وإحياء النموذج النبوي وتراث جدهم (صلى الله عليه وآله). فالتحق بها عدد من فقهاء التابعين كسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري قبل التحاقهما بخدمة البلاط الأموي، وسعيد بن جبير، ومحمد بن جبير بن مطعم، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.. وكان يلقي على الناس دروسه، يحفظون كلامه ويكتبونه، من تلاميذه أبان بن تغلب، والمنهال بن عمرو الأسدي، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ويروى أن سفيان بن عيينة، ونافع بن جبير، وطاووس بن كيسان، ومحمد بن إسحاق وغيرهم، قد أخذوا عن الإمام السجاد (عليه السلام) بعض الأحاديث، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: «أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده»^{٢٧}. وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: وقد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحُفظ عنه من المواعظ والأدعية، وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام^{٢٨}.

بالمقابل وظّف الأمويون الزهري، ليكون واجهة لمشروعهم! تضيئي الشرعية عليهم، وتقلّل من شأن ومكانة خصومهم وخاصة بني هاشم! وكان الزهري يقول: «كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء». وقال أحدهم: «كنا نرى أننا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد»^{٢٩}، وذهب ابن كثير إلا أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبينه شيئاً من حديثه^{٣٠} وأمر عمر بن عبد العزيز: عليكم بابن شهاب الزهري^{٣١}.

قام مشروع أهل البيت (عليهم السلام) على إحياء العلوم الإسلامية على هدي القرآن وبيان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)، وعندما نتوقّف عند قول أبي جعفر (عليه السلام): «هذا خطّ علي (عليه السلام) وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)»، وقوله لبعض أصحابه: «يا أبا محمد اذهب أنت وسلمة (بن كهيل) وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (عليه السلام)»^{٣٢}، ولم يكن علمهم ونورهم بخافٍ عن العلماء وعامة المسلمين..^{٣٣}.

فقد قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة الإمام الباقر (عليه السلام): «سمّي بذلك لأنّه من بقر الأرض، أي شقّها، وإثارة مخبّاتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبّات كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف ما لا يخفى إلّا على منظمس البصيرة أو فاسد الطويّة والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه»^{٣٤}. وقال فيه ابن كثير: «أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمي بالباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، كان ذاكرًا خاشعًا صابراً، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات»^{٣٥}. وقال عنه ابن خلّكان (ت ٦٨١هـ): أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد

جعفر الصادق. كان الباقر عالماً سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم، أي توسع. والتبقر: التوسع، وفيه يقول الشاعر القرظي:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبي على الأجل^{٣٦}

عدّه النسائي وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة. روى عن غير واحد من الصحابة، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم. منهم ابنه جعفر الصادق (عليه السلام)، والحكم بن عتيبة وربيعة والأعمش وأبو إسحاق السبيعي والأوزاعي والأعرج وهو أسن منه، وعطاء وابن جريج وأبو حنيفة والزهري، وخلق كثير^{٣٧}. وروى عن سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق بن محمد (عليه السلام)، قال: حدثني أبي محمد بن علي، وكان خير محمدي يومئذ على وجه الأرض، فذكر عنه حديثاً. ثم عرج على أقوال الآخرين^{٣٨}. وسَمَّى الإمام الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم، كان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات^{٣٩}. قال الشيخ المفيد: كان الباقر أبو جعفر محمد بن علي من بين إخوته خليفة أبيه علي بن الحسين (عليه السلام) ووصيّه والقائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد والسؤدد، وكان أنبههم ذكراً وأجلهم في العامة والخاصة وأعظمهم قدراً، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين (عليه السلام) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر (عليه السلام). روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين. صار علماً تضرب به الأمثال، وتسير بوصفه الآثار والأشعار، والسيرة والتاريخ^{٤٠}. وروى ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) عن عبد الله بن عطار قال: «ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علماً عند أبي جعفر محمد بن علي. لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم»^{٤١}.

دينهم، ليكون شعاراً سياسياً ومطيّة للسلطة، فإنّ الإمام انتهج هذا المبدأ اجتماعياً لتحرير الإنسان والمجتمع من جميع ألوان الانحراف والتطرّف في الفكر والسلوك، ونبّه الإمام عليه السلام الناس إلى القيادة الحقيقية والقادة الإلهيين، لهداية الأمة سبل الرشاد، وتجنّبها سبل الهلاك، فقال عليه السلام: «برئ الله ممن يبرأ منا، ولعن الله من لعنا، أهلك الله من عادانا». وحثّ على نصرّة أئمة الهدى فقال عليه السلام: «من أعاننا بلسانه على عدونا، أنطقه الله بحجّته يوم موقفه بين يدي الله عز وجل»^{٤٧}.

كما واجه الإمام محمد الباقر عليه السلام انحرافات عصره العقائدية والسياسية وغيرها برّد الشبهات وتفنيد الأفكار المنحرفة، التي استندت إلى سوء فهم المثال النبوي وسيرته المشوّهة.. فكان الإمام الباقر عليه السلام يستغل مناسبات الحجّ للقاء الحاجّ وشيعته لتوعيتهم وتوجيههم.. لذلك استدعاه الحاكم هشام بن عبد الملك إلى الشام، وسعى لانتقاصه والنيل منه والاستهزاء به، فتوجّه بالوعظ لهشام ومن حوله فأفحمه وكان أعجز عن مواجهة الإمام ومناظرته، وناظر أسقف المسيحيين فغلبه، ولما سجنه هشام خاف من تأثيره على السجناء، وعندئذ سمح له هشام بالعودة إلى المدينة وأضمر اغتياله والتخلّص منه ومن مشروعه^{٤٨}.

٣- دور الإمام الباقر (عليه السلام) التصحيحي

يبرز دور الإمام الباقر (عليه السلام) ومشرّوعه في حفظ السيرة النبوية على ثلاثة مستويات وتعرية المشروع الأموي وشبهاته:

رواية الإمام الباقر (عليه السلام) للسيرة

رد الشبهات

تكوين نواة المؤرخين الإسلاميين

أ. مقارنة الإمام الباقر (عليه السلام) للسيرة النبوية:

نلاحظ أنّ ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في السيرة النبوية ينخرط من رؤية تربويّة تهذب صورة النبي المعصوم (عليه السلام) وتحيي تراثه وسنته في وقت غيّت فيه أفعال الصلاة.. في سياق تصحيح المنهج والرؤية في قراءتها، وقد رُوي عن عمرو بن هلال عن أبي جعفر (عليه السلام): إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه (عليه السلام): ﴿ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾، وقال: ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾، فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله (عليه السلام)، فإنما كان قوته الشجير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجده^٩. ونصّت هذه المقاربة على إحياء ثلاث خصائص للنبي (عليه السلام)، قال أبو جعفر (عليه السلام): «كان في رسول الله (عليه السلام) ثلاثة لم تكن في أحد غيره: لم يكن له فيء، وكان لا يمر في طريق فيمر فيه بعد يومين أو ثلاثة إلا عرف أنه قد مرّ فيه لطيب عرفه. وكان لا يمرّ بحجر ولا بشجر إلا سجد له^{١٠}. وقيل لأبي جعفر (عليه السلام): إن الناس يزعمون أن رسول الله (عليه السلام) لم يكتب ولم يقرأ فأنكر ذلك وقال (عليه السلام): أتى يكون ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾، كيف يعلمهم الكتاب والحكمة

وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟ فقال علي بن أسباط للإمام: لم سمي النبي الأمي؟ فأجابه الإمام: لأنه نسب إلى مكة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لَتَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فأم القرى مكة، فقيل أمي. وأكد الإمام الباقر (عليه السلام): أن اسم النبي (صلى الله عليه وآله) في صحف إبراهيم الماحي، وفي توراة موسى الحادّ، وفي إنجيل عيسى أحمد، وفي الفرقان محمد. قيل: فما تأويل الماحي؟ قال: الماحي صورة الأصنام وماحي الأوثان والأزلام وكل معبود دون الرحمن. وقيل: فما تأويل الحادّ؟ قال: يحادّ من حاد الله ودينه قريباً كان أو بعيداً. قيل: فما تأويل أحمد؟ قال: حسن ثناء الله عز وجل عليه في الكتب بما حمد من أفعاله. قيل: فما تأويل محمد؟ قال: إن الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمدونه ويصلون عليه، وإن اسمه المكتوب على العرش محمد رسول الله^{٥١}.

ومن أخطر الأحداث التي واجهها النبي (صلى الله عليه وآله) في أخريات أيامه وتكشف عن عظمة شخصيته الربانية وخطورة التهديدات التي كانت تحدق به، روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) خلال عودته من تبوك تعرّض لمحاولة اغتياله، فقد ذكرت بعض الروايات أن جيش المسلمين حين وصل إلى العقبة (بين المدينة والشام) قال: «من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم»، فأخذ الناس بطن الوادي وسلك النبي (صلى الله عليه وآله) طريق العقبة، وكان يقود ناقته عمار بن ياسر ويسوقها حذيفة بن اليمان، وكان بعض المنافقين يترصد رجوعه في العقبة ليفتك به، وأخبره جبريل (عليه السلام) بذلك، فرأى النبي (صلى الله عليه وآله) في ضوء القمر فرساناً قد تلثموا والتفوا من ورائه في حركة مريبة! فغضب وصاح بهم وأمر حذيفة بن اليمان أن يضرب وجوه رواحلهم، فتملكهم الرعب وعرفوا بأنهم انكشفوا وعلم النبي (صلى الله عليه وآله) بما أضمرته نفوسهم، فأسرعوا تاركين العقبة ليندسوا بين الناس حتى لا تنكشف هويّتهم، وعرف حذيفة بعضهم وعرف (صلى الله عليه وآله) بعضهم الآخر أيضاً. وسأله حذيفة: ألا تقتلهم؟ فقال

النبي ﷺ: «أكره أن تقول العرب، إن محمداً لما انتقضت الحرب وضع يده في قتل أصحابه». ويروي الطبرسي عن الإمام الباقر عليه السلام أنهم كانوا في عسكرهم يتحدثون عن قتل رسول الله ﷺ.

ب. ردّ الشبهات

علقت بالسيرة النبوية شبهات عديدة تصدّى الإمام الباقر عليه السلام لأصحاب الأهواء والمذاهب المنحرفة والغلوّ والإسرائيليات التي تغلغت في ظلّ الأمويين، بسبب الانحراف عن خطّ الرسول والأئمة عليه السلام. تصدّى الإمام الباقر عليه السلام لردّها، تعلّقت خاصة بالمقام العالي للنبي ﷺ أمام بقية الأنبياء عليه السلام، وأحداث مفصلية من مراحل السيرة النبوية نقف عند أهمها: فقد نقل ابن إسحاق عن الإمام الباقر بن علي بن الحسين أنّها ليلة الفرقان. وتُنقل هذه الروايات أنّه كان مطمئناً واعياً بالمهمّة التي شرفه الله بها، ولم يكن خائفاً مرعوباً لصدمة أو شبهة وقع المفاجأة^{٥٤}، والباعث على هذه الشبهة رواية تصوّره يلجأ لائذاً بوجه السيدة خديجة أو متخفياً منه بشاها!! وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما أسري برسول الله ﷺ إلى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة، فأذن جبرئيل وأقام فتقدم رسول الله ﷺ وصف الملائكة والنبون خلف محمد ﷺ»^{٥٥}.

واعتمدت كتب القوم رواية الإمام الباقر عليه السلام في وصف عبادة النبي ﷺ من صلاة وحجّ، روى الإمام الباقر عليه السلام وضوء النبي ﷺ، فدعا بقدح فأخذ كفاً من ماء فأسدله على وجهه، ثم مسح وجهه من الجانبين جميعاً، ثم أعاد يده اليسرى في الإناء فأسدلها على يده اليمنى ثم مسح جوانبها، ثم أعاد اليمنى في الإناء فصبّها على اليسرى، ثم صنع بها كما صنع باليمنى، ثم مسح بما بقي في يده رأسه ورجليه، ولم يعدّهما في الإناء»^{٥٦}.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام عُرِجَ رسول الله ﷺ ونزوله بالصلاة. والتقصير في السفر ^{٥٧}.. وقال أبو جعفر عليه السلام: كان رسول الله ﷺ لا يصلي من النهار شيئاً حتى تزول الشمس، فإذا زالت صلى ثماني ركعات وهي صلاة الأوابين، تفتح في تلك الساعة أبواب السماء ويستجاب الدعاء، وتهب الرياح وينظر الله إلى خلقه، فإذا فاء الفيء ذراعاً صلى الظهر أربعاً، وصلى بعد الظهر ركعتين، ثم صلى ركعتين أخريين، ثم صلى العصر أربعاً إذا فاء الفيء ذراعاً، ثم لا يصلي بعد العصر شيئاً حتى تؤوب الشمس، فإذا آبت وهو أن تغيب صلى المغرب ثلاثاً وبعد المغرب أربعاً، ثم لا يصلي شيئاً حتى يسقط الشفق، فإذا سقط الشفق صلى العشاء، ثم أوى رسول الله ﷺ إلى فراشه ولم يصل شيئاً حتى يزول نصف الليل، فإذا زال نصف الليل صلى ثماني ركعات، وأوتر في الربع الأخير من الليل بثلاث ركعات فقرأ فيهن فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، ويفصل بين الثلاث بتسليمة. ويتكلم ويأمر بالحاجة، ولا يخرج من مصلاه حتى يصلي الثالثة التي يُوتر فيها، ويقنت فيها قبل الركوع ثم يسلم. ويصلي ركعتي الفجر قبيل الفجر وعنده وبعده، ثم يصلي ركعتي الصبح وهو الفجر إذا اعترض الفجر وأضاء حسناً. فهذه صلاة رسول الله ﷺ التي قبضه الله عز وجل عليها ^{٥٨}. ونقل النووي ومسلم وأبو داود عن الإمام الباقر عليه السلام مناسك النبي ﷺ في حجة الوداع من حين خروجه إلى فراغه ولم يروه البخاري بطوله.

وتميّزت مدرسة أهل البيت بالدعاء، روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو عيال وعلّي دين وقد اشتدت حالي فعلمني دعاء إذا دعوت به رزقني الله ما أقضي به ديني وأستعين به على عيالي فقال: يا عبد الله توضأ وأسبغ وضوءك ثم صل

ركعتين تتم الركوع والسجود فيهما، ثم قل: يا ماجد يا واحد يا كريم أتوجه إليك بمحمد نبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربك ورب كل شيء أن تصلي على محمد وعلى أهل بيته وأسألك نفحة من نفحاتك وفتحاً يسيراً ورزقاً واسعاً ثم به شعبي وأقضي به ديني وأستعين به على عيالي»^{٥٩}..

وروي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا أردتَ أمراً تسأله ربك فتوضأ وأحسن الوضوء ثم صل ركعتين وعظم الله وصل على النبي (صلى الله عليه وآله) وقل بعد التسليم: اللهم إني أسألك بأنك ملك وأنت على كل شيء قدير مقتدر، وبأنك ما تشاء من أمر يكون. اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله). يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربك وربى لينجح لي طلبتي، اللهم بنبيك أنجح لي طلبتي بمحمد. ثم سل حاجتك»^{٦٠}.

وروى أبو جعفر (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) زار أحد أصحابه من الأنصار وهو يحتضر وكانت له حالة حسنة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فحضره عند موته فنظر إلى ملك الموت عند رأسه فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال له ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقرّ عيناً فإني بكل مؤمن رفيق شفيق. واعلم يا محمد أني لأحضر ابن آدم عند قبض روحه فإذا قبضته صرخ صارخ من أهله عند ذلك، فأتنحى في جانب الدار ومعني روحه فأقول لهم: والله ما ظلمناه ولا سبقنا به أجله ولا استعجلنا به قدره، وما كان لنا في قبض روحه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله به وتصبروا تؤجروا وتحمدوا، وإن تجزعوا وتسخطوا تأثموا وتوزرُوا، وما لكم عندنا من عُتْبَى، وإن لنا عندكم أيضاً لبقية وعودة فالحذر الحذر، فما من أهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات عند مواقيت الصلاة، حتى لأنا أعلم منهم بأنفسهم. ولو أني

يا محمد أردت قبض نفس بعوضة ما قدرت على قبضها حتى يكون الله عز وجل هو الأمر بقبضها! وإني للملئق المؤمن عند موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ»^{٦١}. وروى أن رسول الله ﷺ كان يصنع بمن مات من بني هاشم خاصة شيئاً لا يصنعه بأحد من المسلمين. كان إذا صلى على الهاشمي ونضح قبره بالماء، وضع كفه على القبر حتى ترى أصابعه في الطين، فكان الغريب يقدم أو المسافر من أهل المدينة، فيرى القبر الجديد عليه أثر كف رسول الله ﷺ فيقول: من مات من آل محمد ﷺ»^{٦٢}.

وكان ﷺ أصدق قيلاً عن الحياة الخاصة لنبينا ﷺ، لما غضب من بعض نساءه فاعتزلهن شهراً. قال أبو جعفر ﷺ: «إن الله عز وجل أنف لرسول الله ﷺ من مقالة قالتها بعض نساءه، فأنزل الله آية التخيير. وقال: إن زينب بنت جحش قالت لرسول الله ﷺ: لا تعدل وأنت نبي! فقال: تربت يداك إذا لم أعدل فمن يعدل! فقالت: دعوت الله يا رسول الله ليقطع يدي؟ فقال: لا، ولكن لتتربان، فقالت: إنك إن طلقتنا وجدنا في قومنا أكفاءنا. فاحتبس الوحي عن رسول الله ﷺ تسعاً وعشرين ليلة. ثم قال أبو جعفر ﷺ: فأنف الله عز وجل لرسوله فأنزل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأُسَرِّحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا. وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فاخترن الله ورسوله ﷺ ولو اخترن أنفسهن لبن»^{٦٣}..

قال الإمام الباقر ﷺ: «ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب. وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلا علي بن أبي طالب ﷺ»^{٦٤}.

ج. تكوين نواة المؤرخين الإسلاميين

يمكن الوصول إلى عشرات الرواة الذين رووا عنه وتلقوا عنه وكان يحجب عن تساؤلاتهم ويرد شبهاتهم.. فنقلوا رواياته ورؤيته عن السيرة النبوية.. ونجد رواياته في عشرات المصادر وخاصة محمد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة (ت ١٤٦هـ) وعنه روى ابنه هشام (ت ٢٠٦هـ) الذي وثق تراث والده الكبير. وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت ١٥٧هـ) ونصر بن مزاحم المنقري الكوفي (ت ٢١٢هـ).

واصل الإمام الباقر (عليه السلام) مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) لأن علمهم متوارث، فقال (عليه السلام): إن العلم الذي نزل مع آدم (عليه السلام) لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان علي (عليه السلام) عالم هذه الأمة، وإنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء الله.. ونهل من مدرسة الإمام الباقر (عليه السلام) أكبر علماء عصرهم، أمثال: أبي محمد بن مسلم زرارة بن أعين وأبو بصير وبريد بن معاوية العجلي وجابر بن يزيد وحران بن أعين..^{٦٥} وقد كانوا سابقين في تدوين السنة، فقد كتب أبو رافع، وهو صحابي من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) كتاباً باسم السنن والأحكام والقضايا^{٦٦}. وفي الوقت الذي أجهض مشروع عمر بن عبد العزيز لتجميع وكتابة الحديث، تمكن أصحاب الإمام الخامس من حفظ تراث النبي وأهل بيته (عليهم السلام). فتطور تدوين السنة بين أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) بشكل ملحوظ، كان كل واحد من أصحابه وتلاميذه قد حفظ الآلاف من الأحاديث، ومن أبرزهم محمد بن مسلم الكوفي الذي تتلمذ على الإمامين الصادقين (عليهم السلام)، وانتسب إلى مدرسة الإمام الباقر في المدينة أربع سنوات ثم الإمام الصادق (عليه السلام)، وقال: ما شجر في رأيي شيء قط إلا سألت عنه أبا جعفر.. وكان محمد بن مسلم قد ألف كتاباً باسم الأربعمئة مسألة من الأجوبة التي سمعها من الإمامين

الصادقين عليهما السلام ^{٦٧}. وجابر بن يزيد الجعفي الكوفي الذي لازم الإمام الباقر في المدينة، فخلّف مصنّفات عديدة تدلّ على قدم اهتمام الشيعة بمختلف المعارف الإسلامية، ينسب له كتاب النوادر وكتاب الفضائل وكتاب الجمل وكتاب صفين وكتاب النهروان وكتاب مقتل أمير المؤمنين وكتاب مقتل الحسين ^{٦٨}. وتوزّعت مرويات الباقر في كتب السنّة ومؤرّخيهم مثل: الطبري والبلاذري والслаمي والخطيب البغدادي وأبو نعيم الإصفهاني، ومالك وأبي داود والمروزي والزخشي نجد فيها: قال محمد بن علي، أو قال محمد الباقر ^{٦٩}.

أخيراً كان للإمام الباقر أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، دورٌ محوريٌّ ومشروعٌ في تصحيح رواية السيرة النبوية، أخذ عنه معاصروه وذكره العلماء والمؤرّخون من جميع الفرق الإسلامية في سننهم وأسانيدهم وسيرهم وتوارىخهم بالفضل والعلم والتقوى، وأجمع كل من ترجم للإمام بأنه قد حاز من العلم والفضل قصب السبق على كل من عاصره. حفظت روايات الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، صورة موضوعية وشاملة عن السيرة النبوية، فحفظ لنا سيرة جدّه الرسول الأعظم عليه السلام، من عباداته ودعائه وما يتعلّق بسلوكه وحسن أخلاقه، وتفاصيل حياته الخاصة ومغازيه، فروى عنه ابن هشام، والواقدي، والحلي، وغيرهم من مدوّني السيرة النبوية، وما يتّصف به المسلم من الصفات الحميدة التي تجعله إنموذجاً وقُدوة لغيره. تصدّى للمشروع الأموي الساعي لفرض إسلام سلطوي وقرشي، فقاد جامعة أهل البيت عليهم السلام ونشر السيرة النبوية وأهمّ مفاصل التاريخ الإسلامي، وعنه روي خاصة الأحداث التاريخية المفصلية والخلافية في العصر الإسلامي المبكر مثل سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وواقعة كربلاء..

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣ ص ٢٠٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٨. جعفر السبحاني، السيرة المحمدية، ص ٥٦٠-٥٦١. أكرم حسن العلبي، التقويم، ص ٤٠.
٢- أبرز مثال على ذلك سيرة محمد بن إسحاق وأبي جعفر المنصور الذي رفض نسختها الأولى لغياب أي ذكر لجدهم العباس.

٣- تميّزت مدرسة أهل البيت بتدوين السنّة الشريفة والاهتمام بحفظها رغم حظر التدوين الذي فرض على الصحابة وغيرهم طيلة عصر الخلافة الراشدة والدولة الأموية بتعلّة «كفانا كتاب الله!».

٤- ابن النديم، الفهرست، ص ١٠٢. رسول جعفريان، سيرة سيد الأنبياء محمد جامع المحامد كلّها، تر علي الأسدي، دار الرسول الأكرم ﷺ، بيروت ٢٠٠٧. ص ٥٠.
٥- قال عنه: «كان عروة فقيهاً عالماً حافظاً ثبتاً حجة عالماً بالسير».

٦- ابن الزبير، الموفقيات، ٣٣٢. رسول جعفريان، سيرة سيد الأنبياء محمد جامع المحامد كلّها، ص ٧٠.

٧- ابن الزبير، الموفقيات، ص ٣٣٢. رسول جعفريان، سيرة سيد الأنبياء محمد جامع المحامد كلّها، ص ٧٥.

٨- تقييد العلم، ص ٥-١٠٦. سنن الدارمي، ج ١ ص ١٢٦. صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٦. الجرح والتعديل، ج ١ ص ٢١. تاريخ دمشق، ج ٣ ص ١٧٥.

٩- وهو الفارق الجوهرى بين الشيعة والسنّة. الشيخ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٦٥. عبد الكريم الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ دراسة تحليلية، دمشق ٢٠١٩.

١٠- رفض المنصور المسوّد الأولى إلى أن أوجد لجدهم العباس بن عبد المطلب دوراً في الإسلام! ابن إسحاق محمد بن إسحاق المطلبي، كتاب السير والمغازي، ت سهيل زكار، دار الفكر بيروت. ١٩٧٢. راجع المقدّمة ص ٣-١٤. رسول جعفريان، سيرة سيد الأنبياء محمد جامع المحامد كلّها، ص ٨٣-٩٢.

١١- ابن هشام أبو محمد عبد الملك (٢١٨)، السيرة النبوية، ت الأبياري، القاهرة. ١٩٥٥. (مقدمة التحقيق). سالمه محمود محمد عبد القادر، منهجية ابن حلدون في تدوين السيرة، ص ١٢٨.

١٢- ذكره تلميذه ابن سعد الواقدي مولى بني سهم) ولد في المدينة سنة ١٣٠ هـ بعد خروج ابن إسحاق منها لذلك لم يَرَوْ عنه وروى عن سائر الرواة عن الزهري، مع تشابه كبير بين سيرة ابن إسحاق والمغازي الواقدي إلى درجة زعم مستشرقين (فلهوزن وهورفتس) أنّه سرق منه ولم يسنده إليه. سيرة ابن هشام، ج ١ ص ٤. مغازي الواقدي، ص ٢٩. الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٤٤.

١٣- قال عنه ابن النديم: كان يتشيع حسن المذهب يلزم التقيّة، وهو الذي روى أن

عليّاً عليه السلام كان من معجزات النبي ﷺ كالعصى لموسى وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام.
ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٤. طبقات ابن سعد، ج ٥ ص ١٤٤. سير الأعلام، ج ٧ ص ١١٧ شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٣٣٩. السيّد الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ج ٤٦ ص ١٧١. آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٣ ص ٢٩٣.
١٤- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تح محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئي، منشورات دليل ما. قم. ١٤٢٨ هـ. المقدمة.
١٥- هشام جعيط، في السيرة النبوية: الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة بيروت. ١٩٩٩. المقدمة.

١٦- عبد الكريم الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ دراسة تحليلية، ص ٥٣.
١٧- الفكر الإسلامي، ص ١٤٤. محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ص ٥٦٠.
١٨- رسول جعفریان، سيرة سيد الأنبياء محمد جامع المحامد كلّها، ص ٤٣-٢٢٣.
١٩- تقييد العلم، ص ٥-١٠٦. سنن الدارمي، ج ١ ص ١٢٦. صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٦. الجرح والتعديل، ج ١ ص ٢١. تاريخ دمشق، ج ٣ ص ١٧٥.
٢٠- ابن إسحاق محمد بن إسحاق المطلبي (١٥١)، كتاب السير والمغازي، ت سهيل زكار، دار الفكر بيروت. ١٩٧٢. ص ٣-١٤.

٢١- عبد الكريم الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ دراسة تحليلية، ص ٢١.
٢٢- تزيين الممالك، ص ٤٠. الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٤٤٤. القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج ٢ ص ٧٢-٧٢.

٢٣- كان أحد الفقهاء السبعة، والتقّى عددا من الصحابة، وقد روى عنه جماعة من كبار الفقهاء ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ٣٧٩-٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٢.

٢٤- أبرز مثال على ذلك سيرة ابن إسحاق والمنصور الذي رفض نسختها الأولى لغياب أي ذكر لجدهم العباس بن عبد المطلب. عبد الكريم الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ دراسة تحليلية، ص ٢٥.

٢٥- رُوي عن النبي ﷺ قوله: «تكثر لكم الأحاديث بعدي، فإذا رُوي لكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالف فردّوه». الشيخ الأميني، الغدير، ج ٨ ص ٢٦.

٢٦- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ١ ص ٦٩. تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتاب الإسلامية طهران، مطبعة الحيدري، ١٣٦٣ هـ. باب الأخذ بالسنة والشواهد الكتاب.

٢٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٠٥.

٢٨- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٢٢٢.

- ٢٩- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ٣٨٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٦-٣٤٨. تذكرة الحفاظ، ج ١ ص ١١٢.
- ٣٠- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٤١.
- ٣١- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٤٣. تذكرة الحفاظ، ج ١ ص ١١٠. تهذيب التهذيب، ج ٩ ص ٤٤٩.
- ٣٢- النجاشي، الرجال، الترجمة ٩٦٧. الطهراني: الذريعة، ج ١ ص ١٥-١٦. المقدمة
- ٣٣- بشر النبي ﷺ بالإمام الباقر عليه السلام جابر بن عبد الله الأنصاري الذي قال: «قال لي رسول الله: إنك ستبقى حتى ترى رجلا من ولدي أشبه الناس بي اسمه على اسمي، إذا رأيته لم يخل عليك، فأقرئه مني السلام». فلما كبرت سن جابر وخاف الموت جعل يقول: يا باقر! يا باقر! أين أنت؟! حتى رآه فوق علية يقبل يديه ورجليه ويقول: بأبي وأمي شبيه أبيه رسول الله! إن أباك يقرئك السلام». تاريخ يعقوبي، ج ٢ ص ٣٢٠ و٣٢١. مروج الذهب، ج ٣ ص ٢٤٣-٢٤٤.
- ٣٤- يعتبر الإمامان الصادقان عليه السلام المؤسسين لجامعة وعلوم أهل البيت عليه السلام التي نهل منها السابقون واللاحقون. الصواعق المحرقة، ٢٠١.
- ٣٥- البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٠٩. وفيات الأعيان، ج ٤ ص ١٧٤.
- ٣٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤ ص ١٧٤، الترجمة ٥٦٠.
- ٣٧- طبقات الحفاظ، ٥٦ الترجمة ١٠٧. تهذيب التهذيب الكمال، ج ٢ ص ٤٤٠.
- ٣٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٢٦، ص ١٣٦-١٤٢ الترجمة ٥٤٧٨.
- ٣٩- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٠٩-٣١٢. غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢ ص ٢٠٢ الترجمة ٣٢٥٤. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج ٩ ص ٣١١-٣١٣ الترجمة ٥٨٢.
- ٤٠- الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢ ص ١٥٨..
- ٤١- أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧ ص ١٦١-١٦٢. الترجمة رقم ٦١٢. صفة الصفوة، ج ٢ ص ١٠٨-١١٢ الترجمة ١٧١.
- ٤٢- الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٣٢٠، ٣٢٤.
- ٤٣- أوصى الإمام الباقر أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٢ ص ١٠٨-١١٢ الترجمة ١٧١.
- ٤٤- أبو زهرة، الإمام الصادق، دار الفكر العربي بيروت. ص ٢٢.
- ٤٥- القاضي النعمان بن محمد التميمي، دعائم الإسلام، دار الأضواء بيروت. ١٤١١هـ. ج ١ ص ١٤٣، ١٣٣.
- ٤٦- بحار الأنوار، م. ن. السبحاني، المذاهب الإسلامية، ص ٣٨٥.
- ٤٧- تاريخ يعقوبي، ج ٢ ص ١٤٥.

٤٨- رتّب هشام سباقاً للرماية معتقداً انتصاره واستصغار الإمام، لكنّه تناول القوس والسهم معه، فرمى وسط الغرض ثم رمى فيه الثانية فشق سهمه وهكذا حتى شق تسعة أسهم! دلائل الإمامة، ٥-١٠٧. بحار الأنوار، ج ٤٦ ص ٧-٣١٣.

٤٩- الكليني، الكافي، ج ٢ ص ١٣٧.

٥٠- الكليني، الكافي، ج ٢ ص ٤٤٢.

٥١- من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ١٧٢.

٥٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٤٧. السبحاني، سيرة، ص ١٧٣. جعفریان، سيرة، ص ٦٤٤.

٥٣- رغم كثرة الرواة عن الإمام الباقر عليه السلام ومكانتهم العلمية في مصادر الحديث كأبي حنيفة والأوزاعي وابن جريج وابن المنكدر.. ومع ذلك استجاب بعض الكتّاب لتهديدات الأمويين والعباسيين وامتنعوا عن الاحتجاج بأحاديثه التي نقلها هؤلاء!

٥٤- سورة الفرقان آية ٤١. ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٥٠.

٥٥- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ٣٠٢.

٥٦- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ٢٤.

٥٧- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ٢٨٧.

٥٨- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ٤٨٧. من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٢٢٥.

٥٩- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ٤٧٣.

٦٠- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ٤٧٨.

٦١- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ١٣٦.

٦٢- الكليني، الكافي، ج ٣ ص ٢٠٠.

٦٣- الكليني، الكافي، ج ٦ ص ١٣٧، ١٣٩.

٦٤- بحار الأنوار، ج ٩٢ ص ٨٨ ح ٢٧. الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٧ ص ٤٦٢-٤٦٤. ترجمة ٥٤٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٢٦ ص ١٣٦ -

١٤٢ ترجمة ٥٤٧٨. الذهبي، العبر في خبر من غبر، (حوادث سنة ١١٤) ج ١ ص ١٠٩.

٦٥- راجع بخصوصهم اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي.

٦٦- فهرست أسماء مصنفي الشيعة، ص ٤.

٦٧- جعفر السبحاني، الملل والنحل، ج ١ ص ٧٣-٥٨.

٦٨- اختيار معرفة الرجال، ١٦٣. أبوزهرة، الإمام الصادق (عليه السلام) رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ٦-٢٥٨. مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام، ٦٤.

٦٩- مناقب آل أبي طالب، ج ٤ ص ١٩٥.



المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم
- * نهج البلاغة
- * مصادر السيرة
- * كتاب سليم بن قيس الهلالي، تح محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئي، منشورات دليل ما. قم. ١٤٢٨هـ.
- * ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤)، المغازي النبوية، ت س. زكار، دار الفكر، دمشق. ١٩٨١.
- * ابن عقبة أبو محمد موسى (ت ١٤١)، المغازي النبوية، ت حسين مرادي، منشورات ذوي القربى قم. ٢٠٠٣.
- * ابن إسحاق محمد المطلبي (ت ١٥١)، كتاب السير والمغازي، ت سهيل زكار، دار الفكر بيروت. ١٩٧٢.
- * الواقدي محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧)، كتاب المغازي، ت مارسدن جونز، ط طهران (دت).
- * ابن هشام أبو محمد عبد الملك (٢١٣)، السيرة النبوية، ت الأبياري، القاهرة. ١٩٥٥.
- * ابن سعد أبو عبد الله محمد (٢٣٠)، غزوات الرسول وسراياه، ت أ. عبد الغفور عطار، بيروت ١٩٨١.
- * ابن كثير، السيرة النبوية، منشورات دار المعارف، بيروت.
- * علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت.
- * المصادر العامة
- * الزبيري مصعب بن عبيد الله (٢٣٦)، نسب قريش، القاهرة. ١٩٥٣.
- * ابن بكار الزبير، نسب جمهرة قريش وأخبارها، ت م. محمد شاكر، مكتبة دار العروبة القاهرة. ١٩٦٨.
- * اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٧٢هـ)، تاريخه، ت ع. منها، الأعلمي للمطبوعات، بيروت. ١٩٩٣.
- * هشام بن السائب الكلبي، جمهرة النسب، ت ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦.
- * البلاذري، أنساب الأشراف، ت صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة القاهرة. ١٩٥٦.
- * الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ت م. أبو الفضل إبراهيم، القاهرة. ١٩٧٩.
- * المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار المعرفة بيروت، ١٩٤٨.
- * ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ م.
- * خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ ابن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٩٥.

* ابن أبي الحديد ابن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد. ٢٠٠٥.

* ابن كثير، البداية والنهاية، منشورات دار المعارف، بيروت،

* المقرئزي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ت حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة. ١٩٨٤.

* الطبرسي، إعلام الوري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣.

* المصادر الدينية

* محمد البخاري، صحيح البخاري، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

* الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحيحين، ت عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٦هـ

* سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، بيروت،

* سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت،

* سنن النسائي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.

* سنن ابن ماجه، ت محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

* ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلمية قم، النشر

الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ

* محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ت علي أكبر الغفاري، دار الكتاب الإسلامية طهران ١٣٦٣هـ

* محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، طهران

* محمد بن علي الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦٣هـ.

* المسعودي، إثبات الوصية، المصادر الجغرافية والبلدان

* أبو الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب،

* اليعقوبي، كتاب البلدان، ن ص المنجد، النجف الأشرف، ١٩٥٧.

* الخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت. القاهرة. ١٩٧٠.

* ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر بيروت. ١٩٧٧.

* كتب الأدب واللغة

* الكلبي هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤)، كتاب الأصنام، ت أحمد زكي، الدار القومية القاهرة. ١٩٦٥.

* المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٦)، الكامل في اللغة، مكتبة المعارف. بيروت. (دت). ج ٢.

* ابن عبد ربّه أحمد بن محمد

الأندلسي (٣٢٧)، العقد الفريد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة. ١٩٥٣.

* أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (٣٥٦هـ)، الأغاني، ٢٧ ج، دار الكتب العلمية بيروت. ١٩٩٢.

* ابن منظور أبو الفضل التوزري (٧١١)، لسان العرب المحيط، ترتيب خياط، دار صادر بيروت (دت).

* القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة. ١٩٦٦.

* كتب التراجم والطبقات

* ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد (٢٣٠)، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت. (دت). ٩ ج.

* ابن عبد البر أبو عمر يوسف (ت ٤٦٣)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت علي البجاوي، مطبعة نهضة مصر. (دت)

* ابن خلكان أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ت عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية. (دت)

* أهم المراجع المعاصرة

* الشيخ علي الأحمدي، مكاتيب الرسول

* رسول جعفریان، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، بيروت ٢٠٠٥.

* جعفر السبحاني، السيرة المحمدية، تر. جعفر الهادي، مؤسسة جعفر

الصادق، قم. ١٩٩٩.

* جعفر السبحاني، سيد المرسلين، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ.

* المباركفوري، الرحيق المختوم،

* السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم.

* محمد عبد الحي شعبان، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية،

* المستشار الطهطاوي، محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن.

* عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب.

* جعيط هشام، الكوفة، الكوفة: نشأة المدينة العربية الإسلامية، دار الطليعة بيروت، ١٩٩٣.

* هشام جعيط، السيرة، دار الطليعة بيروت، ٢٠٠٣..

* إبراهيم يوضون، الحجاز والدولة الإسلامية،

* مونتغمري وات، محمد في مكة، جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد. ١٩٥٥.

* الشيخ الأميني، موسوعة الغدير، رضوان السيد، "رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام" الإجتهد، عدد ١٣ (١٩٩١).

* عبد الكريم الشبلي، "استراتيجية قريش الإعلامية ضد الإسلام" مداد،

* جامعة المصطفى، عدد ١ سنة ٢٠٠٧.

* عبد الكريم الشبلي، ديوان الجنند
بإفريقيّة (ق ١ - ق ٤ هـ)، تونس ٢٠٢٣.
* عبد الكريم الشبلي، سيرة الرسول
الأكرم. دراسة تحليلية، دمشق ٢٠١٩.
* حسن أحمد الهادي، فدك هبة النبوة،
دار الولااء، بيروت.
* الشهيد محمد باقر الصدر، فدك في
التاريخ..
* السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة،
* سائلة محمود محمد عبد القادر،
منهجية ابن حلدون في تدوين السيرة،
دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
* شوقي ضيف، العصر الجاهلي،

القاهرة. ١٩٨٢.
* بيغولوفسكايا، العرب،
* حسين مؤنس، تاريخ قريش،
الدار السعودية، جدة. ١٩٨٨.
* تامر مير مصطفى، بشائر الأسفار
بمحمد وآله الأطهار، دمشق. ٢٠١٥.
* Theophanes: The Chronicle
of Theophanes Confessor،
Near Eastern History (AD 248-
913)، Edited by: C.Mango and
R.Scott، Oxford، 1997.
* ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM،
2è édition.



الجهود الفكرية الكلامية للإمام الباقر (عليه السلام) في المنظور الاستشراقي

م.د . كريم جهاد الحسائي
مديرية الوقف الشيعي / النجف الاشرف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد
واله الطيبين الطاهرين ..

وبعد ...

تُعَدُّ الدراسات الاستشراقية التي اتخذت الصبغة العالمية والدولية من
الروافد العلمية التي من خلالها تعرّف أبناء الغرب على تاريخ الاسلام
ومكتشفاته من العلوم، وعلمُ الكلام واحدٌ من تلك العلوم التي شغلت
الذهنية الاستشراقية وعلى مدار مراحل تطورها عبر القرون، لما لعلم
الكلام من دورٍ خطير على مستوى الواقع الإسلامي العام الذي تدور
طبيعته حول أقدس مقدسات الانسان المسلم من العقيدة التي تشكّل
الركيزة الأساس في البناء الفكري والوجداني للإنسان، وتبلور شخصيته
وسلوكه وتعاطيه مع الحياة، إذ أولت تلك الدراسات للنصوص العريقة
من التراث الفكري الكلامي الإسلامي أهميةً كبيرة تفوق مجال الدراسات
الإسلامية الأخرى .

والكلام الشيعي الإمامي الذي هو موضوع بحثنا هذا نشأ في الوسط
الإسلامي العام، فأثر وتأثر به، فتخرج من عباءته المعرفية ليتصدّر قائمة



المدارس الكلامية في الإسلام، وقد حظي تراث وشخصيات الكلام الإمامي باهتمام المستشرقين الذي هو المنطلق الأساس لاختيار هذه الدراسة من الاطلاع على الكم الهائل من التحقيقات والدراسات والآراء التي جاءت بصدد هذه المدرسة الكلامية .

والإمام محمد الباقر عليه السلام كما استقرأ صورته المستشرقون من خارج نطاق تابعيته الشيعية الإمامية المباشرة مارس دوراً مهماً في بناء الجهود الفكرية الكلامية الإمامية في ظل الذروة الكلامية المشهودة في عصره من بين معاصريه من الفرق الإسلامية الأخرى، ولذا فإن الاطلاع على آراء المستشرقين، والنظر فيما كتبوه من الأهداف الرئيسية لدراستنا هذه، فإنهم - المستشرقون - ينظرون إلى الكلام الإسلامي عموماً والإمامي خصوصاً بمنظارٍ يختلف عما عهدناه وآمنّا به، وسلّمنا بصحته، ومن حقنا بل من واجبنا التعرّف على ما يقوله القوم عن فكرنا وعقائدنا وشخصياتنا، حتى نتمكن بعد ذلك من بيان بعض المخالفات التي وردت في أفكارهم الناضرة بوجهٍ واحد دون النظر إلى الأوجه الأخرى التي يجب على الباحث الاطلاع عليها .

وقد اقتضت صورة البحث أن نرسم الرؤية الاستشراقية عن تلك الجهود، فجاءت مباحثه كالآتي :

المبحث الأول : الإمامية والدراسات الكلامية الاستشراقية

الدراسات الكلامية الإمامية، ومشاهير المستشرقين الباحثين فيها

علم الكلام الإمامي في حياة الأئمة

المبحث الثاني: الإمام محمد الباقر عليه السلام مؤسس المدرسة الكلامية الإمامية

ظهور المذاهب الكلامية

الصراع الكلامي مع الغلاة

دور المدرسة الباقرية في تحويل التشيع العام إلى الإمامية
المواجهة الكلامية لنظرية الإمامة

المبحث الأول

الإمامية والدراسات الكلامية الاستشراقية

خَلَفَ الإمامية إرثاً كلامياً كبيراً رَفَدُوا به التراث الفكري الإسلامي بعدد لا بأس به من المصنفات المهمة من بين باقي الفرق الإسلامية، فكانَ له الأثر الواضح في معرفة المسلمين خاصةً الطريق لفهم الإسلام والإنسانية على وجه العموم، وبيان العقائد ومفاهيمها التي أغنت عقول المسلمين فضلاً عن الطوائف والأديان المنخرطة في الجدل الكلامي .

ولذا فقد أسهمت بعض البحوث الاستشراقية في بيان الخطوط الواضحة والواقعية لمعتقدات الإمامية أمام العالم الغربي، ولم تقتصر تلك التوجّهات على مدرسةٍ فحسب؛ إذ توسّع الاهتمام لعددٍ من المدارس كالمدرسة الأمريكية والفرنسية، الألمانية والبريطانية وغيرها، فكانت النتائج أنها أنجبت عدداً لا بأس به من البحوث القيّمة، فقد جاءت في كُتُبٍ مُستقلة، وتارةً وردت في بحوثٍ ومقالاتٍ ضمنية من خلال الدراسات ذات التعلّق بعقائد الإمامية .

ومن هذا المنطلق كانَ لِإِزاماً علينا أن نتعرّض أولاً لهذا المفهوم - الإمامية - وأصالته، ولكن هذه المرّة تحت أروقة الدائرة الاستشراقية، والتعرّف على مناهجهم واتّجاهاتهم تجاه هذه المدرسة، ثم الدخول بعد ذلك في مضمار الفكر الكلامي الإمامي وأهمّ الباحثين الغربيين الذين أولوا اهتماماً كبيراً بالجدال الديني الإمامي .

الدراسات الكلامية الإمامية، ومشاهير المستشرقين الباحثين فيها :

يمتدُّ تراث الكلام الإمامي الغني عبر امتداد أيديولوجي للتاريخ الإسلامي ، إلا أنه ومع الأسف هذا الدور والأهمية القاطعة الذي كان لهذا الإرث الفكري في ارتقاء الفكر الكلامي والفلسفي في الإسلام، لم يؤخذ بنظر الاعتبار بين صفوف المستشرقين الأوائل، فضلاً عن قيامهم بالتكتم عنه والميل الذي يصل إلى حدِّ العداء، كما يؤكِّد ذلك الفرنسي هنري كوربان، وذلك بالنظر لانعدام تناول دراسة لاهوت وفلسفة الإمامية من خلال المتون الكبرى التي تمتد من السنن التي تركها أئمة الإمامية، إلى الشروحات التي أُعطيت خلال القرون التي تلت^١، فلم تكن الذهنية الغربية منذ القدم مشغولةً بالإسلام الإمامي، وما يردُّ عنهم كما ذكرنا ذلك سابقاً، فالنسبة المئوية للنصوص التراثية الإمامية بالقياس إلى نصوص الفرق الإسلامية ضئيلة جداً.

أما في النصف الثاني من القرن العشرين فإنَّ الدراسات الكلامية الإمامية لم تكن بعيدة عن متناول أقلام المفكرين المستشرقين وتحديدًا الباحثين ومؤسَّساتهم العلمية، فقد اهتموا بهذا المجال من خلال النظر في التراث الفكري للنصوص الإمامية القديمة المدوَّنة (المخطوطات)، فبدأت وتيرة التحقيقات عندهم في الآونة الأخيرة مُتسارعة باتجاه دراسة النصوص العريقة للإمامية الاثني عشرية .

لقد غدا الاهتمام في إعداد وإخراج الطبقات المحقَّقة للنصوص الشيعية الإمامية الشغل الشاغل لكل مستشرق في هذا الحقل المعرفي، بعد أن بذلوا الجهود لاكتشافها من خزانة المخطوطات المنتشرة في العالم^٢، إذ أفادت الدراسات المتعلِّقة بالإمامية الاثني عشرية في السنوات الأخيرة كما تقول الألمانية زابينه شميتكه^٣ إفادةً عظيمة للاطلاع على مجموعات المخطوطات

في العراق، ومن أمثلة ذلك النشرة الحديثة لـ (الرسالة الموضحة)، لصاحبها المظفر بن جعفر الحسيني (ق ٤ هـ)، وهي تبحث في مسألة الإمامة، حصلت عليها من مخطوطات آل كاشف الغطاء^٤.

ونظراً للعلاقة الوثيقة بين الفكر الكلامي والحديث المتعلّق بأئمة الإمامية في عهده الأول، فإنّ دراسة الألمانى مادلونغ المعاصرة الرائدة لـ(كتاب الأصول من الكافي) للكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ^(٥) جديرة بالاهتمام والإشادة، فضلاً عن عمل المستشرق إيتان كوهلبرغ لـ(كتاب القراءات)^٦ لمؤلفه أحمد السيارى (ق ٣)، وهو من النصوص المهمّة في دراسة علم الكلام الشيعى في عهده الأوّل .

إنَّ وجود عدد من الأسماء اللامعة من مشاهير المستشرقين الباحثين في حقل الفكر الكلامي الإمامي ساهم في استكشاف هذا التراث، ومن ثمَّ إغناء الدراسات الاستشرافية في هذا الحقل الكلامي، فتبلورت فيها الآراء ونوقشت المسائل، فكان مشار جدل وتحقيق وتمحيص، وبذلك بيَّنوا للغرب كثيراً من عقائد الإمامية المميزة والتي كانت غائبة عنهم لفترات طويلة، ومن هؤلاء :

أولاً: هنري كوربان (١٩٠٣-١٩٧٨م):

يُعدُّ هنري كوربان أحد المستشرقين الفرنسيين بصورة خاصة، والغربيين بصورة عامة الباحثين والمتخصّصين في مجال تاريخ علم الكلام والفلسفة الإسلامية، فكانت جميع أعماله المصنّفة والمحقّقة والمترجمة شديدة التخصّص في هذا الحقل، إذ نشأت موارد عطائه منذ وقت مبكر من حياته عندما كان طالباً في الدراسة الجامعية وحصوله على شهادة الفلسفة من المعهد الكاثوليكي بحدود عام ١٩٢٣م، ثم تدرّج مُستكملاً البحث اللاهوتي الإسلامي، تاركاً خلفه الآراء الاستشراقية التي أرادت الإطاحة

بالفكر الإسلامي^٧، ولذا عُدد من المستشرقين المُنصفين الذين كتبوا في الإسلام وفلسفته، عندها لم يتردد أحد الباحثين الغربيين في وصفه بأنه: أعظم عالم لاهوت في عصرنا^٨.

من أبرز محطات حياته اللاهوتية والتي كشفت عن أطوار تجربته الفكرية الحديثة إصداره كتاباً مهماً عام ١٩٦٤م حمل عنوان: (تاريخ الفلسفة الإسلامية) باللغة الفرنسية، وترجم إلى اللغة العربية عام ١٩٦٨م؛ إذ حمل في طياته قيماً فكرية، وفتح في وجه الفكر الغربي أبواباً واسعة للثقافة الشرقية الإسلامية، ومن أوائل المحاولات الاستشراقية لبيان التاريخ الفلسفي الإسلامي بكامله، ومن أخصب المعرفة والتفكير والنقاش في مجاله^٩.

ولعل من أبرز تلامذته وأتباعه المعاصرين الفرنسي (فرنسوا تويال Francois Thual) الذي كان مهتماً بدرجة كبيرة بالفكر الشيعي، لكنه في الوقت نفسه لم يكن مهتماً بالفكر الكلامي، ومن أشهر كتبه (جيوبوليتيك - جغرافية - التشيع)، ويؤكد على تأثيره بمعلمه الدكتور هنري كوربان عندما يقول: «منذ وقتٍ طويل انصبَّ اهتمامي على التشيع بعد أن اطلعتُ على مؤلفات هنري كوربان التي التهمتُها كلها»^{١١}.

ثانياً: ويلفرد مادلونغ: (١٩٣٠م - ٢٠٢٣م):

شخصية كبيرة في العالم الغربي، والمولود في ألمانيا في ثلاثينيات القرن الماضي، انتقل في أول شبابه إلى القاهرة عام ١٩٥٢م، ثم عاد إلى ألمانيا وأتم رسالة الدكتوراه في عام ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٥٨م تمَّ إرساله إلى العراق للعمل في سفارتها هناك، شغل منصب أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة شيكاغو، وبعدها شغل منصب أستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد^{١٢}.

عُرفَ - مادلونغ - أحد أبرز المتخصّصين وأكثرهم تأثيرًا في مجال الدراسات الشيعية في العالم المعاصر، على عكس معظم أعمال المتخصّصين الغربيين في مجال الإسلام والشيعية، وقد نجحت أعماله بشكل كبير في معرفة وتعريف جوانب الإسلام المختلفة .

ثالثاً: زابينه شميتكة (١٩٦٤م - ...) :

قدّم ويلفرد مادلونغ بعض الشخصيات في هذا الخط الفكري، فكانت آثارهم مشاريع فكرية ودراسية حول الكلام الإمامي، ومن أهم تلامذته شخصية مهمة معاصرة باحثة بدراسات استشراقية في كثير من المراكز الأكاديمية، وهي البروفيسورة زابينه شميتكة .

فإذا كان الألماني مادلونغ ذا شهرة واسعة في العالم الإسلامي ؛ لكثرة مؤلفاته ومقالاته المنتشرة في دائرة المعارف الإسلامية وغيرها، فإنّ شخصية شميتكة وأعمالها غير معروفة في أوساط الباحثين ودراسات تحقيقي العالم الإسلامي، ولكن المتّطلع إلى أبحاثها ومقالاتها يجدها واحدة من الباحثين المتّمرسين في علم الكلام من خلال أعمالها المنشورة بلغات عدّة، ومن المدوّنين والمحريين للمقالات الفلسفية والكلامية لدائرة المعارف الإسلامية، وبعض المعاجم التخصّصية^{١٣} .

وزابينه شميتكة باحثة ألمانية، درست العلوم الإسلامية في جامعتي لندن وأكسفورد وإلى اليوم، ومنذ عام ٢٠٠٠م هي أستاذة الدراسات الإسلامية في الجامعة الحرة في برلين، كما أنها شغلت عدداً من المناصب المتنوعة، وحصلت على منح دراسية عدة ومن جامعاتٍ مختلفة من خلال دعم الباحثين من شورى الأبحاث الأوربية، وضمن مشروع التعريف بالعقلانية الكلامية في المرحلة الوسيطة، فضلاً عن حصولها على كثير من الجوائز العالمية للأبحاث^{١٤} .

وشكلت شميته عنصراً مهماً إلى جانب عدد من الباحثين المستشرقين لإحياء التراث الكلامي الإسلامي وبالخصوص المعتزلي والإمامي، وذلك ظاهر من خلال بليوغرافيا أعمالها^{١٥}.

وكانت لها وقفات مهمة أمام الشخصيات الكلامية الإمامية، ومن أهمها شخصية العلامة ابن المطهر الحلي المتوفى سنة ٥٢٦هـ، وهي أطروحتها للدكتوراه باللغة الانكليزية عام ١٩٩٠م في جامعة أكسفورد بلندن والتي حملت عنوان: (لاهوت العلامة الحلي)، إذ طرحت أفكاره الكلامية وناقشتها في مباحث (العدل الإلهي، وصفات الباري تعالى، والنبوة، والمعاد، ومسائل أخرى كارتكاب المسلمين للكبائر وغيرها، والشفاعة والمغفرة، والتوبة)، وذكرت خلال ذلك مقارناتها بين تقارب آراء العلامة الحلي لأفكار المعتزلة والاشاعرة واختلاف آرائهم^{١٦}.

علم الكلام الإمامي في حياة الأئمة :

الحديث عن أئمة الإمامية هو حديث له اتصال مباشر عن الحركة الكلامية في الإسلام منذ عهوده الأولى، والذي تمثّل كما ذكرنا سابقاً بزعيمهم الأول الإمام علي (عليه السلام) ومن بعده الأئمة تدرّجاً إلى الثاني عشر، يوم كان التفكير الإسلامي له استقلالته الشخصية، لم تطرأ عليه بعد الموجات الأجنبية للتفكير الفارسي واليوناني وسواهم، وحين كان أصحاب الكلام يغلب على توجهاتهم الفكرية الطابع الإسلامي دون سواه من الطبائع والعناصر الخارجية التي جاء بها ونشرها بعدهم بعض المتكلمين.

وقد بدأ الكلام الإمامي الأولي كما تصفه الأمانة زابنه شميته بتطوّر في حياة أئمة الإمامية عصر حضورهم، ويحدوها - شميته - العجب من توافر شهادات لذلك في كتب التراجم والفرق منذ عهود الأئمة وأصحابهم المتكلمين، أمثال: الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ت ١٤٨ هـ^{١٧}، على ما أشار إليه المستشرق فان إس في مجموعته الكلامية^{١٨}.

ويُعبّر المستشرقون عن قبول أئمة الإمامية للكلام كسلاح محض في معركة الكفار والزنادقة وغيرهم، إذ يؤكّد المستشرق (ابراهيموف Abrahamoewe) ^{١٩} على دور الكلام والتمسك المنطقي في تعاليم أئمة الإمامية، بقوله: «كل ما يمكن أن يُقال عن دور الكلام في مذاهبهم فيما يتعلق بالأفكار وأنماط التعليم الأخرى، نقطة تحوّل لا يمكن تجاهلها: استخدامهم للكلام والتفكير المنطقي، إذ يبدو من المعقول افتراض أن استخدام الأئمة للكلام هو أحد العوامل التي مهدّت الطريق لتقوية الميول العقلانية في المذهب الشيعي الإمامي في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي» ^{٢٠}، كما عبّر المستشرقون عن موقف أئمة الإمامية من الاشتغال بالكلام اللاهوتي بنوعٍ من الغموض، فعن كثير من رواياتهم التي تمّ الاحتفاظ بها تُشير إلى إنكارهم مظاهر النظر العقلي في القضايا العقدية، وفي بعضها أن ضرباً من الجدل اللاهوتي في مسائل الاعتقاد دارت رحاهُ بين أئمة الإمامية وأصحابهم ^{٢١}، وثمة أدلة - كما يذكر الألمانى مادلونغ - على أن بعض متكلمي الإمامية حظوا بنوع من التأييد والتشجيع الصريح من الأئمة من أجل تطوير العقائد الخاصة ^{٢٢}، فلم يُسمح باستخدامه فقط للعلماء الأكفاء، وهو ما تدعمه تصرّفات الأئمة أنفسهم ومثاله ما ولذا فإن الحديث عن تراث أئمة الإمامية الكلامي يتمثل في الجانب الضخم من تراث الإسلام، ومن الممكن الوقوف على تعاليمهم الفكرية من تراث الإمامية الحديثي كما بيّن ذلك الألمانى مادلونغ في دراسته لكتاب: (الأصول من الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩ هـ ^{٢٣}، ومن خلال الأخبار الكثيرة الواردة في مناظراتهم واحتجاجاتهم بشأن مجادلة الخصوم وإقناعهم بإثبات وتأسيس عقائدهم ^{٢٤}.

المبحث الثاني

الإمام محمد الباقر عليه السلام مؤسس المدرسة الكلامية الإمامية

لم يكن تأثير الإمام علي عليه السلام وتراثه الكلامي في العصر الأموي مكفولاً إلا أن يتجلى في أئمة من نسله، خاصة على يد الإمام الخامس من أئمة الإمامية محمد بن علي الباقر عليه السلام المتوفى سنة ١١٣ هـ الذي علّم تلاميذه النقاش العقلي الحرّ والجدل.

فالباقر عليه السلام كما استقرأ صورته المستشرقون من خارج نطاق تابعيته الشيعية الإمامية المباشرة، بأن سمعته كمحدث ذهب بعيداً خارج نطاق الدوائر والمجموعات التي اقترنت به، ولقي تقديراً بالإجماع في الدوائر غير الشيعية^{٢٥} باعتباره واحداً من المرجعيات الأكثر وثوقاً في الأحاديث النبوية، إذ حمل صفة (الثقة)، وهي أعلى درجات الثقة التي منحها علماء الإسلام للذين اعتُبروا مأمونين ثقات ودقيقين في نقل الأحاديث وروايتها^{٢٦}، ولذلك نجد أن مروياته البالغة (٣٣٩) رواية منتشرة ومبثوثة في كتب التفسير بالمأثور وكتب السنة المطهرة^{٢٧}.

ويوحي الدليل عند المستشرقين بأن منزلة الباقر عليه السلام بين معاصريه جعلت العديد من العلماء يشعرون بأنهم أدنى منه درجة؛ حتى المشاهير منهم نظروا إليه بمهابة وتقدير على أساس من علمه البارز^{٢٨}، ولذا فإنه مارس دوراً مهماً في العصر الأموي من كلتا وجهتي النظر الدينية والفكرية على عكس ما شك بمنجزاته الانكليزي مونتغمري واط بأنه عاش حياته مغموراً لا يسترعي الانتباه له، بل شك أيضاً بما إذا كان قد تزعم الإمامة الشيعية لنفسه^{٢٩}.

ظهور المذاهب الكلامية :

كان عصر الإمام محمد الباقر عليه السلام خاصة عند انتقال الإمامة الروحانية إليه في السنة الأخيرة أو نحوها من خلافة الوليد بن عبد الملك، أيام عزّ الأمويين في دمشق، قد انتشرت فيه فنون الأدب، وتأسست المدارس، وأثبت العلم^{٣٠}، علاوةً على ذلك وصِفَ بأنه كان من أشدّ العصور الإسلامية حسّاسيةً، فقد امتدّ فيه الفتح الإسلامي إلى أغلب مناطق العالم وشعوبه، فأثارَ ذلك موجةً من الحقد في نفوس المعادين للإسلام، فقاموا بحملة دعائية ضد العقيدة الإسلامية، فأذاعوا الشكوك والأوهام، وإشاعة بعض المفاهيم المنحرفة بين أبناء المسلمين، فانبرى الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام للتصدي إلى زيف هذه الأفكار، والرد عليها ببالغ من الحجة والبرهان من خلال كثير من محاضراته للمسائل الكلامية^{٣١}، كما يقرر ذلك الالماني فان إس^{٣٢}.

وقد أتاح هذا الصراع العقلي المجال لنشوء عدد من الفرق والمذاهب الإسلامية الكلامية، وتطور منهاجها بمهام الاحتجاج والمناظرة، فظهرت فرق إلى جانب الشيعة هيمنت على ساحة البحث في اصول العقيدة وتركت آثاراً واضحةً على الحياة الفكرية والاجتماعية كالمعتزلة والأشاعرة^{٣٣}، فاتجه الباقر عليه السلام إلى تأسيس مدرسة تنبثق قواعدها من النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام، أطلق عليها بعض المؤرخين اسم (الجامعة)^{٣٤}؛ لأنها كانت تجمع بين الحين والآخر المئات من مختلف الأقطار لدراسة الفقه والحديث والكلام والتفسير واللغة وغير ذلك من مختلف العلوم، في وقت كانت الدولة الأموية تحيطها الأخطار السياسية من جميع جهاتها؛ بسبب الثورات والحركات المتتالية ضدهم، وانشغالهم في القضاء على خصومهم، وهذا ما أعطى فرصةً للإمام الباقر عليه السلام أكثر من أسلافه، ونوعاً من الحركة لتوسيع حلقاته الدراسية ونشره العلوم بشكل أوسع، حتى اتسعت

مدرسته لأكثر من أربعة آلاف طالب^{٣٥}، تبنت الجوانب القرآنية والحديثية والكلامية الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فذاع اسمه ناشراً لعلوم آل محمد عليهم السلام^{٣٦}، ومارس نشاطاً تثقيفياً على أعلى المستويات من أجل دفع الحركة العلمية والتغيرية بمزيد من الكوادر الرسالية العالية، فاستقطب نشاطه الكثير من رواد المعرفة الإسلامية، وأصبح مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي، وما زار أحد المدينة المنورة إلا عرج على مدرسته يقتبس منه، ويتعلم مختلف العلوم والفنون الإسلامية^{٣٧}.

ولقد امتازت هذه المدرسة بمعارفها وسعتها، وذلك لما يقتضيه المستوى الفكري الذي يحظى به الإمام محمد الباقر عليه السلام تتجلى بعمق خلال تصريح أحدهم، إذ يقول: «ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب، ويعني بالحكم، الحكم بن عيينه وكان عالماً...»^{٣٨}، ولهذا بلغت المدينة في عهد الباقر عليه السلام الذروة من العلم والإفتاء، حتى إن الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز كان ينشر علم أهل المدينة بين الناس^{٣٩}.

وكما تعددت المضامين والحقول المعرفية في هذه المدرسة، كذلك تعددت أساليب عرض الفكر الإسلامي، فتارةً بطريقة الحلقات العلمية، كما في التدريس للطلبة ورواد الفكر، وتارةً من اللقاءات العامة كمراسيم الحج، وأخرى في المحاورات والأحاديث والوصايا والوعظ، وتارةً أخرى من خلال المناظرات^{٤٠}، والتي تُعدّ لوناً من ألوان التراث الذهني، كما تُعدّ نوعاً من السلاح الفكري الذي استخدمته المدرسة للدفاع عن عقيدة الإمامية^{٤١}، ولذا رأى المستشرقون أن هذه المدرسة المتمثلة بالإمام الباقر عليه السلام قد عقدت حوارات في القضايا اللاهوتية مع المعارضين لتوجهاتها أمثال المعتزلة^{٤٢}، إذ لخص الإنكليزي دونالدسون من منظوره الاستشراقي ما وقف عليه من مناظرات الإمام الباقر عليه السلام مع كبار قادة الاعتزال^{٤٣}.

وهكذا جاء تأكيد المستشرقين على مساهمة هذه المدرسة في إضافة عدد كبير من الموضوعات العقائدية الدينية المتعلقة بالإيمان، والتضحية، والقضاء والقدر، ووحدانية الله تعالى، والتي كانت موضع نقاش ومناظرة ساخين في العصر الأموي^{٤٤}، وبذا يعود الفضل للإمام الباقر (عليه السلام) في وضعه الأساس القانوني واللاهوتي لإنشاء مدرسة متميزة للممارسة الإسلامية^{٤٥} وتبنيّه لعلم الكلام^{٤٦}، كما يقول الألماني مادلونج: «انبثق أساس التشريع عند الشيعة وعلم كلامهم عن المنظور الذي تبنّاه الباقر، وترك ليتطور داخل أنصاره»^{٤٧}.

وقد أثار الإنكليزي دونالدسون اهتمامه بالتراث الكلامي لهذه المدرسة الباقريّة فقال في كلام له عن الموضوعات التي عُني بها الإمام (عليه السلام) في أروقة مدرسته، بقوله: «كان - الباقر - يبحث في مواضيع كثيرة: كماهية الروح، وصفات العلماء، وصفات الله»^{٤٨}.

الصراع الكلامي مع الغلاة:

لعلّ أكثر الفرق الغالية البارزة والمتطرّفة ظهرت في زمن الإمام الباقر (عليه السلام)، وقد خاضت مدرسته صراعاً كلامياً مثيراً مع الغلاة، إذ واجه الباقر (عليه السلام) من خلالهم مشكلات خلفها أفرادها^{٤٩}، وقد أهتمّه ما صرّحوا به، وحاول جهده أن يوقف هذا التيار، فتبرأ من جماعة ولعنهم^{٥٠}، ويؤكد الأمريكي (دوغلز Douglas)^{٥١} على الشكوى المستمرة من الإمام (عليه السلام) لأصحابه عن هؤلاء المدّعين الشيع، وهم في الواقع عارّ بانتمائهم وانتسابهم إلى عقيدة الشيعة الإمامية؛ إذ إنهم يُظهرون الولاء والطاعة بقضية الامام (عليه السلام) إلا أنّهم بضعف قلوبهم يُجزمون عن مواجهة الحقّ له، بقوله:

«روي أن الباقر كان يشكو بمرارة لأصحابه من أولئك الشيعة الذين في الواقع أضروا به، بربط أنفسهم بقضيته، بما يؤمنون به لأن يكون عرضة أو هدفه الحقيقي، قال: ((إنني لأعجب من أناس يتولّوننا ويتخذوننا أئمة، والذين يصوِّرون طاعتنا كواجب ملزم على أنفسهم تُشابه طاعة الله، والذين بعدها ينقضون شهادتهم ويحبطون أنفسهم من خلال ضعف أو وهن قلوبهم. وهكذا يُحجمون أو يقلّلون حقوقنا وبعلمهم هذا، فإن الأشخاص الذين منحهم الله البرهان أو سلطان الحقيقة لمعرفةنا والذين يصدّقون بقضيتنا ثم يقولون ما يفضي إلى أن يعيننا أو يتقدنا بسبب ما يقول هؤلاء الآخرون بخصوصنا، يعيرون بذلك علينا من أتاه الله برهان حق معرفتنا، هل تعتقد أن الله الكريم العلي، يفرض الطاعة لأوليائه على خدمه، ومن ثم يحجب عن الأئمة أخبار أو أنباء السماوات والأرض، وهكذا يحرمهم من جوهر أو مواد العلم بما يخص ما أشار إليهم - بسبب سلطتهم الدينية -، والتي تحتوي أسس البقاء والإمداد لخدمته في الدين))^{٥٢-٥٣}.

فكانت النتيجة أن يُتهم الشيعة الإمامية بغير انصاف بالغلو في أئمتهم مع أنهم بُراء من هذه التهمة، لذلك أكدّ الألماني جولد تسيهر استنكار أئمة الإمامية عقائد الغلاة، بقوله: «وأصحاب هذه العقائد يُسميهم الشيعة أنفسهم بالغلاة، ويرجع منشأهم إلى العصور الإسلامية الأولى، إذ ظهرُوا في العصر الذي بدأ يتكوّن فيه للأسرة العلوية حزب سياسي. ولدينا أحاديث غاية في القِدَم، بل هي متداولة في البيئات الشيعية، تُنسب إلى علي والعلويين أنفسهم استنكروا هذه المبالغات وقدحوا فيها، لأنها لا تفيد إلّا في إثارة الحقد والكراهية لآل علي»^{٥٤}.

ولعلنا لا نبالغ في القول بأنّ الكثير من المستشرقين قد ركّزوا في إطلاق هذا المفهوم - الغلو - على الفرق الشيعية بالعموم دون تخصيص،

والظاهر أنَّ (هاينس) لم يُحسن استخدام العنوان بالصورة الصحيحة؛ لأنَّ هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم الهرطقة لم يكونوا يوماً حول الإمام الباقر (عليه السلام)، بل إنه - الباقر - أنكرهم ولعنهم أكثر من مرة - كما أسلفناه -، فلم يكونوا من أصحابه، وادَّعَاؤهم بذلك ليس دليلاً على المجاورة الصحيحة، أمثال: أبي منصور العجلي الذي ادَّعى بعد وفاة الإمام الباقر (عليه السلام) أنَّه فَوْضَ إليه أمره وجعله وصياً من بعده، وسلفاً أعرب الباقر (عليه السلام) استيائه الكامل من هذا الشخص كما صَوَّرته الأمانة الرزينة لالاني^{٦٢}.

ثم إنَّه - هاينس - وقع في خطأ كبير عندما عدَّ جابر بن يزيد الجعفي من الهرطقة وإِثْمَه بأنه رئيس الفرقة المغيرية^{٦٣}، قائلاً: «إنَّ رئيس الفرقة المغيرية الثاني^{٦٤} جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي»^{٦٥}، في حين يُعدَّ جابر بن يزيد الجعفي المتوفي سنة ١٢٨ هـ من أعمدة وأساطين المذهب الإمامي ومن الطبقة الأولى من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) لا سيَّما الإمامين الباقر والصادق (عليهم السلام)، وهو باب الإمام الباقر (عليه السلام) كما هو المشهور عن الأصحاب، قال صاحب الفصول المهمة عند ترجمته الإمام الباقر (عليه السلام) قائلاً: «وبوابه جابر الجعفي»^{٦٦}، وكانت جُلَّ رواياته عن الإمام الباقر (عليه السلام) وأودعه بعض أسواره^{٦٧}، فلا يكاد أحد يشكُّ بأنه كان شخصية فذة بين المحدثين الشيعة واعتُبر تابعاً مُتحمساً للباقر (عليه السلام)^{٦٨}.

دور المدرسة الباقرية في تحويل التشيع العام إلى الإمامية :

ولدت الإمامية من رَحِمِ التشيع، إلَّا أنَّ هذه الولادة انبثقت ونضجت على يد الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، فإليه ترجع أُسس نظرية الإمامة، وهي من أهم مسائل علم الكلام التي تمسكُ بها الإمامية كما بيَّن دونالدسون في قوله: «ويستحيل علينا أن نُقدِّر شدة تمسك الشيعة بفكرة الإمامة



والأهمية المطلقة لهذه القضية»^{٦٩} ، وهي الصفة البارزة التي تتميز بها الإمامية عن غيرها من الملل الإسلامية^{٧٠} كما تقول بذلك المستشرقة البولونية (بوجينا Bogina)^{٧١} ، وقد تمّ تداول هذه المسألة في القرنين الثاني والثالث كمذهب نظري مُستقلّ عن التيار الشيعي العام الذي لم يكن قد وصل بعدُ إلى مفهوم (الإمامة الشاملة) الذي ابتكره الإمام الباقر عليه السلام قرب نهاية القرن الأول، وتجذّر حضوره، بفعل النشاط التنظيري والتنظيمي من بعده لولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام^{٧٢} الذي يقول بامتداد الوظيفة الإرشادية للنبي من خلال الأئمة الذين ورثوا صلاحياته وخصائصه الدينية من العلم الإلهي إلى العصمة والوحي، إلى جانب سلطته الدنيوية^{٧٣} ، وقد تمّ تغطية هذه النظرية بروايات مُسندة إليهما - الباقر والصادق - ، لكي تكتسب من خلالهما التطور الطارئ على النظام أصلاً بالنصّ المتصلّ إسناده إلى الله تعالى .

تبنّى أسس الإمامية، التي استحدثها الباقر عليه السلام على فكرة محورية جامعة، هي فكرة (الإمامة) باعتبارها منصباً في الدين يُجاور منصب النبوة ويُتمّمه^{٧٤} ، فالإمامة في نظره كما تقول الألمانية (الرزينة لالاني Arzina Lalani)^{٧٥} : «مثل النبوة، مرسومة من الله ومؤسّسة على القرآن»^{٧٦} ، إذ تعتمد آرائه بشكل أساسي في دعم نظريته على التنزيل القرآني، وقد أضافت - المدرسة - بعض الشروح الكلامية إلى جانب الآيات القرآنية المنسوب تفسيرها إلى رواياته إليه^{٧٧} كثيراً إلى صُلب الفكرة المطروحة من قبله : ضرورة الإمامة تقوم على ذات الأسباب التي اقتضت ضرورة النبي، وصلاحياتها تحمل، من ثمّ، ذات الخصائص التي تحملها؛ ولذلك فهي ركن من أركان الدين يمتنع وجود الدين بدونها مثلما يمتنع وجوده بدون النبوة، فالنبوة والإمامة صنوان لا يفترقان، ومن هنا - كما يرى

الباقر - النص عليها في صُلب الكتاب، فالمسألة في نظره إذن ليست مسألة سلطوية، بل أساساً هي مسألة الهداية والارشاد، حتى يكون الأمر موصولاً على الدوام بين الأرض والسماء، فوظيفة الإمام أوسع بكثير من مفهوم السلطة والحكم، الذي قد يتحقق أو لا يتحقق، فطبيعة وظيفته هنا لم تعد قضية التشييع الأولى، كما يطرحها الباقر (عليه السلام)، ولم يعد التشييع مجرد حركة سياسية تستهدف رفع الظلم وإقامة الدولة، بل حركة تصحيحية ترمي إلى تحقيق ماهية الدين ووظيفته الكلية^{٧٨}، ولذا يستبعد الفرنسي هنري كوربان التفسيرات السياسية والاجتماعية للتشييع الإمامي باعتباره (استنتاجاً تحليلياً) من خارج الظاهرة، ويرى أن التفسير الأول والأخير له هو الوجدان الشيعي نفسه، بشعوره وإدراكه للعالم، وهو يتكون أساساً بحسب ما تظهره النصوص التي ترجع إلى الأئمة أنفسهم، من إرادة الوصول إلى المعنى الحقيقي للوحي الإلهي^{٧٩}. فصفات الإمام إذن بحكم وظيفته المتممة للنبوة، هي صفات الأنبياء، يُعَيَّن بإرادة الله نصاً وليس باختيار البشر، ويتضح عند الألمانية الرزينة، أن الباقر (عليه السلام) لم يصرّ جازماً، وهو يطرح نظريته، على وراثته الإمامة وطبيعتها الإلهية فحسب، بل على ضرورتها في هذا العالم أيضاً من أجل توفير العلم والهداية الصحيحين^{٨٠}.

المواجهة الكلامية لنظرية الإمامة :

عندما ظهر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) على الساحة الإسلامية، كانت الحركة الشيعية قد فرضت وجودها بالفعل كتيار سياسي مناهض للدولة الأموية، ورغم أنها لم تحرز أيّ تقدّم على الصعيد الميداني، إلا أنها صارت مثل الخوارج، مصدرراً من مصادر الخطر المحتمل على الدولة، خاصةً وأنها على مدار خطّها الجهادي كانت ترفع شعار الثأر لمقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

حتى توفي الإمام زين العابدين (عليه السلام) سنة ٩٤ هـ، وحين تصدّى الباقر (عليه السلام) للإمامة بعد والده لم يرفع هذا الشعار في مواجهة الأمويين علنياً، ولم يُعوّل عليه كثيراً في بنائه النظري الذي سيُعرف بالإمامية، بل وظّفه في مجال المواجهة الداخلية مع مُنافسيه من الشيعة الذين ادّعوا الإمامة لأنفسهم، باعتباره أولى من غيره بطلب الثأر لمقتل جدّه، وبالتالي فهو أحقّ بالزعامة^{٨١}. وقد شعر الباقر (عليه السلام) في ضوء هذه الظروف بأهمية وضع آرائه وصياغتها بخصوص الإمامة، بحيث يمكن استحضار نوع ما من النظام إلى هذه الفوضى الناجمة عن الأفكار الشيعية المغايرة المتفشية إبان الفترة المبكرة من الإسلام^{٨٢}.

وبناءً على ذلك دفع الباقر (عليه السلام) بمواجهته الجدلية مع مزاعم الوصية التي ادّعاها مُنافسوه من زعماء الشيعة، أمثال: أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأبناء الحسن (عليه السلام)، وبقية المنافسين من البيت النبوي طالبين وعباسيين، فليس كل عضو في آل النبي (صلى الله عليه وآله) مُهيأً للحصول على العلم الحقيقي، بل هو محصور في الامام، الذي يصير كذلك بالوراثة عبر النصّ عليه من سلفه، وهو يستدلّ على ذلك بتفسيره للآية الكريمة: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^{٨٣}؛ إذ يرى أنها نزلت في أبناء الحسين بن علي (عليه السلام) بوجه خاص^{٨٤}.

وهنا تُعلّل الأمانة الرزينة سعي الباقر (عليه السلام) إلى وضع نظرية للإمامة مع متطلباتها المتنوعة تكون أكثر تماسكاً، إذ يبدو - كما تقول الرزينة - واضحاً تماماً، من خلال المجموعات المُتشعّبة العديدة ضمن الحركة الشيعية، أنّ الغالبية العظمى من المتعاطفين الشيعة الأوائل لم تهتمّ كثيراً حول مَنْ كان قائدها، شريطة أن يكون هاشمياً. وقد توفّرت للباقر (عليه السلام) ميزة في أنه تمتّع بنسبٍ رفيع جداً، لأنّ كلا جدّيه لأمه وأبيه كان حفيداً للنبي (صلى الله عليه وآله). وهذا

النسب إلى فاطمة، الذي هو مصدر قوة للإمامية، أعطى الباقر شرفاً عالياً ومقاماً متميزاً، لدى بعض الدوائر على الأقل^{٨٥}.

ولابدّ إذن في نظرية الإمام الباقر (عليه السلام) في فكرة الوصية من الوراثة والنص، فلا تجوز الوصية إلى الغرباء، بل في الأعقاب، ولا تجوز أيضاً لغير الأعقاب المنصوص عليهم، وهم ذرية الإمام الحسين (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام)، ولكي تكون الإمامة لطفاً فلا بد من النص عليه باسمه ونسبه، ولذلك يذهب الإمامية إلى أنه من منتجات نظرية اللطف أن يُنصَّب الله تعالى للناس إماماً في نصٍ صريح بآياته وبأمر منه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد استدلوا بأدلة كثيرة نجد بعض تفسيراتها منقولاً عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^{٨٦} برواية بريد بن معاوية البجلي قال: قلت له: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)؟ فقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحبّته على أرضه^{٨٧}.

وفي سبيل شرح المستشرق الرزينة لتعاليم الإمام الباقر (عليه السلام) فإنها ترى أنّ الوراثة المنصوصة هي نقطة الحسم لمبدأ الإمامة ونوع من التحديد والحصص لكل الخلافات التي تقع من بعد الإمام في البيت الشيعي، قائلة: «شكلت الطبيعة الوراثية للنص نقطة حاسمة في مبدأ الإمامة الذي تقدّم به الباقر. لقد كان يحاول استحضار بعض النظام إلى أفكار الإمامة المشوشة والمربكة والزائفة، المتفشية في ذلك الوقت، وكانت فكرة النص الوراثي نوعاً من التحديد والحصص بالنسبة إلى جميع أولئك الذين ظنوا أنّ في مقدورهم زعم النص لأنفسهم والحصول بذلك على إجازة بالزعامة. وكان بذلك أنّ عيّن الباقر ولده جعفر الصادق (خلافته). لقد عمل الباقر على جعل أتباعه يعرفون في عدد من المناسبات أنّ جعفرًا هو خير البرية. فلما حضرته الوفاة، طلب شهوداً... وهكذا نصّ على ولده جعفر الصادق»^{٨٨}.

وهذا هو الجديد الذي جاء به الإمام الباقر عليه السلام على فكرة الوصية، ولعل الباقر كما يقول المستشرق كوهلبرغ: «هو الأول الذي شكّل أو أطرّ الوثائق الإسلامية لمذهب الاثني عشرية، فالمبدأ الأساسي بين هذه الوثائق هو الإيمان بأن الإمامة تجري من إمام إلى إمام القادم بمقتضى أمر سماوي»^{٨٩}. ولذا يُرجّح البريطاني مارشال هودجسون الباحث في ميدان السيرة النبوية وعقيدة التشيع في بحثه الموسوم: (كيف تطوّر التشيع إلى مذهب)، أن تاريخ فكرة الإمامة بالنص يعود على الأرجح إلى عهد الإمام الباقر عليه السلام ثم تبلّورت الفكرة في عهد الصادق عليه السلام الذي شهد عملية إعادة توجيه داخل المذهب الشيعي، قائلاً: «ويعود تاريخ فكرة الإمامة بالنص على الأرجح إلى عهد محمد الباقر»^{٩٠}.

ولذا فمن الدقة اعتبار مدرسة الإمام محمد الباقر عليه السلام في المدينة المنورة أولى المدارس الكلامية عند الشيعة الإمامية من وجهة نظر استشراقية، ويصل - الباقر - خلف مجمل مبادئ الإمامية، التي تختزلها فكرة محورية رئيسية هي فكرة الإمامة الشاملة، وله في ذلك دور الريادة في التأصيل، الدور الذي لم يُمارسه أحد من الأئمة قبله، وقد مثّل ظهوره على مسرح الأحداث في العصر الأموي نقطة التحوّل الأهم في مسار التشيع، ومثّل بالتالي نقطة تحوّل بارزة في مسار التدين الإسلامي العام، فقد قدّم طرحاً جديداً بمعنى الكلمة ينطوي على تطور جذري في منطوق الدين^{٩١}.

الختامة

(نتائج البحث)

وأخيراً، وبعد أن وصلنا في رحلتنا وجولتنا المُتَشعِّبة في سفينة المستشرقين، سوف نحطّ رحالنا الآن لنرسم ما خطّته أناملهم، من أفكارٍ أخرجناها من جُعبتهم عن جهود علم الكلام الإسلامي ضمن دائرة الإمامية، فهي دراسةٌ واسعةٌ وطويلةٌ حاولنا فيها أن نُقدِّم للقارئ الكريم بعض المعالم الفكرية من خلال الوقوف على طائفةٍ من الآراء الاستشراقية للمخزون الاستقرائي لتراثهم البعيد عن الأنظار، بعد أن عكفنا على مراجعة جملة من المراجع الأجنبية التي عُرضت للترجمة على ذوي الاختصاص، ومّا تقدّم من معلوماتٍ واردة في هذه الدراسة، وما توّصل إليه البحث من استنتاجات يمكن إدراجها في النقاط الآتية :

أولاً : من التوجّهات المهمّة في الدراسات الاستشراقية البحث في حقل المنظومة المعرفية الكلامية، وتحديد الإسلاميه منها .

ثانياً : لم تلق الدراسات المعرفية الحقيقية عن الإمامية وعقائدهم في المراحل التاريخية الأولى للظهور الاستشراقي العناية الكافية، فقد كانت تشوبها الضبابية لزمن طويل، وعدم الدقة إلى حدٍ كبير؛ لأن أصحابها كانوا أحاديي النظرة؛ لاعتمادهم على منهلٍ واحد دون النظر والبحث عن المصادر الدقيقة للمعلومات من داخل المنظومة الإمامية، إلّا أنها نضجت وتطوّرت معرفياً في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي، ثم تصاعد الاهتمام تدريجياً منذ النصف الثاني من القرن العشرين للميلاد.

ثالثاً : بذل المستشرقون جهوداً مُضنية في البحث عن التراث الكلامي الإمامي في خزانة المخطوطات العالمية، وتحقيقها وإخراجها إلى العيان، فإذا ما أمعنا النظر في حال البحث مُنذُ مطلع القرن الحادي والعشرين

الميلادي، وجدنا تقدماً لافتاً في الكشف العلمية في جميع موضوعات علم الكلام الإمامي تقريباً، لذلك كانت مساهمة بعض المستشرقين المتخصصين في هذا المجال واضحة في بيان كثير من عقائد الإمامية إلى الغرب .

رابعاً : أشاد المستشرقون بالدور الذي قام به الإمام الباقر عليه السلام في علم الكلام، وأنه الرائد في تأسيس المدرسة الكلامية الإمامية بلا منازع، ومن أبرز القادة الطليعيين في هذا العلم الذين تصدّوا لكثير من الأفكار الدخيلة على الإسلام والتي حاولت إضعاف المعالم الحقيقية للرسالة النبوية التي جاء بها الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله من خلال مناظراته حتى مع الأديان الأخرى .

خامساً : يرى المستشرقون، أن الإمام الباقر عليه السلام كان موثقاً ومسؤولاً عن إعداد وصناعة عقيدة متماسكة لفكرة (الإمامة)، التي وفّرت الأساس للمدرسة الكلامية الاثني عشرية إلى يومنا هذا، ومن ثم فقد تخرّج على يديه من هذه المدرسة طبقة من المتكلمين أصحاب نظريات ومدارس فكرية خاصة بهم .

الهوامش:

١- كوربان، هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة و حسن قبسي، (ط٢، عويدات، بيروت ١٩٩٨م)، ص٦٦-٦٧ .

2- Muslim World. The Written Heritage of the Schmidtke، Sabine: See:(2)

Cuno، James، and Thomas G. Weiss، eds. Cultural Heritage and MassAtrocities. Los.(Getty Publications، 2022).Pp.86-109.

٣- ولدت في ألمانيا سنة ١٩٦٤م، وحصلت على شهادة الماجستير سنة ١٩٨٧ من كلية الدراسات الشرقية بلندن، والدكتوراه من جامعة اكسفورد بإطروحتها عن الفكر الكلامي للعلامة الحلي، وهي تعمل الان استاذة الدراسات الإسلامية في جامعة برلين بعد أن أخذت البروفيسورية، لها عدد لا بأس به من المؤلفات والتحقيقات، منها: الكلام المعتزلي في العصر الفاطمي، فيلسوف يهودي من بغداد، ابن كمونة، والبحث عن أدلة التكفير والتفسيق للسجستاني، وغيرهما .
للاطلاع ينظر : موقع :

https://de.wikipedia.org/wiki/Sabine_Schmidtke

٤- شميته، زابينه، المرجع في تاريخ علم الكلام، ترجمة: اسامة شفيع السيد، (ط١، بيروت ٢٠١٨)، ص٦٠ .

5- (Leiden،E.J.. Madelung، Wilferd: Encyclopedia of Islam. al-Kulayni (3) BRILL،1986).E12.Pp.362-363.

٦- السيارى، أحمد(ت ق٣)، القراءات أو التنزيل والتحريف، حققه وقدم له : ايتان كوهلبرغ و محمد أمير معزي، (ليدن، بوسطن ٢٠٠٩م) .

7- ((Basset، Claude: Henry Corbin : philosophe de la religion. Research published in magazine Revue de théologie et de philosophie. ، Num 117،(Universitaire، Strasbourg، 1985).p.19.

8- Jean، Brun: Un missionnaire protestant : Henry Corbin. Research published in magazine Revue d'Histoire et de Philosophie Religieuses . Vol 59، No2. (Strasbourg، 1979). P.187. .

٩- الميلاد، زكي، هنري كوربان ومنهج دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية، بحث منشور في مجلة الكلمة اللبنانية، ع٦٩، م١٧، (٣٠ سبتمبر / ايلول ٢٠١٠م)، ص٦١-٦٦ .

١٠- ولد في باريس عام ١٩٤٤م، عالم جيوسياسي، واستاذ في جامعة السوربون، حاصل على درجة الماجستير في التاريخ والاجتماع من جامعة باريس عام ١٩٧١م، أصبح سكرتير ثم النائب العام لكتلة نواب الوسط في مجلس الشيوخ الفرنسي، من أعماله : الجغرافيا السياسية للأديان، وصراعات الهوية، والمستقبل الجيوسياسي للعراق، قاموس الجغرافيا السياسية، وغيرهما.

ينظر: https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois_Thual#Biographie

١١- تويال، فرنسوا، جهل فرنسي بتعددية الاسلام، لقاء منشور في مجلة النور، لندن(١٠٩٤ / صفر- ربيع الاول ١٤٢١هـ، حزيران(يونيو) ٢٠٠٠م)، ص ٥٧ .

١٢- ينظر : موقع https://en.wikipedia.org/wiki/Wilferd_Madelung
13- ((Sabine Schmidtke, ed.: The Oxford Handbook of Islamic Theology. (Oxford: Oxford University Press, 2016).

١٤- ينظر : https://de.wikipedia.org/wiki/Sabine_Schmidtke
https://www.ias.edu/sites/default/files/hs/Schmidtke/Sabine_Schmidtke_CV_2017.

<https://www.ias.edu/news/schmidtke-2019-humboldt-award>
أيضا : ينظر : مزاحم، هيثم، المستشرق الألمانية ساينا شميتكه وإحياء تراث الشيعة والمعتزلة، مقال منشور في مجلة مرايا التراث الالكترونية wesamalsebea، (١٦٤، مايو ٢٠١٣م).

١٥- ينظر : متقي، حسين، ساينيه شميتكه : مطالعة في أعمالها حول التشيع والاعتزال، ترجمة: حسن مطر، بحث منشور في مجلة نصوص معاصرة - بيروت، (السنة السابعة/ ع ٢٨ / خريف ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ص ٢٦٥-٣٥٢ .

16- The theology of al-Hilli (d.726/1325). :Sabine, Schmidtke(1) (London,1991).

١٧- المرجع في تاريخ علم الكلام، ص ٣٦٧ .

١٨- علم الكلام والمجتمع، ج ١، ص ٢٧٢-٤٠٣ .

١٩- بنيامين أبراهاموف، أستاذ فخري في علم اللاهوت الإسلامي والتصوف والدراسات القرآنية في جامعة بار إيلان، له مؤلفات في الفكر المعتزلي والزيدي، والغزالي وابن العربي، والتقليدية والعقلانية في الإسلام .

20-Abrahamov, Binyamin: "The attitude of Ja'far al-Sadiq and

Ali al-Rida toward Kalam and Rational Reasoning". Jerusalem Studies in Arabic and Islam 31.(university of Jerusalem the faculty of Humanites,2006.p.208.

21- See: -Kohlberg, Belief and Law in Imami Shi'ism.p.1-22.

- Binyamin:The attitude of Ja'far al-Sadiq and Ali al-Rida toward Kalam and Rational Reasoning. p.203.

22-Madelung:Imamism and Mu'taziliteTheology.p.21.

23- Madelung: Encyclopedia of Islam. al-Kulayn. p.362-363.

٢٤- ينظر : الطبرسي، أحمد(ت٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، (دار النعمان، النجف الاشرف ١٩٦٦م) .

٢٥- ينظر : الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢٢٠-٢٢٤؛ الاصبهاني، أبو نعيم(ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (السعادة، مصر ١٩٧٤م)، ج٣، ص ١٨٦؛ الوافي بالوفيات، ج٤، ص ٧٦-٧٧؛ تهذيب التهذيب، ج٩، ص ٣١١-٣١٣ .

٢٦- لالاني، الرزينة، الفكر الشيعي المبكر : تعاليم الامام محمد الباقر، ترجمة : سيف الدين القصير، (ط١، دار الساقى، بيروت ٢٠٠٤م)، ص ١٣٥ .

٢٧- للاطلاع ينظر : العمودي، أحمد، الامام أبو جعفر الباقر : مروياته وآراؤه في كتب التفسير بالمأثور والسنة المطهرة جمعاً ودراسة وتخریجاً وتعليقاً، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة واصول الدين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٥٢-٥٧ .

٢٨- الفكر الشيعي المبكر : تعاليم الامام محمد الباقر، ص ١٣٦؛ أيضاً : p.397-400..Vol VII Encyclopedia of Islam. The-- Takim, Liyakat: The Heirs of the Prophet: Charisma and Religious Authority in Shijite Islam.(State University of New York Press,Albany, 2006).p.30.

29- Watt, Montgomery: Shi'ism under the Umayyads. Research published in Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland.(No. 3/4,19 Oct., 1960).p.168-172.

30- see: Muir,William : Annals of The Baely Caliphate.(Smith, Elder, London,1883).p.447.

أيضاً : دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م.(ط١)، مؤسسة المفيد، بيروت ١٩٩٠م، ص ١٢٣ .

٣١- القرشي، باقر (ت١٤٣٣هـ)، موسوعة سيرة أهل البيت (الامام محمد الباقر)، تحقيق مهدي باقر القرشي، (ط ١، دار المعروف، قم ١٤٣٠هـ)، ج ١٧، ص ١٩٧ .

32- J Murdoch، John Emery، and Edith Dudley Sylla، eds. The Cultural Context of Medieval Learning .Ess،Van: The beinnings of Islamic Theology . Proceedings of the First International Colloquium on Philosophy، Science، and Theology in the Middle Ages. Vol. 26. (Springer Science & Business Media، 2012).Pp.87-111.

٣٣- تيرنر، كولن، الاسلام الأسس، ترجمة:نجوان نور الدين،(ط ١، بيروت ٢٠٠٩م)، ص ٣٢٨.

٣٤- الحسيني، هاشم (ت١٤٠٤هـ)، سيرة الأئمة الإثني عشر، (دار التعارف، بيروت ١٩٧٧م)، ج ٢، ص ٢١٠ .

٣٥- القزويني، علاء الدين، الفكر التربوي عند الشيعة الامامية، (ط ٢، لؤلؤة المدينة، الكويت ١٤٠٧هـ)، ص ٢٦٢ .

٣٦- الطائي، محمد، الامام الباقر عليه السلام ومروياته التاريخية، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في آداب التاريخ الاسلامي، جامعة بابل، كلية التربية، قسم التاريخ، العراق، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص ٥٣ .

٣٧- ينظر : أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، (ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)، ص ٦٨٨-٦٩٠ .

٣٨- ابن الجوزي، أبي الفرج (ت٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، (نينوى الحديثة، طهران)، ص ٣٣٧.

٣٩- ينظر : أبو زهرة، محمد، الامام الصادق : حياته وعصره، آراؤه الفقهية، ص ١٥٩ .

٤٠- ينظر : القزويني، علاء الدين، الفكر التربوي عند الشيعة الامامية، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

٤١- للإطلاع ينظر : النصراني، نائر، المناظرات العقائدية عند متكلمي الامامية حتى القرن الرابع الهجري : الشيخ المفيد انموذجاً، (ط ١، بيت الحكمة، بغداد ٢٠١٤هـ)، ص ١٣-٩٢ .

42- p.397-400..Vol VII Encyclopedia of Islam. The (5)

٤٣- عقيدة الشيعة، ص ١٢٥ .

٤٤- الفكر الشيعي المبكر : تعاليم الامام محمد الباقر، ص ٣١ .

45-Takim، Liyakat: The Heirs of the Prophet، Charisma and Religious Authority in Shijite Islam.p.30.

- Crow, Douglas: Imam Ja'far al-Sadiq and the Ahl al-Bayt. Research published in a journal Architects of Civilisation. (July, 2014).p.3.

٤٦- ينظر : تاكيم، لياقت، التشيع في أمريكا، تعريب : مؤسسة أديان للثقافة والحوار، مراجعة وتقديم : صادق المخزومي، (ط١، العراق، النجف ٢٠٢٠م)، ص ٦٠ .

47- Madelung, Wilferd: Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim und die Glaubenslehre der Zaiditen. (Studien Zur Geschichte Und Kultur Des Islamischen Orients, 1965).p.44.

٤٨- عقيدة الشيعة، ص ١٤٥ .

٤٩- الفكر الشيعي المبكر : تعاليم الامام محمد الباقر، ص ٨٢ .

٥٠- ينظر : فلوتن، فان، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن ابراهيم حسن و محمد زكي ابراهيم، (ط١، السعادة، مصر ١٩٣٤م)، ص ٩٠ ؛ النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ج٢، ص ١١٣-١١٤ .

٥١- البروفسور دوغلاس كريم كرو، مستشرق أمريكي من أصول لبنانية، ولد في بيروت، كانت دراسته الاولى في جامعة بيروت سنة ١٩٧٢م، وفي دمشق والقاهرة، عضو في المركز الدولي للدراسات الاسلامية العليا في ماليزيا كوالا لومبور منذ سنة ٢٠٠٨م، له: متى خلق الله الحكمة، والامام الصادق مصدر اشعاع فكري وروحي، والاسلام نقلة ثقافية، وغيرها .

ينظر: نخبة من المستشرقين، إعادة قراءة التشيع في العراق : حفريات استشرافية، تعريب وتقديم وترجمة : عبد الجبار ناجي، (ط١، شركة المطبوعات، بيروت ٢٠١٥م)، ص ١٧٧ .

٥٢- تقويم معنى العبارة بالرواية نذكرها عن الكليني بقوله : عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن ضريس الكناسي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول - وعنده أناس من أصحابه - : عجبت من قوم يتولونا ويعلنونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله ﷺ ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لامرنا، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم ؟ !
الكافي، ج ١، ص ٢٦٢ .

٥٣- كرو، دوغلاس، إعادة قراءة التشيع في العراق : مقتل الحسين بن علي والاراء المبكرة للإمامة، ص ٢٣٦ .



٥٤- تسهير، جولد، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى و علي حسن عبد القادر و عبد العزيز عبد الحق، (ط٢، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٩م)، ص ٢٠٧ .
٥٥- المرطقة : ويطلق عليها بالزندقة، ويعرف اصطلاحاً : ما هو باطل في حكم الشرع . وهي تغير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، وخاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه المرطقة، واستخدم هذا الاصطلاح عند المسيحية، الذي يخالف الكنيسة .

ينظر : الشلبي، أحمد، مقارنة الأديان، (ط٤، السنة المحمدية، القاهرة ١٩٧٣م)، ص ٢١٥ .
٥٦- الغنوصية : المقصود بها التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا، أو هو من تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً . ويدخل من ضمن الغنوصية كل الفرق المنحرفة والوثنية والمذاهب الهندية كالبراهمية والتناسخية وغيرها من المجوسية والزرادشتية والمناوية .

ينظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ج١، ص ١٨٦ .
٥٧- هالم، هاينس، الغنوصية في الاسلام، ترجمة : رائد الباش، (ط١، منشورات الجمل، بيروت ٢٠٠٣م)، ص ١٨ .

٥٨- هودجسون، مارشال (ت١٣٨٨هـ)، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج٤، ص ٧٦٣١-٧٦٣٢ .

59- Belief and Law in Imami Shi'ism.p. 39.

٦٠- الاصبهاني، أبو نعيم (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ)، ج٣، ص ١٨٣ ؛ المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م)، ج٧٥، ص ١٨٦ .

٦١- الغنوصية في الاسلام، ص ٦٢ .
٦٢- الفكر الشيعي المبكر : تعاليم الامام محمد الباقر، ص ٨٤ .

٦٣- وهم من فرق الشيعة الغالية والخارجين عن الامامية، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، كان مولى خالد بن عبد الله القسري، وقد ادعى الامامة لنفسه بعد الامام الباقر عليه السلام وبعد ذلك ادعى النبوة واستحل المحارم، وغلا في الامام علي عليه السلام غلواً لا يعقله عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه أي أن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء، وقد تبرأ منه الباقر عليه السلام .

ينظر : الشهرستاني، محمد (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق : محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت)، ج١، ص ١٧٦ .

٦٤- لم يذكر الشهرستاني صاحب الملل انّ الجعفي كان رئيس المغيرية أو انه ينتمي الى هذه الفرقة الغالية .

٦٥- الغنوصية في الاسلام ، ص ٦٩ .

٦٦- المالكي، ابن الصباغ (ت ٧٨٤هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، (ط ٢)، العدل، النجف الاشرف، د.ت)، ص ٨٨٣ .

٦٧- للاطلاع ينظر : الكافي، ج ١، ص ٤٠١؛ الصفار، محمد (ت ٢٦٠هـ)، تقديم وتعليق : محسن كوجة باغي، (الاحمدي، طهران ١٤٠٤هـ)، ص ٤٠ .

٦٨- الفكر الشيوعي المبكر : تعاليم الامام محمد الباقر، ص ١٤٩ .

٦٩- عقيدة الشيعة، ص ٣٠٣ .

٧٠- ستشيففسكا، بوجينا، تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها، (المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٦م)، ص ٢٤٦ .

٧١- بوجينا غيبانه ستشيففسكا، باحثة بولونية معاصرة، درست الاسلام في الازهر الشريف على يد أساتذة ومشرفين أخصائيين زهاء خمس سنوات ١٩٦١-١٩٦٥م تمكنت خلالها من اللغة العربية، وأنهت دراساتها العليا في كلية الحقوق، وفي معهد اللغات الشرقية، وكانت لها شهادات صادقة حول الاسلام منها : شهادتها حوالا اعجاز العلمي للقران الكريم، وشهادة حول إيجابية القضاء والقدر، وكذلك حول مقصد الشرع من الصلاة، وحول الشورى في الاسلام .

ينظر : noursalam.free.fr/b30.9.htm موقع : نور الدين أبو لحة

٧٢- التشيع في أمريكا، ص ٦٠ .

٧٣- ياسين، عبد الجواد، اللاهوت أنثروبولوجيا التوحيد الكتابي، (ط ١)، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب، الرباط ٢٠١٩م)، ص ٣٩٥-٣٩٦ .

٧٤- ياسين، عبد الجواد، السلطة في الاسلام : نقد النظرية السياسية، (ط ١)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ٢٠٠٩م)، ص ٢٣٠ .

٧٥- الدكتورة الرزينة لالاني، عضوه وباحثة في معهد الدراسات الاسماعيلية، ومتخصصة في الشؤون العربية وحائزة على شهادة الدكتوراه في العلوم الاسلامية من جامعة إندبرغ، شاركت في محاضرات حول أدب الحديث في كلية الدراسات الشرقية في جامعة كامبريدج، وعملت مستشارة باللغة العربية في جامعة دومونفور .

ينظر : موقع الرزينة-لالاني <https://www.abjjad.com/author/2793767032>

٧٦- الفكر الشيوعي المبكر : تعاليم الامام محمد الباقر، ص ٨٩ .

٧٧- ينظر تفسير الإمام الباقر عليه السلام بمسألة الإمامة للآية الشريفة : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿: المائدة/ ٥٥ : الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٤٦، باب البداء، حديث رقم (١١)، و ص ٢٨٩، باب ما نصّ الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً؛ القاضي النعمان، أبو حنيفة (ت ٣٦٣هـ)، دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق: آصف ابن علي أصغر فيضي، (دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م)، ج ١، ص ١٤؛ الطبرسي، أبو علي (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، (ط ١)، مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٩٩٥م)، ج ٣، ص ٣٥٩.

٧٨- ينظر: السلطة في الاسلام: نقد النظرية السياسية، ص ٢٢٩-٢٣٠.

٧٩- ينظر: تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص ٦٧.

٨٠- ينظر: الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الامام محمد الباقر، ص ١٠٢.

٨١- ينظر: السلطة في الاسلام: نقد النظرية السياسية، ص ٢٤٩.

٨٢- ينظر: الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الامام محمد الباقر، ص ٧٣.

٨٣- سورة الانفال، ٥٧.

٨٤- ينظر في ذلك: الكافي، ج ١، ص ٢٩١؛ ابن الخزاز القمي، أبو القاسم (ت ٤٠٠هـ)، كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني، (الخيام، قم ١٤٠١هـ)، ص ٢٤٦. وفيه يروي أن جابر بن يزيد الجعفي قال للباقر (عليه السلام): ان قوما يقولون: إن الله تعالى جعل الامامة في عقب الحسن والحسين، فقال: «كذبوا والله، أو لم يسمعوا الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الزخرف/ ٢٨، فهل جعلها إلا في عقب الحسين».

٨٥- ينظر: الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الامام محمد الباقر، ص ٦٩.

٨٦- سورة البقرة، ١٤٣.

٨٧- ينظر: العياشي، محمد (ت ٣٢٠هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، (المكتبة العلمية الاسلامية، طهران)، ج ١، ص ٦٢.

٨٨- الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الامام محمد الباقر، ص ١١٢.

89- p.397-400.Vol VII Encyclopedia of Islam. The(2)

٩٠- هودجسون، مارشال، كيف تطوّر التشيع إلى مذهب، بحث منشور في مجلة الاجتهاد، (١٩٤٠/ ربيع ١٩٩٣)، ص ١٤٠ - ١٤٢.

٩١- ينظر: اللاهوت أنثروبولوجيا التوحيد الكتابي، ص ٣٩٧-٣٩٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

* أولاً : المصادر العربية :

* ابن الجوزي، أبي الفرج (ت ٦٥٤هـ)،

تذكرة الخواص، (نينوى الحديثة، طهران).

* أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب

الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ

المذاهب الفقهية، (ط ١، دار الفكر العربي،

القاهرة، د.ت).

* الاصبهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ)، حلية

الأولياء وطبقات الأصفياء، (ط ٤، دار

الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ).

* بدوي، عبد الرحمن (ت ١٤٢٢هـ)،

موسوعة الفلسفة، (ط ١، الموسوعة

العربية للدراسات والنشر، بيروت

١٩٨٤م).

* بدوي، عبد الرحمن (ت ١٤٢٢هـ)،

موسوعة المستشرقين، (الدار العلمية

للفلسفة، ١٩٩٢م).

* الحسني، هاشم (ت ١٤٠٤هـ)، سيرة

الأئمة الاثني عشر، (دار التعارف،

بيروت ١٩٧٧م)

* السياري، أحمد (ت ق ٣)، القراءات

أو التنزيل والتحريف، حققه وقدم له

: إيتان كوهلبرغ و محمد أمير معزي،

(ليدن، بوسطن ٢٠٠٩م).

* الشهرستاني، محمد (ت ٥٤٨هـ)، الملل

والنحل، تحقيق : محمد سيد كيلاني، (دار

المعرفة، بيروت).

* الصفار، محمد (ت ٢٦٠هـ)، تقديم

وتعليق : محسن كوجة باغي، (الاحدي،

طهران ١٤٠٤هـ).

* الطبرسي، أبو علي (ت ٥٤٨هـ)، مجمع

البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق :

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين،

(ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت

١٩٩٥م).

* الطبرسي، أحمد (ت ٥٤٨هـ)، الاحتجاج،

تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر

الخرسان، (دار النعمان، النجف الاشرف

١٩٦٦م).

* الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٢٠-٢٢٤

؛ الاصبهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ)، حلية

الأولياء وطبقات الأصفياء، (السعادة،

مصر ١٩٧٤م).

* العياشي، محمد (ت ٣٢٠هـ)، تفسير

القرآن، تحقيق : هاشم الرسولي المحلاقي،

(المكتبة العلمية الإسلامية، طهران).

* القاضي النعمان، أبو حنيفة (ت ٣٦٣هـ)،

دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام

والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول

الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق

: آصف ابن علي أصغر فيضي، (دار

المعارف، القاهرة ١٩٦٣م).

* القرشي، باقر (ت ١٤٣٣هـ)، موسوعة

سيرة أهل البيت (الامام محمد الباقر)،

تحقيق مهدي باقر القرشي، (ط ١، دار

المعروف، قم ١٤٣٠هـ).

* القزويني، علاء الدين، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، (ط ٢)، لؤلؤة المدينة، الكويت ١٤٠٧هـ).

* المالكي، ابن الصباغ (ت ٧٨٤هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، (ط ٢)، العدل، النجف الاشرف، د.ت).

* المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (ط ٢)، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م).

* الميلاد، زكي، دراسات في تاريخ الفلسفة الإسلامية، (ط ١)، السعودية ١٤٣٩هـ).

* النشار، علي (ت ١٤٠٠هـ)، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، (القاهرة، ١٩٩٥م).

* النصراوي، ثائر، المناظرات العقائدية عند متكلمي الامامية حتى القرن الرابع الهجري: الشيخ المفيد انموذجاً، (ط ١)، بيت الحكمة، بغداد ٢٠١٤هـ).

* ياسين، عبد الجواد، السلطة في الاسلام: نقد النظرية السياسية، (ط ١)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ٢٠٠٩م).

* ياسين، عبد الجواد، اللاهوت أنثروبولوجيا التوحيد الكتابي، (ط ١)، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب، الرباط ٢٠١٩م).

* ثانياً: المصادر المترجمة:

----- *

* ٢٤- إس، فان، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ترجمة: محيي الدين جمال و رضا حامد، (ط ١)، الجمل، بيروت ٢٠١٦م).

* ٢٥- تاكيم، لياقت، التشيع في أمريكا، تعريب: مؤسسة أديان للثقافة والحوار، مراجعة وتقديم: صادق المخزومي، (ط ١)، العراق، النجف ٢٠٢٠م).

* ٢٦- تسيهر، جولد، العقيدة والشرعية في الاسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر و عبد العزيز عبد الحق، (ط ٢)، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٩م).

* ٢٧- تيرنر، كولن، الاسلام الأسس، ترجمة: نجوان نور الدين، (ط ١)، بيروت ٢٠٠٩م).

* ٢٨- دونالدسون، دوايت، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م، (ط ١)، مؤسسة المفيد، بيروت ١٩٩٠م).

* ٢٩- ستشيفسكا، بوجينا، تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، (المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٦م).

* ٣٠- شميتكه، زاينيه، المرجع في تاريخ علم الكلام، ترجمة: أسامة شفيع السيد، (ط ١)، بيروت ٢٠١٨م).

* ٣١- فلوتن، فان، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن ابراهيم حسن و محمد زكي إبراهيم، (ط ١)، السعادة، مصر ١٩٣٤م).

* Madelung، Wilferd: Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim und die Glaubenslehre der Zaiditen. (Studien Zur Geschichte Und Kultur Des Islamischen Orients، 1965).

* Basset، Claude: Henry Corbin : philosophe de la religion. Research published in magazine Revue de théologie et de philosophie. ، Num 117، (Universitaire، Strasbourg، 1985).

* Jean، Brun: Un missionnaire protestant : Henry Corbin. Research published in magazine Revue d'Histoire et de Philosophie Religieuses . Vol 59، No2. (Strasbourg، 1979).

* The theology of al-Hilli (d.726/1325). :Sabine، Schmidtke (London، 1991).

* Abrahamov، Binyamin: "The attitude of Ja'far al-Sadiq and Ali al-Rida toward Kalam and Rational Reasoning". Jerusalem Studies in Arabic and Islam 31. (university of Jerusalem the faculty of

* ٣٢- كوربان، هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة وحسن قيسي، (ط٢، عويدات، بيروت ١٩٩٨م).

* ٣٣- لالاني، الرزينة، الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الإمام محمد الباقر، ترجمة: سيف الدين القصير، (ط١، دار الساقى، بيروت ٢٠٠٤م).

* ٣٤- نخبة من المستشرقين، إعادة قراءة التشيع في العراق: حفريات استشراقية، تعريب وتقديم وترجمة: عبد الجبار ناجي، (ط١، شركة المطبوعات، بيروت ٢٠١٥م).

* ٣٥- هالم، هاينس، الغنوصية في الاسلام، ترجمة: رائد الباش، (ط١، منشورات الجمل، بيروت ٢٠٠٣م).

* ثالثاً: المصادر الأجنبية :

* Muslim World. The Written Heritage of the Schmidtke، Sabine:

* Cuno، James، and Thomas G. Weiss، eds. Cultural Heritage and Mass Atrocities. Los. (Getty Publications، 2022).

* (Leiden، E.J.. 37-Madelung، Wilferd: Encyclopedia of Islam. al-Kulayni

* BRILL، 1986).

Civilisation.(July، 2014).

* رابعاً: الدوريات :

----- *

* تويال، فرنسوا، جهل فرنسي بتعددية الإسلام، لقاء منشور في مجلة النور، لندن(ع١٠٩ / صفر- ربيع الاول ١٤٢١هـ، حزيران(يونيو) ٢٠٠٠م) .
* مزاحم، هيثم، المستشرق الألمانية ساينا شميته وإحياء تراث الشيعة والمعتزلة، مقال منشور في مجلة مرايا التراث الالكترونية wesamalsebea، (١٦ع، مايو ٢٠١٣م) .

* متقي، حسين، سابينه شميته : مطالعة في أعمالها حول التشيع والاعتزال، ترجمة: حسن مطر، بحث منشور في مجلة نصوص معاصرة - بيروت، (السنة السابعة/٢٨ع / خريف ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م) .

* خامساً: مواقع الانترنت :

----- *

* https://de.wikipedia.org/wiki/Sabine_Schmidtke.

* https://fr.wikipedia.org/wiki/Fran%C3%A7ois_Thual#Biographie.

* https://en.wikipedia.org/wiki/Wilferd_Madelung.

* en.wikishia.net/view/Wilferd_Madelung.

* <https://de.wikipedia.org/>

Humanites،2006).

* Takim، Liyakat: The Heirs of the Prophet: Charisma and Religious Authority in Shijite Islam.(State University of New York Press،Albany، 2006).

* Watt، Montgomery: Shi'ism under the Umayyads. Research published in Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland.

* (No. 3/4،19 Oct.، 1960).

* Muir،William : Annals of The Baely Caliphate.(Smith، Elder، London،1883).

* J Murdoch، John Emery، and Edith Dudley Sylla، eds. The Cultural Context of Medieval Learning .Ess،Van: The beinnings of Islamic Theology . Proceedings of the First International Colloquium on Philosophy، Science، and Theology in the Middle Ages. Vol. 26. (Springer Science & Business Media، 2012).

* Crow، Douglas: Imam Ja'far al-Sadiq and the Ahl al-Bayt.Research published in a journal Architects of



schmidtke-2019-humboldt-
award

* الرزينة-لالاني

https://
www.abjjad.com/
author/2793767032

wiki/Sabine_Schmidtke.

* <https://www.ias.edu/sites/>

[default/files/hs/Schmidtke/](https://www.ias.edu/sites/default/files/hs/Schmidtke/)

Schmidtke.

* <https://www.ias.edu/news/>



البيروت
البيروت
البيروت

أ.د. عبد الحليم نزال

جامعة البصرة/ كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

أ.م.د. عقيل صادق الأسدي

جامعة البصرة/ كلية الآداب

الملخص

تحمل مسائل العقيدة في طياتها أبعاداً متعدّدة ومتنوّعة في حياة الفرد والمجتمع وهذا ما نراه شاخصاً بصورة جلية لا غبار عليها من خلال ما ورد عن رسول الله وأهل البيت (عليهم السلام) في حياتهم وطرحهم وتناولهم لهذه الجوانب، وهو دليل يقدمونه لنا (عليهم السلام) على وحدة الترابط الجوهرى بين مسائل العقيدة والنتائج المترتبة على الإيمان بهذه العقائد الحقّة، فهي أي (مسائل العقيدة) ليست ذات طبيعة برهانية وإيمانية فحسب، بل هناك الجوانب المختلفة المساوقة والمترتبة على الإيمان بهذه العقائد والمتضمّنة في حياة الإنسان بكل أبعادها (البرهانية والإيمانية والنفسية والتربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها)

ومن هذا الفهم والمنطلق يحاول البحث تسليط الضوء على الجانب العقائدي وأبعاده التربوية الفردية والاجتماعية عند الإمام محمد الباقر (عليه السلام) من خلال ما نقل وورد عنه من براهين ومسائل عقائدية وأبعادها المختلفة وخصوصاً البعد التربوي.

فالتربية العقائدية مسألة مهمّة جداً في حياة الإنسان؛ لأنها تتغلغل في مجمل حياته الشخصية والاجتماعية؛ فلا يمكن أن تكون العقائد قوالب

إيمانية وبرهانية ثابتة فحسب بل تأخذ طبيعتها الحيوية والحركية التي تريد أن توصل الإنسان للكمال الفردي والاجتماعي، فهناك تلازم بين تحقق الإيمان وبين العمل وفق ما يترتب على الإيمان؛ فالإيمان في عالم الدنيا ناظر إلى عالم الغيب وهذا الإيمان الغيبي يتلازم مع العمل المسانخ له في عالم الدنيا، وكل مرتبة إيمانية تتحقق بكمية ونوعية عمل معيّن.. لقد التفت أهل البيت (عليهم السلام) والإمام الباقر (عليه السلام) إلى هذه العلاقة المهمة بين العقيدة والتربية؛ فبينوا هذه المسألة من خلال الآليات النظرية والعملية بفيض وجودهم المقدس (عليهم السلام).



Abstract

Issues of faith carry within them multiple and diverse dimensions in the life of the individual and society, and this is what we see clearly and indisputably demonstrated through what was reported from the Messenger of God and the People of the House, peace be upon them, in their lives and their presentation and treatment of these aspects. This is evidence that they provide to us, peace be upon them, of the unity of the fundamental connection between issues of faith and the results. The consequences of believing in these true beliefs, i.e. (issues of belief), are not only of a demonstrative and faith-based nature. Rather, there are various aspects that are consistent with and result from belief in these beliefs and which are included in human life in all its dimensions (demonstrative, faith-based, psychological, educational, social, political, and others).

From this understanding and starting point, the research attempts to shed light on the doctrinal aspect and its individual and social educational dimensions for Imam Muhammad al-Baqir, peace be upon him, through what has been reported and reported from him in terms of proofs and doctrinal issues and their various dimensions, especially the educational dimension

Doctrinal education is a very important issue in a person's life because it permeates the entirety of his personal and social life. Beliefs cannot only be fixed faith and demonstrative templates, but rather take on a vital and dynamic nature that wants to bring a person to individual and social perfection. There is a correlation between achieving faith and acting according to what the faith entails. Faith in the world of this world looks to the world of the unseen, and this unseen faith is associated with the work that is replicated in the world of this world, and every rank of



faith is achieved by the quantity and quality of a certain work.. The People of the House, peace be upon them, and Imam al-Baqir, peace be upon them, paid attention to this important relationship between belief and education, and they clarified this issue. Through theoretical and practical mechanisms due to the abundance of their sacred presence, peace be upon them.



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تُعَدُّ العقيدة الإسلامية القاعدة والمرتكز الأساسي في حياة الإنسان وشؤونهُ المختلفة وخصوصاً أصل التوحيد ، فهو الأساس والمرتكز للأصول العقائدية الأخرى، وهي بمجموعها الأساس والمرتكز لحياة الإنسان، فالعقيدة تدخل في كل جوانب الإنسان صغيرها وكبيرها ومن بين أهم هذه الجوانب الحياتية الإنسانية هي مسألة التربية؛ لأنها تبني شخصية الإنسان لتكون سَلماً للتكامل ، والتكامل هو الغاية القصوى للإنسان ، وعليه كان هذا البحث المتواضع ليرسم لنا صورة إجمالية عن التربية العقائدية عند أهل البيت (عليه السلام) ، فالإمام (عليه السلام) ، ومن خلال سيرته وسلوكه وما صدر منه أدعية وأحاديث وأقوال قد ربط بين العقيدة والتربية؛ إذ العقيدة لها الدور المحوري في تربية الإنسان بما تمتلك من قدسية ويقينية باعتبارها تطابق الواقع وهي محلُّ لمشئَةِ الله وإرادته ، وعليه قسّمنا البحث لعدة مطالب حاولت تغطية جوانب التربية العقائدية عند الإمام، بدءاً من حياة وسيرة الإمام الباقر (عليه السلام) وانتهاءً بما صدر عن الإمام من أدعية وأحاديث وأقوال تبين وتركز على التربية ودور العقيدة في مسائلها .

ومن الله التوفيق

المطلب الأول : نظرة عامة عن حياة الإمام الباقر عليه السلام

أولاً: ولد الإمام الباقر عليه السلام في اليوم الثالث من شهر صفر عام ٥٧ للهجرة^١. وهناك مصادر أخرى تذهب إلى أن ولادته عليه السلام في الأول من شهر رجب لنفس العام^٢، وكانت ولادته في المدينة المنورة وأبوه هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وأمه فاطمة أم عبد الله بنت الإمام الحسن بن علي عليه السلام التي كانت من خيرات النساء وصاحبة كرامات، فينقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال بحقها كانت صديقة لم يُدرِك في آل الحسن مثلها من كراماتها ما ينقله الإمام الباقر عليه السلام « وكانت امي قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة ، فأشارت بيدها وقالت: لا وحق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط ، فبقي (الحائط) معلّقاً حتى جازته فتصدّق عنها أبي بمائة دينار»^٣.

والإمام الباقر اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ومن ألقابه : (الباقر) و (الشاكِر) و (الهادي)، وأشهرها (الباقر) الذي لقبه به رسول الله ﷺ ، ففي بداية سنينه عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) يقول: قال لي رسول الله ﷺ «يا جابر يوشك أن تبقى حتى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمد ، يقر علم الدين بقرّاً فإذا لقيته فأقرئه مني السلام» فلقيه جابر بن عبد الله الأنصاري في سكك المدينة فقال له (يا غلام من أنت) قال له الإمام عليه السلام «أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» قال له جابر: يا بني أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر فقال شمائل رسول الله ﷺ وربّ الكعبة ، ثم قال : يا بني، رسول الله ﷺ ، يقرئك السلام، فقال الإمام : (على رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض ، وعليك يا جابر بما بلغت السلام) فقال له جابر: يا باقر، أنت الباقر حقاً، أنت الذي تبقر العلم بقرّاً^٤.

كذلك قيل عن سبب تسميته بالباقر أنّه بقر الأرض أي شقّها وأثار مخبّاتها ومكانها، فلذلك أظهر مخبّات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والطوائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، وقد قال فيه الشيخ المفيد أنّه لم يظهر عن أحد من ولد الإمام الحسن والحسين (عليه السلام) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الأدب ما ظهر عن أبي جعفر (عليه السلام).^٥

وقد تواترت في حقّه وعلمه وسجاياه الحميدة وشخصيته القيّمة الكثير من الأحداث والوقائع التي لو أوردناها لضاق بنا الزمان والمكان، وكيف لنا ذلك وهو سليل شجرة النبوة والولاية، روعي وأرواح العالمين له الفداء. كان استشهاد الإمام (عليه السلام) في المدينة مسموماً في السابع من شهر ذي الحجة عام ١١٤ هـ. ق عن عمر ناهز الـ (٥٧) عاماً بأمر من هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بني أمية، ومرقده الشريف في مقبرة البقيع في المدينة المنورة، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

المطلب الثاني : ماذا نقصد بالتربية العقائدية

١ - مفهوم التربية:

التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، وهي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كما لها شيئاً فشيئاً، فنقول ربّيت الولد أي قويت ملكاته ونميت قدراته وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحاً للحياة في بيئة معيّنة.^٦ وهناك الكثير من التعاريف لهذا المصطلح تعطي تقريباً نفس المضمون المذكور آنفاً، فمثلاً: يعرفها عالم النفس (هنري جولي)، بأنّها مجموعة من الجهود التي تهدف إلى أنّه يتيسّر للفرد الامتلاك الكامل لمختلف ملكاته وحسن استخدامها.^٧ كذلك يعرفها دوركهايم بأنّها «العمل الذي تحدّثه الأجيال الراشدة في الأجيال الناشئة من أجل الحياة الاجتماعية وتهدف إلى تأسيس

وتنمية عدد من العادات الجسدية والعقلية والأخلاقية التي يطالب بها المجتمع السياسي والوسط الاجتماعي الذي يعدّ له»^٨

إنّ مسألة التربية لا يمكن حصرها بأطر ضيقه تهتم في فئة اجتماعية معيّنة كأن تكون هذه الفئة هم الاطفال والناشئين، بل هي عملية تستهدف الإنسان ككل صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى، والإنسان بحاجة للتربية التي يجب أن تستهدف تكامله الإنساني كما أنّه لا يمكن أن نحصر التربية في الجانب الاجتماعي، بل جميع الجوانب الإنسانية هي مستهدفة في عملية التربية فهناك التنشئة السياسية والدينية والعقائدية والاقتصادية والإدارية والقوانين وغيرها، كما أن التربية تهتمّ بجوانب متعددة من الشخصية الإنسانية كالجانب العقلي والجسمي والجمالي الأخلاقي إلى غير ذلك.^٩ كذلك في معرض الحديث عن التربية يجب التمييز بين التربية والتعليم، فالأخير هو وسيلة التربية للوصول إلى الهدف من التربية الذي ذكرناه في تعريفها الذي هو تكامل الإنسان فالتعليم يساعد في بناء الإنسان وتنشئته من الجانب المعرفي بشرط أن يكون له هدف تربوي فهو جزء من التربية وليس هو التربية.^{١٠}

ووفقاً لما تقدّم يمكن أن نعطي تعريفاً جامعاً للتربية وفق التصوّر الإسلامي، فهي (مجموعة من القيم والمفاهيم التي ترتبط فيما بينها ضمن إطار فكري يستند إلى التصوّرات المطروحة في الكتاب والسنة حول الكون والإنسان ضمن منظومة متكاملة تشتمل على مفاهيم ومبادئ مترابطة ترابطاً عضوياً لخلق أداة توجيهية للمنهاج التربوي الذي يهدف إلى تنشئة الجيل وتنميته على مختلف الأصعدة العقلية والنفسية والثقافية والدينية والاجتماعية والجسمية وبهذا سنحكم بالخطأ على كل من حاول أن يضع التربية الإسلامية في إطار ضيق بحيث يجعلها لا تتعدّى حدود المقررات

الشرعية في المدارس الدينية كالفقه والتفسير والحديث والسيرة، والأقرب من ذلك تعريفها بتاريخ التعليم أو تاريخ المؤسسات التعليمية أو تاريخ الفكر التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي.^{١١}

٢- العقيدة :

تقسم التعاليم الإسلامية إلى ثلاثة أقسام:^{١٢} قسم العقائد: ويسمى أيضاً الفقه الأكبر، وهي المسائل والعلوم التي يجب التعرف عليها والإيمان بها من قبيل (التوحيد) وصفات الباري تعالى و(النبوة) والعدل والإمامة والمعاد وغيرها مع ملاحظه الاختلاف بين المدارس والفرق الإسلامية.

قسم الأخلاق أو (الفقه الأوسط): وهي المسائل التي تتحدث عن الصفات والقيم الروحية والسجايا الأخلاقية التي ينبغي على الإنسان التحلي بها من قبيل العدالة والتقوى والشجاعة والفقه والاستقامة والوفاء والصدق والأمانة وغيرها من الأمور.

قسم الأحكام (الفقه الأصغر): وهي المسائل التي تتعلق بأعمال الإنسان وأفعاله من قبيل الصلاة والصيام والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبيع والإيجار والزواج والطلاق وغيرها.

وعلى وفق هذا التقسيم، فإنّ مسائل العقيدة تعتبر المرتكز والأساس الذي يقوم به الدين، كما أنّ على الإنسان الإيمان بهذه المسائل ومعرفتها ومعرفة أدلتها، كما أكّد علماء وفقهاء مدرسة أهل البيت والشيعة الإمامية أنّ هذه المسائل لا تقليد فيها، وعلى الإنسان المسلم معرفة هذه المسائل لأنّها من الأهمية بحيث تشكّل القاعدة الأساسية في فهم الوجود ومعرفة خالق العالم وصفاته ومعرفة النبوة.

وباقى المسائل العقائدية الأخرى التي تشكّل ما يسمّى بالرؤية الكونية التي تبنى عليها الأعمال أو الأيديولوجيات وأيضاً من مسمّياتها (أصول الدين)، وهي عند الشيعة الإمامية (التوحيد ، النبوة ، الامامة، العدل ، المعاد).

٣- التربية العقائدية:

وعلى ضوء معرفتنا لمفهوم التربية والعقيدة نستطيع القول إنّ التربية العقائدية هي القيم والمفاهيم المستندة لمسائل العقيدة أو هي نتاج إيمان الإنسان بمسائل العقيدة، وعلى الإنسان معرفتها وفهمها والعمل وفقاً لإيمانه بهذه العقائد لأجل تكامله على المستوى الفردي والاجتماعي وتنشئة مجتمع متكامل على مختلف الأصعدة والنواحي الإنسانية. وهذا ما نلاحظه في تعاليم وتوصيات أهل البيت (عليه السلام)، وهو الهدف الذي سعى إليه الإسلام وكان وما زال الغاية العظمى ، فقد ورد عنهم سلام الله عليهم قولهم: «رحم الله امرءاً عرف نفسه وعلم من أين وفي أين وإلى أين»، فمن أراد أن يعرف حقيقته ويفكر فيها وأن يكون إنساناً حقاً ويفكر من أين جاء؟ ومن أيّ مبدأ وجد؟ وفي أيّ وضع هو الآن؟ ونحو أيّ جهة ومقصد هو متّجه، لا بدّ له أن يعمل وفقاً لهذه الرؤية لكي ينال السعادة.^{١٣}

إنّ هذه العلاقة بين مسائل العقيدة والتربية يمكن أن ننظر إليها من زاوية أخرى، وهي ما تعارف عليه في الأدبيات الفكرية المعاصرة بالعلاقة بين الرؤية الكونية والأيديولوجية فمسائل العقيدة تشكّل (الرؤية الكونية)، والأيديولوجية تشكّل (الأفكار العملية) التي تحدّد الشكل العام لسلوك الإنسان.^{١٤} وهدف التربية هو بناء الإنسان على المستوى الفردي والاجتماعي، وهذا البناء لا بدّ أن يكون خاضعاً للعقيدة (الرؤية الكونية).

ولقد أشار القرآن أيضاً لهذه العلاقة كما أشار أهل البيت (عليه السلام) لها، فمثلاً نجد القرآن الكريم يبين هذه العلاقة بين الرؤية الكونية والايديولوجية.^{١٥} بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال آية ٥٥)، كذلك في آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف، آية ١٧٩).

ولقد أوضح هذه العلاقة بين العقيدة والتربية السيد الإمام روح الله الموسوي الخميني (قدس سره) بقوله: «إن ما يريده الإسلام أن ترتبط جميع هذه العلوم سواء العلوم الطبيعية أم غير الطبيعية بالعلوم الإلهية وتمسك بزمامها، وترجع إلى التوحيد، أي: أن يكون لكل علم جانب إلهي فيرى الإنسان الله عندما ينظر إلى الطبيعة ويرى الله عندما ينظر إلى المادة ويرى الله عندما ينظر إلى سائر الكائنات. فالإسلام جاء من أجل إعادة جميع الكائنات في الطبيعة إلى الألوهية وجميع العلوم الطبيعية إلى العلم الإلهي، وهذا المعنى مطلوب من الجامعات أيضاً، نعم لا بد من وجود الطب ووجود العلوم الطبيعية والعلاج البدني إلا أن المهم هو مركز الثقل والذي هو التوحيد يجب أن تعود جميع هذه إلى جهة الألوهية فالإسلام يستهدف في كل شيء ذلك الهدف الأسمى، فهو لا ينظر إلى الموجودات الطبيعية إلا من خلال النظر إلى المعنويات وبتلك المرتبة العالية.^{١٦}

فالإسلام يريد أن تأخذ العقيدة دورها في حياة الإنسان، لا أن تكون العقيدة مجرد مفاهيم نظرية ليس لها علاقه بحياة الإنسان لا من قريب ولا من بعيد إن الإسلام يدعو إلى عقيدة بكل ما تتطلبه من مفاهيم وعواطف وليست دعوة فكرية خالصة تستهدف تطوير العقيدة طبقاً لها وتقف عند

هذا الحد كالمذاهب الفلسفية والفكرية والمجردة، بل الإسلام يسعى إلى مزج الفكرة بالعاطفة وتفجير العواطف على أساس فكري، وبذلك تبقى محتفظة بالطابع الفكري بالرغم من اهتمامها بالجانب العاطفي وتنميته في الشخصية الإسلامية.^{١٧}

كذلك نستطيع معرفه العلاقة بين العقيدة والتربية وكل متعلقات الإنسان في هذه الحياه إذا ما عرفنا أن الإسلام يضع مقياساً عملياً عاماً للإنسان في وجوده وسلوكه، فما دام الإنسان مرتبطاً بخالق وهبه الحياة بكل محتوياتها المادية والمعنوية، يجب أن يكون مقياسه في الحياة هو رضى الله تعالى ، بأن يُكَيِّف حياته طبقاً لرضاه جلّ شأنه « واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » (آل عمران ١٧٤)، فهذا المقياس العملي يشمل جميع الميادين العملية للإنسان من فردية أو اجتماعية، ويشمل مختلف الحقول الاجتماعية من سياسية واقتصادية وأخلاقية.^{١٨}

وعلى ضوء ما تقدّم نستطيع أن نعرف قيمة التربية العقائدية التي طرحها الإسلام من خلال القرآن الكريم وسيرة وأقوال الرسول ﷺ، وأهل بيته ﷺ ولو أردنا الوقوف على حقيقة هذه العلاقة، لوجدناها واضحة وجليّة، ولقد كان الإمام الباقر ﷺ من قادة الإسلام ومثلية الذين أوضحوا مسألة التربية العقائدية من خلال سيرته وآثاره عليه وعلى آبائه سلام الله.

المطلب الثالث: الإمام الباقر ﷺ والتربية العقائدية

إنّ المّطلع على سيرة وحياة الإمام الباقر ﷺ يجد أنّ الإمام قد أهتم بالجانب التربوي وغيره من الجوانب المختلفة في حياة الإنسان والمجتمع ، فكيف لا يكون كذلك وهو يحمل رسالة السماء التي تريد أن ترتفع

بالإنسان إلى أعلى مدارج الكمال والسعادة ، فقد صرف الإمام (عليه السلام) حياته في تربية وتنشئة الإنسان من خلال سيرته الطيبة العطرة ومن خلال ما وصل إلينا من أقواله النورانية في جميع المجالات الإنسانية ، وكان الجانب العقائدي والتربوي واضحاً وبارزاً بصورة جليّة ، نعم نحن لا نستطيع بهذه الوريقات أن نقف على جميع نواحي هذا الجانب العقائدي والتربوي ، ولكن نحاول أن نسلط الضوء على بعض منها عسى ولعلنا نقدم صورة واضحة عند القارئ ومن الله التوفيق والسداد .

١ - الدعاء مدرسة عقائدية تربوية

لا شك ولا ريب أن الدعاء أبرز تجليات العبودية لله جلّ وعلا؛ فهو انقطاع وإقرار بحاجة الإنسان لخالقه وضعفه ونقصه، ولهذا نرى أهل البيت (عليهم السلام) يعلموننا أن الدعاء هو أمر ملازم لحياة الإنسان، أي الدعاء ليس في أوقات الاضطرار والحاجة، بل هو علاقة دائمة ومستمرة بين العبد وربّه، والدليل على ذلك أننا نرى في كتب الأدعية أن أهل البيت يطرحون الكثير من الأدعية المختلفة والمتنوعة في حياة الإنسان المختلفة والمتنوعة؛ وهذا دليل على أهميه الدعاء في حياة الانسان.

إن روح الدعاء لا تقتصر ولا تكمن في الحاجة والاستجابة فحسب، فإن فلسفة الدعاء ليست في أن يسمع الله تعالى مناجاة الداعي، بل إن الكثير من الأدعية تقدّم لنا أمثلةً فكرية وعاطفية وسلوكية^{١٩} ، ويقول الإمام روح الله الخميني: « للدعاء أثر بناء..... الدعاء يجلب النشاط والنور ، وينجي الإنسان من الظلمات ، للدعاء اثر اقتصادي.... للدعاء أثر تربوي وسياسي.....»^{٢٠} ويقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس في تقديمه للصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين السجّاد (عليه السلام): « قد استطاع الإمام علي بن الحسين بما أوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جوّاً روحياً في المجتمع

الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات....
وهكذا نعرف أن الصحيفة السجادية تعبر عن عمل اجتماعي عظيم كانت
ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام إضافه إلى كونها تراثاً ربانياً فريداً يظل على
مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظل
الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمدي العلوي^{٢١}

ومن خلال ما تقدم نعرف قيمة الدعاء في حياة الإنسان، فهو مدرسة
مختلفة الأبعاد كالبعد الأخلاقي والعقائدي والاجتماعي والتربوي والنفسي
وغيرها. وما يمكن الحديث فيه عن أدعية الرسول ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام
أو الزهراء عليها السلام، وبقية الأئمة هو نفسه ينطبق على أدعية الإمام الباقر عليه السلام
فهم نور واحد ومنبع واحد ومدرسة واحدة .

وأبرز هذه الادعية الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام هو دعاء البهاء أو ما
يسمى أيضاً دعاء السحر، وهو من الأدعية العظيمة والمهمة؛ وذلك لأنه
يحمل مضامين توحيدية إلهية عظيمة وفيه يذكر الإمام الكثير من الصفات
والاسماء الإلهية التي يُسال الله بها ، ويبدأ الدعاء كما هو وارد في كتب
الأدعية يقول الإمام عليه السلام «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ بَهَائِكَ بِأَبْهَاءِ كُلِّ بَهَائِكَ
بِهَيِّ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِبَهَائِكَ كُلِّهِ» ويختتم الإمام الدعاء بالفقرة «اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ بِمَا تُجِيبُنِي بِهِ» [حين أسألك فأجِبني يَا الله].

ولقد قام السيد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره بشرح هذا الدعاء
ويذكر في الشرح نكتة توحيدية تعبّدية تربوية عظيمة ، فيقول في شرح آخر
فقرة من الدعاء التي أوردناها آنفاً ولما كان الأسماء الإلهية كلها من مظاهر
الاسم الأعظم المحيط بها المستجمع لجميعها بنحو الوحدة والبساطة
،الحاكم عليها وله الغلبة والسلطنة على كلها فإذا انكشف ذلك لقلب
السالك المتحقق بمقام الاسم الأعظم الفعلي رأى أن مجيئه في الحقيقة هو

الاسم الأعظم بمظهره ، ابتداءً وبنفسه في آخر السلوك ، فيقول « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَا تُجِيبُنِي [بِهِ] حِينَ أَسْأَلُكَ » من الأسماء الإلهية التي ترجع كلها إلى الاسم الأعظم ، فإنه يجيبه وحافظ مراتبه ومرتبته والمانع من قطاع طريقه ومن الموسوس في صدره ، وللإشارة إلى أن الاسم الأعظم الإلهي محيط بكل الأسماء وهو المجيب في الأول والآخر وهو الظاهر والباطن ، افتتح كلامه بذكره فقال « اللهم » واختتم به أيضاً وقال (فأجبنني يا الله) .^{٢٢} وهناك أدعية كثيرة واردة عن الإمام الباقر (عليه السلام) فيها الكثير من المضامين التوحيدية العظيمة بالإضافة إلى جوانب عديدة تخص الإنسان ، ومنها الجانب التربوي فمثلاً يورد السيد عباس القمي في مفاتيح الجنان في الفصل السابع (ما ورد من أدعية للهّم والغمّ والخوف وغيرها) دعاء للإمام الباقر (عليه السلام) « في الأمر يحدث » وهو دعاء فيه مضامين عالية منها التوكل والتسليم المطلق لله سبحانه وتعالى ، فيقول الإمام (عليه السلام) في أحد فقرات هذا الدعاء (فليكن يا سيدي ومولاي فيما قضيت وقدرت وحثمت ، تعجيل خلاصي مما أنا فيه جميعه ، والعافية لي ، فإني لا أجد لدفع ذلك أحداً غيرك ولا أعتمد فيه إلا عليك ، فكن يا ذا الجلال والإكرام عند أحسن ظني بك ورجائي لك) وهذا قمة التربية التوحيدية ، وهي التسليم والتوكل والاعتماد على الله ، فهو درس للإنسان أن يقطع كل الأسباب التي يرى لها استقلالية من دون الله والاعتماد عليه والتوكل عليه ، وهذا لا يعني حسب المطالب التوحيدية أن الإنسان يترك العمل بالأسباب ، بل هو إرجاع كل الأسباب إلى الله والأسباب التي تعبّدنا الله العمل بها راجعة إلى مسببها وهو الله سبحانه وتعالى .

٢- الروايات والأحاديث الواردة عن الإمام الباقر (عليه السلام)

هناك مجموعته كبيرة من الروايات والأوامر الإلهية الواردة عن الإمام (عليه السلام)، التي من خلال قراءتها والتمعن بها وبدلالاتها نرى أنها تحمل مضامين تربوية وتوجيهية من قبل الإمام للإنسان المسلم وبمختلف المجالات، ونحن سوف نشير إلى مجموعة من هذه الأسس والتوصيات والأحكام التربوية الواردة عن الإمام والتي لا نستطيع إحصاءها والإمام بها جميعاً في هذا البحث المتواضع.

١- طلب العلم والتعلم محل رضا الله وطاعته واستجابة أوامره: في حديث وارد عن الإمام (عليه السلام) يؤكد الإمام فيه أن طلب العلم والتعلم أمر إلهي وليس فقط ينفع الإنسان في دنياه بل في الدنيا والآخرة يقول الإمام (عليه السلام) «سارعوا في طلب العلم والذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة وذلك أن الله عز وجل يقول ﴿مَاء آتَاكُمْ الرِّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾»^{٢٣}، كذلك في نفس السياق نرى الإمام (عليه السلام) وفي رواية أخرى يقول الإمام (عليه السلام) يقول: (كان في خطبة أبي ذرٍّ رحمه الله: يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك، أنت يوم تفارقهم كضيف بتّ فيهم، ثم غدوت عنهم إلى غيرهم، الدنيا والآخرة كمنزل تحوّلت منه إلى غيره، وما بين الموت والبعث إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها، يا مبتغي العلم إن قلباً ليس فيه شيء من العلم، كالبيت الخرب لا عامر له).^{٢٤}

٢- صلة الأرحام والتواصل معهم: وردت أحاديث كثيرة عن الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) في الحثّ على صلة الأرحام والتواصل معهم، والإمام الباقر (عليه السلام) كان له نصيب من هذه الأحاديث التي تهدف إلى إشاعة روح التواصل الاجتماعي والتربية الاجتماعية لما لها آثار عظيمة على الفرد

والمجتمع ، بالإضافة إلى أنها محلّ رضا الله وطاعته، وهذه الرابطة بين هذه السمة الاجتماعية أي (صلة الرحم) وبين مرضاة الله واستجابة أوامره هي نوع من التربية العقائدية التي أكّدها الإمام، فنراه عليه السلام يقول « صلة الأرحام تزكّي الأعمال وتنمّي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ في الأجل »^{٢٥} فالحديث يؤكد على نتائج صلة الرحم الدنيوية والأخروية، ومن أهم المسائل الأخروية هي تيسير الحساب.

٣- علاقه الزوجة بزوجه: في أكثر من حديث عن الإمام الباقر عليه السلام يسلط الضوء على طبيعة العلاقة الزوجية وخصوصاً علاقة المرأة (الزوجة) بزوجهما ويربط هذه العلاقة برضا الله وسخطه فيقول في ذلك: (لا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها ، ولما ماتت فاطمة (سلام الله عليها) قام عليها أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وقال: اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك^{٢٦}، كذلك في حديث آخر عنه عليه السلام أنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوم النحر إلى ظهر المدينة على جمل عاري الجسم، فمرّ بالنساء فوقف عليهن ثم قال: يا معاشر النساء تصدّقن وأطعن أزواجكن، فإن أكثركنّ في النار، فلمّا سمعن ذلك بكين ثم قامت إليه امرأة منهن: فقالت يا رسول الله ﷺ في النار مع الكفّار؟ والله ما نحن بكفّار فنكون من أهل النار، فقال لها رسول الله ﷺ: إنكنّ كافرات بحقّ أزواجكن.^{٢٧}

٤- علاقة المؤمنين فيما بينهم: بحثنا الإمام الباقر عليه السلام على أن نحسن العلاقة بيننا؛ لأنّ هذه العلاقة الحسنة هي كل مرضاة الله بالإضافة إلى اثارها الاجتماعية الكبيرة ففي تقسيمه لقوله تعالى: ﴿يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾ قال: وهو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول له الملك ولك مثل ما سألت ، وقد أعطيت لحبك إياه.^{٢٨} كذلك وفي نفس السياق نرى الإمام عليه السلام يحث المؤمنين أن

تكون علاقتهم أساسها حبّ الله ومرضاته؛ لأنها تكون قويه وثابتة عكس العلاقات الدنيوية النسبية والمتغيرة فنراه يقول في ذلك: «إنّ الله جنة لا يدخل لها إلّا ثلاثة: رجل حكم على نفسه بالحق، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل أثر أخاه المؤمن في الله»^{٢٩}، كذلك يقول الإمام في حديث جداً جميل ومحفّز للمؤمن أن يُحسّن العلاقة مع أخيه المؤمن «إنّ المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فصافح أشدهما حباً لصاحبه»^{٣٠} كذلك يأمرنا الإمام بتقوية العلاقة فيما بيننا فيتكلّم عن عيادة المريض وما له من الأجر والثواب عند الله فيقول «أيّما مؤمن عاد مؤمناً خاض في الرحمة خوفاً، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإذا انصرف وكلّ الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ويسترحمون عليه ويقولون طبت وطابت لك الجنة إلى تلك الساعة من غد»^{٣١}

٥- الرضا بالقضاء في رواية عظيمة ذات مداليل عالية عن الإمام الباقر (عليه السلام) يرسم لنا الإمام مفاسل ومرتكزات الرضا بالقضاء الإلهي وهي مسألة فيها أبعادٌ عديدة، أهمها البعد التوحيدي، وهو بعد عقائدي، كذلك علاقة هذا البعد في بناء شخصية الإنسان ونظرته للحياة وما يصيبه فيها من مصاعب وابتلاءات؛ فإنّ الإنسان إذا وطّن نفسه وربّاه على الرضا، سوف يصل إلى مراتب توحيدية عالية، وينقل هذا الحديث الإمام روح الله الموسوي الخميني في كتابه (جنود العقل والجهل)، وقبل إيراده للحديث يقول (وليعلّم أنّ الصبر بحسب هذه المرتبة المذكورة من مقامات المتوسّطين، لأنّ النفس ما دامت تكره الواردات من جانب الحق تعالى وتجزع منها في كمونها وبطونها فمقام معارفها وكما لا تنها ناقص، والكمال إلّا رفع من هذا المقام أي مرتبة الرضا بالقضاء أن ترضى النفس وتفرح بما يرد عليها من بليات وأمور سيئة وتطلب بحقيقة وجودها

كل ما يرد من جانب المحبوب.^{٣٢} هذه المقدمة ينقل الحديث الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام من كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (رضوان الله عليه) وهو: أنَّ الباقر عليه السلام في طفولته سأل جابر بن عبد الله الانصاري: كيف تجد حالك؟ قال: أنا في حال الفقر أحب إليّ من الغني، والمرض أحب إليّ من الصحة، والموت أحب إليّ من الحياة، فقال: الإمام عليه السلام: أمّا نحن - أهل البيت - فما يرد علينا من الله من الفقر والغنى والمرض والصحة والموت والحياة، فهو أحبّ إلينا.

الخاتمة

القلم وصاحبه قاصران ومقصران في حقّ الإمام، ولكنها بضاعة عسى أن يُتقبَّل بعضها، وهو الغاية والبغية؛ ولهذا نقول في الخاتمة، إننا حاولنا إبراز العلاقة بين العقيدة والتربية من خلال مطالب البحث والتي يمكن إيجازها بالتالي :

من خلال النصوص الواردة عن الإمام الباقر (عليه السلام)، نجد هناك علاقة بين العقيدة ومسائل التربية .

في بعض الأدعية التي أوردها البحث نجد مضامين تربوية كانت جزءاً من مضامين أخرى، فالدعاء من ضمن أهدافه هو تربية الإنسان وتجسير العلاقة بينه وبين خالقه حتى يصل الإنسان أو يسعى إلى الكمال .

إن الفعل الإنساني يتجاوز حدود الأنانية والغايات الدنيوية المادية إذا كان الهدف وراءه رضا الخالق وإطاعة أوامره ونواهيه، وهذا ما نراه في كثير من النصوص والأحاديث الواردة عن الإمام الباقر (عليه السلام).

إن العلاقة الإنسانية إذا تأسست على مراعاة الأوامر والنواهي الإلهية أو كان الهدف من ورائها رضا الله سبحانه وتعالى، سوف تكون علاقات متينة وثابتة، وهذا ما حاول البحث إبرازه في إيراد بعض الأحاديث عن الإمام الباقر (عليه السلام).

إن المنطلقات التربوية الإنسانية تكون قوية وثابتة إذا بنيت على أسس ومرتكزات حقيقية وثابتة، والعقيدة الإسلامية من أهم هذه الأسس والمرتكزات والتي حاول البحث إبراز هذه العلاقة من خلال ما أوردها من أدعية وأحاديث عن الإمام الباقر (عليه السلام).

الهوامش:

- ١- ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ١٧٤ .
- ٢- ينظر: محمد بن جرير الطبري: دلائل الإمامة ، ص ٢١٥ .
- ٣- ينظر: المصدر السابق ص ٢١٧-٢١٨ .
- ٤- ينظر: الشيخ الصدوق ، علل الشرائع ص ٢٣٣ ، كذلك ينظر: نور الأبصار في أحوال الأئمة التسعة الأبرار ، للمازندراني ص ٤٨
- ٥- ينظر: المازندراني ، نور الابصار ، ص ٤٩ .
- ٦- ينظر: جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج ١ ص ٢٦٦
- ٧- ينظر: نذير الحسيني ، النظرية التربوي في القرآن ، ص ١٥ .
- ٨- ينظر: المصدر السابق ، ص ١٥ .
- ٩- ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٥ .
- ١٠- ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٧ .
- ١١- ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٦-١٧ . ١١- ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٦-١٧ .
- ١٢- ينظر: العلامة مرتضى مطهري ، الكلام - العرفان - الحكمة العملية ، ص ٥-٦ ، كذلك ينظر: عبد الهادي الفضلي خلاصة علم الكلام ، ص ٩-١٢ .
- ١٣- ينظر: محمد تقي مصباح اليزدي ، محاضرات في الايديولوجية المقارنة ص ١٣ .
- ١٤- ينظر: المصدر نفسه ، ص ٨ .
- ١٥- ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٢-١٣ .
- ١٦- ينظر: دروس تمهيدية في العقيدة الإسلامية ص ٦ .
- ١٧- ينظر: السيد الشهيد محمد باقر الصدر ، رسالتنا ، ص ٣٤ .
- ١٨- المصدر السابق ، ص ٤٦ .
- ١٩- مهدي أحمدي فراز ، أدعية الإمام المهدي (دراسة في الصحة النفسية) ، ص ١٧ .
- ٢٠- المصدر السابق ، ص ١٩ .
- ٢١- من مقدمة الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ، ط ١ ، ص ١١-١٢ .
- ٢٢- الإمام الخميني ، شرح دعاء السحر ، ص ١٥٣ .
- ٢٣- البرقي ، المحاسن ج ١ ، ص ٣٥٦ ،
- ٢٤- المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥٧ .
- ٢٥- الكليني ، الكافي ، ص ١٥٠ .
- ٢٦- الشيخ الصدوق ، الخصال ، ص ٥٨٨ .

٢٧- الكليني ، الكافي ، ص ٥١٤ .

٢٨- الشيخ أحمد بن فهد الحلي ، عدة الداعي ونجاح الساعي ، ص ١٨٥ .

٢٩- المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

٣٠- المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

٣١- الشيخ عبد الله الجواد الطبري الآملي ، مفاتيح الحياة ، ص ٣٢١ .

٣٢- الإمام الخميني ، جنود العقل والجهل ، ص ٤٢٠ .



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* ادعية الإمام المهدي (دراسة في الصحة النفسية) مهدي احمدي فراز ، ط ١ ، مؤسسة الهدى الثقافية والفنية للنشر الدولي ، طهران ، ايران ، ١٣٩١ هـ . ش

* جنود العقل والجهل ، الإمام الخميني ، تعريب أحمد الفهري ، ط ١ ، مكتبة الفقيه ، الكويت ، ٢٠٠١ م

* الخصال ، محمد بن علي بن باويه القمي ، الشيخ الصدوق ، تصحيح علي اكبر غفاري ، ط ٢ ، قم ، ايران ، منشورات رابطة المدرسين ، ١٤٠٣ هـ ق

* خلاصة علم الكلام ، عبد الهادي الفضلي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت لبنان ، ١٩٨٨

* دلائل الإمامة ، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي) ط ١ ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، ايران ، ١٤١٣ هـ ق

* رسالتنا ، السيد محمد باقر الصدر ، ط ٣ ، مطبوعات النجاح ، طهران ، ايران ، ١٩٨٢ م

* شرح دعاء السحر ، الإمام الخميني ، ط ٣ ، مطبعة العروج منشورات تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ، ١٤٢٥ هـ ق

* الصحيفة السجادية ، الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، ط ١ ، مطبعة اسوة ، قم ، ايران ، ١٤٢٤ هـ ق

* عدّة الداعي ، الشيخ أحمد بن فهد

الحلي ، ط ١ ، مؤسسة الفكر الإسلامي ، بيروت لبنان ، ٢٠١٠ م

* علل الشرائع ، الشيخ الصدوق ، ج ١ ، تحقيق وتقديم السيد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية النجف الأشرف ، العراق ، ١٩٦٦ م

* الكافي ، ثقة الإسلام الكليني ، ط ٤ ، طهران ، دار الكتب الإسلامية ، ١٩٨٦

* الكلام والعرفان والحكمة العملية ، العلامة مرتضى مطهري ، ترجمه حسن علي الهاشمي ، ط ١ ، منشورات دار الكتاب الإسلامي ، ايران ، ٢٠٠١

* محاضرات في الايديولوجية المقارنة ، الشيخ محمد تقى مصباح اليزدي ، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، ط ٢ ، مطبعة سلمان فارس ، قم ، ايران ، ١٩٩٢ م

* المحاسن ، المحدث الجليل الثقة أحمد بن محمد البرقي ، ج ١ ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، مطبعة امير ، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، قم ، ايران ، ١٤١٦ هـ ق

* المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، ج ١ ، ط ١ ، مطبعة سليمان نزاده ، قم ، ايران ، ١٣٨٥ هـ ش

* مفاتيح الحياة ، اية الله العظمى الشيخ عبد الله الجوادى الطبري الآملي ، ترجمة حسين الصافي ، ط ٢ ، منشورات مركز الاسراء للنشر ، قم ، ايران ، ٢٠٢٠ م

* منتهى الآمال في تاريخ النبي والآل ، ج ٢ ، ط ٢ ، ترجمة نادر تقى ، مطبعة وليعصر ، قم ، ايران ، ٢٠١٥ م

المازندراني ، ط ١ ، مطبعة امير ، قم ،
ايران ، ١٤٢٠ هـ ق
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
: ابن خلكان ، ج ٤ ، ط ١ ، دار صادر
١٩٧١ .

* النظرية التربوية في القرآن ، نذير
الحسيني ، ط ١ ، مؤسسة المصباح
الثقافية ، بغداد ، العراق ، ٢٠١٦
* نور الأبصار، المحدث الجليل
الشيخ محمد مهدي الحائري



المحتويات

مؤتمر الإمام السجاد (عليه السلام) الدولي الثاني

- مرتكزات الأمن الفكري في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)
الشيخ د. عباس عطية عبد القريشي
أ.د. حسين الزيايدي ٦
- قبسات نورانية من حياة الإمام السجاد (عليه السلام)
أ.د. محمد عبد القادر بوكريطة ٣٤
- منهاج الامام السجاد (عليه السلام) في تربية المجتمع من خلال السلوك العملي
كدور من ادوار الامامة ووظيفة من وظائف الامام
الشيخ جاسم الكركوشي ٦٢
- مواجهة الإمام زين العابدين (عليه السلام) لبذور التصوف في عصره
الشيخ حسن يوسف بن نخي ٨٤
- التقية في منهج الإمام السجاد (عليه السلام)
جاسم السيلوي الكربلائي ١٤٤



المحتويات

مؤتمر الإمام الباقر (عليه السلام) الدولي الثاني

- الأبعاد الاجتماعية في سيرة الإمام الباقر (عليه السلام) نظرة في علاقاته وأقوالها.
الباحث: صبيح هاشم عيسى..... ١٧٨
- البُعد الإنساني في فقه الإمام الباقر (عليه السلام) توريث أطفال الذمي نموذجاً
الشيخ الدكتور خالد غفوري الحسني..... ٢٠٤
- الروايات الشعرية في كلام الامام الباقر (عليه السلام)
الشيخ محمد عبد الكاظم المظفر ٢٤٦
- الجوانب التربوية والأخلاقية من شخصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام)
واتخاذها أنموذجاً
أ.د. حوراء عباس كرماش..... ٣١٨
- احترام المؤمن وحرمة ووجوب ستر عيوبه
دراسة في المفاهيم وعقوبات المخالفين وآثارها الاجتماعية في المأثور
عن الإمام الباقر (عليه السلام)
الشيخ محمد علي الصالح..... ٣٤٢
- جماليات التشكيل الأسلوبي وأثره في توليد دلالات المعنى عند الإمام
محمد الباقر (عليه السلام)
أ.د. كريمة نوماس محمد المدني ٣٧٨
- دور الإمام الباقر (عليه السلام) في رد الاعتبار للسيرة والسنة النبوية وروايتيهما
الدكتور عبد الكريم الشبلي..... ٣٩٦
- الجهود الفكرية الكلامية للإمام الباقر (عليه السلام) في المنظور الاستشراقي
م.د. كريم جهاد الحسني..... ٤٢٦
- التربية العقائدية عند الإمام محمد الباقر (عليه السلام)
أ.د. عبد الحليم نزال - أ.م. د. عقيل صادق الأسدي ٤٦٢

